

کتابخانه آصفیه سرکار عالی حیدرآباد دکن

————— (※) —————

نمبر داخله ۵۳۲۳

تاریخ داخله
نام کتاب کتاب الاستیعاب لاجلہ دولہ ہند الاصلہ

فصل کتاب تاریخ

نمبر کتاب در فن مذکور ۵۴۶

4216
-51A

0.41	دانیه
۳۳۷	
۴۱۵	

فهرست الجزء الاول من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى

حقيقة	حقيقة
٤٦ ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب	٢ مقدمة في فضل علم التاريخ
٤٧ ولاية بشر بن صفوان على المغرب	٤ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
٤٧ ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب	٩ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٤٨ ولاية عبيد الله بن الحبيب على المغرب	١٢ خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
٤٩ ولاية كلثوم بن عيسى على المغرب ومقتله	١٧ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان
٥١ ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب	٢١ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٥١ ذكر صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ ومخرقته	٢٨ القول في نسب البربر وبيان أصلهم
٥٢ الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب	٣٠ القول في تقسيم شعوب البربر على الجملة
وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم	٣١ الخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض
٥٤ استيلاء الياس بن حبيب على المغرب	أمصاير المغرب القديمة وما قبل في ذلك
٥٤ استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وقتله	٣٢ القول في تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد
عاصم بن جليل المتنبئ ومقتله	الاسلام
٥٥ استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب	٣٤ ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وفتحه
٥٥ استيلاء عبد الاعلى بن السمع على المغرب	برقة وطرانس
وظهور الصفرية من آل مدرار المكاسيين	٣٥ ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفتحه
٥٧ ولاية محمد بن الاشعث على المغرب وبنائهم	افريقية
مدينة مجلماسة	٣٦ ولاية معاوية بن حديج على المغرب
٥٧ ولاية الأغلب بن سالم التميمي على المغرب	٣٦ ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنائهم
٥٨ ولاية عمر بن حفص هزارمري على المغرب	مدينة القيروان
٥٨ ولاية يزيد بن حاتم على المغرب	٣٧ ولاية أبي المهاجر دينار وفتحه المغرب الاوسط
٥٩ ولاية رزق بن حاتم على المغرب	٣٨ ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتحه المغرب
٦٠ القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا	الاقصى ومقتله
٦٤ الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى	٣٩ ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة
٦٧ دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى	أسمائهم على حرف المعجم
٦٨ بيعة الامام هوديس بن عبد الله رضي الله عنه	٤١ ذكر اخذ لافي العلماء في أرض المغرب هل
٦٨ غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى	فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك
وفتحة اباها	٤٢ ولاية زهير بن قيس البالوي على المغرب ومقتله
٦٩ غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط	كسيلة وما يتبع ذلك
وفتح مدينة تلسان	٤٣ ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه
٦٩ وفاة ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك	قرطاجنة
٧٠ أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله	٤٣ ولاية موسى بن نصير على المغرب وفتحه لاندلس
٧٠ الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله	٤٦ ولاية محمد بن يزيد على المغرب
٧١ وفود العرب على ادريس بن ادريس رحمه الله	٤٦ ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على
٧٢ بناء مدينة فاس	المغرب

صحيفة	صحيفة
٧٤ غزو ادريس بن ادريس المغربيين واستيلائه	٨٦ قدوم القائد جوهري الشيباني من افريقية الى المغرب واستيلائه عليه
٧٥ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله	٨٧ قدوم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيباني من افريقية الى المغرب
٧٥ انطبر عن دولة محمد بن ادريس	٨٧ قدوم غالب الاموي الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الاندلس
٧٥ حدوث الفتنة بين بني ادريس	٨٨ حدوث النفرة بين الحكم والحسن
٧٦ وفاة محمد بن ادريس رحمه الله	٨٨ عود الحسن بن كنون الى المغرب ومقتله
٧٦ انطبر عن دولة علي بن محمد بن ادريس	٨٩ انطبر عن دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن
٧٦ انطبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس	٩١ انطبر عن دولة زيري بن عطية المغراوي بفاس والمغرب
٧٦ بناء مسجد القرويين بفاس	٩١ حديث أبي الهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما تشاؤون ذلك
٧٨ انطبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس	٩١ وفادة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالاندلس
٧٨ انطبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس	٩٢ استيلاء يدو بن يعلى اليفري على فاس ومقتله
٧٨ انطبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس	٩٢ بناء مدينة وجدة
٧٩ انطبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس	٩٢ حدث النفرة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر وما تشاؤون ذلك
٧٩ استيلاء العبيديين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدم قائدهم مصالة بن حبوس	٩٢ قدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنهم
٨٠ عود المغرب الاقصى الى الاداوسة وظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس	٩٤ بقية أخبار زيري بن عطية
٨٠ خروج الحسن الحجام لقتال موسى بن أبي العافية	٩٤ انطبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغراوي
٨١ انطبر عن دولة آل أبي العافية السكاسيين	٩٥ انطبر عن دولة حامية بن المعز بن عطية المغراوي
٨١ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النمر	٩٥ انطبر عن ثورة أبي الكمال قيم بن زيري اليفري واستيلائه على فاس وأعمالها
٨١ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان	٩٦ انطبر عن دولة دوناس بن حامية بن المعز بن عطية المغراوي
٨٢ انصراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما تشاؤون ذلك	٩٦ انطبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوي
٨٢ ثورة أجد بن بكر الجسة أي بدعوة المروانيين بفاس وما تشاؤون ذلك	٩٦ انطبر عن دولة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي
٨٢ حرب مبسور مع موسى بن أبي العافية	٩٧ انطبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوي
٨٣ بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب	٩٨ انطبر عن الدولة الصنهاجية التونسية المرابطة
٨٤ انطبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاد الريف	٩٩ انطبر عن دولة يحيى بن ابراهيم الكدالي
٨٥ انطبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس	١٠٠ انطبر عن دخول عبد الله بن ياحين أرض الصحران ابتداء أمرهما
٨٥ انطبر عن دولة أبي العيس أجد بن القاسم كنون	
٨٥ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لأبي العيس بها	
٨٥ هجرة أبي العيس الى الاندلس بقصد الجهاد	
٨٦ انطبر عن دولة الحسن بن كنون	

- ١٠٠ شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه
بالعودة وما كان من امره في ذلك
- ١٠١ انخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلاد كين
التونى
- ١٠١ انخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن
عمر بجلماسة والسبب في ذلك
- ١٠٢ انخبر عن رياسة أبي بكر بن همر التونى وفتح
بلاد السوس
- ١٠٣ فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد
برغواطية وفتح بلادهم
- ١٠٥ غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى
ما تقدم وفتحه اباها
- ١٠٥ عود أبي بكر بن همر الى بلاد الصحراء
- ١٠٦ انخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
- ١٠٧ بناء مدينة مراکش
- ١٠٨ فتح مدينة فاس وغيرهما من سائر بلاد المغرب
- ١٠٩ فتح سبتة وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد
بالاندلس
- ١١١ انخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض
الاندلس
- ١١٩ بقية أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما انتفى
له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عماد
- ١٢٣ انخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي
ابن يوسف بن تاشفين التونى
- ١٢٣ خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين
على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين
- ١٢٤ أخبار الولاة بالمغرب والاندلس
- ١٢٥ أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد
وجوازه الأول الى بلاد الاندلس
- ١٢٥ استيلاء العدو على مرسطة
- ١٢٦ ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على
بلاد الاندلس وأخباره في الجهاد
- ١٢٧ انخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن
يوسف بن تاشفين التونى
- ١٣٠ انخبر عن دولة الموحدين من المصامدة
وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالهدى
- ١٣٧ بقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته
- ١٣٩ انخبر عن دولة عبد المؤمن بن علي الكوي
- ١٤٠ بيعه عبد المؤمن بن علي والسبب فيها
- ١٤١ غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها
على المغيرين
- ١٤٢ فتح مدينة فاس
- ١٤٣ فتح مراکش واستئصال بقية التونيين
- ١٤٤ ثورة محمد بن هود السلاوى المعروف بالماسي
- ١٤٥ انتفاض أهل سبتة على الموحدين وخبر
القاضي عياض رحمه الله معهم
- ١٤٦ أخبار الاندلس وقروحها
- ١٤٧ قدوم عبد المؤمن الى سلا وفادة أهل
الاندلس عليها
- ١٤٨ غزو افريقية وفتح مدينة بجاية
- ١٤٩ فتح المرية ورياسة وأبده
- ١٤٩ قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على
التواحيها
- ١٤٩ انقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى
أخوى المهدي والسبب في ذلك
- ١٥٠ انقاع يحيى بن يغمور بأهل لبلة واسرافه في
ذلك
- ١٥٠ أمر عبد المؤمن بتخريب كتب الفروع
ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة
- ١٥٠ تقبل المصنف العثماني من قرطبة الى
مراكش وبناء جامع الكتبيين بها
- ١٥٢ نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها
- ١٥٤ غزو افريقية ثانيا وفتح المهدية وغيرها
- ١٥٦ توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب
- ١٥٦ بناء عبد المؤمن جبل طارق
- ١٥٦ بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء
- ١٥٧ عبور عبد المؤمن الى جبل طارق
- ١٥٧ قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه
بمراكش والسبب في ذلك
- ١٥٨ استعداد عبد المؤمن للجهاد وانشاءه الاساطيل
بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته
- ١٥٨ بقية أخبار عبد المؤمن وسيرته

حجفة	حجفة
١٥٩ الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي	١٩٠ ثورة ابن الفرس وما كان من أمره
١٦٠ ثورة سبعين من تغاديجيال غماره	١٩١ غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين
١٦٠ الجواز الأول لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس بقصد الجهاد	١٩٣ وفاة الناصر رحمه الله
١٦١ غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة	١٩٤ الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله ابن الناصر بن المنصور رحمه الله
١٦٢ الجواز الثاني لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس برسم الجهاد	١٩٥ الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المحلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله
١٦٣ بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته	١٩٦ الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله
١٦٤ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي	١٩٧ الخبر عن دولة المأمون بن المنصور وعمره
١٦٤ خروج علي بن إسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور	يحيى بن الناصر له
١٦٥ الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى أرض إفريقية ثم منها إلى العرب الأقصى	١٩٧ ثورة محمد بن أبي الطواجين الكاظمي بجبال غماره
١٧٢ الخبر عن بني معقل عرب الحضر من أرض المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم ووطونهم	١٩٧ أخبار الثوار بالاندلس
١٧٤ الجواز الأول ليعقوب المنصور رحمه الله إلى الأندلس بقصد الجهاد	١٩٨ قدوم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الأندلس إلى مراكش وما اتفق له في ذلك
١٧٤ مر أسئلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر ليعقوب المنصور رحمه الله والتماسه منه الأساطيل للجهاد	٢٠٠ الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله
١٧٥ عود المنصور إلى إفريقية والسبب في ذلك	٢٠١ فتنة الخلط مع الرشيد واستيلائهم على حضرة مراكش
١٧٥ الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الأندلس	٢٠٢ هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم إياها
١٨٠ ذكر ما شده المنصور رحمه الله من الآثار بالمغرب والاندلس	٢٠٢ عود الرشيد إلى مراكش وفراق يحيى عنها إلى بني معقل ومقتله بهم
١٨١ بقية أخبار المنصور وسيرته	٢٠٢ وفاة الرشيد رحمه الله
١٨٣ وفاة يعقوب المنصور رحمه الله	٢٠٣ الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد على بن المأمون بن المنصور رحمه الله
١٨٩ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر ابن الله بن يعقوب المنصور بالله	٢٠٤ نهوض السعيد من مراكش إلى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرة بغير ماسن بن زيان
١٨٩ غزو الناصر بلاد إفريقية وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك	٢٠٥ الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السعيد أبي إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن
١٩٠ فتح جزيرة ميورقة	٢٠٧ انتفاض أبي دؤب على المرتضى واسن لؤوه على مراكش ومقتل المرتضى عقب ذلك
	٢٠٨ الخبر عن دولة أبي العلاء إدريس الوائلي بالله المعروف بأبي دؤب

الجزء الاول
من كتاب الاستقصا لاختيار دول المغرب الاقصى
تأليف العالم العلامة المحقق الفهامة وجيد
الاولان وفريد الزمان بحر العلوم الروي
الشيخ آجدين خالد الناصري
السلامي حفظه الله
وادام علاه
آمين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



كتاب
الاستقصا
لأخبار دول المغرب
الاول

كتاب
 تاريخ
 ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المعبود الرفوف الرحيم الودود المخرج الخلق من ظلمة العدم الى نور الوجود الفاع
 عليهم بغير قته والتحقيق وحدانيته كل باب مسدود الدال لهم على باهر حكيمته وعظيم قدرته
 بالمعنى المعقول والحس المشهود فلا يرتاب في انه الواحد القدير العليم الخبير الالكفور الكنود
 خالق العباد وقد آجالهم واحصى انفسهم واعمالهم واورقهم من شرعه على نوح سوي وحد محدود
 فن وقف عنده واطاع فقد فاز من غرة الاجداد بالقصود ومن حاد عنه واستكبر فقد اورد نفسه
 الردي وبس الورد المورود نحمده تعالى على ما أسبغ من النعم البيض وكسا من البرود وازاح من
 العلل وروى من الثوب السود (ونشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنبواهم الجنان
 الصدر المحضود والطح المنضود والظل الممدود (ونشهد) ان سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله
 اكرم مبعوث وشراف مولود صاحب المقام المحمود والورا المعقود والحرض المورود صلى الله
 عليه وعلى آله واحبابه الذين هم في محافل السلم بدور وفي بحافل الحرب اسود لهم في اتباعه ونصرته
 اليد البيضاء والبايع الممدود والدعاء لامير المؤمنين مولانا الحسن ابن امير المؤمنين مولانا محمد ابن امير
 المؤمنين مولانا عبد الرحمن كوكب السعود ومنيع الكرم والجود والنجير بطل الغراء وامامته
 البيضاء الاغوار والنجود لاز الشبه ملة الاسلام بحول الله في صعود تزدى الكفر وتنفي البغي
 وتزد وتصل على الضلال وتبوء آمين وبعده فيقول مؤلفه احدث خالدا الناصري السلاوي
 عفا الله عنه هذا بعون الله كتاب الاستعصا لاختار دول المغرب الاقصى كتاب جعته لنفسي ولبن شاه
 الله من ابناء عجمي ذكر تفي دول هذا القطر المغربي من لدن الفخ الاسلامي الى وقتنا هذا الذي هو
 آخر القرن الثالث عشر سال كافيا نقله من ذلك سبيل الاختصار آيا منته بما تنمو اليه النفوس
 من حوادث الاعصار مله ابا لبد منه من وفات بعض الاثمة المتسدي هم في الدين متبركا
 اولاد كر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين مشتر يامن النقول اصحابها ومن العبارات
 اقصها والله تعالى المسؤول في بلوغ المأمول فنه سبحانه المنه والطلو وييده تعالى القوة والحو

الحمد لله يقول مؤلف هذا
 الكتاب احمد الناصري عفا
 الله عنه اني انس من يقف عليه
 من سادات العلماء وفرهم الله
 ان ينظريه بعين الانصاف حسب
 الامكان بل وبعين الانصاف عما
 لا يكاد يسلم منه انسان وان
 يماثانيه بمقتضى قول القائل
 ومن ذا الذي ترضى سجاية كلها
 كفى المرنى لان تده معاينه
 وقه خال الامام مالك رضى الله
 عنه كل كلام منه مقبول
 ومردودا لا كلام صاحب هذا
 القبول الله عليه وسلم واذا كان
 الشيخ خليل رضى الله عنه على
 طوقه في العلم والتحقيق وطول
 باعه في التهور والتدقيق
 يقول واسأل بسان النضرع
 والنشوع وخطاب التذلل
 والخصوع ان ينظر بعين الرضا
 والصواب الخ هذا نصي قول
 نحن خاتمة في هذا الزمان
 الذي انسى فيه من العلم حقيقته
 وورسه ولم يبق منه الا اسمه
 اللهم استعور راتنا وآمن
 روماتنا واغفر لانا وارحم
 بفضلك بالرحم الراحمين يارب
 العالمين آمين وكتب في واسط
 رجب القدر الحرام عام ١٣٠٦

﴿مقدمة في فضل علم التاريخ﴾

اعلم ان علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأرفعها منزلةً وذكراً وأنفعها عائدةً ونشراً وكفاه شرفاً فان
 الله تعالى ينجح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من أخبار الأمم الماضية
 والقرون الخالصة بما أنعم به أكرأهل الكتاب وأق من ذلك عالم يكن لهم في ظن ولا حساب ثم لم يكف
 تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم وجعله من جملة ما أسداه إليه من الخير العظيم فقال جل وعلا
 تلك القرى نقص عليك من أنسابها وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال لقد كان
 في قصصهم عبرة لأولئى الألباب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يتحدث أصحابه بأخبار الأمم
 الذين قبلهم ويحكى من ذلك ما ينسج به صدورهم ويقرئ آياتهم وينو كده فضلهم وكتاب به الخلق من
 صحيح الجزى رجه الله فكيف هذا الشأن وآت من القدر المأموم منه بما يرد غلة العطشان (قال بعضهم)
 احج الله تعالى في القرآن على أهل الكآين بالتاريخ فقال تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم
 وما أنزلت التوراة والآنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (وحكى بدر الدين القرافي رجه الله) ان الامام
 الشافعى رضى الله عنه كان يقول ما معناه دأبت في قراءة علم التاريخ كذا وكذا سنة وما قرأته إلا لاستعين
 به على الفقه وقيل ك معنى كلام الشافعى هذا ان علم التاريخ لما كان مطالعاً على أحوال الأمم والاحيال
 ومفصلاً عن عوائد الملوك والاقبال وميناً من أعراف الناس وأزليتهم ومعلمهم وأديانهم ما فيه عبرة
 لمن اعتبر وحكمة بالغلة فمن تدبر واقتصر كان معيناً على الفقه ولا بدو ذلك ان جل الأحكام الشرعية مبنى
 على العرف وما كان معيناً على العرف لا بد أن يدبر باطراده وينعكس بالنعكس ولهذا ترى فتاوى الفقهاء
 تختلف باختلاف الأعصار والاقطار بل والأشخاص والأحوال وهذا السبب بعينه هو السر في اختلاف
 شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرى وعيسى بأخر ومحمد بسوى ذلك صلى
 الله على جميعهم وسلم ثم فائدة التاريخ ليست محصورة فيما ذكرناه بل له فوائد أخر جليلة لو قيل بعدم
 حصرها ما بعد (قال الجلال السيوطى رجه الله) من فوائد التاريخ ما وقع في شئ الرؤساء المشهوره مع
 اليهوديين بعداد وحاصلها أنهم أظهر وأرسماً فبعنا ينضمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسقاط
 الجزية عن يهود خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم على بن أبى طالب رضى الله عنه فرفع الرسم
 الى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه ثم عرض على الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى فقام له
 وقال هذا امر قديم لم يعمقه قال فيه شهادة معاوية وهو لقا أسلم عام الفخضه شغلان من العجيرة
 وخيبر فقتل سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو مات يوم بني قريظة وذلك قبل فتح خيبر فصر الناس
 بذلك شوز الت حيرتهم اه (قال العلامة القادري في الازهار الندية) وفي حدود صدر هذه المائة أعنى
 المائة الحادية عشر ظهر نحو هذا الكتاب للزور وعنه والرفع على خطوطه بتاريخ سبع وعشرين
 وسبع مائة بالموحدة ثم ظهر أيضاً بتاريخ خمس وعشائة ثم تعدد ظهوره مراراً آخرها سنة اثنتين
 وأربعين ألف مسمى فيه جماعة عن شهرتهم بالدين والعلم فاطمة بالقول عليهم في ذلك انظر بقية كلامه
 ﴿وقد وقف في بعض التقائيد المظنونم الصفحة على كلامه لا ديب أبى عبد الله العفرى المعروف
 بالصغير في هذه المعنى قال جرى مجلس شيخنا قاضى الجماعة فلان الفلانى ذكر علم التاريخ فقال ان علم
 التاريخ ينضج جهله وتنفع معرفته لا كما قيل انه علم لا ينفع وجهاله لا تنضر قال وانظر ما وقع في هذا الوقت
 في حدود عشر ومائة ألف من ان نضج من هو دافس الجديداً امتنعوا من أداء الجزية وأخر جواظها
 فبعنا ضمنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عقنلوسى بن حنى بن أخطب أخى صفية رضى الله عنها ولاهل
 بيت صفية إلا ما لا يطأ أرضهم جيش ولا عليهم زل ولمس ربط العمامة فعلى من أحب الله ورسوله ان
 يؤتمهم وكتب على بن أبى طالب وشهد عتيق بن أبى قحافة وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان
 علم لا ينفع وجهاله لا تنضر مرويان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورده يرهاتين فانظره ولكن علم النسب وعلم التاريخ متلازمان والله أعلم

قال مؤلفه عفا الله عنه
 الذى لا ينحزم في صدر
 الجمهور وكذا ابن عبد البر
 في صدر كتاب النسب هو
 علم النسب لا علم التاريخ كما
 هنا وأنكر ابن حزم ان يكون
 ذلك أعنى ان علم النسب

وتاريخ شهادتهم في ذي القعدة سنة تسع من الهجرة قال شيخنا قاهر في ولاء الصبر ان ذلك زور
واقترأ لاشك فيه ولا امترأ لان التاريخ بالهجرة انما حدثت من هجرة سبع عشرة لاسباب اقتضت
ذلك كما في ابن حجر ولان اهل التاريخ لم يذكروا اصفية انا اسمه موسى وانما المروى في الاحاديث انه
عليه الصلاة والسلام قتل اباصفية وزوجها ولان الظهير الذي استظهر وابنه نصحة من الاصل الذي
فيه خطوط الصحابة وقد ارجوا الاستسناخ من الاصل بسنة ثلاث وعشرين وسبع مائة فقد تأخر خط
الصحابة برعهم الى المائة الثامنة وكيف يتوصل في المائة الثامنة الى ان ذلك خط الصحابة هذا خلاصة
ما كتبه اهل فاس في ابطال الظهير ولم ارفع ذلك الى السلطان المولى اسمعيل رحمه الله عاقب اليهود
عقبا شديدا اهـ (وبالجملة) ففضيلة علم التاريخ شهيرة وفائدة جليلة خطيرة ومادحة محمود غير ما موم
والحديث بفضل حديث معلوم والله در ابن الخطيب اذ يقول

وبعد فالتاريخ والاخبار * فيه لنفس العاقل اعتبار
وفيه للستبراستبصار * كيف اقي القوم وكيف صاروا
يجري على الحاضر حكم الغائب * فيثبت الحق بسهم صائب
وينظر الدنيا بعين النبل * ويترك الجهل لاهل الجهل
وقال الآخر

ليس بانسان ولا فاعل * من لا يبي التاريخ في صدره
ومن روى اخبار من قديمي * اضاف اعمارا الى عمره

هذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الاربعة رضى الله عنهم

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن آذين أدد بن اليسع بن المهديع بن سلامان
ابن نبت بن جدل بن قidar بن اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ
ابن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلح بن حنوخ
ابن يردن مهلاييل بن قينان بن اوفش بن شيث بن آدم عليهما السلام فاما ما بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين عدنان فتفق عليه عند علماء الاسلام وأما ما بين عدنان واسمعيل فتختلف فيه اختلافا كثيرا
ما بين سبعة آباء الى نحو الاربعين واختار ما ذكرناه تبعاً الى القداء وأما ما بين اسمعيل وآدم عليه
السلام فتفق عليه عند اهل الكتاب وهي أسماء أعجمية يكثر تغييرها للصعوبة النطق بحروفها والله أعلم
وقال ابن خلدون ولدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لا تنقث عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
لاربعة سنين من ملك كسرى اوشروان وقيل لثمان وأربعين ولثمان مائة واثنين وعشرين سنة لذي القرنين
ومات أبو عبد الله وأمه حامل به وكفله جده عبد المطلب واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر اسمها
حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فكان عندها نحو أربع سنين وشق صدره صلى الله عليه وسلم وهو عندها
في السنة الرابعة من مولده فخافت عليه وردته الى أمه ثم ماتت أمه عقب ذلك واستغرق كفالة جده
عبد المطلب الى ان توفي أيضاً فبقي ثمان سنين من مولده صلى الله عليه وسلم فاصحى به عبد المطلب الى ابنه
أبي طالب فكفله أبو طالب أحسن كفالة وقام بشأنه آثم قيام ونشأ صلى الله عليه وسلم نشأة طيبة يحفظه
ربه ويكفله لما يرى به من كرامته وهي له من نبوته ورسالته وتزوج خديجة بنت خويلد بن أسد
ابن عبد العزى بن قصي وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهد بناء الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة ووضع
الحجر الاسود بيده الشريفة في موضعه بعد ان تراضت قبائل قريش عليه ثم آناه الله الكتاب والحكم

والنبوة على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم **في** أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله
عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم
فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يحلو بفارح هواء تصبث فيه
والنصف الثعبان الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد ذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لنهارها
حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى بلغه الحلق وهو في غار حراء أميغاه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال
فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ
منني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان
ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بجفواه حتى دخل على خديجة فقال زماني فزماني
فزماني حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي
قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتنصق الحديث وتعمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنطلقت به خديجة حتى أتته به ورقة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأت نصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أي ابن عم
اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال
له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى بالنبوة فيها جنة عاتية أكون حيا أديخرك قومك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأترجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي
وان يدركني يومك أنصرك نصر أمؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي إذا البخاري قال وفتر الوحي
فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال
فكلما أوفى بنبوة جيسل لكي يلقى نفسه منه تبتلى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن
لذلك جائته وتقر عينه فراجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا المثل ذلك فيبتدى له جبريل فيقول له مثل
ذلك ثم نزل عليه بعد فترة الوحي سورة المدثر (قال العلماء) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي
عليه نبيا فقط ثلاث سنين لم يؤمر فيها بأحد شيء ثم أتاه جبريل عليه السلام برسالة من ربه عز وجل فكان
فيما أنزل عليه في ذلك قوله تعالى وأنذر عشيرتک الاقربين **في** روى محمد بن اسمعيل بسنده عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن
أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذروعا وعرفت اني متى أديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فسمعت
عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر به بذكر بل فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل
شاة واملا لنا عسائرا لعين ثم اجعل لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم
له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزعمون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وجزرة العباس
وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فحشيت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذبة
من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الحفصة ثم قال كلوا باسم الله فاكل القوم حتى ملهم بشئ
من حاجة وأيم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت عليهم ثم قال اسق القوم فحشيتهم بذلك
العس فشربوا حتى رووا جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد لشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يكلمهم بذكره أبو لهب فقال صرركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الندي يا علي إن هذا الرجل قد صبقتني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعدت
لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجتمعهم ففعلت ثم جعلتهم ثم دعاني بالطعام فقرأت به ففعل كما فعل بالامس

فاكوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخبري الدنيا
 والآخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوك اليه فايكم يوازي في علي أمرى هذا ويكون أخي ووصي
 وخليفتي فيكم فاجم القوم عنها جميعا وأنا أحد منهم سافقت يارسل الله أنا أكون وزيرك عليه فأخذ
 برقبتي ثم قال هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم بفحص كون ويقولون لاي
 طالب قد أمرنا ان نسمع له ولنطيع (وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتلك
 الاقربين سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهدى يابني عدى لبطون من قريش
 حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ففاء أبو لهب وقريش فقال
 أرايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جبرنا عليك كذبا قال
 فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جئنا فقللت تبليت يا بني لهب
 وتب ما أغنى عنه ماله وما كسبه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ربه صابرا محتسبا قايما باله
 من المحن وضروب الاذى معلنا بالذكور والانذار داعيا الى الله آناه لليل وأطراف النهار وأسلم معه
 جماعة من السابقين الى الاسلام كخديجة وعلي وآبي بكر وزيد بن حارثة وعثمان وسائر العشرة سوى عمر
 ابن الخطاب فان اسلامه كان قد تأخر قليلا ونصبت قريش العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 واقتربت كلمتهم عليه وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب وتعاهد قريش على ألا ينسأ حوهم
 ولا يبايعوهم ولا ينفعوهم بشئ ونال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا معه من الاذى
 فوق ما يوصف وهاجر جماعة منهم الى النجاشي بالحبشة فرار ابيديهم من الفتنة وحسد علي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عه أبو طالب وقام دونه ونذب عنه سفهاء قريش ومنعه منهم ما استطاع وكانت خديجة
 رضي الله عنها توارى على أمره وتسلمه وتمتن عليه ما يلقاه من قومه فكان صلى الله عليه وسلم يرتاح
 لذلك ويخفف عليه بعض ما يجده ثم توفي أبو طالب في شوال سنة عشر من النبوة وتوفيت خديجة بعد ذلك
 ببسيرة وكانت وفاتها ما قبل الهجرة بثلاث سنين فعممت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصيبة
 وتتابعت عليه المحن حتى كان يسمى ذلك العام عام الحزن ونالت قريش منه ما لم تكن تطمع في نيله قبل
 ذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الثلاث سنين اذا حضر الموسم خرج الى اهل العرب عني
 وطاف عليهم قبيلة قبيلة يدعوهم الى الله تعالى ويعرض عليهم نفسه ويسألهم النصرة له والقيام معه
 حتى يبلغ رسالة ربه فان قريشا فقتت على الله وكذبت رسوله وردت عليه كرامته ويقول قيا يقول
 يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من
 هذه الالنادوان تؤمنوا بي وتصدقوني ولقي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة من الشدايد ما دفع الله به في
 علي بن دوحته وأجزل به كرامته وشرف منزلته وحاز به في جوار الله تعالى أكرم نزل وصار امام أولى
 العزم من الرسل صلى الله عليه وسلم ولما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه خرج صلى الله عليه وسلم
 في بعض المواسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع فبينما هو عند العقبة بجى اذ لقي ستة نفر من
 انحر من اهل المدينة يثرب وأهلها قوم مذقيلتان الا ومن وانخرج ويجمعهم أب واحد وهو من
 عرب اليمن والنفر الستة هم أبو امامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفره ورافع بن مالك
 ابن الجهلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من انحر من اهل المدينة قالوا من موالي يهود وكانوا يحالفون قريظة
 والنضير قالوا نعم قال ألا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض
 عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان يحاضرهم في الاسلام ان اليهود كانوا معهم ببلادهم
 وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل أو مان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الان مبعوث

قد أنزل زمانه منسبته وقتلكم معه قتل عادوارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا أن الله أنبي الذي وعدكم به يهود فلا يسبقكم إليه فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا أنا قد تركنا قومنا ودينهم من العداوة والشرا ما بينهم فبعضي الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرنا فان يجمعهم الله عليك فلا أحد أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام حتى قساقسهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وفي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين ذكروا هم أنفا عدي جابر بن عبد الله فانه لم يحضرها وسبعة من غيرهم وهم هاذن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وذكوان بن عبد القيس ويزيد بن ثعلبة البلوي وعبادة بن الصامت والعباس بن عباد بن نضلة وهؤلاء العشرة من الخرج ومن الاوس أبو الهيثم مالك بن النيهان وعويم ابن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعوه ببيعة النساء ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزولا ولا يقتلوا أولادهم إلى آخر الآية فقال صلى الله عليه وسلم لم فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيت شيئا من ذلك فاحذتم بحده في الدنيا فهو كفارة لكم وان ستر عليكم فامركم إلى الله عز وجل ان شاء عنكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان تفرض الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ومعه عمرو بن أم مكتوم الاعشى ليعلمهم القرآن ويشرع الإسلام ويقيمهم في الدين فكان مصعب بالمدينة يسمى للقرى وكان منزله على أسعد بن زرارة فاسلم على يده كثير من الاوس والخزرج منهم أسيد بن حضير وسعد بن معاذ سيد الاوس وسعد هذا هو الذي يقول فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه

وما اهتز عرش الله من أجل هالك * سمعناه الا لسعد أبي عمرو

ولم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقبطون من الاوس وكاوا في عوالي المدينة وكان فيهم أبو قيس بن الاسات الشاعر سيد مطاعا فوقفهم عن الإسلام حتى هاجروا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر واحد وانفذ فاسلوا كلهم ثم ان مصعب بن عمير رجع إلى مكة من العام المقبل وذلك سنة ثلاث عشرة من المبعث وخرج معه من الانصار الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلا ورا ثمان بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج مع حجاج قومهم من أهل الشرك فلما وصلوا إلى مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكموا به ليلا في أوسط أيام التشريق بالعقبة من منى وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حمزة العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب ان يعوق لابن أخيه فقال يا بني انهم انخزرج ان محمدا منا حيث قد علمت وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا وهو في عز ومنعنا من قومه وبلده وانه قد أبى الا الانحياز اليك والحق بك فان كنتم ترون انكم واقفون له بما دعوتوه اليه وما نعوه من خالفه فانتهم وما تخلمتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه فخذلوا الآن فدعوه فقالوا قد سمعنا ما قلت فسلمك يا رسول الله وخذل نفسك ولولاك ما شئت قد سلمك رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا القرآن ودعاه إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام ثم قال يا أيكم على ان تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فاحذ البراءة من معرو ربيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه اذن فبايعنا يا رسول الله فحسن أهل الحرب وأهل الحلقة ورتناها كبارا عن كبار فاعترض القول والبراءة بك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان يئتنا وبين الناس حبا لا يعف عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرنا الله ان ترجع إلى قومك وتدعنا قتبسم رسوا

الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والمهدم المهدم أنتم مني وأنا منكم أचारب من حاربتم وأسالم
 من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون كفلاء على قومهم
 بما فيهم ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم فأخرجوا له اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من
 الأوس قال عاصم بن عمر بن قتادة إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
 ابن عباد بن فضالة يوم مشر الخزرج هل تدرون على ما يتابعون هذا الرجل أنكم تتابعونه على حرب الأجر
 والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا كنتم أموالكم مصيبة وأشرافكم قسلا أسلمتموه فكن الآن فهو والله
 نزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافقونه بما دعوتوه إليه على نكته الأموال وقتل الأشراف
 تغذوه فهو والله خير الدينار والآخرة قالوا فانا أخذناه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فمالنا بذلك
 يا رسول الله إن نحن وفقنا قال الجنة قالوا أبسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء
 ابن معمر ورثه تتابع القوم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا إلى رجالكم فقال العباس بن عباد
 ابن فضالة والذي بعثك بالحق لنفشت لغيري غدا على أهل مني بأسا فانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أفلم أوهركم بذلك ولكن أرجعوا إلى رجالكم ثم انصرف القوم راغبين إلى المدينة وأمر النبي صلى الله عليه
 وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ينتظر الأذن
 من ربه في الهجرة فبقى معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب إلى أن أذن الله لنبيه في الهجرة فهاجر
 كما هو معلوم في كتب الحديث والسيرة ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أظهر الإسلام
 وشريع الأحكام وبين الحلال والحرام ونزل عليه من القرآن السبع الطوال سوى سورة الأنعام فانها
 نزلت بمكة ونزل عليه قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا
 من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله فكانت هذه أول آية نزلت بالآذن في القتال فجاهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في الله حق جهاده ونال من نصره الدين وأعلاه كلمة الله غاية مراده واثالث عليه وفود
 العرب من كل ناحية ولست دعوته من أمما كلها الدانية والقاصية وضرب الإسلام بجرانه في جزيرة
 العرب كلها وأجمع على التمسك بدينه أهل عقدها وحلها (قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفا)
 فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وماذا ناذك من
 الشام والعراق وجي إليه من أجناسها وجزئها وصداقها ما لا يحصى للولاء الأبعصه وهاذته جماعة من
 ملوك الأقاليم فاستأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهم بل صرفه مصارقه وأغنى بغيره وقوى به المسلمين
 صلى الله عليه وسلم ولما حصل المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم وأظهر الله دينه على الدين كله أنزل الله
 تعالى عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا قال المغسرون نزلت
 هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر يوم عرفه والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضاء
 فكادت عضه الناقة تنهد فوبركت لنقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة روى أنه
 لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني أنا كفا في زيادة
 من ديننا فاما إذا كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكثرت هذه الآية نبي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عاش بعدها إحدى وعشرين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين اليثربين خلعا من ربيع
 الأول وقيل لاثنتي عشرة ليلة قال الخازن في تفسيره وهو الأصح سنة إحدى عشرة من الهجرة فجموع
 عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة على الصحيح (أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال أنزل على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فكثرت ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر
 إلى المدينة فكثرت بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة (قال الشيخ محيي الدين
 النووي) ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات أحدها أنه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين

سنة الثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أحسنها وأشهرها اه وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن يشرح وبين فهو حجة الله في الارض وشهيد على الخلق ومصطفاه من البشر والمخصوص بمنزلة النبوة وآدم بين الماء والطين ولقد در ابن الخطيب اذ يقول يا مصطفي من قبل نشأة آدم * والكون لم تنفخ له أغلاق أروم مخلوق ثم سألك بعدما * أتني على أخلاقك الخلاق

(خلافه أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

هو أبو بكر واسمه عبد الله وقيل عتيق ابن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب النجدي المعروف بالصديق يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وفي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع من الصحابة ومن تأخر عنها أو أراجع إليها ثانياً إلا ما كان من سعد بن عبادة الأنصاري فإنه توقف عن بيعته وذلك لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وهو إجماع سعد بن عبادة سيد الخرج لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر لانهم الذين آووا ونصروا وتبوءوا الدار والايمان من قبل المهاجرين ولما انتهى الخبر إلى أبي بكر وعمر أفزعهم ما ذلك وبأدرا إلى السقيفة ومعهم أبو عبيدة بن الجراح فوجدوا الأنصار بهم على ما بلغهم من العزم على بيعه سعد فاجبهم أبو بكر رضي الله عنه وقال نحن أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيرة وأحق الناس بالامر بعده فقص الامر أو أنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر لا والله لا نفعل منّا أمير ومنكم أمير وان شئتم أعدنا هاجذعة أنا جدي بلها المحكك وعذيقها المرجب فقام بشير ابن سعد الأنصاري فقال إلا ان محمد صلى الله عليه وسلم من قريش وان قومه أحق وأولى بالامر بعده ونحن وان كنا أولى بفضل في الجهاد وسابقة في الدين فما أردنا بذلك الا رضى الله وطاعة نبيه فلا ينبغي به من الدنيا عوض ولا نستطيع به على الناس ثم أشار أبو بكر بان يبايعوا أحد الرجلين اما عمر بن الخطاب واما أبو عبيدة بن الجراح ففكر هاذلك وبايعا أبا بكر وسبقهما إليه بشير بن سعد ثم تنابح الاوس فبايعهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النخفاء ففكر هو اماره الخرج عليهم وما لو إلى بيعة أبي بكر فبايعوه وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر حتى كادوا يبطون سعد بن عبادة وهو مضطجع بينهم بوعل فقال رجل من أصحابه قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله فقال أبو بكر مهلا يا عمر الفرق هنا أبلغ ثم لحق سعد بالشام فلم يزل هناك حتى توفي أيام عمر رحم الله جميعهم وكانت بيعة أبي بكر يوم الثلاثاء الثاني من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دفنه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت عاقبة العرب لان كلمة الاسلام تكن رخصت في قلوبهم على ما ينبغي ومنع آخر ومنهم الزكاة وقالوا نصلي ولا نؤدى الزكاة ظنا منهم ان ذلك كان واجبا عليهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ففعلوا اضطرب أمر المسلمين عند وفاته صلى الله عليه وسلم لقلتهم وكثرة عدوتهم (قالت عائشة رضي الله عنها) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ونجم النفاق واشرب اليهودية والنصرانية وزل بابي بكر ما وزل بالجمال إلى اسية لما ضاها وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الساتية لفقدهم (وقال أبو بكر بن عياش) سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبي أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة (وفي العجم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر أنت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله قد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لا تقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان قد شرح

الله صدر أبي بكر للقتال فحرفت أنه الحق (وحكى ابن خلدون) أن أبا بكر رضى الله عنه لما عزم على قتال أهل الردة استخلف أسامة بن زيد بعد رجوعه من بعثته الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قبل وفاته فبقى بالمدينة حتى أتته أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فخرج أبو بكر في جماعة من المسلمين إلى ذي خشب وإلى ذي القصة موضعين قرب المدينة ثم سار حتى نزل على أهل الردة بالابريق وجما عيس وذيبيان وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ونعلبة بن سعد وغيرهم فقاتلهم أبو بكر وهزمهم ورجع إلى المدينة ثم خرج إلى ذي القصة ثانياً فمعه أحد عشر لواءً على أحد عشر جند القتال أهل الردة وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة وعقد للأمراء على تلك الأجناد منهم خالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص وعمر بن العاص وغيرهم وكتب لهم عهداً بضم واحد بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فبين بعثه لقتال من يرجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدته من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شق غارته عليهم حتى يقرؤا له ثم ينشئهم بالذي عليهم والذي لهم فإخذما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يراد المسلمين عن قتال عدوهم فإن أجاب إلى أمر الله تعالى وأقر له قبل ذلك منه وأمانه عليه بالمعروف والنهي عن المنكر فبأنه على الأقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استمر به ومن لم يجب إلى داعية الله فقتل وقتل حيث كان وحيث بلغ من أهله لا يقبل الله من أحشياً عما أعطى الإسلام في أجابه وأقر به قبل منه وأمانه ومن أبي قاتله فإن أظهره الله عليه قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيان ثم قسم ما آفأ الله عليه إلا الخمس فإنه يلقناه ويجمع أصحابه الجبهة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولا يوفى المسلمون من قبلهم وإن يقتصدوا بالمسلمين ويرفقههم في السيرة والمثل ولا يتفقههم ولا يجعل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن العصبية ولين القول اه وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدين كتاباً واحداً أيضاً وجعله في نسخ متعددة يدرسل تقدموا أمام الأمر بأمرهم فيه بالتسك بكافة الإسلام وينهاهم عن الارتداد ويحذرهم ما قبلته وسوء أثره تركا ذكره اختصاراً (وكان) أول ما بدأ به خالد بن الوليد حربه الله من القتال قتال طليحة بن خويلد الأسدي أسد خزيمة وكان كاهناً وأدعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه أفاريق من قومه بني أسد ومن غيرهم فوجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمراً بن الأزور ليقاتله فبينما ضاربر يد مناجزته إذ ورد عليه الخبر ب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت ذلك في غضضار وانكفأ راجعاً بمن معه من المسلمين إلى المدينة وعظم أمر طليحة حينئذ فواسطاً ثم رده وانضمت إليه عطفان وبعض طي وأخسلاط من العرب على ماء من مياه بني أسد يقال له زاحه فسار إليهم خالدرجه الله فأوقع بهم وقعة شنعاء قتل بها جميعهم وقتل من قتل منهم ونجى طليحة إلى الشام برأس طمرة ولجام وبقي هناك إلى أن أسلم وحسن إسلامه وكانت له في قتال فارس وإلى زمان الفتح اليد البيضاء ثم تتبع خالدرجه الله أهل الردة قبيلة قبيلة وجما عيسا فقتل وسقور وضح بالحجارة ورمى من رؤس الجبال وأبلغ في النكابة بكل وجه فشعت نفوس المرتدين وخامر قلوبهم الرعب وقوم اعوجاجهم الطعن والضرب حتى راجعوا الإسلام كرها وكان من أعظمهم شوكاً وأشدهم قوة بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب وكان موطنهم بالبحافة وهي بلاد واسعة ذات نخل وزرع على أربعة أيام من مكة وكان مسيلة هذا قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة فأسلم ثم ارتدوا دعى النبوة استقلالاً ثم شاركه مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك الرجال ابن عترة أحد أشرف بني حنيفة وكان قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عنده وقرأ القرآن

وتفقه في الدين فلما ارتدت مسيلة بعبه النبي صلى الله عليه وسلم معلل اهل اليمامة ومشيغ على مسيلة
فكان من اعظم الفتن على بني حنيفة فانه شهد مسيلة بالنبوة واتبعه على شانه وصار مؤذنا له يشهده
بالرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم شأنه فيهم وكان مسيلة ينتهي الى رايه وكان يأتي باصباح
كثيرة يزعم انها قرآن ينزل عليه ويأتي بخارق من الشعبة ويقول انها معجزاته فتقع على خلاف المقصود
اهانة من الله فنهض خالد بن الوليد الفراع من طليعة وغيره من اهل الردة الى بني حنيفة وهم يومئذ
كثير يقال كانوا اربعين ألف مقاتل ولما سمعوا بدخولهم خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة
واستنفر والناس فنفر وامعهم وأقبل خالد على مقدمته شرحبيل بن حسنة ونزل بني حنيفة وكان
الرجال بن عنفة على مقدمة مسيلة فالتقوا واقتتلوا واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو
حنيفة خباء خالد ثم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة وقاتل ثابت بن قيس بن ثمال حتى قتل ثم زيد
ابن الخطاب أخو عمر كذلك ثم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ثم مولاة سالم ثم البراءة أخو أنس بن مالك وكان
تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يقول ثم ينور كالاسد فقاتل ذلك اليوم
وقتل الافاعيل واستمر القتل في المسلمين خصوصاً قراء القرآن وأهل السابقة فقال ابن خلدون قتل
يوم اليمامة من الانصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ومن المهاجرين مثلهما ومن التابعين لهم مثلهما
أو يزيدون وفشت الجراحات فحين بقي ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون الى حديقة كانت هناك وفيها
مسيلة فقال البراءة بن مالك ألقي في عليهم من أعلى الجدار فاقسم وقاتلهم على باب الحديقة حتى دخل
بعض المسلمين عليهم واقحم الباقون من أعلى الحيطان فقتل من بني حنيفة يومئذ سبعة عشر ألف مقاتل
فسميت الحديقة حديقة الموت وأما مسيلة فقتله وحشي بالحربة التي قتل بها حذيفة بن عبد المطلب يوم أحد
وشاركة في قتله رجل من الانصار ثم صالح خالد بن حنيفة في خبر طويل وهذه الواقعة من اعظم الوقعات
التي كانت في زمن أبي بكر رضي الله عنه وهي كانت السبب الداعي الى جمع القرآن في المصحف واستمر
كذلك الى ان جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه الجمع الثاني في المصحف وفي المصحف في عن زيد بن ثابت
رضي الله عنه قال أرسل الى أبي بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله
عنه ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استمر يوم اليمامة بقراء القرآن وفي أخشى ان يستمر القتل بالقرآن في
المواطن فيذهب كثير من القرآن وفي أرى ان تأمر بجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر كيف أعمل شيئا
لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعي فيه حتى شرح الله لذلك
صدرى ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر انك رجل شاب
عاقل لا تهمل وقد كنت تكتب الوحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبج القرآن فاجعه فوالله لو كلفوني
نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ففك كيف تفعل ان شيئا لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذي
شرح له صدر أبى بكر وعمر فتمت فتبعت القرآن أجمعه من الرقاق والاكثاف والسبب والخاف وصدور
الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجد هاهنا أحد غيره لعبداء كم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءة فكانت المصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته
حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر اه ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث اليه أبو بكر في الحرم سنة
ثنتي عشرة يأمره بالسير الى العراق وذلك عندما أجمعت العرب على الاسلام واتفقوا على التسليم بكلمته
وأخلصوا الطاعة لله وخليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات لابي بكر رضي الله عنه همة في قتال فارس
والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم ومثقف وجه خالد بن حنيفة الله تعالى من وكل عذابا من عذاب الله
أرسله على أهل الكفر والضلال وما منته الا قول للعتي

وما كان الا النار في كل موضع * بشير غبار في مكان دخان

فتوجه خالد بن الوليد ففتح الحيرة وما وراءها من أعمال العراق وفتح الانبار وعين القرو وأوقع الوقائع العظيمة بمسارح أهل فارس وجيوشهم حتى أخافهم في بلادهم وهم بالانقياد عليهم ومقاتلتهم في عقر دارهم وكتب اليهم بكتابين يتوعدهم ويتذمهم ثم صرفه أبو بكر رضي الله عنه الى الشام فشهد اليرموك مع جيوش المسلمين الذين كانوا هناك وفي الاكفلة عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي وكانت له حجة قال لما أراد أبو بكر أن يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وطليحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه وأنفقهم فقال ان الله لا يخصي نعمه ولا تبلغ جزاءها الا اعمال فله الحمد كثير اعل ما صطنع عندكم ثم جمع كلتكم وأصلح ذات بينكم وهذا كم الى الاسلام وفي عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا بالله ولا ان تتخذوا الها غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت ان أسنفرهم الى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيد او مهندس الله خير لابرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين هذا رأي الذي رأيت فبشير على امرؤ ويعلم رأي فاجاب كل من الحاضرين باستصواب رأييه وتقوية عزه فجزأ أبو بكر رضي الله عنه جيوشا وأمر عليهم امرأه كخالدين سعد بن العاص وعمر بن ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة ويزيد بن أبي سفيان وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حصن وأوصى كل واحد منهم بما ينبغي الوصية به فكان بسبب تلك الجوع وقصة اليرموك بين المسلمين والروم في رجب سنة ثلاث عشرة من الهجرة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بنحو شهر لان وفاته رضي الله عنه كانت مساء ليلة الثلاثاء بين العشاءين لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وعمره ثلاث وستون سنة رضي الله عنه ونفعنا به

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

هو أول من دعي أمير المؤمنين وكان أبو بكر قبله يدهي خليفة رسول الله وهو أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل مصغر ابن عبد العزيز بن رياح بكسر الراء وفتح المثناة التحتية ابن عبد الله بن قريطم القافي ابن رزاح بن فزع الراء ابن عدي بن كعب بن لؤي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ولي الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه بعده منه اليه وقال ابن خلدون لما احتضر أبو بكر عهد الى عمر رضي الله عنهما بالامر من بعده بعد ان اشار عليه طليحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فبه فأنتموا على رأيه فاشرف على الناس وقال اني قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصفا فاسمعوا له وأطيعوا ودعا عثمان فأمره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدينيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر وينيب فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرا فان صبر وعدل فذلك على به ورأي فيه وان جار وبذل فلا علمي بالغيب وان خيرا رأيت وليكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فكان أول ما أنفذ من الامور عزل خالد بن الوليد عن امارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة وجاء الخبر بذلك والمسلمون موافقون عدوهم باليرموك فكتم أبو عبيدة الامر كله حتى انتفى امر اليرموك وكان فزع دمشق بعدها حينئذ اظهر أبو عبيدة امارته وعزل خالد فسمع خالدواطاع وقيل في هذا الخبر غير هذا مما هو مبسوط في كتب الفتح ثم ان عمر رضي الله عنه سدد عزه وأرحق حدة لغزو فارس والروم فتابع عليهم الجنود وعين لكل أمير عهد وعقد لابي عبيدة بن مسعود الثقفي على جيش من المسلمين وبعثه نحو العراق فاستشهد أبو عبيدة بعوضه يقال له قس الناطف على الفرات فولى مكانه المتني بن حارثة

الشيباني وكان بطلامن الابطال تطهر خالد بن الوليد في عين النقيبة والجرأة على الاعداء فوقع باهل
 فارس عدة وقعات منها وقعة البوب قتل فيها من الفرس مائة ألف أو يزيدون ثم ان عمر رضي الله عنه
 استأنف الجسد لجهاد فارس وقال والله لا ضرب من ملوك الجحيم يملك العرب فلم يدع رتبسا ولا ذواى
 ولا خطيبا ولا شاعرا الا رامهم بقرامهم وجوه الناس وكتب الى المنفى يأمره ان يخرج بالمسلمين من بين
 الجحيم ويترقبهم على المياه بجبالهم وان يدعو الفرسان وأهل القنيدات من ربيعة ومضر ويحضرهم
 طوعا وكرها ثم حج خمس سنة ثلاث عشرة ورجع الى المدينة فوافته امداد العرب بها فعد عليهم لسعد
 ابن أبي وقاص رضي الله عنه وولاه حرب العراق وأوصاه وقال يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله ان يقال
 خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يحصى السي بالسي ولا يكتفى بحسب السي بالحسن وليس بين الله
 وبين أحد نسب الا بطاعته فانما في دين الله سواء الفرس وهم عباد يتفاضلون بالعافية ويدركون
 ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر
 ثم سرحه في أربعة آلاف من اجتمع اليه فيهم وجوه العرب وأشرافها وانضاف اليه في طريقه جوع
 آخر فكانت له في هذا الوجه وقعة القادسية المشهورة دامت فيها الحرب بين المسلمين والفرس أربعة أيام
 بلياليها وقتل فيها رستم زعيم الفرس وصاحب حرمها واستلمت جنوده وكان الفتح الذي لم يكن له في
 الاسلام نظير وذلك في الحرم سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة ثم كان بعد هاتين المدائن وجالوا وسائر
 بلاد العراق وغيرها من بلاد فارس والجبل وأرمينية واذر بيجان ومجستان وكرمان ومكران ونواسان
 وغير ذلك مما يطول ذكره وكذا استولى جيوش المسلمين الذين بالشام والحجاز وناطكة
 وغيرها من بلاد الروم ومصر والاسكندرية وبرقة وطرابلس الغرب وغير ذلك (وفي سنة أربع عشرة)
 أمر عمر رضي الله عنه باخضاع البصرة والكوفة بعراق العرب لما بلغه من وخامة البلاد وان العرب
 قد تغيرت الوانهم بالعراق فاخذ لهم في اخضاع المصيرين وان لا يتجاوزوا في ثنائهم السنة ويقال
 ان اخضاع الكوفة كان في سنة سبع عشرة (وفي سنة خمس عشرة) وضع عمر الديوان وفرض العطاء
 للمسلمين ولم يكن قبل ذلك وروى الزهري عن ابن المسيب ان ذلك كان في الحرم سنة عشرين فقال
 ابن خلدون كما يقال وضع عمر الديوان لسبب ما أتى به أبو هريرة من البصرين فاستكروه وتعبوا في قسمه
 فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام
 يدونون فقبل منه عمر وقيل بل اشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان فقال له ومن يعلم
 بغيبه من غيب منهم فان من تخلف أهل مكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فانت لهم ديوانا فامر عمر
 رضي الله عنه عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان
 العساكر الاسلامية مرتب على الانساب مبتدأ فيه بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب
 بعد ان قال علي وعبد الرحمن بن عوف لعمر ابدأ بنفسك فقال لا بل بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ
 بالعباس ثم بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة
 آلاف وفرض لمن بعدهم الى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة
 آلاف ثم ألفين وخمسمائة ثم لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن بعد القادسية
 واليرموك ألفا الفاو وادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين وأعطى نساء
 النبي صلى الله عليه وسلم لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة بالفين وجعل النساء على مراتب
 فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعة مائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين والصبيان مائة مائة والمساكين جريسين في
 الشهر ولم يترك في بيت المال شيئا وسئل في ذلك فابى وقال هي قنته لمن بعدى ثم سأل رضي الله عنه
 العصابة في قوته هو من بيت المال فاذنوا له وسأله في الزيادة على لسان ابنته حفصة متكئين عنه فغضب

وامتنع (وفي سنة ست عشرة) قدم جبلة بن الايهم ملك غسان على عمر رضى الله عنه في جماعة من أصحابه مسلمين قتلناه المسلمون ودخل في ذى ححسن وبين يديه جنائب مقادة وعلى أصحابه الديباج حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته وأكرم عمرو فادتهوا وحسن زله وأجله بارفع رتب المهاجرين ثم خرج عمر للبحر في هذه السنة فخرج معه جبلة فبينما جبلة يطوف بالبيت اذ وطئ رجل من فزارة فضل ازاره فلطمه جبلة فهشم أنفه فاقبل الفرزى الى عمرو وشكاه فاحضره عمرو وقال له اقتصد نفسك ولا أمرته بلطمك فقال جبلة كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقه فقال عمران الاسلام جمعكوا سوى بين الملك والسوقة في الحد فقال جبلة كنت أظن انى بالاسلام أعزمنى في الجاهلية فقال عمر دع عنك هذا فقال جبلة انى أنتصر فقال عمران تنصرت ضربت عنقك فقال انظر في لياى هذه فانظره فلما جاء الليل سار جبلة بخياله ووجهه الى الشام ثم منها الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتصروا عن آخرهم وفرح هرقل به وأكرمه ثم ندم جبلة على فعلته فثقل وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمه • وما كان فيها الوصيرت لها ضرر
تكفى فيها الجراح ونخوة • وبعت لها العين الصبيحة بالعود
في البيت أى لم تلدنى وليتنى • رجعت الى القول الذى قاله عمر
وباليتى أرى الخاض بقفرة • وكنت أسير فى ربيعة وأمضر
وباليتى بالشام أدنى معيشة • أجالس قوى ذاهب السمع والبصر
أدين عبادا نوابه من شريعة • وقد يحبس العير الدهون على الدبر

وكان قدم مضى رسول عمر الى هرقل وشاهد ما هو فيه فبسه جبلة من النعمة فأرسل جبلة بخمسمائة دينار الى حسان بن ثابت وأما حاله عمر فدخله حسان بن ثابت بآيات منها

ان ابن جفنة من بقية معشر • لم يغد هم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام اذ هو رجا • ككلا ولا متصرا بالاروم
يسعى الجزيل ولا يرا عنده • الا كبعض عطية المذموم

(وفي سنة سبع عشرة) جى الى عمر بالمرزبان ملك الاهواز أسير ومعه وفد فقيم أنس بن مالك والاحنف ابن قيس فلما وصلوا به الى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه نايجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التى يكون عليها فى ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فساءلوا عنه فقيل هو فى المسجد فاتوه فاذا هو نائم فجلسوا دونه فقال المرزبان أن هو عمر وقالوا هو ذا قل فابن حرسه وبجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فظفر المرزبان الى عمر وقال عدات فأمنت ففت واستيقظ عمر لجلسة الناس فقال المرزبان قالوا انهم امير المؤمنين فقال الحمد لله الذى أدخل بالاسلام هذا وأشبهاه وأمر بترع ما عليه فترعوه وألبسوه ثوبا ضيقا فقال عمر كيف رأيت عاقبة أمر الله فيك فقال المرزبان لما تخلى الله بيننا وبينكم فى الجاهلية غلبناكم ولما كان الله الآن معكم غلبونا (وفي سنة ثمان عشرة) كانت جماعة الرماة وطاعون حمراء وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحى الناس واستسقى عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فسقوا وهلك بالطاعون أو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو وابنة عتبة فى آخرين أمثالهم وتغافى الناس بالشام وبالبحر أيضا ولما خشأ الرماة بالبحر بالشام أجمع عمر المسير اليه ليقسم موارث المسلمين وينطوق على الثغور ففعل ورجع وكانت له خروجة أخرى قبل هذا الفتح بيت المقدس (وفي سنة عشرين) فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية وشهد الفتح معه الزبير بن العوام وجماعة من كبار الصحابة (وفي سنة اثنتين وعشرين) سار عمرو بن العاص الى برقة فصالحها أهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وقتلها وفتحها عنوة

(وفي سنة ثلاث وعشرين) كانت وفاة عمر رضي الله عنه على ما سأل في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما زلنا أعزّه منذ أسلم عمر وعنه أيضاً قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما مات عمر كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفاً وعند ابن أبي شيبة عنه رضي الله عنه قال كان اسلام عمر عزاً وهجرة نصرًا وأما ترجمته فهو في الصحيح أيضاً عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يفسا أنا ثم رأيتني على قلب وعليها دلوق فزعت منها ما شله الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فزعر منها ذنوباً وذنوبين وفي زعره ضعف والله يغفر له ثم استعالت غرباً فأخذها عمر بن الخطاب فلم أرعبر بيا من الناس يتزعزع عمر وفي رواية فلم أرعبر بيا من الناس يغري فريه حتى ضرب الناس بعطن قال النووي رحمه الله قالوا هذه المثلما مجرى الخليقين من ظهوراً نارها الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صاحب الامر فقام به أكل قيام وقرى قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فطال مدة خلافته عشرين سنة نوز بآية وآتبع الاسلام في زمانه فشيء أمر المسلمين بقلب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحتهم وأميرهم بالمستقي لهم منها وسعته هي قيامه بعصا لحهم اهـ فقلت لهم من تأمل أمر عمر رضي الله عنه علم أنه كان عجباً من العجب فإنه بعد ثلاث دول هي أعظم دول العالم في ذلك الوقت دولة الفرس ودولة الروم ودولة القبط فخار بهم في نفس واحد وفرق جيوشه عليهم مع قلة المسلمين اذ ذلك وشظف عيشهم فقلبتهم على عاكسهم وأزال عزهم وكسر كراسيهم وأما فتخوتهم بحيث ضرب الجزية على رقابهم طولاً أحقابهم فبطالبوا بعد هاتين ولا عادوا إلى جاح ونهار بل أعطوا المقادة وأسلموا أنفسهم لاصدار ثم لم يكف بذلك حتى أغرى خيل المسلمين أطراف المعصور من خراسان والترك وبلاد النوبة وبلاد البربر ولعمري ما أمر الاسكندر الذي ضرب الامم به المثل في الغلبة والتمكين في الارض الا دون أمر عمر بكثير فان الاسكندر كان غاز يابجيس جيشه متولياً انك بنفسه جو الا في الارض غير مقيم ووجهته في حروبه وجهة واحدة كلما فرغ من مملكة انتقل الى غيرها تاركا للتي خلف وراءه غير ملتفت اليها وكأنه كان لا غرض له الا في اظهار القوة والبطش والغلبة على الامم دون ما سوى ذلك من نصريف الممالك طوع الامرو والنهي ولذا قال جزء الاصمعي في كتابه تواريح الامم وما رواه القصاص من ان الاسكندر بنى بارس ايران عتبة مدن منها اصهبان ومرو وهراته ومرو فند حديث لا أصل له لان الرجل كان محترماً لا عامراً اهـ فاما عمر رضي الله عنه فإنه لما استولت جيوشه على أكثر المعمور صرف ماله كلها طوع أمره حتى جبي اليه نراجها وثبتت استقامتها وزال اعوجاجها أقوى ما كانوا شوكة وأشد قوة وأكثر حامية ولم يمت رحمه الله حتى انتهت خيلته في جهة الشرق الى نهر بلخ وفي جهة الشمال على مائتي فرسخ من البحر وفي جهة المغرب الى تخوم الروم وبلاد بركة وطرانس الغرب بكل ذلك في مدة يسيرة لم يجاوز معظمها الثلاث سنين وهو مع ذلك في جوف بيته متردد اياماً بين منزله ومسجده لم يستعمل لذلك كثير أسباب ولا أجلب بنفسه بخيل ولا ركاب انما هو الراي الميمون والنصر المضمون والامر الجاري بين الكفا والنون والوعد التجر بقوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (فاما) وفاة عمر رضي الله عنه فروى ابن سعد باسناد صحيح ان عمر كان لا يأذن لمن احتمل من أولاد الجهم في دخول المدينة حتى كتب اليه المنعيرة بن شعبة وهو على الكوفة فذكر له ان عنده غلام صنعاً وهو يستأذنه ان يدخله المدينة ويقول ان له أهلاً لا تنفع الناس انه حداد نقاش نجار فاذن له عمر وضرب عليه مولاة كل شهر مائة فسكى الى عمر شدة الطراج فقال له ما نراجل بكثير في جنب ما تعمل فانصرف ساخطاً فلبث عمر الى فربه العبد فقال عمر ألم أحدث انك تقول لو شئت لصنعت رجي تطحن بالريح فالتفت اليه عابساً فقال لا صنعت لك رجي يخذل الناس بها فقبل عمر على من معه فقال توعدني العبد فلبث ليالى ثم اشتمل على

خضر ذي رأسين نماب في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في القدس حتى خرج عمرو فوقف الناس
 للمساءلة وكان عمرو يفعل ذلك فلما دنا عمرو وثب عليه فطعن ثلاث طعنات أحدها من تحت الممر قد خرفت
 الصفاق وهي التي قتله وهو في صميم الجناري فسمع عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 قبل أن يصاب بأمام المدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما يعني في أرض
 السواد أتخافان أن تكونا قد حملتا الأرض ما لا تطيق يعني من الخراج قالاجلناها أمرأى له مطبقة
 ما فيها كبير فضل قال انظر ان تكونا حملتا الأرض ما لا تطيق قال لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لا دعن
 أرا من أهل العراق لا يتخفن إلى رجل بعدى أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال عمرو بن
 ميمون اني لقاتم ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا ضرب بين الصفيين قال استروا حتى اذا
 لم يرفهت خللا تقدم فكبر وروى عمار سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجمع الناس
 لها هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز فطار العلي بسكين
 ذات طرفين لا يمر على أحد عينا ولا شعا الا لاطعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى
 ذلك رجل من المسلمين واسمه سلطان التميمي اليربوعي طرح عليه بنو سافلطان العلي انه ما خوذ فخر
 نفسه وتناول عمرو عبد الرحمن بن عوف فقدمه بين يدي عمر فقدرأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فانهم
 لا يدرون غير انهم قد فقدوا صوت عمرو وهم يقولون سبحان الله سبحان الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف
 صلاة حفيضة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فقال ساعة ثم جاء فقال غلام الغيرة قال أأصنع
 قال نعم قال قاتله الله لقد أمرت به فعرفوا الحمد لله الذي لم يجعل ميتي بيد رجل يدعي الاسلام فقد كنت
 أنت وأولئك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان المباس أكثرهم رقيقا قال ان شئت فعلنا أي ان شئت
 قتلنا قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قتلتم وجواحكم فاحتمل إلى بيته فانطلقا معه وكان
 الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقال يقول لا بأس وقائل يقول أخاف عليه فاني بنيذ فشر به فخرج
 من جرحه ثم أتى بلبن فشر به فخرج من جرحه ففعلوا انه ميت قد خطن عليه وجاء الناس يشنون عليه وجاء
 رجل شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى الله لك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد م في
 الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعملت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كفافي لاعلى ولألى فلما أدبر الشاب
 اذا ازاره عس الأرض قال ردوا على الاسلام قال يا ابن أخي ارفع ثوبك فانه اتقى لثوبك ونقى لربك ما عبد
 الله بن عمر انظر ماذا اعلى من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وعشرين ألفا ونحوه قال ان وفي له مال آل عمر
 فآده من أموالهم والا فاسأل في بني عدي بن كعب فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش ولا تعد لهم
 إلى شيء برهم فأتعنى هذا المال انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير
 المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أمير أو قل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلم
 واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن
 مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولا ورثته اليوم على نفسي فلما أقبل قبل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
 قال ارفعوني فاستند به رجل إليه فقال ما لك قال الذي تحب يا امير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان
 من شيء أهمل على من ذلك فاذا أنا قضيت فاجلوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي
 فادخلوني وان ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأياها
 ختا فوالت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت خلاهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا
 أو ص يا امير المؤمنين استخلف قال ما أحد أحد أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمي عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن وقال
 يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهينة التعزية له فان أصابت الامارة سعدا فهو ذلك

والأفليس من به أيكم ما أقر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصي الخلدفة من بعدى بالمهاجرين
الاولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمهم وأوصيه بالأصهار خيرا الذين يتروا الدار والابيان
من قبلهم ان يعقل من يحسنهم وان يعنى عن مسيئهم وأوصيه بالاصهار خيرا فانهم ردة الاسلام وجباة
المال وغيط العدو وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب
ومادة الاسلام ان يؤخذ من حوائى أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفى
لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكفوا الا طاقتهم فلما قبض خرجابه فاذ طلقنا غشى فسلم عبد الله
ابن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه
اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير فجعلت أمرى الى علي
فقال طلحة فجعلت أمرى الى عثمان وقال سعد فجعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف فقال
عبد الرحمن أيكما تبترا من هذا الامر ففعله اليهود الله عليه والاسلام لينظرت أفضالهم في نفسه فاسكت
الشيطان فقال عبد الرحمن اتفجعوا به الى الله على ان لا ألوعن أفضلكم كالاعم فاخذني أحدهما فقال لك
من قرأ بترسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم ما قد علمت فأنه عليك ان أمرتك تعدل ولئن أمرت عثمان
لنعمن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه
وباع له على " وولج أهل الدار فبايعوه اهـ (وكانت وفاة عمر رضى الله عنه) يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة
ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشرين سنة وستة
أشهر وثمانية أيام كذا لأبي الفداء وفي حديث عائشة عمتها " جـه أبو عمر بن عبد البر ناحت الجن على عمر
رضي الله عنه قبل أن يموت بثلاث فقالت

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت • له الأرض تهتز الأعضاء بأسوق
جوى الله خيرا من امام وباركت • يد الله في ذلك الاديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناح نعمة • ليدرك ما قدمت بالامس مسبق
قضيت أمورنا ثم غادرت بعدها • بوائق من أكمامها لم تنفق

في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي يجمع مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بولي الخلافة بعد عمر رضى الله عنه باختيار أهل الشورى له وقد تقدم
خبر ذلك مستوفى ولما وبع رقى المنبر وقام خطيبا فحمد الله وتشهد ثم ارتج عليه فقال ان أول كل أمر
صعب وان أعش فستأتيكم الخطب على وجهها ان شاء الله ثم نزل وأقر عمال عمر كلهم الا ما كان من الغيرة
ابن شعبة أمير الكوفة فأنه عزله واستبدل بسعد بن أبى وقاص لوصية عمر بذلك ثم بعد مدة نحو سنة عزل
من عزل من عمال عمر واستبدل بهم آخرين كان فيهم من هو من قرابته فنزل سعد بن أبى وقاص عن
الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمه وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها
عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامري وكان أخاه من الرضاة ثم عزل بعد ذلك أبو موسى الاشعري عن
البصرة وولى عليها عبد الله بن عامر بن كرز وهو ابن خاله واستكتب مروان بن الحكم بن أبى العاص
وهو ابن عمه كل ذلك كان لمصلحة اقتضاها الحال وضم حصن وقنسرين وفلسطين وغيرها من بلاد الشام
الى معاوية بن أبى سفيان أمير دمشق ومضى رضى الله عنه على سنن عمر في الجهاد وتجهيز الجيوش
وتكتيب الكتاب حتى اتسعت خطة الاسلام اتساعا أعظم منه في خلافة عمر رضى الله عنه وكان
لاول خلافة عثمان قد انتقص بعض الغنور والجهان مثل الاسكندرية وبعض بلاد النعم وفارس ونحو
ذلك فلا فاهما بالغزو والبعوث حتى عادت الى الطاعة وأدت ما كانت تؤديه أيام عمر وأكثروا فتح عليه

بلاد أرمينية مثل تغليس وقالبلا وخلاط والسيرجان وعتة حصون وانتهى الفتح الى مدينة الباب
وكان ذلك على يد سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين وغزاه معاوية صاحب الشام أيضا بلاد
الروم حتى بلغ حمورية ووجد ما بين انطاكية وطرووس من حصون الروم خاليا بجمع فيها العساكر
حتى رجع ونهبها وكذا استقم المسلمون في خلافة عثمان رضي الله عنه فتح مدن خراسان والجزورجان
والطالقان وطخارستان وما وراء النهر الى فرغانة في الشرق وانتهى الفتح ايضا الى كابل وزابلستان
وهي بلاد غزنم تغور الهند في الجنوب وفتح في خلافة عثمان رضي الله عنه افرقيسة أيضا من بلاد
المغرب وكان من خبرها انه لما كانت سنة ست وعشرين من الهجرة عزل عثمان رضي الله عنه عمرو
ابن العاص رضي الله عنه عن خراج مصر واسمعه عمل مكره عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه
فلما قدم ابن أبي سرح مصر كان على خراجها وعمرو بن العاص على حوبها فكتب ابن أبي سرح الى عثمان
يشكو عمرا فاستقدمه عثمان واسمعه يقل ابن أبي سرح بالخراج والحرب معائمه امره عثمان بغزو افرقيسة
بعد ان كان عمرو بن العاص استشار عمرو رضي الله عنه في غزوها فنجسه من ذلك وقال له تلك المارقة
وليست بافرقيسة وكل ما هذا امناه ولما امر عثمان ابن أبي سرح بغزوها قال له ان فتح الله عليك فإني
نخس الخمس من الغنائم ففقد ابن أبي سرح لعقبة بن نافع بن عبد القيس على جند ولعبد الله بن نافع
ابن الحرث على آخر وسرحهم ما فخر جوا الى افرقيسة في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه
ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان ابن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار
عثمان الصحابة رضي الله عنهم فاشاروا به بجهاز العساكر من المدينة وفيه جماعة من الصحابة منهم
ابن عباس وابن عمر وابن عباس والحسن والحسين رضي الله عنهم وساروا مع ابن أبي
سرح سنة ست وعشرين ولقبهم عقبة بن نافع فبين معه من المسلمين بركة ثم ساروا الى طرابلس فقبوا
الروم عندها ثم ساروا الى افرقيسة بنوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير ملك ما بين طرابلس
وطنجبة تحت ولاية هرقل ويحتمل اليه الخراج فلما باهت الخسبر جمع مائة وعشرين ألفا من الفانم العساكر
ولقيهم على يوم وليلة من سيطرة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه الى الاسلام أو الجزية فاستكبر
ولحقهم عبد الله بن الزبير مدد بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد دفعت
في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقتل ابن أبي سرح فسأل عنه فقيل انه سمع من أدي جرجير
يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأنر عن شهود القتال فقال له
ابن الزبير نادى أنت بان من قتل جرجير فله مائة ألف وزوجه ابنته واسمعت على بلاده نخاف
جرجير أشده ثم قال عبد الله بن الزبير لابن أبي سرح ان ترى ان تترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير
متأهبين للحرب وتقاتل الروم باقي العسكر الى ان يضرهم واقتربهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا
عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا ذلك وركبوا من الغد الى الزوال وألحوا عليهم حتى أنعبوهم
ثم افترقوا وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وواجهوا جند رجل واحد حتى غشوا
الروم في خباياهم فانهزموا وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبية فقتله ابن أبي سرح
ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سيطرة حتى فتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم
الراجل ألفا وبث جيوشه في البلاد الى قصبة ففسبوا وغتوا ويعت عسكرا الى حصن الاجم وقد اجتمع به
أهل البلاد فحاصره وفتح على الامان ثم صالحه أهل افرقيسة على ألف وخمسمائة ألف دينار
وأرسل عبد الله بن أبي سرح عبد الله بن الزبير يخبر الفتح والحسن الى عثمان رضي الله عنه فاستراه مروان
ابن الحكم بخمسمائة ألف دينار ثم وضعها عنه عثمان وأعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة
الاولى ثم بعد تمام الصلح رجع عبد الله بن أبي سرح الى مصر بعد مقامه بافرقيسة سنة ولثة أشهر ويقال

انما اقصت افريقية امر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن نافع ان يسير الى جهة الاندلس فتزلك الجهة
 وعاد الى افريقية فاقام بها واليامن قبيل عثمان ورجع ابن أبي سرح الى مصر والله أعلم بوقوفي سنة ثمان
 وعشرين هـ استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فاذن له وقد كان معاوية وهو بمصر أيام عمر رضي الله
 عنه كتب اليه في شأن جزيرة قبرص يقول ان قرية من قرى حصي سمع أهلها يباح كلاب قبرص وصباح
 ديوكهم فكذب عمر الى عمرو بن العاص يقول صف لي البحر وراكبه فكذب اليه عمرو ويقول هو خلق
 كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركدا قل القلوب وان تحرك أزاع العقول يزاد فيه
 اليقين قلة والشك كثرة وراكبه دود على عود ان مال غرق وان نجافرق فكذب عمر الى معاوية والذي
 بعث محمد ابالحق لأجل فيه مسلماً أبداً وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على أطول جبل بالارض فيستأذن
 الله كل يوم وليدة ان يغرق الارض فكيف أجعل الجنود على هذا البحر الكافر والله أعلم واحد أحب
 الى سمحوت الروم فايالك ان تعرض لي في ذلك فقد علمت مالى العلامة منى ثم لما كانت خلافة عثمان الخ
 معاوية عليه في غزو البحر فاجابه على خيار الناس وطوعهم فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبوذر
 وأبو الدرداء وشهد ابن أوس وعبد الله بن العاصم وزوجهم أم حرام بنت ملحان واستعمل عليهم عبد الله
 ابن قيس حليف بني قزارة وساروا الى قبرص وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم
 أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين عن أرادهم
 من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم وكانت هذه
 الغزاة سنة ثمان وعشرين هـ كما قد تناو قبل غير ذلك وفيها توفيت أم حرام بنت ملحان سقطت عن دابتها
 حين خرجت من البحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك وهو قائم عندها كافي الصبح وأقام
 عبد الله بن قيس على البحر فغزا حصين غزوة لم ينكب فيها أحداً الى ان نزل في بعض الايام في ساحل
 المرفأ من أرض الروم فنزلوا اليه فقتلوه ونجا الملاح وكان استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن
 بجاء الى أهل المرفأ وقتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة من المسلمين وهو في سنة ثلاثين هـ جمع عثمان القرآن
 الجع الثاني في المصاحف وفيها هلك بزجود كسرى فارام جيوش المسلمين بعدينه مرو من خراسان وهو
 آخر الأكرسة ومجوة انقرضت دولة آل ساسان وكان من خسرج جمع القرآن ما أخرجه البخاري
 عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح
 أرمينية واذ رجعان مع أهل العراق فاقرع حذيفة اختلافتهم في القراءة فقال حذيفة لثمان يا أمير
 المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان
 الى حفصة ان ارسل اليها المصحف فتصفيها المصاحف ثم تردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان
 فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنصوها في
 المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن
 فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا انصرو المصحف في المصاحف رعثان المصحف
 الى حفصة فارسل الى كل أقرع بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف
 ان يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع أباه زيد بن ثابت قال فحدثت آية من
 الاخبار حين نسخ المصحف فذكرت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فاتممتها فوجدناها
 مع خزينة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في
 المصحف وهو في سنة ثلاث وثلاثين هـ تكلم جماعة من أهل الكوفة في عثمان بانه ولي جماعة من أهل بيته
 لا يصلحون للولاية فوقفوا عليه أمور أخر لا حاجة بنا الى ذكرها مع انه كان فيها مجتهدا وذلك ان عثمان
 رضي الله عنه كان فيه من يديها ورأفة وبرور بأقاربه وكان عمر رضي الله عنه مرهوب الجانب عند

الخاصة والعامة له عين كائنه على الرعية بصير إجماعاً يأتون ويندرون محذراً في ذلك كما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم وكان من الخزم والضبط على ما وصفته به عائشة رضي الله عنها إذ قالت رحم الله عمر كان أحوذ بالنسيج وحده قد أعد لأمور أقرانها فكان عثمان الدين جانباً من عمر قسوع الناس في زمانه في أمور الدنيا أكثر مما كانوا عليه في زمان عمر واستعملوا النفوس من اللبس والسكن والمطعم واقتنوا الضياع والأثاث فقال المسعودي في مروج الذهب وفي أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون مائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه وادى القرى وحذين وغيرهما ثمان ألف دينار وخلف ابلا وخيل كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على مر بط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الزبير من متروكه بعد وفاته أربعة وعثمان ألف ألف وخلف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الأموال والضياع بمائة ألف دينار وبني الزبير داره بالبصرة وكذلك بني عاصم والاسكندرية والكوفة وكذلك بني طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناه باب الجص والاجر والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع قضاها وجعل على أعلاها شرفات وبني المقداد داره بالمدينة وجعلها بمحصة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن مينة خمسين ألف دينار وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف درهم اه كلام المسعودي فاستحالت الأحوال في زمان عثمان كما ترى ولما رأى ذلك بعض الناس ممن لم يكن له رسوخ في الفقه والدين ولا هو من أهل السابقة من فضلاء الصحابة والمسلمين صاروا ينقمون على عثمان بأنه أهمل أمر الرعية وخالف سيرة العمرين مع ما انتضاف إلى ذلك من تولية أقاربه وحاشاه من ذلك رضي الله عنه فانزل رجل كان مجتهداً وهو أهل للاجتهاد وما تضيؤه من أهله أمر الرعية حتى استحال أمرها إلى ما ذكره فيسئل باطل إذ ليس ذلك في طوقه ولا يسيه وانما طبيعة العمران البشري تقتضي ذلك بسبب ما يقع على المسلمين من الظالم والممالك والأقطار والنواحي والأعمار وترادف الجبايات الفاتحة الحصر وانثيال كنوز كسرى وقيصرو وغيرهم من ملوك الأرض عليهم فأتى ببقى الأمر على حاله مع هذا الفقع العجيب والنصر الغريب وقد قيل دوام الحال من المحال والناس ليسوا على قدم واحد في الزهد في الدنيا فاطلق الذي لا عوج فيه ولا أمتان عثمان رضي الله عنه كن على الحق حتى لقي ربه وما يعتدون به عليه من مخالفة سيرة السجيين رضي الله عنهم ان صح فحمله الاجتهاد كما قلنا ومعلوم ان أحكام الشرع تدور مع المصالح والمفاسد وتختلف باختلاف الأزمان والأحوال كالإختي على من له أدنى مسيس بالفقه **قال ابن خلدون** في اختلاف الصحابة والتابعين انما يقع في الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية في واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لاتعين باجماع فيبقى الشكل على احتمال الإصابة والتأني مدفوع عن الكل أجماعاً وان قلنا ان الشكل حق وان كل مجتهد مصيب فإثر بنى الخطأ والتأني ثم استمر أولئك النافقون على عثمان رضي الله عنه وتعمدوا في طعنهم وتشغيهم حتى تفاقم الأمر وسرى الداء وعوز الدواء واختلط المريجى بالهمل وكان ما كان مما استأذ كره * فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وأخر الأمر انما كانت سنة خمس وثلاثين قد من مصر جمع قبيل ألف وقيل سبع مائة وقد من الكوفة جمع آخر ومن البصرة كذلك وحاصر وعثمان رضي الله عنه في داره وكانت خطوط وقطعوا عنه الماء واستمر الحصار نحو أربعين يوماً ثم تسور عليه جماعة من أهل مصر داره فقتلوه وسال دمه على الحصف يقال ان الذي تولى قتله كنانة بن بشر الحميري وطمنه عمرو بن الحنف طعنات وجاءه عيسى بن ضائب

الرجي وكان أوه قد مات في صحن عثمان فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الاثني عشر يوما وقيل انه قتل صبيحة عيد الاضحى من السنة المذكورة وهو الذي عند ابن الخطيب في رقم الحلل وابن بدرون في شرح العبدونية ويؤيده قول حسان بن ثابت يريه

خضوا بأشجع عنوان الصمود به • يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

لتسعين وشبكا في ديارهم • الله أكبر يا ثارات عثمان

وهو قول الفرزدق بعده

عثمان اذ قتلوه وانتهكوا • دمه صبيحة ليلة النحر

رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به

﴿خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه﴾

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم واسمه شعبة وفيه يتجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ويعتد بمقتل عثمان رضي الله عنه باتفاق من يعتبر من أهل الحل والعقد بعد امتناعه من ذلك فقال ابن خلدون لما قتل عثمان اجتمع طلبة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليا يابسون فأبى وقال أكون وزير لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتهم فألحوا عليه وقالوا لا نعزم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك فخرج إلى المسجد وبأبعوه وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد أن خبرهما ويقال انهما ادعيا الأكره بعد ذلك بأربعة أشهر وتحلف عن بيعة علي رضي الله عنه ناس من الصحابة وغيرهم فلم يغيضهم وقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل ولما ولي الخلافة رضي الله عنه أحياء السنة وأمان البدعة وأوضع منار الحق وأخذ نار الباطل ولم تأخذه في الله لومة لائم ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرق جماله على النواحي فبعث إلى الكوفة حمزة بن شهاب وكان من المهاجرين وولي على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وكان من الأجواد وعلى مصر قيس بن سعد بن عباد الانصاري وكان من أهل الجود والشجاعة والرأي وعلى الشام سهل بن حنيف الانصاري فلما وصل سهل إلى تبوك ألقته خيل فقالوا من أنت قال أمير على الشام فقالوا ان كان بمثلك غير عثمان فارجع فرجع إلى علي ومضى قيس بن سعد إلى مصر فوليهما واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية وأبوا أن يدخلوا في طاعة علي حتى يقتل قتلة عثمان ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها واتبعته فرقة وخالفته أخرى ومضى حمزة بن شهاب إلى الكوفة فلقبه طلحة بن خويلد الاسدي الذي كان ادعى النبوة زمان الردة فقالوا له ان أهل الكوفة لا يستقبلون بأميرهم أحدا وكان عليها أبو موسى الأشعري من قبل عثمان رحمه الله تعالى فرجع حمزة إلى علي ومضى عبيد الله بن عباس إلى اليمن فوليهما وكان العامل بهما من قبل عثمان يعلى بن منية فأخذما كان بهما من المال لحق بمكة ومعه ستمائة بعير وصار مع عائشة رضي الله عنها وذلك ان عائشة كانت خرجت إلى مكة زمان حصار عثمان فقضت نسكها واقلبت تريد المدينة فلقبها الخبر بمقتل عثمان فاعظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه ولحق بها طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجاعة من بني أمية واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة من المدينة فدعوه إلى المسير معهم فأبى يعلى بن منية عائشة الجبل المسجي بشكر وكان اشتراه بمائة دينار فركبته وسار واخرى في طريقهم بماء يقال له الحوب فقبضتهم كلابه فقالت عائشة أي ماء هذا فقبل ماء الحوب فصرخت بأعلى صوتها وقالت أنا لله أنا لله أنا لله اجمعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نسأوه ليت شعري أنت كرت قبضها كلاب الحوب ثم ضربت عضد الجبل فأناخته وقالت ودوني أنا والله صاحبة ماء الحوب وأقامتهم يوما وليسلة إلى أن قتل النجاء

النجباء فقد أدرككم على بن أبي طالب وغلبوه على رأيها فارتحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال مع
 أميرها عثمان بن حنيف ولما بلغ عمارضى الله عنه مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار نحوهم
 في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة وعشائنة من الانصار وكانت
 رايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمنة الحسن وعلى يسرة الحسين وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى
 الرجاله محمد بن أبي بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن العباس وكان مسيره في ربيع الاخر سنة ست
 وثلاثين ولما وصل على إلى ذي قار لقيه أمير البصرة عثمان بن حنيف وأخبره الخبر فقال على "ان الناس
 وليهم في رجلان فعلا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه وفعلا ثم بايعوا في بايعي طلحة
 والزبير ثم نكتلون من الحب انقيادها لابي بكر وحمروهم وعثمان وخلافهم ما على "والله انهم ما يعلمون اني لست
 بدون رجل ممن تقدم ثم سار على يوم البصرة فيمن معه من أهل المدينة وأهل الكوفة وانضم إلى عائشة
 وطلحة والزبير جمع آخر والتقوا فكان يقال له الخريبة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس
 النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ولما رآه الجمع ان خرج طلحة والزبير وجاءهم على حتى
 اختلفت أعناق دوابهم فقال على "لقد أعدتكم اسلحا وخيلا ورجالا ان كنتم أعدتكم عند الله عذرا ألم اكن
 أنا كما في دينكم تحرم ما ندمي وأحرم دمكم فهل من حدث أحل لك ادعى قال طلحة البتة على عثمان قال
 على "يومئذ يوفيه الله دينهم الحق فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أما يا بيتي قال والسيف على عنق ثم قال
 للزبير اذ كر يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم قال اللهم نعم ولوذ كرت ذلك
 اقبل مسيري ما سرت ووالله لا أقاتلك أبدا فترقوا وكان على رضى الله عنه قد بعث اليهم قبل اللقاء
 القعقاع بن عمرو التميمي وأمره ان يشير بالصلح ما استطاع فقدم القعقاع على عائشة أولا وقال أي أماء
 ما أتتكم قالت أريد الاصلاح بين الناس قال فابعثي إلى طلحة والزبير فامضي مني ومنهما فبعثت
 اليهما فأتا فقال لهما القعقاع اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فقال طلحة والزبير
 كذلك هو قال القعقاع فخير اني ما هو قال فاقبل عثمان فان تركهم ترك للقرآن قال فقد قتلتم منهم عددا
 من أهل البصرة يعني حين قاتلوا أميرها عثمان بن حنيف قال وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم
 حرقون بن زهير فنهه ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمع ربيعة ومضر على حرككم فان الاصلاح
 قالت عائشة فاذا تقول أنت قال هذا الامر ذو أه التسكين فاذا سكن الامر اختلجوا أي أخذوا على غرة
 فقالوا قد أصبت وأحسن فارجع إلى على فان كان على مثل رأيك صلح الامر فرجع القعقاع إلى على
 فاجبه وأثرف القوم على الصلح وعلم بذلك جماعة ممن كان سعى في قتل عثمان وأورضى به فقالوا ان يصطلح
 هؤلاء فلي دما ثيابه مطعون ثم تعادوا على انهم اذا التقوا بجيش عائشة وطلحة والزبير انشبو القتال
 حتى يشغل الناس عما عزمو عليه من الصلح فكان كذلك فانه لما كانت صبيحة الليلة التي اجتمع فيها على
 بطلحة والزبير غلس أولئك المتعاهدون على انشاب الحرب وما يشعروهم أحد وصمدت مضر منهم
 إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن فوضعوا فيهم السلاح على حين غفلة فثار الناس وتسابقوا
 إلى خيولهم وزحف البعض إلى البعض واشتبك الحرب فكانت الواقعة العظمى المعروفة بوقعة الجمل
 يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور أعني جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل طلحة في المعركة
 والزبير وهما راجعا إلى المدينة وعقرا الجمل الذي كانت عليه عائشة وأمر على رضى الله عنه بقتل هودجها
 إلى دار عبيد الله بن خلف الخزاعي ونادى منادى على "يوم الجمل وكذا يوم صفين الا في أن لا تتبعوا مدبرا
 ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ثم صلى على القتلى من الجانبين وأمر بالاطراف فدقت في قبر عظيم
 وجمع ما كان في العسكر من الاتاب وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذ به الاسلحا
 عليه مبسم السلطان وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف منهم من ضربة الفرس جل وبلغ

عليان بعض الغزاة عرض لعائشة رضي الله عنها القول السي فاحضر البعض منهم وأوجهم ضربا
ثم جهزها إلى المدينة بما احتاجت اليه وبعث معها أخاها محمد بن أبي بكر في أربعين امرأة من نساء
البصرة اختارهن لمرافقتها وجاء يوم ارتحلها فودعها واستعقب لها واستعقب له ومشي معها أميالا
وشيعها بنوه مسافة يوم وذلك غرة رجب فذهبت إلى مكة وأقامت بها حتى حلت تلك السنة ثم رجعت إلى
المدينة واستعمل على رضي الله عنه على البصرة عبد الله بن عباس وسار إلى الكوفة فقتل بها وانتظم له
الامر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وخراسان ولم يبق خارجا عن طاعته إلا أهل الشام وأميرهم
معاوية بن أبي سفيان فبعث اليه على رضي الله عنه جري بن عبد الله الجبلي يأمره بالدخول فيمدخل فيه
المهاجرون والانصار فلما قدم جري على معاوية ما طله حتى قدم عليه عمرو بن العاص من فلسطين
فاستشاره فآشار عليه بترك البيعة والطلب بدم عثمان وإن يقاتل معه على أنه إذا ظفر ولاه مصر فأجاب
معاوية إلى ذلك ورجع جري إلى رضي الله عنه بالخبر فسار على من الكوفة فاصد معاوية ومن معه
بالشام وقد علم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة فقال على رضي الله عنه

لا صحت العاص وابن العاص * سبعين ألفا قدى النواصي

مجنين الخيل بالقتال * مستحقين خلق الدلاص

وسار معاوية ومعه عمرو بن العاص وأهل الشام من دمشق يريد عليا وتآنى معاوية في مسيره وخرجت
سنة ست وثلاثين ودخلت سنة سبع بعدها فاجتمع الجيشان بصفين وترأسوا وتداخوا إلى الصلح فلم يقض
الله بذلك وكانت حرب بيسيرة بالنسبة لما بعدها ولم يدخل صفرو وقع بينهما القتال فكانت وقعت كثيرة
بصفين يقال إنهم تسعون وقعة وكانت مدة مقامهم على الحرب مائة يوم وعشرة أيام وعدة القتلى بصفين
من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا منهم ستة وعشرون من أهل
بدر وكان على رضي الله عنه قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يسدوهم بالقتال وأن لا يقتلوا مدبرا
ولا يكشفوا عورة ولا يأخذوا من أموالهم شيئا وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع علي قتيلا عظيما
وكان حمزة قد نيف على تسعين سنة وكانت الحرب في يده ويده ترتعد فقال هذه راية قاتلت بها مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ودعا بقدح من لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله
اليوم أتى الأحبه محمد أوزبه قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آخر زمني من الدنيا اضيعة لبني
وروي أنه كان يرتجز نحن قاتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

ولم يزل عمار يقاتل ذلك اليوم حتى استشهد رضي الله عنه وفي الصبح المتفق عليه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ويح عمار تغتله الفئة الباغية وبعد قتل عمار رضي الله عنه انتخب على اثني عشر ألفا بعد
أن روي لهم حديث عمار وجعل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ثم نادى
بامعاوية على مقتل الناس بينناهم أياكم إلى الله فاني قاتل صاحب استقام له الامر فقال له عمرو
ابن العاص انصفك فقال معاوية لكنك ما انصفت ثم قاتلوا ليلة الحر رشيت بلبلة القادسية وكانت ليلة
الجمعة واستمر القتال إلى الصباح وكان على يسير بين المعوف ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح
والمعركة كلها خطف ظهره (وروي) أنه كبر تلك الليلة سبع مائة تكبيرة وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلا كبيرا
ودام القتال إلى ضحي يوم الجمعة وقاتل الاشتر النخعي قتيلا عظيما حتى انتهى إلى معسكرهم وقتل صاحب
رايتهم وأمدته على بالرجال فلما رأى عمرو شدة الامر قال لمعاوية مر الناس برفعون للمصاحف على الرماح
ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم قال فقبول ذلك ارتفع عنا القتال وإن أي بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة
ففعلا ذلك فقال الناس تجيب إلى كتاب الله فقال على يا عباد الله امضوا إلى حقكم في قتال عدوكم فإن

عمر ومعاوية بن أبي سفيان وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم
منكم ويحكم والله ما رضوها الأخذية ومكيدة فقالوا لا يسعنا ان ندعي الى كتاب الله فلا نقبل فقال علي
انما قلناهم ليدنو بكتاب الله فانهم يذوه فقال جماعة من القراء الذين صاروا خوارج باعلى "أجب الى
كتاب الله والادفناك برمتك الى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا ببن عفان فقال علي رضي الله عنه ان تطيعوني
فقاتلوا وان تعصوني فافعلوا ما بداركم وأمر الامر انهم اتفقوا على ان يحكموا رجلين من الجانبين
وما حكم به عليهم صاروا اليه فاختر اهل الشام عمرو بن العاص وداحية العرب واختر اهل العراق
أباموسى الأشعري بعد ما اجعت وقعت بين علي وبينهم واجتمع الحكماء عند علي لتكتب القضية
بحضوره فكتبوا باسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تناقضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال عمرو
ابن العاص انما هو أميركم وليس هو بأميرنا فقال الاحنف لاتفعلوا اسم أمير المؤمنين وقال الاشعث
أجمعا فقال علي "الله أكبر سنة بسنة والله انى لكتاب القضية يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله فقالت
قريش لست برسول الله ولكن اكذب اسمك واسم أبيك فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه
فقلت لا أستطيع قال فاريت فاريت اياه فعاه ييده فقال لي انك ستدعي الى مثلها فتصيب ثم كتب
الكتاب هذا ما تناقضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على اهل الكوفة
ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن معهم انما نزل عند حكم الله وكتبه وان لا يجمع بيننا غيره
وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحي ما أحيا وغيت ما أمات فما وجد الحكماء في كتاب الله
وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص وعلماه وما لم يجد في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة
غير المفرقة وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والوثنيين انهم ما آمنان على انفسهما
وأهلها والأمة هما أنصار علي الذي يتفاضلان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله
وميثاقه ان يحكم بين هذه الامة ولا يورد اها في حرب ولا يفرقوا أجل القضاء الى رمضان من السنة
وان احب ان يؤخر ذلك اخراه وان مكان قضيتها مكان عدل بين اهل الكوفة وأهل الشام وشهد رجال
من اهل العراق ورجال من اهل الشام ووضعوا خطوطهم في الصحيفة ودعى الاشتر النخعي ليشهد فقال
لا احبتي عيني ولا نعتي بعدها شمالي ان وضع لي فيها اسم وكتب الكتاب في يوم الاربعاء ثلاث عشرة
ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين وعينوا موضع الحكم بدومة الجندل فوق الاجتماع الا لجل المذكور
(وحاصل ما كان من ذلك) ان الحكماء اتفقا على خلع علي ومعاوية ويكون الامر شورى بين الناس
حتى يختاروا ومن يقدمونه للامر وقدم عمرو بن العاص أباموسى على نفسه في الكلام فكلما أبو موسى
على رؤس الناس بما اتفقا عليه من خلع علي ومعاوية حتى ينظر الناس لانفسهم فلما سكث أبو موسى
قام عمرو فقال أيها الناس ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعه كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولي ابن عفان
وأحق الناس ب مقامه فكذب أبو موسى وتنازعا وتشتاها ومرج أمر الناس ولم يحصوا على طائل وانسل
أبوموسى الأشعري الى مكة فاقامها ولم يرجع الى علي حيله منه ومضى عمرو بن العاص في اهل الشام
فسلوا على معاوية بالخلافة ولا على "أحبابه فيما كان منهم من عصيانه أولاوا واخذ اعھس لاهل الشام
آخرا وقال فيما قال كأي وياكم كما قال أخوجشم

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوا * فلم يستينو الرشد الاضحى الغد

وقال ان هذين الحكماء اللذين اخترتموها ترككم الله وحكمكم بهوى النفس واختلفا في حكمهما
فلم يرشدهما الله فاجروا الجهاد واستعدوا للسير واصبح علي رضي الله عنه غاديا يريد الشام في ثمانية وسبعين
الافا وكانت الخوارج قد خرجوا عليه واعتزلوه وقالوا احكمت الرجال في دين الله ولا حكم الا لله وبلغه ان
الخوارج قد اجتمعوا بالثمر وان وقع اهدوا على حرب المسلمين ثم بلغه ان خوارج البصرة اقروا عبد الله

ابن حبيب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهر وان فزعهم بنفسه فساؤوه عن أبي بكر
 وعمر فأتى خبرا من عن عثمان في أول خلافته وأخبرها فقال كان محضاني الأول والآخر فساؤوه عن
 عن علي قبل التكليم وبعدده فقال هو أعلم بالله وأشد توفيا على دينه فقالوا انك تولى الرجال على أسمائهم
 ثم نجسوه وبقروا بطن امرأتهم وقتلوا معهما ثلاث نسوة من طيء ومن هيب أمرهم انهم لقوا مسلما
 ونصرا نيا فقتلوا المسلم وقالوا اسخطوا ذمة نبيكم في النصراني فساؤا اليهم على رضى الله عنه وأرسل اليهم
 ان ادفعوا قتلة اخواننا منكم فتكف عنكم حتى نلقى أهل المغرب ففعل الله بركم الى خير فارسوا اليه
 كلنا فقتلهم وكلنا يستعمل دماءكم فأتاهم على رضى الله عنه فقال أيتها العصبة التي أخزجها المرء من
 الحق الى الباطل وأصبحت في اللبس والخطب العظيم اني نذير لكم ان تبصروا لتلقاكم الامة عند امرى
 بانئنا هذا النهر بغير بينة منكم ولا برهان ألم تعلموا اني قد نبهتكم عن الحكومة الى وأخبرتكم ان القوم
 انما طلبوا هاجد يمة فصينوني وخلفوني على ان حكمت ولما حكمت شرطت وأخذت على الحكيم
 ان يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما مات فالتعلما وحكا بغير حكم الكتاب فنبذنا أمرهما ونزعنا على أمرنا
 الأول في الذي أصابكم ومن أين أتيتهم قالوا احكمننا وكتابتك كافرين وقد تبنا فان نمت كاتنا فنقض قومك
 والافاعتز لنا ونحن نتابعك على سواء ان الله لا يحب الخائشين فقال على رضى الله عنه صبيحكم صاحب
 ولا بى منكم وافد ابدا عاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادى في سبيل الله وهو مرقى مع رسول الله
 أشهد على نفسي بالكفر قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وهو روى بوجهه ما كلهم واتفق عليهم تنادوا
 لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهموا اللقاء الرب الراح الراح الى الجنة فخرج على رضى الله عنه فعبأ
 الناس منسة وميسرة ووقف هو في القلب في مضر وجعل على النبل أبا أيوب الانصارى وعلى أهل
 المدينة وكانوا سبع مائة فيس بن سعد بن عباد وعبأت الخوارج على نحو هذه التيسية ورفع على رضى
 الله عنه مع أبي أيوب الانصارى راية الامان فنادى أبو أيوب من أتى هذه الاية ولم يقاتل ولم يستعرض
 فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة أو المداين فهو آمن ومن انصرف عن هذه الجماعة فهو آمن فاعتزل
 فروه بن نوفل الاشجعي في جسمائه وقال أعتزل حتى ينفض على الامر في فقال على قتل الذكورة وخرج
 آخرون الى الكوفة ورجع آخرون الى على رضى الله عنه وكانوا أربعة آلاف فبق منهم ألف وعشرون
 لحمل عليهم على والناس وزحفوا هم الى على رضى الله عنه ينادون الراح الراح الى الجنة فاستقبلتهم
 الرماة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين ونقض اليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة
 كانوا قتلهم مائة واثنان وكان جملة من قتل من أصحاب على رضى الله عنه سبعة نفر فطلب على رضى
 الله عنه المخرج في القتلى فلم يوجد فقام رضى الله عنه وعليه أثر الحزن لفقدته فأنهى الى قتلى بعضهم فوق
 بعض فقال افرجوا فرجوا فمناوشا لافاستخرجوه فقال الله أكبر والله ما كذبت على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وانه لنا قص السيد ما فيها عظم طرفها مثل ندى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع
 رؤسها معقنة ثم قال اثنوني به فنظر الى منكبه فاذا اللهم مجتمع على منكبه كندى المرأة عليه شعرات
 سود اذا مدت الائمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم تتركه فتعود الى منكبه فقال أصحاب على
 رضى الله عنه قد قطع الله ابرههم آخر الدهر فقال على والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرجام
 النساء لا يخرج خارجة الا خرجت بعد هانتها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة يقال لهم الشميط
 فيخرج اليهم رجل منا أهل البيت فيقتلهم فلا يخرج لهم بعد ها خارجة الى يوم القيامة وهو في الصحيح
 عن سويد بن غفلة قال قال على رضى الله عنه اذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة
 وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الاسنان سفهاء

الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يرقون من الذين كما يرق السهم من الرمية فاينما القيتهم فاقتلوههم فان في قتلهم اجر لمن قتلهم ثم ان عليا رضى الله عنه ندب اصحابه الى غزو الشام فقتلوا عليه ولما وصلوا الى الكوفة ذلوا الى ييوتهم وتركوا المعسكر خاليا ولم ارأى على ذلك دخل الكوفة ثم ندمهم فانبا فلينفروا ثم ثالثا فلم ينشط منهم الا القليل فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بحاله عليهم من الطاعة في الحق والنصح فقتلوا وسكتوا واستمر الحال الى ان استأثر به ربه وأراحه من شغبهم وقبضه اليه ونقله الى كراءته وجنته سابق مضمار الايمان والهجرة والنصرة والنجدة والصبر والقرى والقناعة والجهاد والعلم والزهد رضى الله عنه (وكان من خبر وفاته) ان ثلاثة من الخوارج بن عبد الله التميمي وبن عبد الرحمن بن ملجم المرادي وحمرو بن بكر التميمي السعدي واخطب بن عبد الله التميمي الصرمي وياقوب البرك اجتمعوا بكة فذكروا اخوانهم الذين قتلوا بالنهر وان قالوا ما نمنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أمة الضلال وأرخنا منهم الناس فقال ابن ملجم وكان من مصر أنا أكتبكم عليا وقال البرك أنا أكتبكم معاوية وقال حمرو بن بكر أنا أكتبكم حمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه وتواعدوا السبع عشرة ليلة قضى من رمضان من هذه السنة أثنى سنة أربعين وانطلقوا فلقى ابن ملجم اصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم الا انه جاء الى شبيب بن ثعلبة بن ثعلبة ودعاه الى الموافقة على شأنه فقال شبيب لكنا كملنا فكيف تقدر على قتله فقال أكره في المسجد عند صلاة الغداة فان قتلناه والافهى الشهادة قال ويحك لا أجد في أنشرح لقتله مع سابقته ونفسه قال ألم يقتل العباد المالحين اصحاب النهر وان قال بلى قال فقتله عن قتله منهم فاجابه ثم اتى امرأة من تيم الرب فأتته الجبال اسمها قطام قتل أبوها وأخوها يوم النهر وان خطبها ابن ملجم فشرط عليه ثلاثة آلاف درهم وعبد أوقية وأن يقتل عليا وقالت فان قتلته شغيت النفوس والافهى الشهادة قال والله ما جئت الا لذلك ولك ما سألت وفي ذلك قيل

ثلاثة آلاف وعبد وقينة • وضرب على بالحسام المسم

فلامهر أعلى من على وان غلا • ولا تكل الادون قتل ابن ملجم

ثم قالت سابع معك من يشتظورك ويساعدك وبعثت معه رجلا من قومه اسمهم وردان فلما كانت الليلة التي وأعد ابن ملجم اصحابه فيها وكانت ليلة الجمعة جاء الى المنصور ومعه شبيب ووردان وجلسوا قبالة السدة التي يخرج منها الى الصلاة فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع في عضادة الباب وضربه ابن ملجم على قدم رأسه وقال الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك وهرب ووردان الى منزله وهرب شبيب وخلسا وتجا في غمار الناس وقبض على ابن ملجم فجى به مكثوا في علي وقد جلس الى بيته فقال اى عدو الله ما حلك على هذا ثم قال ان هككت فاقتلوه كما قتلتى وان قبضت رأيت فيه رأيي يابني عبد المطلب لا تعرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا الا قاتلي يا حسن ان أنامت من ضربتي هذه فاضرب به بسيفه ولا تعثن بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيكم المنلة وقال له جندب بن عبد الله أنبايع الحسن ان فقدناك فقال ما أمركم به ولا أنهاكم عنه أنتم أبصر ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم ينطق الابلا اله الا الله حتى قبض رضى الله عنه ولما قبض أخرج عبد الرحمن بن ملجم من السجن فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم جلده ثم لسانه وكحل عيناه بسمار محي وأحرق افضه الله وأما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف فوقع في البيته وأخذ البرك فقال لمعاوية عندي بشرى أنتفعي ان أنا أخبرتك بها قال نعم قال ان أخاى قتل عليها هذه الليلة فقال معاوية لم يقدر عليه فقال بلى ان عليا ليس معه من يحرسه فقتله معاوية وقيل قطع يده ورجله وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة وأما حمرو بن بكر التميمي فانه جلس تلك الليلة لعد حمرو بن العاص فلم

رضي الله عنهم ما اتاني عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الأمة قد عاشت في دماءها قال فانه
 يمرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فن لي بهذا قال نحن لك به فاسألهما شيئا الا قال نحن
 لك به ففعلنا قال الحسن البصري رحمه الله ولقد سمعت أبا بكر يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول ان ابني هذا سيد
 ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين وها هنا فائدتان (الاولى) هذه الحروب التي وقعت
 بين الصحابة رضي الله عنهم تحملها الاجتهاد كما قدمنا والذب عن الدين وكان الناس من السذاجة في الدين
 واتمسك به على ما عهد منهم فكانوا اذا رأوا ما يظنونونه منكرا غيروه ولو باتلاف مذهبهم الا انهم كان
 منهم المجتهد المصيب وهو ذو الاجر من كافي الحديث ومنهم المجتهد المخطئ وهو ذو الاجر الواحد كافي الحديث
 أيضا وكان علي رضي الله عنه مصيبا في جميع أموره من أوله إلى آخره فعلى الماثل المحتاط لدينه أن يظن
 بصحابته رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن الجليل ويعمل بوصيته فيهم اذ قال عليه الصلاة والسلام الله
 في أصحابي لا تتفكروهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم الحديث
 وإياي وإياه ان يجرح من ذكرهم الله تعالى بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
 وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وزكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله خير القرون قرني ثم الذين
 يلونهم ثم الذين يلونهم اللهم احشرنافي ذمهم وأمتنا على منهم وطريقهم بأكرم الاكرام
 وبأرحم الراحمين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
 ربنا انك رؤوف رحيم (الفائدة الثانية) أطبق السلف على ان ترتيب الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم
 في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وذهب بعض السلف إلى تقديم علي رضي الله عنه وعثمان وعمر
 والشورى لكن قيل ان ترجع عنه وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم
 علي بن أبي طالب والحق هو القول الاول وهل التفصيل بين الخلفاء قطعي أو ظني فالذي مال إليه
 الاشعري وهو الاول والذي مال إليه القاضي أبو بكر الباقلاني واختاره امام الحرمين في الارشاد هو
 الثاني وبما تلم يقيم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض اذ القتل لا يثبت على ذلك والاختلاف
 الواردة في فضائلهم متعارضة ولكن الغالب على الظن ان أبا بكر أفضل الخلفاء بعد الرسول صلى الله
 عليه وسلم ثم عمر أفضلهم بعده وتعارض الظنون في عثمان وعلي وها هنا انتهى بنا القول فيما قصدناه
 من التبرك بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خلفائه الاربعة رضي الله عنهم ولنرجع إلى ما نحن
 بصدد من ذكر أخبار المغرب الاقصى مقدمين القول أولا في بيان نسب البربر وبيان حالهم قبل
 الاسلام وبعده على الجملة لنختص بعده القعود والله تعالى بصنعنا من الزلل بعنه وكرمه

في القول في نسب البربر وبيان أصلهم

اعلم ان الناس اختلفوا في تحقيق نسب البربر وإلى أي أصل من أصول الخليقة يرجعون فذكر صاحب
 كتاب الجمان في أخبار الزمان ونقله عن أهل العلم بالسيرة ابن حاتم تنازعوا مع بني سام فانهم زعموا
 أنهم من أمهم إلى المغرب وتناصروا به واتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى غنم السودان وكان
 بسواحل المغرب الافارقة والافرنج فكانت ذرية حام في المداشر والغياض والاعاجم الاولى في البلدان
 وبقي أكثر أولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داود عليه الصلاة والسلام وكان ملكهم
 يسمى جالوت فلما قتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه ما يشاء أمره باجلائهم من بلاد كنعان
 وفلسطين إلى أرض المغرب فساروا نحو إفريقية والزاب وانتشروا هناك حتى ضاقت بهم تلك البلاد
 وامتلأت منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالابل وبيوت الشعر ولم تقدر
 الفرنج على ردهم ودفعهم فانحازت الاعاجم للذين بقي البربر فيماعدى المدن وهم مع ذلك على أديان

مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة فبهم من تجميس ومنهم من تمود ومنهم من تنصر واستمروا على ذلك الى زمان الاسلام وكان فيهم رؤساء وملوك وكهان ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الامم (وقال الطبري وغيره) ان البربر اخلط من كنعان والعماليق وغيرهم فاقبل داود داود جالوت تغرقوا في البلاد (وقال الكلبي) اختلف الناس فيمن اخرج البربر من الشام فقبل داود بالوحى قبل داود اخرج البربر من الشام فانهم جذام الارض وقبل يوشع بن نون عليه السلام وقبل افرقيش الحبري واختلف في افرقيش هذا فقال المسعودي هو افرقيش بن ابرهذي النار احد التباينة المشهورين (وقال ابن خزم) هو افرقيش بن قيس بن صبيخا خو الحارث الراس من قيس بن ابرهذي الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من ارض كنعان مربيها عند ما غلب يوشع ابن نون وقتلهم فاحتمل الغل منهم وساقهم الى افريقية فانزلهم بها وقتل ملكها جحير ويقال انه الذي سمي البربر بهذا الاسم لانه لما فسخ المغرب وسمع رطانتهم قال ما اكثر بربرتهم فسموا البربر والبربر في لغة العرب اختلاط اصوات غيره مفهومة ومنه بربرة الاسد وينسبون اليه في ذلك شعرا وهو قوله

بربر بن كنعان لما سكتها • من بلاد الضنك الخصب العجيب

أى أرض سكنوها ولقد • فازت البربر بالعيش الخصب

ولما قتل افرقيش من غزو المغرب ترك هناك حامية من قبائل حير صناعية وكتابة فهم ما بها الى الان وليسوا من نسب البربر قاله الطبري والحرياني والمسعودي وابن الكلبي والسبيلي وجميع النسابين من العرب (وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد) اختلف الناس في نسب البربر اختلافا كثيرا وانسب ما قيل فيهم انهم من ولد قط بن حام وانه لما نزل مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر عمالة مصر وذلك في ما وراء برقة الى البحر الاخضر مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان وقبل ان البربر صنفان البرانس والبتروان البتر منهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر واختلفوا في توجيه ذلك فقال الطبري يخرج بر بن قيس بن عيلان بن شد ضالة له يا حياء البربر فرأى جارية منهم فخطبها من أيها وترجها فولدت له (وقال في كتاب الجان) وأما تسميتهم بالبربر فانه لما صار ملك مضر لقيس بن عيلان كان له ولد اسمه بر فخرج مغاضبا لابنيه واخوته الى جهة المغرب فقال الناس بر برأى توحش في البرارى فسموا بربرا ونقل ابن أبي ذر عن ابن خلدون عن النسابين من البربر وحكاها أيضا البكري وغيره انه كان لمضر بن زرار ولدان الياس وعيلان أمهما الزباب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان ابن مضر ولد بن وهما قيس ودهمان ابنا عيلان أما دهمان فولد له قليل وهم أهل بنت من قيس يقال لهم بنو امامة وأما قيس بن عيلان فولد أربعة بنين جارية وهم سعد وجر ووخصفه أمهم مزنة بنت أسد ابن ربيعة بن زرار ثم بر وأخته تهاضرا أمهم ستمر بن بنت يحدول بن غمار بن مهور البربري الجبدولي وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويحاورون العرب في المساكن والاسواق والمساكن ويشاركونهم في المياه والمسارح والمراعى ويصاهر بعضهم بعضا وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان ابن مضر من أجل نساء مناتهاوا كلهن طرقا وأدبا فكثر خطابها من سائر قبائل العرب فقال بنوهم وهم عمرو وسعد وخصفه وبر لا يترقج ابنه عننا الا أحدنا ولا يخرج منائلي غيرنا تغير وهما فبن شاعت منهم فاختارت برا وكان أصغرهم سنوا كلهم شبابا فترجوا جهادون اخوته فسدوه عابها وهما وابقته من أجلها وكانت أمه عتر بن من دهاة النساء فبعثت الى أيها دهمان وأعلمته الخبر واطمأن على الخروج بولدها الى أرض قومها من البربر حيث تأمن عليه ثم بعثت الى قومها فأقارها فأتوها فبعت معهم هي وولدها بر وكنتها البهاء بنت دهمان فطغوا ببلاد البربر وهم يومئذ مستوطنون فلسطين: كثاف الشام قتل بر على اخواله واعتزهم سمي بانيه عمه البهاء فولدت له هناك ولدين علوان وما دقيس ابني بر بن قيس

ابن عيلان فاما علوان فثات صغير ولم يعقب وأما مادغيس فكان يلقب الابتر وهو أبو البتر من البربر
واليه يرغعون أنسابهم ومن ولده جيع زناته كما سيأتي ويرغعون أن تغاضر أخت بر بكنه بمسد فرفقه
بشعر تقول فيه لتبسك كل باكية أخاها • كما يصكي على بر بن قيس
تعمل عن عشيرته فاصحى • ودون لقائه انضاء غمس
ومما ينسب اليها أيضا قولها

وشطت ببر داره عن بلادنا • وطوح بنفسه حيث عينا
وأزوت ببر لكنة العجمية • وما كان بر في الحجاز باعما
كنا وبر لم تنف بحيادنا • بنجد ولم تقم نهيا ومغما

وانشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي

ألا أيها السامي افسر قه بيننا • توقف هذا لك القسبل الاطايب
فأقم انا والبربر اخوة • تناولنا جدتك كرم المناسب
أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى • له حومة تشفى غليل المحارب
وبر بن قيس عصبه ضربة • وفي الفرع من أحسابها الذوائب
فصن وهم ركن منيع واخوة • على رغم أعداك المناقب

في أبيات غير هذه وينشد أيضا يزيد بن خالد مدح البربر قوله

أيها السائل عنا أصلنا • قيس عيلان بنو النمر الأول
نحن مانحن بنو بر الندي • طارد الأزمه نمار الأبل
قد بنى المجد قاورى زنده • وكفانا كل خطب ذي جمل
ان قيسا يعتزى برله • ولبر يعتزى قيس الاجمل
فلنا الفخر بر قيساته • جدنا الا كبر فلك الكيل
ان قيسا قيس عيلان هم • معدن الخير على الخير دمل
حسبي البربر قومي انهم • ملكوا الارض باطراف الاسل

في أبيات أخر واعلم ان الخلاف في نسب البربر طويل وقد تركنا جملته اختصارا وأسمه هذه الاقوال
بالهجرة ما نقلناه أولا عما يدل على ان جيل البربر من ولد حام وانهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عندما تناسلت
ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليفة على وجه الارض ثم تلاقت بهم بقية بني كنعان من الشام
عندما أجلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا ثم داود عليه السلام ثانيا فوال ابن خلدون بعد تزييف
القول بان البربر من ولد جالوت بالخصموص أو من العرب مانصه والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره
في شأنهم انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وان اسم أبيهم مازيغ اه • ومما يستلج من
النوادير المقولة في نسب البربر قول خلف بن فرج السمسمر من شعراء الاندلس يمجوا البربر
رأيت آدم في نوى فقلت • أبا البرية ان الناس قد حكموا
ان البربر نسل منك قال اذا • حواء طالق ان كان الذي زعموا

وهذا من ملح الشعراء وشيطنتهم والا فالبربر جيل معروف من أعظم الاجيال وأعزها ولهم الفخر الذي
لا يجهل والذي لا يهمل وقد تعددت فيهم الدول وكثرت فيهم الملوك العظام وكان لهم التقدم الراسخ
في الاسلام واليد اليه في الجهاد ومنهم الأئمة والعلماء والاولياء والشعراء وأهل المزايا والفضائل
وستقف على كثير من ذلك عن قرب ان شاء الله

والقول في تقسيم شعوب البربر على الجلة

اعلم ان أمة البربر أمة عظيمة قدماء ما بين رقة والبحر المحيط شرقا وغربا وما بين بلاد السودان والبحر
الرومي جنوبا وشمالا ومع عظمها فجميعها شعبان عظيمان بحيث لا يخرج بربري عنهما (قال ابن خلدون)
علماء النسب متفقون على ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماغنيس وبلقب مادغيس
بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البترو ويقال لشعوب برنس البرانس وبين النساءين خلاف هل هما لاب
واحد أم لا فعند ابن خزم انهما لاب واحد والجميع من نسل كنعان بن حام وقال سابق بن سليمان المظاطلي
وغيره من نساب البربر ان البرانس فقط من نسل كنعان * وأما البتر فهم بنو برنس بن قيس بن عيلان بن مضر
وهذا القول قد تقدم ما قبله فالحق ان الشعبين معا يعرّفان في البربرية وان الجميع من ولد مازينغ
ومازينغ هو من ولد كنعان بن حام كما مر * فاما البرانس فتقسم الى سبع قبائل اوروبية وصنهاجة وكتامة
ومصمودة وعجيسة وأوريفة واردة واردة ويقال ورداجة والواو بدل الهاء متروكا سابق المظاطلي وغيره
ثلاث قبائل أخرى وهم لطة وهكورة وجزولة فتكون عشرا * فاما اوروبية فكان منهم كسيلة بن اغزالا وربي
قاتل عقبة بن نافع رضي الله عندهما الفتح ومنهم اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي القائم بدعوة
ادريس بن عبد الله رضي الله عنه * وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس انهم
مقدار الثلث منهم وكان منهم بنو زيري بن مناد ملوك افرريقية والمقوق ملوك مراکش والاندلس
(وأما كتامة) فهم القاطنون بدعوة العبيد بين افرريقية ومصر * وأما المصامدة فبنو غمارة وكان منهم بليان
النصراني صاحب سبتة وطنجبة أيام دخول عقبة بن نافع للغرب الاقصى وهم القاطنون أيضا بدعوة بني
ادريس في دواتهم الثانية بعد بني أبي العافية ومن المصامدة أيضا بنو غوطاة أهل تامسنا وما اتصل بها
ومنهم أهل جبل درن القاطنون بدعوة محمد بن زمرت مهدي الموحدين وأما باقي قبائل البرانس فلم يكن
لهم ملك يذكر وقد تقدم لئان النساءين من العرب يقولون ان صنهاجة وكتامة من جبروان افرقيش
الجبري تركهم حامية بافرريقية فتنازلوا بها واستحال لسانهم الى البربرية لكن المحققون من نساب
البربر كسابق المظاطلي وغيره ينكرون ذلك ويحزمون بانهم ما قبلت ان عربيتان في البربر * وأما البتر
وهم بنو مادغيس الابتر فينقسم شعبهم الى أربع قبائل وهم خريسة وقوسه وأداسة وبنو لوى وهم
لواتة فاما خريسة فبنو مكاسة ومن مكاسة بنو مدرار ملوك مصلحاسة وبنو أبي العافية ملوك فاس
ومن خريسة أيضا زناتة كلها ومن زناتة جروادة قوم الكاهنة داهيا صاحبة جبل اوراس التي وقعت
بحسان بن النعمان حامل الخليفة عبد الملك بن مروان ومن زناتة أيضا بنو خزرا مغراوي ملوك تلمسان
والغرب الاوسط ومنهم مغراوة ملوك فاس وبنو بفرن ملوك سلا واندالا ومنهم بنو زيان ملوك تلمسان
و بنو مرين ملوك فاس أيضا فهؤلاء كلهم من زناتة وزناتة هوزان بن يحيى بن ضري بن زجيسك
ابن مادغيس الابتر * وأما قوسه وأداسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر واعلم ان كل قبيلة من هذه القبائل
الاربعة عشرة تشتمل على عمار وبطون وأنفاذ وقبائل لا حصر لها وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق

والخبر عن حال البربر قبل الاسلام ذكره بعض أمصار المغرب القديمة وما قبل في ذلك

قد تقدم لئان البربر أمة قديمة سكنوا أرض المغرب في قديم الزمان وانهم لما همروا بالاداء وملؤا كثافة
انحازت الفرغ عنهم الى السواحل والنفور وبقي البربر فيما سوى ذلك من الضواحي والجبال
والكهوف وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان الفاحشة الى آخر ما مر
فهذا كل حالهم على الجسلة * وقال ابن خلدون * لم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية
عاصمة هذا الجبل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين
المجوسية شأن الاماجم كلها بالشرق والمغرب الا في بعض الاحياء يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم
فان الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتقبلون عليهم فقد غزتهم ملوك الغين من قراهم مرورا الى ما ذكر

مؤرخوهم فاستكانوا عليهم وودوا بدينهم (ذكر ابن الكلبي) ان جبيرا أبا القائل الجمانية ملك المغرب مائة سنة وأنه الذي ابتقى مدائنه مثل إفريقية وصقلية واتفق المؤرخون من العرب على قزو إفريقية الجبيري من التابعة أرض المغرب اهـ ومانعته عن ابن الكلبي من غزو جبيرا أرض المغرب قد نقل أيضا انكاره عن الحافظين أبي عمر بن عبد البر وأبي محمد بن حزم وأنهما قالاما كان الجبيري طريق إلى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ثم ذكر ان البعض من البربر كانوا قد ادنو بدين اليهودية وأخذوه عن بني اسرائيل عند استعمال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جرادة أهل جبل اوران قبيلة الكاهنة وكما كانت نفوسة من بربرة إفريقية وفندلاوة ومديونة وبوالة وغيبانة ونوفاز من بربرة المغرب الأقصى حتى محادريس الأكبر جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والممل وقال غير واحد من المؤرخين كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الاندلس لاتصال الأرض بينهم ويلقون منهم الجهد الجهمي في كل وقت الى ان اجتازهم الاسكندر فشكلوا حالهم اليه فأحضر المهندسين وأتى الى الزقاق يعني زقاق سبتة فأمرهم بوزن سطح المسلع من البحر المحيط والبحر الرومي فوجدوا المحيط بعلاو رومي بسبب فأمس برفع السلاسل التي على ساحل البحر الرومي ونقلها من الحضيض الى الأعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الأرض فحفر حتى ظهرت الجبال السفلية وبني عليها رصيفاً بالبحر والجوار بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلاً وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبني رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين ستة أميال فلما اكمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم وأطلق فم المياه بين الرصيفين فدخل في البحر الرومي ثم ارتفع الماء فاغرق مدناً كثيرة وأهلك أعما طنجة كانت على الشطين وطمي الماء الى الرصيفين باحدى عشرة قامة فأما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهوراً بيننا مستقيماً على خط واحد وأهل الجزيرة يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة العدو فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الأرض فبصواتي عشر ميلاً وعلى طرفه من جهة المغرب قصر المجاز وسبنته وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طرف بن مالك والجزيرة الخضراء ما بين سبتة والخضراء هو عرض البحر المسمى بالزقاق وبالبوغاز أيضاً اهـ وما ذكره من ان أرض المغرب كانت متصلة ببلاد اندلس نحوه في تواريم الفرج القديعة غير انهم يسمون الملك الذي فتح البوغاز هو قول الجبار وعند ابن سعيد انه كان فيما بين قصر المجاز وطريف قنطرة عظيمة قد وصلت ما بين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليسبر عليها من بلاد اندلس الى بلاد العدو والله تعالى أعلم بحقيقة الامر (وفي تواريم الفرج القطوع بمعجمتها عندهم) ان ملوك الروم الاولى حاربوا القرطاجيين من أهل إفريقية والمغرب وغلبوهم على البلاد وهدموا في بعض تلك الحروب مدينة قرطاجنة الشهيرة الذكر (قال السجستاني في بداية القدماء ما منه) قرطاجنة مدينة بأرض إفريقية وهي احدى مدن الدنيا الشهيرة وقد هدمها الروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بعامه وست وأربعين سنة ثم أسست ثانية ونحوها العرب حتى انه لا يرى الآن نبت من آثارها الا بقايا الجهد وبقر موضعها مدينة تونس اهـ (وقال ابن خلدون) في كتاب طبيعة العمران حين تكام على قيادة الاساطيل مانعه وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكان أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى إفريقية والقوط الى المغرب أجازوا اليها في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربرها وانتزعوا من أيديهم أمرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيطة وجالوسم ناني وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبحث الاساطيل لحربه متحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين

حقيقه معروفه في القديم والحديث انتهى **في** الفرج اليوم جازمون بان ماولك الروم الاولى
 كانوا مستولين على ارض المغرب باسرها قدمكوها مائة طوبلة من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه
 السلام بكثير وان الامصار القديمة بالمغرب مثل سبتة وطنجة وسلا وشالة ولبلي ونصروها هي من بنائهم
 او بناء القرطاجين قبلهم **ولقد** قال في بعض اهل الخبرة منهم ان مدينة سلا كانت موجودة في ذلك
 العصر وانما آها مذكورة بهذا الاسم في تواريخ الروم القديمة للذ كورة فيها اخبار للمغرب وأحصاره
 وحقق عليه ذلك فخرم به ولم يرجع **وما** يقال من ان سبتة وسلا من بناء بعض اولاد نوح عليه السلام
 فقول بعيد عن الصحة نعم قد ذكر في التوراة عند الكلام على ذرية نوح وتناسلهم بالارض انه كان منهم
 سبتة بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام **ويبعد** ان تكون المدينة من بناء هذا الرجل او بناء بعض بني
 لبعده العهد وطول المدة وعدم نقل ذلك من وجه صحيح وان كانت ارض المغرب هي لاولاد حام من قديم
 الزمان والله اعلم **ولما** اخذ الروم يدين النصرانية في زمن قسطنطين الملك وكانت لهم البسالة العالية على
 من جاوهم من الامم مثل الحبشة والقط والفرنج والقوط وغيرهم جاورهم على الاخذ به فدانوا به معهم
 وتلقونه عنهم وبشوه في بلادهم ورواهاهم وكان الفرنج يجاورون للبر في المغرب الادنى والقوط مجاورين
 لهم في الاقصى ايسر بينهم وبينهم الاخليج **الجرج** هموا اهل السواحل منهم على الاخذ بذلك الدين فدانوا به
 ايضا وتطر القياصرة يومئذ من نصيب على الجميع وامرهم نافذ في الكل واستمر الحال على ذلك حتى جاء
 الله بالاسلام **وأظهره** على الدين كله فدانته البر على ما نذر ان شاء الله فلهذا السبب كان كسيلة
 الاوربي ويليان القصارى وغيرهما من كبار البر بنصارى **في** وقال ابن خلدون **في** كان للبر في الضواحي
 ورواه ملك الامصار المهروبة بالحامية ماشاء الله من قوة وعدة وعدد ومولك وروساء واقبال وامراء
 لا يرامون بذل ولا تنالهم الروم والفرنج في ضواحيهم تلك بمخضة ولا لاساءة **ثم** قال وكا تواترون الجباية
 لهرقل ملك القسطنطينية كما كان القوقس صاحب مصر والاسكندر بقرقة يؤدى الجباية له وكما
 كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم
 قد غلبوا على هؤلاء الامم اجتمع وعندهم اخذوا دين النصرانية وكان الفرنجية هم الذين ولوا اضرافريقية
 ولم تكن للروم فيها ولاية وانما كان كل من كان منهم هاجم الفرنج ومن حشودهم وما سمع في كتب
 لفتح من ذكر الروم في فتح افرريقية فن باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما كانوا
 في الشام الا الروم فظنوا انهم هم الغالبون على ام النصرانية فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فقبلوا
 اسم الروم على جميع ام النصرانية ونقلت الاخبار عن العرب كما هي **فجرح** القتل عند الفتح من
 الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا بافرريقية غالبين على البربر ونازا بينه وبينها وحصونها
 انما كانوا من الفرنجية اه

في القول في تحديد المغرب وذكر حال البر بعد الاسلام

علم ان لفظ المغرب يطلق في عرف اهلها على ناحية من الارض معروفة بعينها حدها من جهة مغرب
 لشمس البحر المحيط المعروف بالكبير ومن جهة مشرق الشمس بلاد بقرقة وما خلفها الى الاسكندرية
 ومصر بقرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الاعتبار وبلاد طرابلس وما دونها الى جهة البحر المحيط داخله
 فيه وحدها من جهة الشمال البحر الرومي المتفرع عن المحيط ويعرف هذا الرومي بالمغرب ومن جهة
 الجنوب جبال الرومي الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند العرب الرحالة هنالك بالعرق
في ثم هذا المغرب **في** يشتمل على ثلاث عمالك ملكة افرريقية وهي المغرب الادنى وقاعدتها في صدر الاسلام
 مدينة القيروان وفي هذا العصر مدينة تونس وسمى ادى لانه اقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة بما جاز
في ثم بعد افرريقية **في** ملكة المغرب الاوسط وقاعدتها التلسان وجزار بنى من غنه وهذه المملكة اليوم في يد

فرخ افراسية ملكوها في سنة ست وأربعين ومائتين وألف وأهلها مسلمون ثم بعد ذلك فتح ملكة المغرب
الاقصى وسمي اقصى لانه ابعد الممالك الثلاث عن ديار الخلافة في صدر الاسلام وحده هذا الاقصى من
جهة المغرب البحر المحيط ومن جهة المشرق وادي ملوية مع جبال نازا ومن جهة الشمال البحر الروي
ومن جهة الجنوب جبل درن قاله ابن خلدون وفي تقاسيم الفرج ان المغرب الاقصى يشتمل على خمس
عمالات عمالة فاس وعمالة مراكش وعمالة السوس وعمالة درعة وعمالة تافيلالت ودار الملك به تارة
فاس وتارة مراكش وهو في الاغلب ديار المصامدة من البربر ويساكنهم فيه عوام من مسنحاجة
ومضغرة وأوربة وغيرهم لكنهم قليل بالنسبة الى المصامدة ويساكنهم فيه ايضا عوام من العرب أهل
الخيام انتقلوا من جزيرة العرب الى أفريقية ثم من أفريقية اليه وأخر المائة السادسة أيام الخليفة
يعقوب المنصور الموحدى وهم اليوم قبائل عديدة يرجعون في نسبهم الى رياح وجشم فأما رياح فهم
من بني هلال بن عامر بن صعصعة وأما جشم فهم بنو جشم بن معاوية بن بكر وكلهم ينسبهم الى
مضر ويضاف اليهم قبائل أخرى تحقق الكلام فيهم بعد هذا ان شاء الله ثم قد علمت ان كلامنا
بالقصد الاول في هذا الكتاب انما هو على المغرب الاقصى لكانت لكم أولا على أخبار المغرب مطلقا ونذكر
أمراء الموحدين من قبل الخلافة بالمشرق على التفصيل مادام قطرهم منسجبا عليه وظلمهم ممتدا اليه
اذ كان أمر الخلافة في صدر الاسلام متحد لو حكمها مجتمعوا وكلها نافذة في جميع عمالك الاسلام شرقا
وغربا بحيث لا يخرج قطر من الاطراف ولا مصر من الامصار فيما بعد أو دنامن الارض عن نظر الخليفة
الاعظم وقد كان ذلك دينا متبعا وحكما مجتمعيا عليه ولا تصح لاحد امارة أو ولاية الا بالاستناد اليه حتى
اذا طال العهد وضعف أمر الخلافة وتقلص نظرها عن القاصية تفرقت بممالك الاسلام البعيدة عن
دارها وتوزعت الثوار من بني هاشم وغيرهم واستبدت الامراء النازحون عنها كل بما غلب عليه وصار أمر
الوحدة الى الكثرة وحكم الاجتماع الى العرق فلهذا نتكلم الآن على أخبار المغرب مطلقا ونذكر
الموحدين اليه من قبل الخلفاء او احدا بعد واحد الى زمن ادريس بن عبد الله المستنجد عاك المغرب الاقصى
والمقتطع له جماعة من الممالك الاسلامية فحينئذ نورد الكلام عليه بخصوصه على ما شرطناه
فاما الآن فلا يمكننا الكلام عليه وحده لانه والحالة هذه مندرج في غيره من عمالك المغرب اذ الوالى
الموجه من قبل الخليفة في صدر الاسلام كان يكون واليا على أفريقية وما بعده من بلاد المغرب الى البحر
المحيط وقد تضاف الى نظره الاندلس بل كان الوالى بمصر قد يكون نظره شاملا لجميع بلاد المغرب حسبما
تقف عليه فاعرف هذه الجملة ولتكن منك على بال وأما حال البربر بعد الاسلام فيعرف من أخبار
الولاة التي نسردها الآن وبالله التوفيق

في ولاية عمرو بن العاص رضى الله عنه وفتح بركة وطرابلس

لما كانت خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية
وفرح منها سار في سنة احدى وعشرين من الهجرة الى بركة وكانت تسمى في القديم انطاكيا فصالحه
أهلها على الجزية ثم سار بعدها الى طرابلس فحاصرها شهرا وكانت مكشوفة السور من جانب البحر
وسفن الروم في مرساها فحصر الماء في بعض الايام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين لها
فاقتسموا البلد فيما بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم وارتفع الصباح فاقبل عمرو
بعضا كره فدخل المدينة ولم يغلب الروم الا بما خف في المراكب ثم عطف عمرو رضى الله عنه على مدينة
صبرة وكانوا قد آمنوا بجمعة طرابلس واشتغال المسلمين بحصارها فصبهم في جيش المسلمين واقتسموها
عليهم غنوة وكل الغنم ورجع عمرو الى بركة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر
أهل بركة لواتة وهم بنو لوى الاكبر وأكثر أهل طرابلس وصبرة نفوسة وكلنا القبيلتين من البتر

ولما فرغ عمرو ورضي الله عنه من أمر طرابلس ومأمعها استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التقدم إلى أفريقيا فذمه وقال تلك المارقة وليست بأفريقية أو كلاً ما هذا معناه فامتنل وعاد إلى مصر فكان عمرو بن العاصي أول أمير للمسلمين وطشت خيله أرض المغرب لكنه لم يوصل إلى أفريقيا ولا كان من البربر لأنه لم يبرأ من صاحب كتاب الجان نقل أنه لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاصي قدم عليه ستة نفر من البربر محملة من الرأس والشي فقال لهم عمرو ما أنتم وما الذي جاءكم قالوا غنينا في الإسلام بختنا لأن جدودنا قد أوصونا بذلك فوجههم عمرو إلى عمرو رضي الله عنهم ما كتب إليه بخبرهم فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون لسان العرب كلهم التزجوا على لسان عمر فقال لهم من أنتم قالوا نحن بنو مازن فقال عمر جلسائهم هل سمعتم قط هؤلاء فقال شيخ من قريش يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان خرج مغاضباً إليهم واخوته فقالوا بر بن أي أحد البرية فقال لهم عمرو رضي الله عنه ما علامتكم في بلادكم قالوا نكرم الخيل ونهين النساء فقال لهم عمر ألكم مدائن قالوا لا قال ألكم أعلام تهتدون بها قالوا لا قال عمر والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض معاريفه فظفرت إلى قلة الجيوش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر لا تحزن فإن الله سبحانه عز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق ثم قال عمر فالحمد لله الذي من على برؤيتهم ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه وكتب إلى عمرو بن العاصي أن يجعلهم على مقدمة المسلمين كانوا من أئمة أشتى أمه والله أعلم

في ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وقضه أفريقيا

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاصي عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخاه من الرضاعة وأمره بغزو أفريقيا سنة ست وعشرين من الهجرة وقال له إن فتح الله عليك فلنكس الخمس من الغنائم فامر ابن أبي سرح عقبة بن نافع بن عبد قيس على جنود عبد الله بن نافع بن الحرث على آخرهم سرحهم ما نخر جوا إلى أفريقيا في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدون ولم يقدر وأعلى التوغل فيها الكثرة أهلها ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستقدم فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا بمحجز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاصي وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وقيل لحقهم مدد أوسار وأمع عبد الله بن سعد سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فمعه من المسلمين بريقة ثم ساروا إلى طرابلس فقبضوا الروم عندها ثم تجاوزوها إلى أفريقيا وبنوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير الفرنجي يملك ما بين طرابلس وطجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفاً من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبطلة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر ولحقهم عبد الله بن الزبير مدد بعنه عثمان رضي الله عنه لما أبطأت عليه أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد فقتل ذلك في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقبيل له أنه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخون شهود القتال فقال له ابن الزبير تنادي أنت بان من قتل جرجير فله مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده فخاف جرجير أشد منه ثم أشار ابن الزبير على ابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ويقاثل الروم يلقى العسكر إلى أن يضجروا فيركبهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا وأركب عبد الله الفرقي الذي كانوا مستريحين

فكبروا وجاؤا حلة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فأنهم زموا وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير
 بجير وحيزت ابنته سبية ففعلها ابن أبي سرح ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سبيطة فقتلها وخرّبها
 وكان سهم الناس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألفا وبث جيوشه في البلاد إلى قفصة ففسدوا
 وغفوا وبعث عسكرا إلى حصن الاحم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحته على الأمان ثم صالحه
 أهل أفرقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار وأرسل ابن الزبير بجير الفخ وبالحبس إلى المدينة
 فاستتره مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار وبعض الناس يقول أعطاه أباة عثمان رضي الله عنه
 ولا يصح وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الأولى وانحاز الفريجة ومن معهم من الروم
 بعد الهجرة والفخ إلى حصون أفرقية وانساح المسلمون في البساتن بالغارات ووقع بينهم وبين أهل
 الضواحي من البربر زحوف وقتل وسبي حتى لقد أسروا يومئذ من مملوك البربر صولات بن وزمار الزناني
 ثم المغراوي جيتبي بن زمر مملوك تلمسان فرفعوه إلى عثمان رضي الله عنه فأسلم على يده فن عليه وأطلقه
 وعقد له على قومه ويقال انما وصله وأدفا كرم وفادته والله أعلم ثم رغب الفريج والبربر في السلم وسألوا
 الصلح وشرطوا لابن أبي سرح ثلاثمائة قطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب ويخرج من بلادهم
 ففعل ورجع المسلمون إلى المشرق بعد مقامهم بأفرقية سنة وثلاثة أشهر ولما بلغ هرقل ملك الروم
 أن أهل أفرقية صالحوا المسلمين بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل
 ذلك فنزل قرطاجنة وأخبرهم بما جاءه فأبوا وقالوا قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا فقاتلهم
 البطريق وهزمهم وطرده الملك الذي لوه عليهم بعد جري فلقوا بالناس وقد اجتمع الناس على معاوية
 ابن أبي سفيان رضي الله عنه فاستمر به على أفرقية فبعث معه معاوية بن حديج السكوني على ما ذكره

في ولاية معاوية بن حديج على المغرب

هو معاوية بن حديج الحذاء المهمله مضر الكندي ثم السكوني له محبة وعن شهد مع مروان العاصي
 فتح مصر وقدم بجير الفخ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولما قدم على أفرقية على معاوية بن
 أبي سفيان رضي الله عنه وشكا إليه ما ناله من صاحب قيصريث معه معاوية بن حديج هذا في عسكر
 ضخم سنة خمس وأربعين فلما وصل إلى الإسكندرية هلك العج ومضى معاوية فقدم أفرقية في عشرة
 آلاف فقتل قونية فمصر إلى البطريق ثلاثين ألف مقاتل كان قيصريث وجهها من القسطنطينية
 في الجسر لدا فاعة العربيعن أفرقية فقتل شيئا فأتلهم معاوية فهزمهم عند حصن الاحم ثم ثبت الممر يا
 ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير إلى سوسة فاقبضها ثم بعث عبد الملك بن مروان إلى جلولاء فاقبضها
 كذلك ووقال ابن خلدون في ان معاوية حاصر حصن جلولاء فامتنع عليه حتى سقط ذات يوم سوره
 فدخله المسلمون وغفوا ما فيه ثم وجه جيشا إلى البصرة إلى صقلية في مائتي مراكب فامتنعوا فيها ثم فتح بترت
 وظهر الاسلام في البربر ثم عاد إلى مصر بعد أن أثار احسنه وبني يحمل القيروان آبارا ثم عزله معاوية
 ابن أبي سفيان عن أفرقية وأقره على مصر فقط ثم عزله عنها في خبر ليس ذكره من غرضنا

في ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنائه مدينة القيروان

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري صحابي بالمولد وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة وكان
 مروان العاصي وهو أمير على مصر قد استعمل عقبة هذا وهو ابن خاله على أفرقية فأنهى إلى لوانة
 ومزارة فاطعوا ثم كفروا فزاهم وقتل وسبي ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس من تخوم السودان
 وفي السنة بعدها افتتح ودان وكوراه من كور السودان وأثنى في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتح
 قطره غنائمه وعرفت نجدة وكفاته فلما كانت سنة خمس ولاد معاوية رضي الله عنه على أفرقية
 استقل لا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة أفرقية بعد رجوع معاوية بن حديج عنها

وانضاف اليه مسلمة البربر فكثرت جمعه ووضع السيف في أهله الاثم كما كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين
أسلموا فاذا رجعوا عنها ارتدوا ثم رأى عقبة رجحه الله أن يتخذ مدينة يعصمها جيش المسلمين من البربر
وتقام بها الجمع والاعباد فاستشار من معه فقالوا نحن أصحاب ابل ولا حاجة لنا بما وراء البحر فتسوط علينا
الفرج فانظر لنا بنظر الله **هو** قال صاحب الجان **هو** وكانت بقعة القبروان غيضة لا يأوى اليها الا الوحوش
والسباع فصاح بها عقبة أن انرجى أيتها الوحوش والهوام باذن الله عز وجل فبقيت أرض القبروان
أربعين سنة لا يرى فيها شيء من الهوام المؤذية ولا السباع العادية ثم شرع في بنائها وقال هذه أوسع بلادكم
وأمن لديكم من روم القسطنطينية وافرغ الجزيرة **هو** وعن الليث بن سعد **هو** أن عقبة رجحه الله عز
أفريقية فأتى وادى القبروان فبات عليه هو وأصحابه حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال يا أهل
الوادى اظعنوا فاننا نزلون قال ذلك فلما جعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرهما لا يعرف من
الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين أصبحوا حتى أوهجت الشمس وحتى لم يروا منها
شيئا فزولوا الوادى عند ذلك **هو** قال الليث **هو** حدثني زياد بن عجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك
أربعين سنة ولو التمس حية أو عقرب بالبدن ما وجدت **هو** وفي الجان **هو** لما شرع عقبة رجحه الله
في بناء ما صعدت عواقي القبله فأتى في النوم فوضع له علامة على سمت القبلة فلما انتبه أعلم
الناس بذلك فأثروا الى الموضع فوجدوا العلامة كما قال فوقف عقبة ينظر الى القبلة فسمع تكبيرة في الجبل
من ناحية القبلة فنظر فرأى الكعبة عيانا وراها كل من كان حوله **هو** وقال ابن خلدون **هو** اختط عقبة
رضي الله عنه القبروان وبني بها المسجد الجامع وبني الناس مساكنهم ومساجدهم وكان دورها ثلاثة
آلاف باع وسقاية باع وكلت في خمس سنين وكان يفرزوا ويبيع السرايا لا غارة والنهب ودخل أكثر
البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ووسع الدين **هو** وقال صاحب الخلاصة النقية **هو** اختط عقبة
ابن نافع القبروان سنة خمسين وجعل دور سورها اثني عشر ميلا وبني بها الجامع الاعظم وقامت البربر
وشردهم ثم عزل معاوية عنها والله أعلم

هو ولاية أبي المهاجر دينار وفتح المغرب الاوسط **هو**

كان معاوية رضي الله عنه قدولى على مصر وأفريقية مسلمة بن مخلد بوزن محمد الانصاري فاستعمل
مسلمة على إفريقية مولاه أبا المهاجر المذكور ويقال مولى بني مخزوم فقد مها منة خمس وخمسين وأساء
عزل عقبة واستخف به لشيء كان بينهما وكره زول القبروان فبنى مدينة قريبا وأخلى قبروان عقبة فدعا
عقبة الله تعالى أن يمكنه منه وكان رجلا صالحا يحب الدعوة فاستجيب له فيه على ما ذكره ثم أن أبا المهاجر
بعث حنث بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام الى جزيرة شريك وهي المعروفة الآن بالجزيرة القبلية
واليها يسلك من باب الجزيرة أحد أبواب تونس فافتتحها وكان كسيلة بن اغر البرنسي ثم الأوربي
من أهل المغرب الأقصى من عظماء البربر وكان نصرا نسيا قد جمع الجوع من البربر والفرج ورحف الى
المسلمين فزحف اليهم أبو المهاجر فهزمهم حول تلسان وتمكن من البلاد وظفر بكسيلة فظهر الاسلام
فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه **هو** قال ابن خلدون **هو** لم أقف لتلسان على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق
من أن أبا المهاجر لما قدم إفريقية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلسان وبه سميت العينون القريبة منها
عينون أبي المهاجر **هو** فهو أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاوسط **هو** ثم أن عقبة بن نافع لما قفل الى
المشرق شكالى معاوية رضي الله عنه ما ناله من أبي المهاجر فاعتذر اليه ووعده برده الى عمله ثم ولده ابنه
يزيد على المغرب سنة اثنتين وستين **هو** وذكر الواقدي **هو** أن عقبة ولى المغرب سنة ست وأربعين فاختط
القبروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بابي المهاجر فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه فكسب اليه يزيد
بأمره يبعثه فبعثه اليه ثم أعاده واليا على إفريقية والله أعلم

بجولة عقبة بن نافع الثانية وقصه المغرب الأقصى ومقتله

لما توفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وولي بعده ابنه بن يزيد بعث عقبة بن نافع واليا على المغرب فقدمه
في التاريخ المتقدم واعتقل أباه المهاجر ونهب مدينته وجر القيروان وعزم على الجهاد فاستخلف زهير بن
قيس البلوي على القيروان ويقال ولاءه على مقدمة جيشه وخرج في جيش كثيف ففتح حصن ليس
ومدينة باعانة المثل عليه اجبيل أو اسس وفتح بلاد الجريد ففتحنا نائبا واصلح أهل قران وسار إلى الزاب
وناهرت فشتت جوع البربر ومن انضم إليهم من الفرع ثم تقدم إلى المغرب الأقصى فالتحق في أهله
إلى أن وصل إلى البحر المحيط فكان عقبة رجة الله أول أمير للمسلمين وطشت خيله المغرب الأقصى وهو قال
ابن خلدون في قدم عقبة بن نافع المغرب في ولايته الثانية سنة اثنتين وستين فاضطعن على كسيلة محبته
لأبي المهاجر ونكبه وتغلب أبو المهاجر إلى عقبة في اصطناع فلم يقبل ثم زحف إلى المغرب وعلى مقدمته
زهير بن قيس البلوي فلدوخته واتي ملوك البربر ومن انضم إليهم من الفرع بالزاب وناهرت فزعمهم
واستباحهم وأنشع له بليان أمير عمارة ولاطفه وهاداه ودله على عورات البربر ورأه عديسة وولي
وبلاد المصامدة والسوس وهو قال صاحب الجمان في افتتح عقبة المغرب ووزل على طنجة فحاصر ها واستزل
ملكها بليان الغماري وكان نصرانيا فقتل على حكمه بعد أن أعطاه أموالا جليلة ثم أراد عقبة الحاق
بالجزيرة انضرا من عدوة الأندلس فقال له بليان أنترك كفار البربر غفلت وترى نفسك في بحبوحة
المهلك مع الفرع ويقطع البحر بينك وبين اللد فقال عقبة وأين كفار البربر قال ببلاد السوس وهم
أهل نجد وبأس قال عقبة وما دينهم قال ليس لهم دين ولا يعرفون أن الله حق وأنهم كالبهاثم وكافوا
على دين الجوسية ثم توجه عقبة نحوهم فقتل على مدينه وولي بليان جبل زرهون وهي يومئذ من
أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين سبوا وورغته وهذه المدينه هي المشاة اليوم في لسان
العامة بقصر فرعون فافتضحها عقبة وغنم وسبي ثم توجه إلى بلاد درعة والسوس فلقيته جوع البربر
فاقتلوا قتلا شديدا ثم انهمزمت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون فلاحذروا يعاوتبعوا آثارهم
إلى صحرائهم لا يلقاهم أحد الا هزموه ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط الغربي فأنتهى إلى بلاد
أسفي وأدخل قواتهم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لا محابا رفعوا أيديكم فدهلوا وقال اللهم إني لم
أخرج بطرولا أشرا وانك لتعلم أنما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذوالقرنين وهو أن تعبدوا لا يشرك
بك شيء اللهم أنا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الإسلام فكنا ولا تكن علينا إذا الجلال
والأكرام ثم انصرف راجعا وهو قال ابن خلدون أيضا وصل عقبة إلى جبال درن وقاتل المصامدة بها
فكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بجبيل درن فنهض إليهم جوع زناته وكافوا خالصا للمسلمين
منذ اسلام مغراوة فافرجت المصامدة عن عقبة وأثنى فيهم حتى حلهم على طاعة الاسلام ودوخ
بلادهم ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من جاء من منهاجته أهل النمام وهم يومئذ على دين الجوسية ولم
يدينوا بالبصرة فالتحق فيهم وانتهى إلى ناردنت وهزم جوع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس
ودوخهم وقتل راجعا وهو كان في كسيلة الأوربي في جيش عقبة قد استعصبه في غزواته هذه وكان
يستعين به ويمتحنه فأمره يوما بسخ شاة بين يديه فدهلها كسيلة إلى غلمانة فإراد عقبة على أن يتولاها
بنفسه وانتهر فقام إليها كسيلة فغضبوا جعل كل واحد في الشاة مسخ بطيته والعرب يقولون
ما هذا يا بري فيقول هو أجير فيقول لهم شيخ منهم أن البربر يتوعدكم وبلغ ذلك أباه المهاجر وهو معتقل
عند عقبة فبعث إليه نباه ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب وأنت
تعبد إلى رجل جبار في قومه وبادر عزه حديث عهد بالشرك فتستفسده وأشار عليه بأن يتوثق منه
وخوفه غائلته فتهاون عقبة بقوله فلما قل من غزاته هذه وانتهى إلى طنبسة من أرض الزاب وكسيلة

أنهاء هذا كله في محبته صرف العساكر الى القيروان أفواجا ثقة بملدوخ من البلاد وأذل من البربر حتى بقي في قليل من الجند فلم يوصل الى تهودة وأراد أن ينزل بها الحامية نظر اليه الفرجة وطمعوا فيه فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتزها وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر فاتبوا أثر عقبة وأصحابه حتى اذا غشواهم بهودة ترجل القوم وكمسروا أنجنان سيموفهم ونزل الصبر واستلم عقبة وأصحابه فلم يفلت منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصر وع واحد وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استعصبه في اعتقاله كما قلنا فابلى رضى الله عنه في ذلك اليوم البلاد الحسن وقد قال ابن خلدون رحمه وأجداد الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء أعنى عقبة وأصحابه بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم أسمة ثم حصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة وهو في عداد المنارات ومطان البركات بل هو أشرف مرور من الاجداث في بقاع الأرض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحدهم أحد مائة ولا نصفه وأمر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الانصارى ويزيد بن خلف العسبي وغيرهم ما قصدهم ابن مصاد صاحب قصصه وبعث بهم الى القيروان ثم زحف كسيلة بعد الواقعة الى جهة القيروان اذ هي دار الامارة بالمغرب يومئذ يهاجهم والعرب وجوه الاسلام قبلهم الخبر وعظم عليهم الامر فقام زهير بن قيس الباهلي فيهم خطيبا وقال يا معشر المسلمين ان أصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم أو يفتح الله عليكم فخالفه حنسن بن عبد الله الصنعاني لما علم أنه لا طاقة للمسلمين بعادهم من أمر البربر ورأى ان النجاة عن معصية من المسلمين أولى ونادى في الناس بالرحيل الى مشرفهم فاتبوه الا قليلا منهم وبقي زهير في أهل بيته فاضطر الى الطروج وسار الى برقة فاقام بها مطلا على المغرب ومنتظر للأدمن الخلفاء واجتمع الى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرجة وعظم أمره وتقدم الى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة أربع وستين وقر منها بقية العرب فلحقوا بزهير ولم يبق بها الا أصحاب الذراري والانتقال فاقنهم كسيلة ثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين وقل من ذلك مهلك يزيد بن معاوية وقتله الضحالك بن قيس مع مروان بن الحكم مخرج راحط من أرض الشام وحبوب آل زبير فاضطرب أمر الخلفاء بالمشرك واضطرب المغرب ناراً وفتت الردة في زانته والبرانس الى ان استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة وأذهب نار الفتنة من المشرق فالتفت الى المغرب وتلاقى أمره الى ما ذكره

فلما ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم

نهم دلال بن حارث بن عاصم المزني أبو عبد الرحمن من أهل المدينة أقطع النبي صلى الله عليه وسلم العقيق كان صاحب لواء من بني يوم الفتح ذكره صاحب الخلاصة النقية فممن دخل المغرب ومنهم جوه بن مولى الاسدي والاسدي ذكر صاحب الاشراف انه من جملة من دخل افرريقية من أرض المغرب ومنهم بيلة بن عمرو بن نعلبة بن أسيد الانصارى أخو أبي مسعود البدرى قال في الخبر يشهد أحدنا وشهد فتح مصر وصفيين مع علي وغزا افرريقية مع معاوية بن حديج سنة خمس وكان فاضلا من فقهاء الصحابة وزي ابن منبده ومحمد بن الربيع من طريق مالك بن أبي عمران عن سليمان بن يسار انه سئل عن النفل الغزو فقال لم أر أحد اعطيه غير ابن حديج فقلنا في افرريقية الثلث بعد الحسن ومعاوية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الاولين ناس كثير فابى بيلة بن عمرو والانصارى أن يأخذ منه -ياً * ومنهم الحسن بن رضى الله عنهم على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب أهل الجنة ربحا ناسا الرسول صلى الله عليه وسلم لم أشبههم من أن يعرف بهما * ومنهم الحرث بن حبيب بن خزيمة قرشي العامري ذكره خليفة بن خياط فممن نزل مصر من الصحابة قال وقتل باقر بقتية مع معبد بن

• ومنهم المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي له ولأبيه حبة وهما من مسلمة الفتح قال محمد بن الربيع دخل مصر لغزو المغرب فيما ذكره الواقدي • ومنهم معاوية بن حديج السكوني أحد الأمراء وقد تقدم ذكره • ومنهم معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهبي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد بأفريقية شابا في زمن عثمان رضي الله عنه • وحكي المؤرخون • أن معاوية بن أبي سفيان أغزى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب فعبر سعيد النهر إلى مصر فقامت قسطنطينة فاستشهد بها وكان أخوه الفضل بن عباس قدماء باجنادين من أرض الشام وعبد الله الترجمان مات بالطائف وعبد الله الأصغر مات باليمن ومعبد بأفريقية فقال الناس لم ير مثلي أم واحدة أبعد قبورا من بني العباس • ومنهم المقداد بن الأسود الكندي وليس الأسود أباه وإنما تباينه الأسود بن عبد شمس وهو صغير عرف به وأما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي كان المقداد أحد السابقين شهيد بدر أو أحدوا المشاهد كلها ولم يثبت أن أحداهم بدر فارس أو غزا أفريقية مع ابن أبي سرح فلما رجعوا إلى مصر قال له ابن أبي سرح في دار بناها كيف ترى فقال له المقداد إن كان من مال الله فقد أفسدت وإن كان من مالك فقد أسرفت فقال ابن أبي سرح لو لاني قال أفسدت مرتين لهدمتها • ومنهم المنذر الأسلمي قال ابن يونس له حبة وكان بأفريقية وقال عبد الملك ابن حبيب لم يدخل الأندلس من الصحابة إلا المنذر الأفرنجي وأما المشتهرون بكتبتهم • فثمة أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه خويلد بن خالد أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وقدم المدينة يوم وفاته فشهد السقيفة وبيعة أبي بكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه قال ابن كثير توفي غازيا بأفريقية في خلافة عثمان رضي الله عنه • قلت • وهلك له خمسة أولاد بصر بالطاعون فقال قصيدته العينية يرثيهم وهي مشهورة • ومنهم أبو رمنة البلوي قيل اسمه رفاعة بن يثرب وقيل بالعكس له حبة ورواية قال الذهبي سكن بصر ومات بأفريقية • ومنهم أبو زمعة البلوي قال الذهبي اسمه عبد وقيل عبيد بن أرقم بايع تحت الشجرة ووزل مصر وغز أفريقية مع ابن حديج وروى حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل من توبة مات بأفريقية ودقت معه شمرات من شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حباه مشهور وهو صاحب المقام خارج القبروان • ومنهم أبو ضيف البلوي قال الذهبي له حبة وقال محمد بن الربيع الجزري دخل مصر لغزو المغرب • ومنهم أبو البندل خلف له حبة ووزل أفريقية وقيل أبو المنذر كذا في الخبر يد وغيره ولا بمن لم يحضر ناذكرهم • أنجرح ابن عبد الحكم • عن سليمان بن يسار قال غزونا أفريقية مع ابن حديج ومعاشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار اه رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرة منهم آمين

• هذا كاختلاف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك •

قال الشيخ أبو الحسن القاسمي رحمه الله في شرح الموطأ في كتاب الجهاد منه اختلف الناس في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة أي البعض عنوة والبعض صلحا على ثلاثة أقوال • الأول • وهو الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها فتحت بالسيف عنوة لأنه جعل النظر في معادنها للامام ولو صح ذلك لم يجز لأحد بيع شيء منها كأرض مصر لأنها فتحت بالسيف • الثاني • أنها فتحت صلحا صالح أهلها عليها فإن كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض • الثالث • أنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها من بقي يده شيء كان له وهو الصحيح والله أعلم • ويحكي • أن أحدهما المتصور بن أبي عامر صاحب الأندلس حين تغلب على أرض فاس قال لهم أخبروني عن أرضكم أصلح هي أم عنوة فقالوا له لا جواب لنا حتى يأتي الفقيه يعنون الشيخ أبا جسيمة فجاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال ليست بصلح ولا عنوة إنما أسلم أهلها عليها فقال خلعكم الرجل وأبو جسيمة هذا هو دفين باب بنى مسافر أحد أبواب

في ولاية زهير بن قيس البلو على المغرب ومقتل كسيلة وما يتبع ذلك

استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة كان زهير مقبلاً برفقة من هذه ملك عقبة بن نافع كما مر فبعث اليه عبد الملك بالمدد وولاه حرب البربر وأمره باستنقاذ القير وان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها وحضه على الطالب يد عقبة فراجعهم زهير بعلمه بكثرة الفرغ والبربر فأمدّه بالمال ووجوه العرب وفرسانهم فخر زهير إلى المغرب سنة تسع وستين في آلاف من المقاتلة وجمع له كسيلة البرانس وسائر البربر ولقبه بعجم من نواحي القير وان واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزمت البربر بعد حرب صعبة وقتل كسيلة ووجوه من معه من البربر ومن لا يحصى من عامتهم واتبعهم العرب إلى مرماجة ثم إلى وادي ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وقتبت فرسانهم وورجالهم ونقضت شوكتهم واضمحلت أمر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير والعرب خوفاً شديداً فلبوا إلى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربة من بينهم واستقرت جهودهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة وليلي وكانت فيما بين موضع فاس ومكاسة بجانب جبل زرهون ولم يكن لهم بعد هذه الواقعة ذكر إلى أن قدم عليهم ادريس بن عبد الله رضي الله عنه فقاموا بدعونه على ما نذكره أن شاء الله وهو أما زهير فانه لما رأى ما مضى الله من الظفر والنصر وساق اليه من العز والملك خشي على نفسه الفتنة وكان من العباد المحبتين فترك القير وان آمن ما كانت وارثه إلى المشرق وقال انما جئت للجهاد في سبيل الله وأخاف على نفسي أن تعمى إلى الدنيا فلما وصل إلى رقة وجد اسطول الروم على قتالها في جوع عظيمة قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين فاستغاوثا به وهو في خف من أصحابه فمعد اليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل وقتل معه جماعة من أثر أفي أصحابه ونجا الباقيون إلى دمشق فأنعبروا بالخليفة عبد الملك بما وقع فأسفه ذلك

في ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتغريبه قرطاجنة

لما رحل زهير بن قيس إلى المشرق واستشهد برفقة كما قد مرنا اضطربت بلاد المغرب بعده واضطربت بها نار الفتنة واقترب أمر البربر وتعدت سلطاتهم في رؤسائهم وكان من أعظمهم شوكة يومئذ الكاهنة داهيا الزناتية ثم الجراوية صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها حراوة والبربر فبعث عبد الملك بن مروان إلى عامله على مصر حسان بن النعمان التماسي وكان يقال له الشيخ الامين بأمره أن يخرج إلى جهاد البربر وبعث اليه بالمدد فخرق اليهم سنة تسع وستين في أربعين ألف مقاتل ولما دخل القير وان سأل الافارقة عن أعظم ملوكهم فقالوا صاحب قرطاجنة وهي المدينة العظيمة قريبة رومة وضرتهما واحداً من عجائب الدنيا وكان بها يومئذ من جوع الفرغ أم لا تحصى فمعد اليها حسان واقتصرها وقتل أكثر من بها ونجا منهم في المراكب إلى صقلية والأندلس ولما انصرف حسان عنها دخلها أقوام من أهل الضواحي والبادية وتحصنوا ثم أفرج اليهم وقتلهم أشد قتالاً فاقترضها عنوة وأمر بتغريبها وأغفار سبها وكسر قناتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها إلا آثار خضرة تدل على ما كان بها من عجب المصنعة واحكام العمل وبناتها هجرت مدينة تونس كافي القاموس ثم بلغ حسان ان البربر والفرغ قد عسكروا في جوع عظيمة ببلاد صقلية وبنزرت فمعد اليهم وهزمهم وشردهم من خلفهم واتخاذ لهم إلى باجة وبنو تودر جمع حسان إلى القير وان فأراحها أباها ثم سأل عن بقية الملوك الخالصة فدلوه على الكاهنة داهيا وقومها حراوة وهم ولد جراوين الديديت بن زانا وزانا هو أورناتية وكان لهذه الكاهنة بنون ثلاثة وبنو إياسة قومهم عن سفهم ورواف حجرها فاحتبست عليهم واعتزت على قومها بهم وعما كان لها من الكهانة والمعروفة بنيب أحوالهم وعاقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم وقضوا عند أشارتها في حال هاني بن بكور الضربى ملك عليهم خمساً وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعاً وعشرين سنة وكان قتل

عقبة بن نافع وأصحابه في البسيط قبله جبل أوراس باغرا ثم ابره الزاب عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك
منها فلما قتل كسيلة وانقضت جوع البربر رجعوا الى هذه الكاهنة بمقتضاهما من جبل أوراس وقد
انضم اليها بنو بفرن ومن كان بافر ببيعة من قبائل ذناته وسائر البسترسار اليها حسان حتى نزل وادي
ملية ونزلت حتى الى فافتتوا بالبسيط أمام جبلها قتالا شديدا ثم انهم زعم المسلمون وقتل منهم خلق كثير
وأمر خالد بن يزيد القيسي في ثمانين رجلا من وجوه العرب ولم نزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان
والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس وخلق حسان يعمل طرابلس فلقبه هنالك ككتاب عبد الملك
بأمره بالمقام حيث يصله كتابه فأقام برفقة بني قصوره المعروفة لهذا العهد بقصر حسان ثم رجعت
الكاهنة الى مكانها من الجبل وأطلقت أسرى المسلمين سوى خالد فأنهم اتخذت عنده عهدا برضاها مع
ولدها وصيرته أقالهما وأقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين به دهر عزة حسان ونفت العرب
عن بلاد المغرب وقالت لقومها انما تطلب العرب من المغرب مدنه وما فيها من الذهب والفضة ونحن
انما نريد المزارع والمراعي قال أي أن تخرب هذه المدن والحصون وتقطع أطباع العرب عنها قال ابن
خلدون رحمه الله وكانت المدن والضياح من طرابلس الى طنجة ظلالا واحدا في قرى متصلة فخرت الكاهنة
ديار المغرب وعصفت أنبجاءها ومحت جبالها وجاءت بالفساد خلا له فشق ذلك على البربر واستأمنوا الى
حسان وكان عبد الملك قد بعث اليه بالمدد فأتهمهم وجد السبيل الى تفريق أمرهم ثم دس الى خالد بن يزيد
يستعمله أمرها فاطلعه على كنه خبرها واستخف فزحف الى المغرب سنة أربع وسبعين وبرزت اليه
فأوقعها وجمعها وقتلها واحتز رأسها عند البئر المعروفة بهذا العهد من جبل أوراس ثم أقسم الجبل
عنوة واستلمهم فيه زهاء مائة ألف من البربر واستأمن اليه باقيهم على الاسلام والطاعة وشرط عليهم
حسان أن يكون معهم منهم اثنا عشر ألفا لا يفارقونه في مواطن جهاده فأجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم
وعقد لداكبر من ولدى الكاهنة على قومه من جرادة وعلى جبل أوراس قتالوا فذل متناه الطاعة
وسبقنا اليها وبايعناه عليها وكان ذلك بشاردة من الكاهنة لآثاره من علم كانت ليجها بذلك من شياطينها
وانصرف حسان الى القيروان مؤيدا منصورا ونبت ملكه واستقام أمره فدون الدواوين وكتب الخراج
على هجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر ثم أوعز اليه الخليفة عبد الملك بالتخاذل
الصناعة بنونس لانشاء الاسلحة البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زبادة الله
الاول من بني الاغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيان وصاحب الامام ابن القاسم بعد أن كان معاوية
ابن حديم أغز صقلية أيام ولادته على المغرب فلم يفتح الله عليه وفقت على يد ابن الاغلب وقائده ابن
الفرات كما قلنا واستمر حسان واليساعلى المغرب الى أن عزله عبد الله بن مروان صاحب مصر وكان أمر
المغرب اذذاك اليه فاستخلف حسان على المغرب رجلا من جنده اسمه صالح وارثه الى المشرق بعاجمه
من ذريع المال ورائع السبي ونفيس الذخيرة فلما انتهى الى مصر أهبط الى عبد الله مائتي جارية من
بنات ملوك الفرنج والبربر فمقتعه ذلك وانتزع كثيرا مما بيده ولما قدم على الخليفة بدمشق وهو يومئذ
الوليد بن عبد الملك شك اليه ما صنع به معه عبد الله فغاضبه ذلك وأكره ثم أهبط اليه حسان من غريب
النفائس التي أخفاها عن عبد الله ما استعظمه الوليد وشكره عليه ووعده برده الى عمله خلف حسان
أن لا يلبى لبني أمية عملا أبدا ووذكر البكري رحمه الله أن حسان بن النعمان هذا هو فاتح تونس وقال غيره بل
فاتحها زهير بن قيس الباهلي ولم تتوفر الدواهي على تحقيق ذلك لانهم لم تكن يومئذ قاعدة ملك وانما عظم
أمرها في دولة الخلفيين بن بدمهم والله تعالى أعلم

وهو لاية موسى بن نصير على المغرب وفتحه الاندلس

لما رحل حسان بن النعمان الى المشرق اختلفت أيدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فكثرت

الفتن وخلت أكثر البلاد حتى قدم موسى بن نصير في سنة ثمانين وثمانين
في جذوة المغرب سنة سبع وسبعين وقال غيره سنة سبع وثمانين
هو قال ابن خلكان كان موسى بن نصير من التابعين وروى عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلاً
كريمًا شجاعاً ورعاً متقياً لله تعالى لم يزم له جيش قط ولما قدم المغرب وجد أكرمه خالية لا اختلاف
أيدي البربر عليها وكانت البلاد في حفظ شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج
بهم إلى الأنصار معه سائر الحيوانات ففرق بينها وبين أولادها فوقع البكا والصراخ والضييق وأقام على
ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقبيل له ألا تدعو لأمير
المؤمنين قتال هذا مقام لا يدعي فيه غير الله عز وجل فسقوا حتى رويوا وهو قال ابن خلدون كتب
الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى عمه عبد الله بن مروان وهو على مصر ويقال عبد العزيز بن يعثب عيسى بن
نصير إلى إفريقية وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان
فغزاه وراى أن البربر قد طمعت في البلاد فوجه البعوث في النواحي وبعث ابنه عبد الله في البصرى
جزيرة ميورقة ففتح وسبوا عاداتهم بعثه إلى ناحية أخرى وبعث ابنه مروان كذلك فوجه هو إلى ناحية
فتحوا وسبوا وعادوا وبلغ الخس من المقتن سبعين ألف رأس من السبي وهو قال أبو شبيب الصدفي لم يسمع
في الإسلام مثل سبايا موسى بن نصير ونقل الكاتب أبو اسحق إبراهيم بن القاسم القروى المعروف بابن
الرفيق أن موسى بن نصير لما فتح سقوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك أنه صالوك من سبي سقوما مائة
ألف رأس فكتب إليه الوليد ويحك أني أظنهم من بعض كذباتك فإن كنت صادقاً فخذ هذا عشرين ألفاً
ثم خرج موسى غازياً أيضاً وتبع البربر وقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسباً عظيماً وتوغل في جهات المغرب
حتى انتهى إلى السوس الأدنى ثم تقدم إلى سبتة فصانعه صاحبها يليان الغمارى بالهدايا وأذعن للجزية
وكان نصيرانياً فاقمر عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة فلما رأى بقية البربر ما زل بهم استأمنوا
لموسى وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم وهو قال ابن خلدون أيضاً غزا موسى بن نصير طنجة
وافتح درعة وعصراء وأنبالاً وأرسل ابنه إلى السوس فاذعن البربر لسلطانها وأخذوها من المصامدة
فأزلم طنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد الليثي قال وأزلم معه سبعة وعشرين
ألفاً من العرب وأنشئ عشر ألفاً من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه قال ثم أسلم بقية البربر
على يد اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اه
ولما استقرت القوا عدل موسى بالمغرب كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس فغزاها في اثني
عشر ألفاً من البربر وخلق يستير من العرب وعبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وصعد الجبل
المنسوب إليه المعروف اليوم بجبل طارق يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة
وذكر عن طارق أنه كان نائماً وقت العبور في المركب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة
يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد
ذكر ذلك ابن بشكوال وهو قال ابن خلدون في أخبار الأندلس أن أمة القوط ملكوا جزيرة الأندلس
نحو أربع مائة سنة إلى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمى
ماو كهم بجر جبر سمى ماو ك صقلية وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدو الجنوبية خطوها
من زقاق البحر إلى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة
يسمى يليان وكان يدين بطاعتهم وعلتهم وموسى بن نصير أمير العرب اذذاك عامل بإفريقية من قبل
الوليد بن عبد الملك ومزله بالقيروان وكان قد أغزى ذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الأقصى
ودوخ قطاره وأوغل في جبال طنجة حتى وصل إلى خليج الزقاق واستزل يليان لطاعة الاسلام وخلف

مولاه طارق بن زياد واليا بطنجة وكان يلبان يتقم على لذريق ملك القوط بالاندلس فعلة فعلها زحموا
بأبنته الناشئة في داره على عادتهم في سنات بطارق قسم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق فاحذره فابنته منه
وقلت يميني ان كان من عادة كبار العجم بالاندلس ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون التوبة بهم الى
دار الملك الاكبر بطليطلة ليصبروا في خدمته ويتأدبوا بآدابهم وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا السن
بعضهم بعضا فعمل صدقاتهم ونولي تجهيز اناتهم استئلا فلا بائهم فاتفق ان فعل ذلك يلبان عامل لذريق
على سبته وكان أهلها نصارى فبعث بأبنته له بارعة الجمال تكرم عليه الى دار لذريق فوقع عينه عليها
فأعجبته وأحبها ولم يقل ان استكرهها فاقضها فاحتالت حتى أعلمت أباها مراما فحفظه ذلك وحى
أنفه وقال ودين المسيح لازين ملكه ولا حفرق ماتحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو
السبب في فتح الاندلس مع سابق القدر ثم ان يلبان عبر البحر من سبتة في صبر قلب الشتاء وأصعب
الافاق فقدم بطليطلة واجتمع بالملك فانكر بحبته في ذلك الوقت وسأله عن السبب فذكر خبر اوعمل
بان زوجته قد اشتد شوقها الى برؤية ابنتها وانه أحب اسعافها بطليطتها وسأل الملك عما كينه منها فقبل
سراجه الى عمله ففعل وأحسن جائزة الجارية وتوفى منها بالكتمان وأفضل على أيها وانقلب راجعا
وذكروا انه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستقر لنا من الشدة انقات التي لم تزل تطرفنا بها
فانهم أترجوا رخنالدين يعني بذلك طيور افارحة كانت تتخذ للاصطياد فقال له أيم الملك وحق المسيح لئن
بقيت لا دخلت عليك شدة انقات ما دخل عليك مثلها قط يعرض له بما أضمره من ادخال العرب عليه
ثم لحق يلبان بطارق بن زياد وهو بطنجة فكتشف له عورة القوط فانتهز طارق الفرصة لوقته وأجاز البحر
سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب واحتشد معهم
من البربر عشرة آلاف وصبرهم عسكر بن أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فمضى جبل طارق به
والاخر على طريق بن مالك الخفي ونزل بمكان مدينة طريق فحيث به وأداروا الاسوار على أنفسهم
للشخص وبلغ الخبير لذريق فنهض اليهم بجراهم الا عاجم وأهل مله النصرانية في زهاء أربعين ألفا
فالتقوا بمخص شريش ففرزهم الله ونظلم أموال أهل الكفر وراهم وكتب طارق الى موسى بالغنغ
والغنائم فخره الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بفرانته ويأمره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق
به واستخلف على القبر وان ولده عبد الله خرج معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ونض من
القبر وان سنة ثلاث وتسعين في عسكر ضخمن وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر فوافي خليج الزقاق
ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانقادوا تبع ويقال ان موسى لما سار
الى الاندلس عبر البحر اليها من ناحية الجبل المنسوب اليه المعروف اليوم بجبل موسى وتكسب النزول
على جبل طارق وتغم الفتح وتوغل في الاندلس الى برشونة في جهة المشرق وأر بونة في الجوف وصمم
قادس في الغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز
الى الشام دروب الاندلس ودر به ويخوض اليه ما بينهما من بلاد عاجم وأم النصرانية مجاهد فيهم
ومستلهمهم الى ان يلحق بدار الخلافة من دمشق ونحو انخبر الى الخليفة الوليد فاستدققه بمكان
المسلمين من دار الحرب ورائى ان ماهم به موسى تقرير بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأمر
الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقض عن
الاندلس بعد ان أنزل الرابطة والحامية بشقورها واستعمل ابنه عبد العزيز لسندها وجهاد عدوها وأزله
بقرطبة فاتخذها دارا مارة واحتل موسى بالقبر وان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست
بعد هاجا كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على الجمل والظهير يقال ان من جعلها ثلاثين ألف رأس
من السبي وولى على افريقية ابنه عبد الله واندرجت ولاية الاندلس ومثذ في ولاية المغرب فكان

صاحب القير وان ناظر افي الجميع وقدم موسى على سليمان بن عبد الملك وقدولى الخلافة بعد الوليد فخطه ونسبته وثارت عساكر الاندلس بانه عبد العزيز فقتلوه لستين من ولايته باغراء الخليفة سليمان وكان خيرا فاضلا واقتنع في ولايته مدائن كثيرة وكان الذي تولى قتله حبيب بن ابي عبيدة الفهري وكان سبب غضب سليمان على موسى انه لما توجه الى المشرق وانتهى الى مصر وعسل أسرافها وقتهاءها وبلغه الخبر بعرض الوليد ووافاه كتابه يستعنه على القدوم ووافاه كتاب آخر من أخيه سليمان يشبطه فاسرع موسى الحاق بالوليد فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة أيام ودفع اليه مائة من الذخائر والاموال فعاظ ذلك سليمان واسام مكاناته حين افضى الامر اليه فنسبته ونسب آل بيته أجمع وكانت وفاة موسى رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثمان وتسعين وقيل غير ذلك **هو** قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القير وافي **هو** ارتدت البربر اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنججة ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر الى الاندلس وأجاز معه كثيرا من رجال البربر برسم الجهاد فاستقر واهناك حينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذن البربر لحكمه وتناحوا الزدة ثم نبضت فيهم عروق الطارجية بعد على ما نذكره

هو ولاية محمد بن يزيد على المغرب **هو**

لما ارتحل موسى بن نصير الى المشرق ونسبته الخليفة سليمان كما قلنا عزل ابنه عبد الله عن المغرب وولى مكانه محمد بن يزيد مولى قريش ويقال مولى الانصار فقدم القير وان سنة سبع وتسعين وكان سليمان قد أمره باستئصال آل موسى بن نصير واصطلام نعمتهم فاقى على ذلك ثم لما قتل أهل الاندلس أميرهم عبد العزيز بن موسى ولوا عليهم أيوب بن حبيب التميمي وهو ابن أخت موسى فوجه محمد بن يزيد الحضر ابن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي واليامن قبله على الاندلس فقدمها واستقر أميرها ستين وقبانية أشهر قالوا وكان محمد بن يزيد هذا عادلا حسن السيرة قاتل المخالفين بشعور المغرب وغنم وسبا ولم يزل واليا عليه حتى مات سليمان فكانت ولايته ستين وأشهر والله أعلم

هو ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على المغرب **هو**

لما توفي سليمان بن عبد الملك رحمه الله وولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه استعمل على المغرب اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فقدم القير وان سنة مائة وكان خيرا أمير وخيرا ولام يزل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى تم اسلامهم على يده وبث فيهم من فقهم في دينهم وهذا كراؤ العرب محمد بن عجم في تلرج افرقية ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين منهم حبان بن أبي جبلة ولما توفي عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة بوجع يزيد بن عبد الملك وجه يزيد بن أبي مسلم الثقفي واليا على المغرب على ما نذكره

هو ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب **هو**

هو يزيد بن أبي مسلم دينار مولى الحاجب يوسف الثقفي النظام المشهور وكان يزيد هذا كاتبه وصاحب سرطته **هو** قال ابن خلسكان **هو** كانت فيه كفاية فوضعه قدمه الحاجب بسهما وكان من خبره ان الحاجب لما حضرته الوفاة استخلف يزيد هذا على نجاج العراق فافره الوليد بن عبد الملك واغتبط به وقال ما مثلي ومثل الحاجب وابن أبي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناروا ولما مات الوليد وولى بعده أخوه سليمان عزل ابن أبي مسلم وأمر به فاحضر بين يديه في جامعة وكان رجلا قصيرا دما يجمع الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد بن أبي مسلم قال نعم أصلى الله أمير المؤمنين قال لمن الله من أشركك في أماته وحكمك في دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فأنزلنا بيتي والامر عني مدبر ولورأيتي والامر على مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولا استقبلت ما احتقرت فقال سليمان قاتله

الله أربط جأشه وأعصب لسانه ودارت بينه وبين سليمان محاورات غير هذه ثم كشف عنه فلم يجد عليه خيانتهم باستكابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحجاج باستكباب كاتبه فقال اني كشفت عنه فلم أجده عليه خيانتها يا أخفص فقال عمر أنا أوجدك من هو أخف عن الدينار والدينار منه فقال سليمان من هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما قط وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة بلغه أن يزيد بن أبي مسلم خرج في جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش برده وقال اني لا كره ان أستعصر بجيش هو فيهم فلما توفي عمر رضي الله عنه وأفضت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عزل اسمعيل بن عبيد الله عن المغرب وولي مكانه يزيد بن أبي مسلم فأساء السيرة قالوا ووجه عنبسة بن صميم الكلبي واليا من قبله على الاندلس فاستقام على يده أمرها ثم نارا أهل المغرب بأن أبي مسلم قتلوه سنة ثنتين ومائة لشهر من ولايته فقال الطبري وهو كان سبب ذلك انه كان قد عزم ان يسير في أهل المغرب بسيرة الحجاج في أهل العراق فان الحجاج كان وضع الجزية على رقاب الذين أسلموا من أهل السواد وأمر بردهم الى قراهم ورسائهم على الحالة التي كانوا عليها قبل الاسلام فلما عزم يزيد على ذلك تأمر البربر فيه واجتمعوا على قتله فقتلوه وولوا عليهم محمد بن زيد الذي كان قبله في ما ذكره الطبري وكان غازيا صقلية فلما قدم بغداد فلقاه ولوه أمرهم وقال ابن عساکر رحمه الله لو أباهد اسمعيل بن عبيد الله والله أعلم ثم كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد ان لم تلغ فاعلموا من طاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا لا يرضى به الله ورسوله فقتلناه وأعدنا ناعا ملك فكتب اليهم يزيد اني لم أراض ما صنع ابن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على المغرب وذلك في سنة اثنتين ومائة كما قلنا وحدث الواح بن أبي خنيفة وكان حاجب عمر بن عبد العزيز قال أمرني عمر بن عبد العزيز يعني في مرض موته بانخرج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبي مسلم فخرجتهم وتركتهم فقتلوا على قدامات عمر هربت الى افرنجية خوفا منه قال فيينا أنا بافرنجية اذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم واليا فاختفت فاعلم بكافي وأمرني فملت اليه فلما رأني قال طالماسألت الله تعالى ان يكتني منك فقلت وأنا والله طالماسألت الله ان يعيذني منك فقال ما عاذك الله والله اقتلنك ولوسابقتني فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسيف والنطع فاقىهما وأمر بالواضح فاقيم عليه مكتوبا وقام السيف وراءه ثم أقيمت الصلاة فقدم يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف ودخل على الواضح من قطع كتافه وأطلقه فبعد ان اللطيف الخبير

ولاية بشر بن صفوان على المغرب

ما كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بما كان منهم الى ابن أبي مسلم وما اعتذر وابه في شأنه أقر عليهم محمد بن يزيد وأسمعيل بن عبيد الله على الخلاف المتقدم ما شاء الله ثم ولي عليهم بشر بن صفوان الكلبي وكان واليا على مصر فقدم القيروان سنة ثلاث ومائة فهدم المغرب وسكن أرباجه واستصفي بقايا آل موسى بن نصير ثم وفد على يزيد بن عبد الملك فوجهه فعمات ووقع هشام بن عبد الملك فردده هشام الى عمله من المغرب فاستقر بالقيروان واستدعى منه أهل الاندلس واليا يقوم بأمرهم وذلك بعد مقتل عنبسة بن صميم الكلبي شهيد في بعض غزوات الفرج فولي عليهم يحيى بن سلمة الكلبي فقدم الاندلس آخر سنة سبع ومائة فاصطحب شأهم غزاهم من صفوان صقلية بنفسه سنة تسع ومائة فاصاب سبيا كثيرا ورجع الى القيروان منصورا فكانت منيته عقب ذلك

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب

لما توفي بشر بن صفوان وانتهى الخبر الى الخليفة هشام بن عبد الملك ولي على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وهو ابن أخي أبي الاعور السلمي وقيل ابن ابنه فقدم القيروان سنة ثمان ومائة وتطرق في أمر المغرب والاندلس معا وولى من قبله على الاندلس ولادة أربعة واحد بعد واحد وهم عثمان بن أبي نعمة

الشمعي وحذيفة بن الاحوص القيسي والميثم بن عبيد الكلبي ومحمد بن عبد الله الاشجعي وكان عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبضه وعذبهم فكتب بعضهم بذلك الى الخليفة هشام ففرقه لاربعة سنين وستة أشهر من ولايته

ولاية عبيد الله بن الحجاب على المغرب

عبيد الله هذا هو مولد بني مسلول وكان رئيسا نبلا وأميرا جليلا وخطيبا متهملا له هشام بن عبد الملك على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه وأمره أن يضي إليه من مصر فاستخلف عبيد الله على مصر ابنه أبو القاسم وسار الى المغرب فقدم القيروان في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة واستعمل عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى واستعمل ابنه اسمعيل بن عبيد الله معه على السوس وماوراءه واستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله العافقي فكانت له في المغرب فتوحات وأصيب جيشه في رمضان من السنة المذكورة في موضع يعرف ببلاد الشهداء وبعرفت الغزوة ثم ولي عبيد الله على الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري ثم بعده عقبه بن الحاج السلولي فكان محمود السيرة وعكس سلطان عبيد الله بالمغرب وبني جامع الزيتونة بتونس لكن فتح صاحب المؤنس ان أول مخطط للجامع المذكور وحسان بن النعمان ونعمه عبيد الله هذا واختبأ دار مصنعة لانشاء المراكب البحرية ثم بعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع الفهري غازيا أرض المغرب فأنهى الى السوس الأقصى وقاتل مسوفة ثم تخطاهم الى تخوم السودان وأصاب من مغنم الذهب والفضة والسبي شيئا كثيرا ودوخ بلاد البربر وقبائلها ورجع ثم أغزاه ثانية جزيرة صقلية فركب البحر اليها سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب فنزل سرقوسة أعظم مدن صقلية وضرب على أهلها الجزية وأخضع في سائر الجزيرة وكان عمر بن عبيد الله في هذه المدة بطنجة قد أساء السيرة في برابرة المغرب الأقصى وأراد أن يخمس من أسلم منهم وزعم أنه ألقى فقتلت قلوب البربر غمها وأحسوا بانهم طعموا لعرب وثقات عليهم وطاعة عمال ابن الحجاب جملة بما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربرية مثل ادم العسيلة الالوان وأنواع طرف المغرب فكانوا يتناولون في جمع ذلك وانتخابه حتى كانت الصرصة من الغنم تلك ذبحا لانتخاذ العسيلة من مضالها ولا يرجع فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه فكثر عيهم بذلك في أموال البربر فاجعوا الانتفاض وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبي عبيدة الى صقلية فخرأهم ذلك على مرادهم ونارهم يسيرة المضغري باحوار طخية على ماند كره وكانت بدعة الخارجية يومئذ قد سرت في البربر وتلقاها رؤسهم عن عرب العراق الساقطين الى المغرب تزعموا الى الاطراف داعين أعما والام اليها عسى أن تكون لهم دولة فاستحكمت صبغتها في طعام البربر وصيبت فيهم عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث والاسباب في خرق حجاب الميمنة على الخلفاء وانتفاض البربر على العرب وعر اجتمعت لهم في سلطانهم ولتذكريهم في أصل الخوارج وفرقتهم على الجملة ثم نعدوا الى موضوعنا الذي كنا فيه فنقول قد تقدم لنا في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كان من أمر الحكيم وما نشأ عنه من خروج طائفة من القراء عليه وقاوا حكمت الرجال في دين الله ولا حكم الا لله وان عليا رضي الله عنه استأصلهم بالنيروان فقال له بعض أصحابه قد قطع الله ابرهم آخر الدهر فقال علي رضي الله عنه والذي نفسي بيده انهم لن ي أصلاب الرجال وأراحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعد هامة لها فصدق الله قول علي ونبت منهم طوائف بالعراق وغيره وتكرروا وجههم على الخلفاء وشروا دأبهم وأبى دأبهم ونعت ذدت فرقتهم ومذاهبهم فقال ابن خلدون في افتقار الخوارج على اربع فرق (الاولى الازارقة) أصحاب نافع بن الازرق الحنفي وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض بعني القتل من غير سؤال عن حال أحد وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفرا (الثانية النجدية) ويقال لهم النجدات أصحاب

نجدة بن عامر الحنفي وهم بخلاف الأزارقة في ذلك كله (الثالثة الأماضية) أصحاب عبد الله بن إمام
 التميمي ثم الصريمي وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم بحكم أنفاقين فلا ينتهون إلى رأى الأول
 لا يقفون عند الثاني ولا يحرمون مناصحة المسلمين ولا موافقتهم وهم عندهم كلنا فقيين ومن هؤلاء
 اليهسية أصحاب أبي يهيس هييم بن جابر الضبي (الرابعة الصفرية) وهم موافقون للأماضية إلا في
 القعدة يعني الذين يفتنون عن القتال معهم فإن الأماضية أشد على القعدة منهم ويرى عاصيت هذه
 إلا رأه بعد ذلك واختلف في تسمية الصفرية فبعضهم نسبوا إلى عبد الله بن صفار الصريمي وقيل اصفروا
 بما نكثهم العبادة وفي القاموس الصفرية بالضم وبكسر قوم من الحرورية نسبوا إلى عبد الله بن صفار
 ككان أو إلى زياد بن الأصفر أو إلى صفرة ألوانهم أو نخلتوهم من الدين انتهى وقد كانت الخوارج من
 قبل هذا الافتراق على رأى واحد لا يختلفون إلا في الشاذ من الغرور وفي أصل اقترافهم مكاتبات بين
 نافع بن الأزرق وأبي يهيس وعبد الله بن إمام ذكرها المروفي الكامل فلتنظر هنالك وكانت خوارج
 المغرب أماضية وصفرية فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحجاب ونال عمله من البربر ما نالوا من الجور
 والسف والتقصوا عليه وثار ميسرة للفخري المروفي بالخضر باحواز طنجة ومضغرة بطن من بني فتن
 ابن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الأبرو كانوا على رأى الصفرية وكان شيخهم ميسرة
 المذكور مقدما في ذلك المذهب فحمل البربر على الخروج عن الطاعة وزحف إلى عمر بن عبيد الله بطنجة
 فقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة وولى عليه ما من قبله عبد الأعلى بن جريح الأفريقي روى الأصل ومولى
 للعرب كان إمام الصفرية في انتمال مذهبهم فقام بأمرهم مدة ثم تقدم إلى السوس فقتله عاملها
 اسمعيل بن عبيد الله وكان ميسرة لما استولى على طنجة والمغرب الأقصى فديابه البربر بالخلافة وخطبوه
 بأمير المؤمنين إذا نخلتوهم في الإمام الأعظم القرشي محمدين بقوله صلى الله عليه وسلم
 اسمعوا وأطيعوا وإن احتمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة وهو موقول واضطرم المغرب ناراً وفتت
 نخلة الخارجية في جميع قبائله وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يرجع طاعتهم بعد ثم إن ابن الحجاب
 دعت إلى ميسرة خالد بن حبيب الفهري فبين مكان قديم عنده من الجديش واستقدم أباه حبيب بن
 أبي عبيدة من صقلية فقدم فبين معه من عساكر المسلمين وبعثه إلى أخيه خالد بن حبيب فخرج
 البربر فلقبهم باحواز طنجة فاقتلوا قتلاً شديداً ثم تحازروا ورجع ميسرة إلى طنجة فسامت سيرته في البربر
 ونقموا عليه ما جابه فقتلوه وولوا عليهم مكانه خالد بن حبيب الزناني فوال ابن عبد الحكم هو من هتورة
 إحدى بطون زناته فقام بأمرهم واجتمع إليه البربر فزحف إلى العرب وشرح إليه ابن الحجاب عساكر
 الخليفة هشام بن عبد الملك وعلى مقدمته خالد بن حبيب الفهري فكان اللقاء على وادي شلف فانهزم
 المسلمون وقتل خالد بن حبيب ووجوه من معه من العرب فسميت الواقعة الواقعة الأشراف وانهض المغرب
 على ابن الحجاب من سائر جهاته وبلغ الخبر إلى أهل الأندلس فعزلوا عامه عقبه بن الحاج السلولي وولوا
 عليهم عبد الملك بن قطن الفهري ومرج أمر الناس وانتهى الخبر بذلك كله إلى الخليفة هشام بد مشق
 فعزل ابن الحجاب عن المغرب فوال صاحب الخلاصة لما اختلت الأمور على ابن الحجاب اجتمع
 الناس وعزلوه فبلغ ذلك هشام فكتب وكتب إلى ابن الحجاب بالعودة فخرج في جمادى الأولى سنة ثلاث
 وعشرين ومائة والله أعلم

في ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله

لما انتهى إلى الخليفة هشام ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب والأندلس وخلعهم للطاعة شق ذلك
 عليه واستنصف ابن الحجاب فكتب إليه يستقدمه وولى على المغرب كلثوم بن عياض القشيري ووجه
 معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف إليه من جوع البلاد التي مر بها سبعون ألفا على ما قبل

ولما انتهى كلثوم الى القبر وان أسله السيرة في أهلها فكتبوا الى حبيب بن أبي عبيدة وهو يومئذ بتلسان
مواقف البربر يشكون منه اليه وكان لا ل عقبه بالمغرب وجاهل لم تكن لغيرهم فكتب اليه حبيب
بنهائه ويتوعده فاعتذر كلثوم وأغضى له عليها ثم استخلف على القبر وان عبد الرحمن بن عقبة وسار يوم
المغرب في جموعه وعلى مقدمته ابن أخيه بلج بن بشر القشيري غر على طريق سبيبة وانتهى الى تلسان
فلقي حبيب بن أبي عبيدة فاقبلته ثم اصططحا وزحفا جميعا الى المغرب الاقصى فنهض اليهم البربر وكان
اللقاء على وادي سبوا من أعمال طنجة وقال ابن خلدون في أخبار البربر ان الخليفة هشام ولى كلثوم
ابن عياض على المغرب سنة ثلاث وعشرين ومائة وسرحه في اثني عشر ألفا من أهل الشام وكتب الى
ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه فزحف الى افرقيصة ثم الى المغرب حتى بلغ وادي سبوا فبرز اليه
خالد بن جيد الزناتي فيمن معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصون فلقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا
مقدمته فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وكثير من الجنود واقتربت العساكر فغضى
أهل الشام الى الاندلس مع بلج بن بشر ومضى أهل مصر وافريقية الى القبر وان وما ذكره من ان
خالد بن جيد هو الذي هزم جيوش كلثوم في هذه الواقعة هو قتيبي ماسبق من ان ميسرة قتل في ولاية
عبيد الله بن الحصباء وجزم ابن حيان بان الذي هزم جيوش كلثوم هو ميسرة الحفص واقصر عليه ابن
خلدون في أخبار بني فاتن قال انتهت مقدمة كلثوم بن عياض الى سبوا من أعمال طنجة فلقه البربر
هناك مع ميسرة وقد غصوا عن أوساط رؤسهم وتنادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه
وقتلوه وكان كيدهم في لاقائهم اياه ان ملأوا الشنان بالحجارة وربطوها في أذنان الخيل ثم أرسلوها في
جيش العرب فكانت الحجارة تقع في شنانهم وخيل العرب تنفر حتى اختل مصافهم وقتل الخزرجية عليهم
فاقتروا وذهب بلج مع الطلائع من أهل الشام الى سبتة ورجع أهل مصر وافريقية الى القبر وان وظهرت
الخوارج في كل جهة واقطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى أن هلك ميسرة وقام برياسة مضجرة من بعده
يحيى بن حارث منهم اه كلام ابن خلدون فاضطرب النقل في هذه الواقعة كما ترى والله أعلم بالصواب
وقال ابن حيان ان كلثوم بن عياض لما نهزم جيوشه فجاور يحا الى سبتة في أهل الشام ومعه ابن
أخيه بلج بن بشر بن عياض وحاصرهم البربر بها ولما اشتد حصارهم بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات
ولقوا من الجهد الفاية استغاوا باخوانهم من عرب الاندلس فتقابل عنهم صاحبها عبد الملك بن قطن
خلوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضررهم عند جالات العرب أشفقوا عليهم فاعانهم زياد بن عمرو
الضمي بمركبين مشحونين بميرة أمسكت من أرمافهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضررهم بمائة سوط
ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب الجند عليه فعمل عينه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا وانفق في هذا
الوقت ان بريرة الاندلس لمابلتقهم ما كان من ظهور بريرة العسوة على العرب انتقضوا على عرب
الاندلس واقعدوا بما فعله اخوانهم بالمغرب وتغطفوا لما كانوا غافلين عنه قبل ذلك من الخلاف على
العرب ومزاجتهم في سلطنتهم وأصل ذلك كله النزعة الخارجية فاستفحل أمرهم بالاندلس وكثر
ايقاعهم بجيوش ابن قطن فخاف ان يلقي منهم ما لقيه العرب بالمغرب من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا
على قصده فلم ير أجدى له من الاستعداد بصالح العرب الشام أصحاب بلج المورتورين بسبتة فكتب الى بلج
وقدمات همه كلثوم فاسرعوا الى اجابته وكانت تلك أمنيته فاحسن اليهم وأسبغ النعمة عليهم وشرط
عليهم أن يقيموا عنده سنة واحدة حتى اذا فرغوا له من البربر انصرفوا الى مغربهم ونحو جواله عن
اندلسه فرفضوا بذلك وما هددوه وأخذ منهم الرهان عليه ثم قدم عليهم ابنيه قطن وأمية والبربر في جوع
لا يحصى ها غير رازقها فاقبلوا وقتالوا مع فيه المقام الى ان كانت الدبرة على البربر فقتلهم العرب باقطار
الاندلس حتى ألحقوا قلوبهم بالثغور وخفوا عن العيون ففكر الشاميون وقدامت آلات أيديهم من الغنائم

فأشبهت شوكهم ونابت همهم وبطروا ونسوا اليهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الأندلس فعملوا عليه وذكروا صنيعهم أيام انحصارهم بسبته وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فغاصوه وقتلوا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وأغروه بقتله فأتى فثارت الممانية وقالوا قد جيت اضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر ابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامه قد شهد وقعة الحررة بالمدينة فجعلوا يسبونونه ويقولون له أقلت من سيوفنا يوم الحررة ثم طالبتنا تلك الترة فمررتنا لا كل الكلاب والجاود وحسبنا بسبته محبس الضمك حتى أمتنا جوامققتنا وه وصلبوه في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة وصلبوا عن يمينه خنزير وعن يساره كلبا واستولى بلج على الأندلس وكانت خطوب يطول ذكرها والله على العون والتوفيق

في ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب

لما سمع الخليفة هشام بجاري على كثوم وأصحابه قامت قيامته فوجه حنظلة بن صفوان الكلابي وهو أخو بشر بن صفوان المتقدم واليالي على المغرب فقدم القبروان سنة أربع وعشرين ومائة فوجد هوارة وهم ولده هواري بن أوريد بن برنس خوارج على الدولة ورئيساهم عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد ابن زيد الهواري وكانا على مذهب الصفرية فلما استقر حنظلة بالقبروان لم يلبث إلا يسيرا حتى زحف إليه عكاشة وعبد الواحد في هوارة ومن تبعهم من البربر فخرج اليهم حنظلة والتقا على القرن من ظاهر القبروان فهزمهم بعد قتال صعب واستلمهم وقتل عبد الواحد وأخذ عكاشة أسيرا ولما جئ إليه مكاشفة في رقتهم برأى عبد الواحد صعبا شكرا لله تعالى على ما مضى من الفتح وأمر بعكاشة فقتل وأحسيت القتل في ذلك اليوم فكانوا مائة وعشرين ألفا وكتب حنظلة بذلك إلى الخليفة هشام وسامعها الليث بن سعد فقال ما غزوه كنت أحب أن أشهدا بعد غزوه بدر أحب إلى من غزوة القرن والاصنام ثم وجه حنظلة أبانا بطارحسام بن ضرار الكلابي واليامن قبله على الأندلس فركب إليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الأندلس واستقام أمرهم حينئذ من الدهر ثم نزل عليه الصميل بن حاتم الكلابي وخلعه في خبر طوبل ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال إلى أن طرق الغلظل الخلافة بالشرق وخفت صوته لما حدث في بني أمية من قتل الوليد الفاسق وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان الحار آخر خلفائهم وأفضى الأمر إلى الأدلة منهم بني العباس فأجاز عبد الرحمن بن حبيب الفهري من الأندلس إلى المغرب وغلب حنظلة عليه سنة ست وعشرين ومائة على ما ذكره

في ذكر صالح بن طريف البرغواطي المتني وخزقته

وفي هذا التاريخ كان ظهور صالح بن طريف البرغواطي الذي ادعى النبوة بتامسنا من بلاد المغرب الأقصى على ساحل البحر المحيط فبما بين سلا وآسفي وبرغواطة بطن من المصامدة على ما حققه ابن خلدون وكان أبوه طريف بكني أبا صبيح وكان من قواد ميسرة الخضير القائم بدعوة الصفرية ولما انقرض أمر ميسرة بقي طريف قائما بأمر برغواطة بتامسنا ويقال أنه تنبأ أيضا وشرع لهم الشرائع ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح هذا وقد كان شهد مع أبيه حرب ميسرة قال ابن خلدون في وكان من أهل العلم والخبر ثم انسحق من آيات الله واتصل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المؤرخين قال في القرمطاس كان الضلال الذي شرع لهم أنهم يقررون بنبوته وأنهم بصومون شهر رجب ويأكلون شهر رمضان وفرض عليهم عشر صلوات خصال الليل وخمسائين النهار وأن الاضحية واجبة على كل شخص في الحادي والعشرين من المحرم وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والغصرتين وأمرهم أن لا يفتسلا من جنباته إلا من حرام وصلاتهم إيماء لا يصح فيها الكتم بسجود في آخر ركعة

خمس مبيعات ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك يا كساي وزعم ان تفسيره بسم الله وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشئ من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا يطهره من ذنبه الا بالسيف وان الدابة تكون من البقر وحرم عليهم رؤس كل حيوان والدباجة مكرهه أكلها وقدوتهم في الاوقات الدينية وحرم عليهم ذبحها وأكلها ومن ذبح بكا أو أكله أعق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بياض ولا تهم على سبيل التبرك فكان يصق في أكفهم فيلحسونه ويجعلونه الى امرئ منهم يستشفون به ووضع لهم قرأنا يقرؤنه في صلواتهم ويتلون في مساجدهم وزعم انه نزل عليه وانه وحى من الله تعالى اليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم غانون سورة ميمها لهم باسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هرون وسورة بني اسرائيل وسورة الاسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجبل وسورة الديك وسورة النحل وسورة الجراد وسورة هارون وماروت وسورة ابليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بحرم فيها وحل وشريع وفصل ونهي فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البكري عن زمرور بن صالح الواقدمتهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسمي قال وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة وهو قد قيل له ان ظهوره كان لا قبل له به وانه انفعل ذلك عناداً ومحاكاً لما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم والاوّل أصح ثم زعم انه المهدي الاكبر الذي يصرح في آخر الزمان وأن عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه وان اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الجهمي عالم وفي العبراني دوييل وفي البربري وارباومعناه الذي ليس بعده نبي ثم خرج الى المشرق بعد ان ملكهم سبعاوآر بعين سنة وبعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بينه بالتمسك بدنيته فتواروا ضلالتهم من بعده الى أواسط المائة الخامسة وكان للدول فيهم ملاحم الى ان جاءت دولة المرابطين فحوّأثر بدعتهم وسنيد القول فيهم باديست من هذا عند الوصول اليها ان شاء الله

والخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم

كان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه واليا على المغرب كما هو الذي افتتح الأقصى منه ولما استشهد بالرب بقي نوه به فكانت لهم جاهدة معروفة بين أهلها فكان أبيهم عقبة من جهاد العدو وما فتح الله على يده من الاقطار واختطاطه مدينة القيروان التي هي كرمى الامارة فكان ما فتح الله أهل المغرب من الاسلام والدين كله في حقيقته فيا لوابذلك شرفا غاصا زيادة على شرف القرشبة وعز الفهرية فكان يكون لهم الشغوف في بعض الاحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم وقد تقدم لنا في أخبار موسى ابن قمبر انه استعمل ابنه عبد العزيز على الاندلس فتار عليه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وقتله باغرا سليمان بن عبد الملك وتقدم ايضا ما كان منه الى كلثوم بن عياض عند قدومه القيروان من التوسع حتى أدى ذلك الى معاتلتها ولما قتل حبيب هذا في وقعة كلثوم المتقدمة كان ابنه عبد الرحمن ابن حبيب صاحب الترجمة في جملة أصحاب بلج الناجين الى سبته ولما قتل أصحاب بلج عبد الملك بن قطن الفهري وصلبوه كما هو فارقههم عبد الرحمن هذا لما صنعوا بان عمه وعزم على الطلب بدمه فاجتمع اليه نحو مائة ألف من عرب الاندلس وبربرها وعدا الى بلج فقتله في خبر طويل ثم حاول عبد الرحمن التغلب على الاندلس فلما قدم أبو الخطار واليا عليها من قبل حنظلة بن صفوان أنيس منها وركب البحر الى المغرب فاحتل بتونس في جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وقد توفي هشام وولى لخلافه بعده الوليد بن

يزيد الفاسق قد عاهد الرجن أهل تونس الى نفسه فأجابوه وبلغ ذلك حنظلة صاحب القبر وان فكره
 قتال المسلمين وسفلك دمايتهم فبعث اليه جماعة من وجوه الجند يدعونه الى الطاعة فلما وصلوا اليه انتهر
 الفرصة وأوقفهم في الحديد وأقبل بهم الى القيروان فيمن اجتمع اليه وأرسل الى أوليائهم يحذروهم قتاله
 ويقول ان ربيتم ولو بحجر قتلتم من في يدي فاجموا عنه ضنابا سرفهم عن القتل وعلم بذلك حنظلة
 فارتحل الى المشرق سنة سبع وعشرين ومائة ودخل عبد الرجن القيروان فتمكن منها واستولى على
 المغرب وهو أول متقلب عليه قالوا لما ولى مروان بن محمد المعروف بالحارث الخليفة بعث اليه بعهد وكان
 أمر البربر يومئذ قد تفاقم وداء الخوارجية قد أعفل ورؤسها قد نبغت في كل جهة فانتقضوا من أطراف
 البقاع وتواثبوا على الأمر بكل مكان داعين الى بدعتهم وتولى كبر ذلك منهم من حاجة فانهم اتفوا على
 كبيرهم ثابت الصنهاجي وقتلوا على باجة وثارت هوارق بطرابلس ملتفين على رئيسهم عبد الجبار
 والحارث وغير هؤلاء وكانوا على مذهب الاباضية فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي لما خرج
 يدعوهم الى السلم وعظم الخطب فرحح اليهم عبد الرجن بن حبيب سنة احدى وثلاثين ومائة فظفر
 بالصنهاجي والمواري وقتلها ما وصل جوعهما ثم زحف الى عروبة بن الوليد الصغري وكان قد نارت بتونس
 فقتله واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من افرقية ثم زحف سنة خمس وثلاثين ومائة الى جوع
 من البربر كانوا قد تجمعوا بنواحي تلمسان فظفر بهم وقتل جمعهم ورجع ثم أغزاجيشافي البصر الى امصقلية
 وآخر الى سردانية فاختنقوا أم الفرج حتى أذعنوا للجزية ودوخ عبد الرجن أرض المغرب وأذل
 المعتادين الى ان كان ما ذكره وهو أما أهل الاندلس في فانهم كانوا قد خلعوا بابا الخطار ولو اعلمهم ثوبة
 ابن سلامة الجذافي فقال ابن بسكوال كلما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرجن بن حبيب فكتب اليه
 بعهد وذلك سلخ رجب سنة سبع وعشرين ومائة فضبط البلاد واستقر والياستين وأوضاعها ثم هلك وولى
 أهل الاندلس عليهم يوسف بن عبد الرجن بن حبيب وهو ابن صاحب الترجمة في ذكر الرازي في أن
 مولده كان بالقيروان وأنه لما استولى أبوه على المغرب خرج يوسف هذا مقاضا له لأمرا اقضى ذلك فقدم
 الاندلس واستوطنها وسادها فأقامه أهلها واليساعليهم بعد أميرهم ثوبة وقدم كثر افضى أربعة أشهر
 وكان اجتماعهم عليه بإشارة العميل بن حاتم الكلابي فاستبد يوسف بالاندلس وضبطها الى ان دخل
 عليه عبد الرجن بن معاوية الأموي المعروف بالداخل فانتزعها منه وأورث ابنه كاسياني ولما استقر
 قدم الدولة العباسية بالمشرق وانقرض أمر بني أمية سنة اثنيتين وثلاثين ومائة وذهبوا في كل وجه أفلت
 عبد الرجن بن معاوية هذا وقصد المغرب فاجتاز بالقيروان وبها عبد الرجن بن حبيب صاحب الترجمة
 فارتاب به وعزم على قتله فجبا الأموي الى الاندلس وكان من أمره ما كان في ذكر ابن حيان في أن
 عبد الرجن بن معاوية الأموي سار حتى أتى افرقية فنزلها وقد سبقه اليها جماعة من فل بن بني أمية وكان
 عند صاحبها عبد الرجن بن حبيب يهودى حدثا في قد تعجب مسلمة بن عبد الملك فكان يسكن له ويخبره
 بتغلب القرشي ومملكة الاندلس ويرثه ما عقبه من بعده وان اسمه عبد الرجن وهو ذو صغيرتين ومن
 بيت الملك فاتخذ الفهرى صغيرتين أرسلهما رجا أن تناله الرواية فلما جرى اليه بعهد الرجن الأموي
 ورأى صغيرتيه قال اليهودي هو هذا وأنا قتاله فقال له اليهودي ان قتله فإهوبه وان غلبت عليه فإنه
 له وفضل فل بن بني أمية على ابن حبيب فطرد كثير منهم خوفا على ملكه ثم قضى على ابنه الوليد بن يزيد
 كائنا قد استجار به فقتلها وأخذ ما لا كان مع اسمعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان وغلبيه على اخته
 فترجوها عسا وطلب عبد الرجن الداخل فاختفى كذا ابن حيان في وعند ابن خلدون في ان الاخت
 المذكوورة زوجها عبد الرجن من أخيه الياس بن حبيب ولما قتل ابن حيان ماتت على أمهات ذلك وأغرت
 زوجها واستفسده على أخيه حتى قتله كذا ذكر وذلك انه لما انتظم أمر الدولة العباسية بالمشرق

وبيع السفاح ثم المنصور بعده كتب الى عبد الرحمن بن حبيب يدعو الى الطاعة والبيعة فاجابه ودعاه وبعث اليه هدية فيها زاه وكلاب وذهب قليل وذكر ان افرقية اليوم اسلامية وقد انقطع السبي فغضب المنصور وكتب اليه يتوعده وبعث اليه مع ذلك بخمسة الامارة فترجع عبد الرحمن بيده من الطاعة ومرض الخليفة على المنبر فوجد اخوه الياس بن تلك السيل الى ما كان يحاول عليه ودخل وجوه الجند في القسك به واعادة الدعوة للخليفة المنصور وماله على ذلك اخوه عبد الوارث بن حبيب واحسن عبد الرحمن منهما بالشرفا من الياس بالمسير الى تونس فظهر الامتثال ثم جاء ليودعه ومعه عبد الوارث وكان عبد الرحمن مريضاً فدخل عليه وقتله على فراشه آخر سنة سبع وثلاثين ومائة لعشر سنين وسبعة أشهر من تغلبه على المغرب

استيلاء الياس بن حبيب على المغرب

لما قتل الياس باخيه عبد الرحمن معتد عليه بتغلبه طاعة الخليفة فرباه حبيب بن عبد الرحمن الى تونس بعد ان طابره وضبطوا ابواب القصر لئلا يخذوه فلم يظفروا به وكان عمه عمران بن حبيب واليا بتونس من قبل أبيه فلحق به وتم الامر للياس واستولى على القيروان ثم زحف اليه عمران وحبيب فحين اجتمع اليهما وخرج الياس للقائهم فالتقوا واقتلوا امليا ثم اصططحو على أن يكون لحبيب قصبة وقسطنطة وسائر بلاد الجريد ولعمران تونس وسطوفة والحزيرة ولا لياس القيروان وسائر افرقية والمغرب وتم هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة وسار حبيب الى عملة من بلاد الجريد وارحل الياس مع اخيه عمران الى تونس ولما وصل اليها غدر الياس بعمران فقتله وقتل جماعة من الاشراف معه وقيل غره الى الاندلس وعاد هو الى القيروان فبعث بطاعته الى أبي جعفر المنصور مع قاضي افرقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وصفاته أمر المغرب ونقل عليه مكان حبيب فاحتال عليه حتى أركبه البحر الى الاندلس وأركب معه أئمة عبد الوارث فردهم قاصف من الرمح الى طبرقة وكتبوا يخبرهم الى الياس فليج في طردهم وتسامعت هو الى عبد الرحمن وشيعته بان مولا هم قتلوا عوا اليه وأنزلوا من السفين والتفوا عليه وزحفوا به الى تونس فلكوها وخرج الياس لقتالهم فالفروا الى القيروان وملكوها عليه وقتلوا الصبور فرجع الياس لقتالهم وقد فرأ كثر من معه الى حبيب ولما تراء الجمعان حول القيروان برز حبيب فنادى بأعم لم تقتل أولياءنا وصنائعنا وهم جنتنا فسلم السبر فأنا غلب ملك فصاح الجيشان بتصويب رأيه فبرزوا ونصاروا حتى عجب الناس من صبرهما ثم قتل حبيب الياس ودخل القيروان فلكها آخر سنة ثمان وثلاثين ومائة فكانت ولاية الياس نحو سنة ونصف وفي هذه السنة استولى عبد الرحمن ابن معاوية الاموي على جزيرة الاندلس انتزعها من يد اميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري وهو أخو حبيب المذكور آنفاً قال ابن حبان كان تغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك بقرطبة يوم الاضحى لعشر خاوين من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة واستقام أمره بالاندلس وبني المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأتفق فيسنة ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور العباسي ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها الملك العظيم لبني مروان وخرجت الاندلس من يومئذ عن نظر صاحب القيروان بل وعن نظر الخليفة بالمشرق والله غالب على أمره

استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وقتنة حاصم بن جيل المتنبئ ومقتله

لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس وتمكن من القيروان طلب عمه عبد الوارث لشاركه في دم أبيه كما أمره عبد الوارث الى ورجومة احدى بطون نفراو بن لوى من البرابرة البستري فقتل على كبيرهم حاصم بن جيل وكان كاهنا يدعى النبوة فاجاره ثم نهض اليهم حبيب فاوقعوا به وهزموه الى قابس والله

واستعمل أمر عاصم وشايعه على شأنه من رجالات نفزاوة عبد الملك بن أبي الجعد الورغومي وزيد بن
سكوم والهامي وكان على رأي الاباضية وانضحت اليهم سائر نفزاوة واشتد شوكتهم وكان قيامهم أولا
بدعوة الخليفة المنصور ولما بقي أهل القيروان فوضى بسبب فرار أميرهم إلى قابس كتب من يها من
العرب إلى عاصم هذا يدعونه للقدوم عليهم والقيام بأمرهم بشرط الدعاء للنصور فأبى وقال لهم فزهمهم
ودخل القيروان عنوة واستباح أهلها وخرب مساجدها وأهانهم ثم سار إلى حبيب بقابس بعد أن
استخلف على القيروان ومن بقي بها من نفزاوة عبد الملك بن أبي الجعد فقاتل حبيبا وهزمه فلق حبيب
بجبل أوراب وأجاره أهله ثم زحف اليهم عاصم فزهموه وقتلوه واستلمه واجاعة من أصحابه وقام بأمر
ورغومة والقيروان من بعده عبد الملك بن أبي الجعد وأهل القيروان أثناء هذا كله في غاية المذلة
والهوان مع البربر ثم زحف حبيب إلى القيروان فبرز إليه عبد الملك وهزم حبيبا وقتله في المحرم سنة
أربعين ومائة فكانت ولايته نحو ثلاث سنين وانقرض بمقتله أمر آل عقبة من المغرب والبقاء لله وحده

استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب

لما قتل عبد الملك بن أبي الجعد الورغومي حبيب بن عبد الرحمن الفهري رجع في جوع البربر إلى القيروان
فلكها وأمر أمر ورغومة واستطاع إلى أهل القيروان وقتلوا من يها من قريش وسائر العرب حيث
وجدوا وعاملوهم معاملة المكانيين لآل ادريس واستحووا من الحرمان ما لم يستخلفه عاصم بن جيل
قبلهم حتى لا قدر بطوادابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على أهل القيروان واقرقوا في النواحي فراروا
بانفسهم وشاع خبرهم في الآفاق فحينئذ قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع الملقب بالمعافري من رجالات
العرب وكان على رأي الاباضية باحوار ابلان منكر الفسل ورغومة ومغبر اعليهم حسبما ذكر

استيلاء عبد الأعلى بن السمع على المغرب وظهور الصغرية من آل مدرار
المكانيين وبنواهم مدينة مجملامة

كان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع الملقب بالمعافري من وجوه العرب وكان على رأي الاباضية كما قلنا ولما
بلغه ما ذكره يكتبه ورغومة من أهل القيروان امتنع لذلك وقام محتسبا عليهم وشايعه على ذلك
برأية طرابلس وتولى كبر ذلك هوارة منهم وهوارة إحدى بطون أوربة من البرانس فاجتمعوا
إليه وتقدم بهم إلى طرابلس فلما كان زحف إلى القيروان سنة إحدى وأربعين ومائة تفرج إليه
عبد الملك بن أبي الجعد في جوعه فانزل عنه أهل القيروان لسانا منهم من صفوه وعصف قومه فانهم
وقتل واستولى أبو الخطاب على القيروان وأنحن في جوع عبد الملك من ورغومة وسائر نفزاوة ثم ولي
على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو من أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية كان عبد الرحمن
هذه من موالى العرب ومن رؤس هذه البدعة فاستخلفه أبو الخطاب على القيروان ورجع هو إلى
طرابلس لقاء العساكر القادمة من جهة الخليفة المنصور على ما ذكره ولما حصل هذا الاضطراب
بالمغرب اجتمعت الصغرية من مكاسة بناحية المغرب الاقصى فتعصوا طاعة العرب ولوا عليهم عيسى
ابن يزيد الاسود من موالى العرب ورؤس الخوارج واخطوا مدينة مجملامة سنة أربعين ومائة من
الهجرة ودخل سائر مكاسة من أهل تلك الناحية في دينهم واقتطعوا مجملامة وأعمالها عن نظر
الولاة بالقيروان ومن هذا الاجتماع تنشأت دولة بني مدرار مولك مجملامة فان صغرية مكاسة
لما يابعو عيسى بن يزيد أقام أمير عليهم نحو خمس عشرة سنة ثم مخطوا أمرته وتقموا عليه بعض
أحواله فعمدوا إليه وأنقوه كنافر وضعوه على فنة جبل إلى أن هلك سنة خمس وخمسين ومائة واجتمعوا
بعده على كبيرهم أبي القاسم بن سمكون ولسول المكاسي الصغري كان أبوه سمكون من حلة الطرام فحل
إلى المدينة فأدرك التابعين وأخضعن عكرمة مولى ابن عباس قاله غريب بن جيد القرطبي في تاريخه وكان

في ولاية عمر بن حفص هزار مر دعلي المغرب

لم يبلغ الخليفة المنصور مقتل الاغلب بن سالم وجه مكانه عمر بن حفص من ولد قبضة بن أبي صفرة أخى المهلب بن أبي صفرة فقدم القير وان في خمسمائة فارس سنة احدى وخمسين ومائة فاستقامت أموره ثلاث سنين ثم خرج الى طنبه لإدارة السور عليها واستخلف على القير وان حبيب بن حبيب المهلبى فثار البربر بافرقية لما علموا من بعد الحامية عنها وغلبوا على من كان بها وزحفوا الى القير وان فخرج اليهم حبيب فهزموه وقتلوه وثار البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أباجاتم يعقوب بن ليث المغيلي مولى مكندة وتسامعت به خوارج المغرب فانتفضوا من كل ناحية ونبذوا من القننة من كل وجه وعادت هيف الى أديانها وكانت هذه الفتنة هي زبدة الفتن التي مختصتها الخوارج بالمغرب من لدن مسيرة انضمار الى الآن فانهم زحفوا الى عمر بن حفص وهو بطنبه من أرض الزاب في اثني عشر ألف عسكر فكان منهم أبو قرة اليفري في أربعين ألفا من المغربية وعبد الرحمن بن رستم صاحب ناهرت في خمسة عشر ألفا من الاباضية والمسورين هاني الزناقي في عشرة آلاف من الاباضية أيضا وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين من صنهاجة المغربية وجوهر بن مسعود المديوني فيمن تبعه من مديونة وانضم اليهم غير هؤلاء من خوارج هوار وزناتة ممن لا يحصى كثرة ولما اشتد الحصار على عمر بن حفص اجعل الحيلة في ايقاع الخلاف بينهم ودفعهم بالاموال وأرسل الى أبي قرة على يد ابنه أبي نوران يعطيه أربعين ألفا ولابنه أربعة آلاف على ان يرثل عنه فقبل وارثل يقومه وانقض البربر عن طنبه ثم سار أبو حاتم يعقوب بن ليث الى القير وان وحاصرها ثمانية أشهر حتى أكل أهلها الميتة ولما اشتد الحصار على أهل القير وان خرج عمر بن حفص من طنبه يريد أباجاتم والاباضية الذين معه وبلغ أباجاتم وأصحابه وهم محاصرون القير وان مسير عمر بن حفص اليهم فسار والقائه شمال هو من الاريس الى تونس ثم جاء الى القيروان فدخلها واستعد للحصار وضمها بالاقوات والرجال وأتبعه أبو حاتم والبربر وأبو قرة معهم في قومه وكانوا في ثلاثمائة وخمسين ألفا انجلى منهم خمسة وثلاثون ألفا والباقي رجالة وأحاطوا بالقير وان وعمر بن حفص داخلها واطال الحصار ثم بلغه الخبر ان المنصور وجه لاستنقاذ ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبى فانف من ذلك وقال لآخر في الحياة بعد ان يقال يزيد آخر وجه من الحصار اغما هي رفته ثم أبعث الى الحساب وخرج عمر فقاتل حتى قتل وأواسط حجة سنة أربع وخمسين ومائة وكان عمر هذا بطلا محصيا لقب هزار مر دوهو لفظ فارسي معناه ألف رجل ثم ولي الناس عليهم أخاه لاهم جيب بن صخر وانقض الحصار وأحرق أبو حاتم أبواب القير وان وثلم سورها وخرج أكثر الجند الى طنبه ودخل أبو حاتم القير وان فاستولى عليها ويقال ان ابن صخر وادعه على ما أحب والله تعالى أعلم

في ولاية يزيد بن حاتم على المغرب

لم يبلغ المنصور انتفاض افرقية على عمر بن حفص وحصاره بطنبه أولا ثم بالقير وان ثانيا بعث اليه يزيد بن حاتم بن قبضة بن المهلب بن أبي صفرة في ستمائة ألفا وبلغ خبره عمر بن حفص فجمعه ذلك على الاستقامة كما تقدم وبلغ أباجاتم وهو بالقير وان مسير يزيد بن حاتم اليه فخرج للقائه فلقبه يزيد بن حاتم بنو احي طرابلس واقتتلوا قتالا شديدا فانهم زم البربر وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفا من أصحابه وتبعهم يزيد بالقتل طلبا بدم عمر بن حفص ثم ارثل الى القير وان فدخلها يوم الاثنين لعشر مضت من جادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائة فهداهو رتب أسواقها وأفراد كل صناعة مكانا وجذب بناء معها وضبط الامور أحسن ضبط وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى مع أبي حاتم فلق بكمامة فبعث يزيد في طلبه المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتل جماعة ممن معه وهرب الباقيون في كل ناحية ونجى هو الى الاندلس وبعث يزيد المخارق أيضا على الزاب فقتل طنبه وأثنى في البربر وأوقع

بهم وقائع عظيمة وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ انتفضوا على عمر بن حفص الى ان قضاهم ثلاثمائة وخمساوسبعين سربا قاله ابن خلدون ثم انتقضت ورجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلا اسمه أوزر جونة فسرح اليهم يزيد بن حاتم من عسيريته يزيد بن مجزأة المهلبى فمزموه واستأذنه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبقة في الزحف الى ورجومة فأذن له وأمدّه بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبى من عسيريته أيضا فأوقع بهم وقتلهم أربح قتل وانتقضت فزأوة من بعد ذلك في سلطنة ابنه داود بن يزيد فاستأصلهم قتلا أيضا فركدت ربح الخوارج من البربر حينئذ وتداعت بدعهم الى الاضمحلال وقال ابن خلدون لم يزل أمر الخوارج بالمغرب يعنى أيام يزيد هذا في تناقض الى ان اضمحلت ديانتهم واقتربت جاعاتهم وبقيت آثار ضلعتهم في اعقاب البربر الذين دأبوا بها في صدر الاسلام في بلاد زناتة بالعصر اعمها أثرباق لهذا العهد وكذلك في جبال طرابلس أثرباق من تلك النحلة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء واستمر يزيد بن حاتم ضابطا لأمر افريقية والمغرب الى ان توفي بها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة في خلافة هرون الرشيد العباسي فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وولى الناس عليهم ابنه داود الى ان كان ما ذكره وكان يزيد رجه الله من السمحاء الامجاد والغضلاء الانجاد وكل بنى المهلب كذلك وهم ضرب المثل أبو محمد الحارثي في المقامات اذ قال وصاروا لادب أعلق بي من الهوى بيني عذرة والشصاعة بال أبي صغرة وقال الشاعر الجاسي

نزلت على آل المهلب شاتيا • بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل
فما زال بي معروفهم واقتادهم • وبرهم حتى حسبتهم أهلى

وقفا ما يزيد في هذا من بينهم فخاله في الشصاعة وجودة الرأى كما رأيت وأما الجود والسعاء فهو فيهما المثل السائر كان ربيعة بن ثابت الرقي الشاعر مدح يزيد بن أسيد بالتصغير السلي وهو وال على أرمينية فقصر في حقه ثم مدح يزيد بن حاتم فبالغ في الاحسان اليه فقال ربيعة من قصيدة

لستان ما بين اليزيد بن الندى • يزيد سليم والاعتر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى • فتي الازدلال موال غير مسلم
فهم الفتى الازدى اتلاف ماله • وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

ولا يتروح بن حاتم على المغرب

والمبلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم وكان أخوه روح واليا على فلسطين وكان أحد من يزيد استقدمه وعزاه في أخيه وولاه على المغرب فقدم القير وان منتصف سنة احدى وسبعين ومائة وكان يزيد قبله قد أذل الخوارج ومهد البلاد كما قلنا فكانت أرض المغرب ساكنة أيام روح ورغب في موادعته عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت فوادعه وقال ابن خلدون في أيام روح انخفضت شوكة البربر واستكانوا القلب وطاعوا للذين ضرب الاسلام بمجرائهم ألقت الدولة المضرية على البربر بكل سكلها كلام ابن خلدون • وفي أيام روح أيضا اجتاز الامام ادريس بن عبد الله ببلاد مصر وافرريقية ناجيا من وقعة فخ التي كانت بمكة لآل العباس على آل علي بن أبي طالب بدضى الله عنهم ودخل مدينة ولبلى من الغرب الاقصى سنة اثنتين وسبعين ومائة كما سبأني ان شاء الله في قال ابن خلكان في كان روح بن حاتم من الكرماء الاجوادولى خمسة من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ويقال انه لم يتفق مثل هذا الا لابي موسى الاشعري رضى الله عنه فانه ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله عنهم قال وكان روح واليا على السند ولاه عليها المهدي بن المنصور فلم يات أخوه يزيد بالقير وان ودفن بباب سلم قال أهل افريقية ما بعد ما يكون بين قبري هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فانفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل افريقية أول رجب

سنة إحدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها إلى أن توفي بها إحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ودفن مع أخيه يزيد في قبر واحد فقبب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد رجسهما الله (ثم ولي المغرب) من قبل الرشيد حبيب بن نصر الملهجي ثم غزاه سنة سبع وسبعين ومائة هو وولي على المغرب الفضل بن روح بن حاتم وقسله عبد الله بن الجار ودمت نصف سنة ثمان وسبعين ومائة وانقرضت بأقرضه دولة آل المهلب من المغرب ثم ولي الرشيد على المغرب هرثة بن أعين فبنى القصر الكبير بالمستير وبني السور على طرابلس من جهة البحر ولما رأى هرثة ما بالمغرب من كثرة الثوار وانحلال استغنى الرشيد من ولايتها فاعفاه لستين ونصف من ولايته ثم ولي الرشيد على إفريقية محمد بن مقاتل العمري وكان رضياعه فاضطررت عليه إفريقية وبلغ الرشيد ذلك وطلب أهل إفريقية من إبراهيم بن الأغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل أن يكتب إلى الرشيد في الولاية عليهم فكتب إلى الرشيد في ذلك على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر إلى إفريقية أمانة للولاية بها وعلى أن يحمل هو من إفريقية إلى الخليفة أربعين ألفا وبلغ الرشيد غناؤه وكفايته فاستشار فيه أصحابه فأشار هرثة بن أعين بولايته فكتب بالبعد على إفريقية منتصف أربع وعشرين ومائة فقام إبراهيم بالامر وضبط البلاد فسكنت واستراحت من الفتنة ابنتي مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل إليها بجماسته وأورث بإفريقية ملكا لبنيه من بعده وفي هذه المدة انقسم المغرب إلى ثلاث عمالك فكان بنو الأغلب بإفريقية والقيروان وبخوخر والغراوين بالمغرب الأوسط وتلمسان وبوادريس بالمغرب الأقصى وقبل أن يفرد الكلام عليه ذكر فصلان شريفيه إلى مذهب أهل المغرب وتخلطهم على الجملة والله الموفق

في القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا وما يتبع ذلك

قد تقدم لنا ما قاله الشيخ ابن أبي زهير رحمه الله من أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة وأنه لم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد موسى بن نصير وبعد قصص الاندلس ثم كل إسلامهم على يد اسمعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر وتقدم أن هريرة بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفتقون أهل المغرب في دينهم فكان المغاربة في صدر الإسلام ذلك على مذهب جمهور السلف من الأئمة واعتقادهم وهو المذهب الحق إلى أن حدثت فيهم بدعة الخاريجة لأول المائة الثانية من الهجرة تزع اليهم بها بعض أهل النفاق من خوارج العراق وبنوها فيهم فتلقوها منهم بالقبول وحسن موقعها اليهم بسبب ما كانوا يمانونهم من ثقل وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عاملها حسبما تقدمت الإشارة إليه فلقطهم أهل البدع أن الخلافة لا تسترط فيها القرشية بل ولا العربية وإن كل من كان أتى الله كان أحق بها ولو عبد حسب ما على ظاهر الحديث ودسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وقمعقاتهم وأروهم ما هم عليه من التملب في دينهم فظهر للبربر بادي الرأي أن تعمقهم ذلك إنما هو أثر من آثار الخشية لله ولظروف منه وإن ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا وغاب عنهم أن الدين يسر كما قال صلى الله عليه وسلم وإن ملة الإسلام عرفت من بين الملل بالخنيفية السخية لذلك والله تعالى يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج ومن آمن تطره في نصوص الشريعة من الكتاب والسنة علم يقين أن طريق النجاة إنما هي سلوك الوسط وإن كلاما من التعقيد والاحتمال ضلال وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقد قرر رجوع من الأئمة المتقدمين بهم كالغزالي في الإحياء وغيره أن الحمود في أمور الديانات كلها إنما هو سلوك الوسط بين الإفراط والتفريط وبه يتم ما إذا الله من خلقه وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وهذا صحت طويل نفيس وقد مرنا اليهم هذه النبهة البسيطة والتوفيق بيد الله وقد مرحت هذه البدعة الخارجية في البربر زمانا طويلا إلى أن اضمحلت في أواخر المائة الثانية وما بعدها ومع ذلك فقد بقيت منها آثار

في اعتقادهم من أصحاب الاطراف كاذكروه ابن خلدون والناقد بصير ولما ظهر الخلفاء من بني العباس
 المغرب من هذه النزعة الشيطانية أخذ أهل بعدهم مذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك
 المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالشرق والناس على قدم امامهم **هو** قال عياض في المدارك **هو** ظهر
 مذهب أبي حنيفة بأفريقية ظهورا كثيرا الى قريب أربع مائة سنة فأنقطع منها ودخل منه شيء الى
 ما وراءها من المغرب فدينا بدينه فاس وبالأندلس وسكنوا ظهور بالاندلس أيضا مذهب عبد الرحمن
 الاوزاعي من أهل الشام واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة
 وغيره الى مذهب الامام مالك بن أنس الذي هو مذهب السلف من أهل الحجاز فقال ابن خلكان في
 ترجمة المغزيين بادي الصنابحي المتوفى في أواسط المائة الخامسة ما نصه كان مذهب أبي حنيفة رضي
 الله عنه بأفريقية أظهر المذهب فعمل المغزي المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك
 رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن **هو** قلت **هو**
 كان المغزيون أسلافه من صناجة بأفريقية على مذاهب الرافضة من الشيعة أخذوه عن خلفائهم
 العبيديين أيام استيلائهم على المغرب في صدر المائة الرابعة وجاؤا الناس عليه واحتضنوه وطارت
 بدعتهم في أطراف المغرب كله فلما أفضى الامر الى المغزيين بادي المذكور قطع دعوة الشيعة من أفريقية
 ودعا الى العباس وحث الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وامام دوا الهجرة هذا والمعروف
 ان مذهب مالك ظهر أولا بالاندلس ثم انتقل منها الى المغرب الاقصى أيام الادارة وكذا ظهر بأفريقية
 ظهورا يسيرا قبل وجود المغزيين بل قبل استيلاء صناجة والعبيديين على المغرب وذلك على يد أسد بن
 الفرات وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بصنون وغيرهما من أئمة الفاروق نعم لما ظهرت دولة
 الشيعة بأفريقية حاولوا محوه فلم يتسرحهم ذلك وكان فقهاء المالكية في ذلك العصر معهم في محنة
 عظيمة منهم ابن أبي زيد القاسمي وأبو عمران القاسمي وطبق قسم ولم يزل الامر على ذلك الى ان نصره المغزي
 المذكور جزاء الله خيرا قالوا وكان ظهوره بالاندلس على يد الفقيه زباد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون
 فهو أول من أدخله بالاندلس وكانوا قبل ذلك يتفقهون على مذهب الاوزاعي امام أهل الشام لمكان
 الدولة الاموية منهم فلما ظهر مالك رضي الله عنه بالمدينة وعظم صيته وانتشرت قساويه بأطراف الارض
 رحل اليه جماعة من أهل الاندلس والمغرب كان من أمثلهم وأسبقهم شبطون المذكور وقرعوا من بني
 العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم أيام هشام بن عبد الرحمن الداخل فلما رجعوا وصفوا
 من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به ذكره بالاندلس فانتشر يومئذ علمه ورأيه بها
 وكان رائد الجماعة في ذلك هو شبطون كما قلنا وهو أول من أدخل كتاب الموطأ المغرب أتي به مكمل امتقنا
 فأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي ثم رحل بعد ذلك الى مالك فقرأه عليه وعاد الى الاندلس فقم ما كان قد
 بقي من شهرة المذهب المالكي **هو** قال ابن خزم **هو** مذهب انتشر في بدء أمرهم بالرياسة والسلطان
 مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي الرشيد أبا يوسف خطة القضاء كانت القضاء من قبله من أقصى المشرق
 الى أقصى عمل أفريقية ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول
 القول في القضاء وكان لا يلبى قاض في أطراف الاندلس الا بعشورته واختياره ولا يشير الا بما يحبه ومن كان
 على مذهبه والناس سرع الى الدنيا فقبلوا على ما رجحوا به بلوغ أغراضهم على ان يحيى لم يبل قضاء قط
 ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالة عندهم ودعا الى قبول رأيه لديهم **هو** وروايت **هو** في بعض
 التأليف في سبب ظهور مذهب مالك بالاندلس وللمغرب ان حاج المغرب والاندلس قدموا على مالك
 رضي الله عنه بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فقبل له انه يأكل الشعير
 ويلبس الصوف ويحادي في سبيل الله فقال مالك ليت القوم من مناخلة فذهب عليهم بنو العباس هذه

المقالة وكان ذلك سبب توصلهم الى ضربيه في مسئلة الكراه كما هو مشهور وبلغت مقالته صاحب
الاندلس فسرهم ما اوجع الناس على مذهبه فانتشر في اقطار المغرب من يومئذ والله أعلم وعمما يناسب
هنا ما نقله المؤرخون ان ابا عبد الله محمد بن خنبرون الاندلسي الاصل القبرواقي الداروحي الى المشرق
في صدر المائة الرابعة فأخذ عن علمائه وقرأه وعاد الى افرقية بقراءة نافع بن أبي نعم وكان الغالب
عليهم القراءة بعرف جزء فشاخ حرف نافع من يومئذ في اقطار المغرب بعد ان كان لا يقربه الا الخواص
واستمر الحال على ذلك الى اليوم فهذا حال أهل المغرب في الفروع وأما حالهم في الأصول والاعتقادات
فبعد ان طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولا والرافضية ثانيا فأقاموا على مذهب أهل السنة
والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الايمان بالمشابه وعدم التعرض له بالتأويل
مع التنزيه عن الظاهر وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها ولقد در القائل

عقيدتان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شيء عقيدة صائب

نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب

ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل الليب المراقب

وزكب للتسليم سقنا فانها * لتسلم دين المرء خير المراكب

واستمر الحال على ذلك مدة الى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل
الى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومناخى أصحابه من الجزم بعقيدة
السلف مع تأويل المشابه من الكتاب والسنة وتقريره على ما عرف في كلام العرب من فنون مجازاتها
وضروب بلاغاتها بما يوافق عليه النقل والشرع ويسلمه العقل والطبع ثم عاد محمد بن تومرت الى المغرب
ودعا الناس الى سلوك هذه الطريقة فجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره وسعى أتباعه الموحدين
تعرضا بان من خالف طريقته ليس بموحدا وجعل ذلك ذريعة الى الانتزاع على ملك المغرب حسبما تنق
عليه مفصل بعد ان شاء الله لكنه ما أتى بطريقة الأشعري خالصة بل مزجها بشيء من الخارجية
والشيعية حسبما يعلم ذلك بما عان النظر في أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده ومن ذلك الوقت
أقبل علماء المغرب على تعاطي مذهب الأشعري وتقريره وتصديره درسا وتاليا الى الآن وان كان قد ظهر
بالمغرب قبل ابن تومرت قطه وراما والله أعلم به وقد كان محمد بن عبد المؤمن بن علي وبنوه من بعده قد منعوا
الناس من التقليد في الفروع وجاؤا الاثمة على أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة على
طريقة الاجتهاد المطلق وحرر قواشيا كثيرا من كتب الفروع والحديثية التمهيد ووقع ذلك من بعض
علماء عصرهم موقع الاختصاص منهم الامام الحافظ أبو بكر بن العربي فقه - د ذكر في كتاب القواصم
والقواصم له ما يشعر بذلك قال بعد ذكره ما وقع بالمغرب من الفتن ما نصه عطفنا عن القول الى
مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى لما كثرت البدع وذهب العلماء وتعاطت المبتدعة منصب الفقهاء
وتعلقت أطماع الجهال به فغالوا به فساد الزمان ونفوذ وعد الصادق صلى الله عليه وسلم في قوله اتخذ الناس
رؤسا جها لا فستوا فاقفوا بغير علم فضاوا وأضلوا وبقيت الحال هكذا خانت العلوم الا عند أئمة الناس
واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل وذلك بقدره الله تعالى وجعل الخلف منهم يتبع السلف
حتى آلت الحال الى أن لا ينظر في قول مالك وكبراء أصحابه ويقال قد قال في هذه المسئلة أهل قرطبة
وأهل طليطكة وأهل طليطلة وصار الصبي اذا عقل وسلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى
ثم نقلوه الى الادب ثم الى المواطن ثم الى المدونة ثم الى وثائق ابن العطار ثم خصموا به باحكام ابن سهل ثم يقال
قال فلان الطليطلي وفلان الجربطي وابن مغيث لا أغاث الله فإرجع القهقري ولا يزال يعيش الى ورا
ولو ان الله تعالى مر بطائفة تفرقت في ديار العلم وجاءت بلباب منه كالقاضي أبي الوليد الباجي وأبي محمد

الاصلي فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الملية وعطروا أنفاس الامة الذفرة لكان الدين قد ذهب
ولكن نذارك الباري تعالى بقدرته ضرره هؤلاء بنفع هؤلاء وربما سكنت الحال قليلا والحمد لله اه والله
تعالى ولي التوفيق

في تسمية مهمة

قد ظهر بلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة لاسيما في المائة العاشرة وما بعده هادئة لبيعة وهي
اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم عن بشار اليه بالولاية
والخصوصية ويخصونه بزيد المحبة والتعظيم ويتسكون بخدمته والتقرب اليه قدرارا ندا على غيره من
الشيوخ بحيث يرسم في خيال جُلهم ان كل المشايخ أو جُلهم دونه في الميزة عند الله تعالى ويقولون نحن
أتباع سيدي فلان ونخدم الدار الغلانية لا يحولون عن ذلك ولا يزولون خلفا عن سلف وينادون باسمه
ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم اليه معتقدين أن التقرب اليه نافع والاعتراف عنه قبيح
صار مع ان النافع والضار هو الله وحده واذا ذكر لهم شيخ آخر أودعوا اليه حاسوا حصة جروا وحش
من غير تبصر في أحواله هل يستحق ذلك التعظيم أم لا فصار الامر عصيا وصارت الامة بذلك طرائق
قددا في كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا الم يكن معروفا في سلف الامة الذين هم القدوة لمن بعدهم
وغير الشارع انما هو في الاجتماع وتعام الامة واتحاد الوجهة وقد قل تعالى لاهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية وقد ذم قوم افرقوا دينهم وكانوا شيعا وانما الشأن في أهل الخصوصية
والدين ان يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كاسنان المشط بحيث يحبه الله وفي الله ويستشفع بهم الى الله
ويسأله تعالى ان يكرمهم بما أكرمهم به من الخير والهدى والدين وأصبح حب التشريع لاحب التيسيع
وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب فان ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم
عند الله وذلك محبوب عنا واذا زلت به حاجة فليغنى عن قضائنا الى مولا الذي خلقه ورزقه مستغفرا
اليه بنبيه الذي هداه للايمان على يده ثم يخاص الامة الذين هم أبناؤنا في الدين فان المطلوب من العبد
ان يصرف وجهته وقصدته في جميع أمورهِ ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها الا منه ولا يتسكى فيها
الا عليه فاطع النظر عن كل ماسواه اللهم الاعلى سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا هذا هو التوحيد الذي
بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم واليه دعا وعليه قاتل وسواه شرك ومنابذ لما جابه ان هذا هو القصص
الحق وما من اله الا الله الآية ثم استرسل هؤلاء الطغام في ضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات
معاومة في مكان مخصوص أو غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة فحاشيت من طست وطار وطبسل
ومن مار وغنا عور قص ونخبط بالرجل ونحس وربما أضافوا الى ذلك نارا أو غير هاتئ تعالونه على سبيل
الكرامة برعهم ويستغرقون في ذلك الزمن الطويل حتى يضي الوقت والوقت من أوقات المصلوات
وداعى الفلاح ينادى على رؤسهم وهم في حيرتهم يسمعون لا يرفعون به رأسا ولا يرون بما هم فيه من
الفسلال بأسا بل يعتقدون ان ما هم فيه من أفضل القرب الى الله تعالى الله عن جهالاتهم علوا كبيرا
ولا تحيد في هذه الجماع الشيطانية غالبا الا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل عن لا يحسن الفاتحة فضلا عن
غيرها مع ترك الصلاة طول عمره أو من في مضاه من معنوه ناقص العقل والدين فشا أخرج هؤلاء
الفسقة الى محتسب يغير عليهم ما هم فيه من المنكر العظيم واللبس المقيم وأعظم من هذا كله انهم يغفلون
تلك الحضرة غالبيا في المساجد فانهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالمحراب والمنار
وغير ذلك ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة فكروا بنام عود ورباب ومن مار على أخفش الهيات في
محارب المصاوات ومن يدعهم الشنيعة محاكلتهم أضرحه الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل
الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمنا

وسوق النبايح اليها على هيئة الهدى واتخاذ الموسم كل عام وهذا أو أمثاله لم يشرع الا في حق الكعبة
ثم يقع في ذلك الموسم ولا سيما موسم البادية من المناكر والمغاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات
متبرجات شأن أهل الاباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ماتهم عنه الاذان ولا منكر ولا منبر
ولا تمتنع للدين لابل الحسب فاما الذين عنده هؤلاء فلا دين فان الله وانا اليه راجعون على ضيعة الدين
ومغلة أهله عنه وبالله وبالمسلمين هؤلاء الهج الرعاع الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين
والانسانية جملة فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة صدور الهائم ولا في نخوة السباع فيغضبوا الدينهم
ومروءتهم فيؤرم جهالاتهم القطيعة فيجمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التنظيم كالقسم
والاستعطاف وغيرهما فاذا أقسموا قالوا وحق الله وحق سيدي فلان واذا عزموا على أحد قالوا دخلت
عليك يا الله سيدي فلان واذا سألوا قالوا من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان فيعطون اسم العبد على
اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة في مقام قدحظر الشارع أن يتجاوز فيه اسم الله الى
غيره وهذا هو صريح الشرك فيؤمن مناكرهم الجديرة بالتغيير في اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم
عرفة بصرح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ويؤمنون ذلك حج المسكين فانظر الى هذه
الطامة التي اخترعها هؤلاء العامة فيؤمنوا اختراعاتهم في تسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا أخذوا من اسم
حضرة الله تعالى في اصطلاح الائمة العارفين من الصوفية كأهل رسالة القشيري ومن في معناهم
فأوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى ثم
يذهبون فيؤمنون بنوعهم وتخططهم على تلك الطبول والمزامير بالحلال أخذوا من الحلال التي تسمى السالك
الى الله تعالى في حال ترقية في درجات المعرفة والوصول وهذا العمر الله من أفتح الضلالات وأشنع
الجهالات الى غير هذا إنما أغنى فيه العيان عن الخبر وعرفه الخاص والعام في حالي الورد والصدر ولستنا
نذكر على أولياء الله وأهل الخصوصية منهم أو على من يسلك سبلهم على الوجه المقرر في كتب الائمة
المقتدى بهم منهم وإنما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأوا الى امر من باب ولا أخذوه عن أربابهم وإنما حالهم
ما رأيت همة من له القدرة والتصرف الى حسم هذه الضلالات وقطعها عسى أن يرجعنا بنا ويبركسرنا
ويكبت عدونا اذا نحن واجهنا ديننا وسنة نبينا ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وقد أن أن نفرد الكلام على المغرب الاقصى عنده
ما استولى عليه المولى ادريس بن عبد الله ونوه من بعده واقطعوه عن نظر الخلفاء المشرق وصبروه
ملكه مستقلة اذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا حسبما تقدمت الاشارة اليه مقدمين لذلك ما يجب
تقديمه من الاشارة الى امر الخلافة وتنازع أهل الصدر الاول في استحقاقها ومن هو أولى بها ثم نخلص
منه الى المقصود بالذات والله الموفق

في الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى وذكر السبب في أوليها

اعلم انه قد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر في قريش لا يعادهم أحد
الا كبة الله على وجهه ما أقاموا الدين وفيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر في قريش
ما بقي منهم اثنان وغير ذلك فيقال الحافظ ابن حجر في لوقد قرئ في فكان في رجل من بني اسمعيل ثم عجمي
على ماني التهذيب أو جرمي على ماني التمة ثم رجل من بني اسحق وأن يكون فصاعا لغزو بنفسه ويعالج
الجيش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بان يكون مسلما مكافحا أعدلا

ذكر اجتهاد اذارى وسمع وبصر ونطق وتعتقد الامامة ببيعة اهل البيت والعقد من العلماء ووجوه
الناس المتيسر اجتماعهم وباستحلاف الامام من بعينه في حياته ويشترط القبول في حياته ليكون
خليفة بعد موته وباستحلافه على الامامة ولو غير اهل لها كعبي وامرأة ان قهر الناس بشوكته
وجنده وذلك لينتظم امر المسلمين اه ثم يقول قد تنقسم لنا امر الخلافه الا وبعده رضى الله عنهم بعد
النبي صلى الله عليه وسلم وان السلف اطيعوا على ان ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافه
وتقدم لنا ايضا ما كان من على معاوية رضى الله عنه ما وان ما صدر منهما كان اجتهاد المحض وطلبا
للحق وان الصواب كان مع على رضى الله عنه والكل ما جوره ثم لما قتل على رضى الله عنه بايع اهل
العراق ابنه الحسن رضى الله عنه وزحف اليه معاوية في اهل الشام وراى الحسن ما في حق دماء
المسلمين وجع كلهم من الثواب عند الله والصكرامة لديه فاختر الاخرى على الدنيا وقدم الاجل
على العاجل وسلم الامر الى معاوية على شروط معروفة واصح الله بين فئتين عظمتين من المسلمين
كما قال جده صلى الله عليه وسلم وحاز معاوية الخلافه وصفته وتوارثها بنو أمية من بعده بعد
مقاتلات ومنازعات كانت من بني هاشم وغيرهم لهم بطول جلبها وكان السواد الاعظم من المسلمين
يروون ان بنى هاشم احق بالامر من بنى أمية لان بنى هاشم هم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعشيرته
الاقربون وهم اهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
فهم احق بمنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهذا الرأى صواب غير ان ذلك ليس بطريق
الوجوب عند اهل السنة بل بطريق الاحقية والاولوية اذا توفرت الشروط فيهم وفي غيرهم من سائر
بطون قريش والاثنان افردت به الشروط وجب المصير اليه وكان شيعة على بن ابي طالب رضى الله عنه
يوجبون الخلافه لبيته دون من عداهم ويزعمون ان ذلك كان بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم لعل
رضى الله عنه وهذه الوصية لم تثبت عند اهل السنة من طريق صحيح ومذاهب هؤلاء الشيعة في كيفية
سوق الخلافه في عقب على رضى الله عنه متعدده لاحاجة لنا بذلك كرها وكان بنو على رضى الله عنه في
الصدر الاول كثير ما ينشرون في النواحي شرقا وغربا طالبيين حقه في الخلافه منازعين فيها لى بنى أمية
اولا ثم لى العباس من بعدهم ثانيا واخبرهم في ذلك معروف وجلبه بطول الى ان كان منهم عبد الله بن
الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن ابي طالب رضى الله عنهم وكان من سادة اهل البيت يومئذ
وكان له عدة اولاد منهم محمد المعروف بالنفس الزكية وارايم ويحيى وسليمان وادريس وغيرهم ولما
صار امر بنى أمية الى الاختلال ايام مروان الحارث اخراجهم اجتمع اهل البيت بالمدينة وتشاوروا
فممن يقدمونه للخلافه فوقع اختيارهم على محمد بن عبد الله النفس الزكية فبايعوا له بالخلافه وسلموا له
الامر باجمعهم وحضر هذا العقد ابو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وذلك
قبل ان تنتقل الخلافه الى بنى العباس فبايع للنفس الزكية فممن بايع له من اهل البيت واجمعوا على ذلك
لتقدمه فيهم لما علوا له من الفضل عليهم وقال ابن خلدون ولما كان مالک وأبو حنيفة رجعا الى الله
يختبران له حين خرج بالخلافة وريان ان امامته اصح من امامة ابي جعفر المنصور لان عقده هذه البيعة اولا
وكان ابو حنيفة يقول بفضل ويخرج لحقه فتأدت الى الامامين المنحة بسبب ذلك ايام ابي جعفر المنصور
حتى ضرب مالک رضى الله عنه على القضاة في طلاق المكره وحبس أبو حنيفة رضى الله عنه على القضاء
ولما انقرضت دولة بنى أمية وجاءت دولة بنى العباس وصار الامر الى ابي جعفر المنصور منهم سعى عنده
بالبيت وان محمد بن عبد الله بروم الخروج عليه وان دعاه قد ظهر واخبر اسان فامر المنصور عامه
على المدينة فرباح بن عثمان المري بجس عبد الله بن حسن ومن اليه من آل الحسن بن على بن ابي طالب
لخبسه في جماعة من بنيه واخوته وبني عمه وقال ابن خلدون في خمسة واربعين من اكابرهم وقد

المنصور المدينة في حجة عهدها فساقهم معه الى العراق وحبسهم بصرى بن هبيرة من ظاهري الكوفة حتى
 هلكوا في حبسهم وجسد المنصور في طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه ابراهيم لكونهم جاثقيا
 فلم يحبسوا في جلة من حبس من عشرينهم ثم لما كانت سنة خمس وأربعين ومائة وأربع مائة وأربع مائة
 الطلب وأعييت عليه المذاهب ظهر بالمدينة المنورة ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واستفتى أهل المدينة
 الامام الكارضي الله عنه في الخروج مع محمد بن عبد الله وقالوا في أعناقنا بيعتنا للمنصور فقال انما يا نعم
 مكرهين قسارح الناس الى محمد وأجابوا دعوتهم ولزم الامام مالك بنه ونحط محمد بن عبد الله على منبر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المنصور بما تقدم عليه وعدا الناس واستنصرهم ونسب بالمهدي
 ولم يختلف عن بيعته من وجوه الناس الا القليل وبلغ المنصور خبر محمد بن عبد الله وما كان منه بالمدينة
 فاشتق من ذلك غاية الاشفاق وكتب الى محمد كتاب أمان ويعدده الجليل ان هوراجع الطاعة فاجابه محمد
 بعدم قبول ذلك منه ودارت بينهما مكاتبات ومحاورات في الافضية واستحقاق الخلافة وقد ذكر
 مكاتبتهم المبررة في كاملهم وابن خلدون في تاريخه وآخر الامر أن المنصور بعث لحرب محمد المهدي ابن عمه
 عيسى بن موسى العباسي فاستعد المهدي للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم الاحزاب وقدمت جيوش العباسيين وزلوا على المدينة وخرج اليهم محمد بن عبد الله فحين بايعه
 واقتل الناس قتالا شديدا وأبلى محمد المهدي في ذلك اليوم بلاء عظيمًا وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد
 القتال وعان محاليل الاختلال انصرف فاغتسل وتحنط وجع بين الظهر والعصر ومضى فاحرق الديوان
 الذي كان فيه أسما من بايعه وجاء الى المعين فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه
 جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد الى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه الا نحو الثلاثمائة
 قتاله بعضهم ضمن اليوم في عدة أهل بلترثم تقدم قتال حتى قتل ضرب فسقط ركبته وطعنه جيد
 ابن قطبة في صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به الى المنصور وكان مقتل محمد المهدي
 رجه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه وطلق
 ابنه علي بن محمد بالسنة الى ان هلك هناك واختفى ابنه الآخر عبد الله الاشرار ان هلك أيضا في خبر
 طويل ثم خرج ابراهيم بن عبد الله أخو المهدي للذكور بالبصرة عقب ذلك فبعث اليه المنصور عيسى
 ابن موسى المذكور آنفا فقاتله آنر ذى القعدة من السنة فانهزم ابراهيم وقتل رجه الله بعد أن بايعه
 أكثر من مائة ألف ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي ابن أبي جعفر
 المنصور خرج بالمدينة الحسين بن الصغير ابن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط
 ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان معه جماعة من أهل بيته منهم ادريس ويحيى وسليمان بنو
 عبد الله بن الحسن المثنى وهما أخو أحمد النفس الزكية فاستند أمر الحسين للذكور بالمدينة وجرى بينه
 وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال
 فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة نبيه للرضي من آل محمد وكانوا
 يكونون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر على اظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون
 أياما ثم خرجوا الى مكة يوم السبت لست بقين من ذى القعدة فأتتهى الحسين الى مكة وانضم اليه جماعة
 من عبيدها وكان قد جرت تلك السنة جماعة من وجوه بني العباس وشيعتهم فهم سليمان بن أبي جعفر المنصور
 ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم اليهم من جم من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع
 الحسين المذكور يوم التروية الثامن من ذى الحجة فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه
 وأحضره أمام بني العباس وهو مضروب على قفاه وجهته ثم جثت رؤس أصحابه فكانت مائة ونيفا
 وكان فيها رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى في قول واختلط المهزموں بالحاج فذهبوا في كل وجه

وكان مقتلهم بموضع يقال له فح على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا وفي ذلك يقول بعض شعراء ذلك العصر فلا تبكين على الحسين بعبولة وعلى الحسن وعلى ابن عاتكة الذي • واروه ليس له كفن تركوا خيخ غمدوة • في غير منزلة الوطن

في أبيات والحسن الذي ذكره في هذه الأبيات هو الحسن بن محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وكان أمري في ذلك اليوم فضربت عنقه صبرا وابن عاتكة الذي ذكره هو عبد الله ابن اسحق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ثم جل رأس الحسين ومعه باقي الرؤس الى الهادي فانكر عليهم جل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم

فقد دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى

قد تقدم لنا ان يحيى وادريس ابني عبد الله حضروا قعة فح مع الحسين بن علي المذكور آنفا فاما يحيى فانه فر من الوقعة المذكورة الى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكتهم ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف فكتبه فكتبه الفضل وبذل له الامان وما يجترأه فاجاب يحيى بن عبد الله الى ذلك وطلب عين الرشيد وان يكون بخطه ويشهده الا كابر ففعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله الى بغداد فاكرمه الرشيد واعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن • وأما ادريس فانه فر من الوقعة المذكورة ولحق بمصر وعلى يده هارون منذواض مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان واضح بتشييع آل البيت فلم شأن ادريس وانه الى الموضع الذي كان مستقيما به ولم ير شيئا اخلص له من ان يحمله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى هو ومولاه راشد فتزل بمدينة ولبلى سنة ثنتين وسبعين ومائة وبها يومئذ اصبح بن محمد بن عبد الحميد أمير اوربته من البربر بالبرانس فاجاروا وأكرمه وجع البرز على القيام بدعوته وخلق الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وانتهى السبر الى الرشيد فاعفاه ووضح في شأن ادريس فقتله وصلبه • وقال ابن أبي ذرع في كتاب القرطاس ان ادريس بن عبد الله لما قتلت عشرينه فح فر بنفسه متسترا في البلاد يريد المغرب فسار من مكة حتى وصل الى مصر ومعه مولاه اسمه راشد فدخلها والعامل عليها يومئذ لبني العباس هو علي بن سليمان الهاشمي فيفاد ادريس ورashed عشرين في شوارع مصر اذمر ايدلرحسنة البناء فوقفوا يناملونها اذ اصحاب الدار قد خرج فسلم عليهم ما قال ما الذي تنظرونه من هذه الدار فقال راشد اهبنا حسن بنائنا قالوا اوطنسكا غير بين ليسا من هذه البلاد فقال راشد جعلت فداك ان الامر كما ذكرت قال فن أي الاقاليم اتما قال من الحجاز قال فن أي بلاده قال من مكة قال واخالك ما من شيعة الحسينيين الفارين من وقعة فح فهم بالانكار ثم توخاهم الخيرة فقال راشد يا سيدي أرى لك صورة حسنة وقد توخيت فيك الخيرة أريت ان أخبرناك من نحن أكتف تستر علينا قال نعم ورب السكينة وأبذل الجهد في صلاح حالنا فقال راشد هذا ادريس بن عبد الله بن حسن وانا مولاه راشد فدرت به خوفا عليه من القتل ونحن قاصدون بلاد المغرب فقال الرجل لتطمئن نفوسكما فاني من شيعة آل البيت وأول من كتم سرهم فانتما من الامنين ثم أدخلهم ما منزله وبالغ في الاحسان اليهما فاذهل خبرهما يعني بن سليمان صاحب مصر فبعث الى الرجل الذي هاجمته فقال له انه قد فرغ الى خبر الرجلين الذين عندك وان أمير المؤمنين قد كتب الى في طلب الحسينيين والبحث عنهم وقد بث عيونهم على الطرقات وجعل الرصاع على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وحاله واني أكره ان تعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الامان فاذهب اليهما واعلم ما لبقائي وأمرهما بالخروج من علي وقد أجلسنا لانا فاسار الرجل فاشترى راحلتين لادريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى وصنع زادا يبلغهما الى افرقية وقال راشد اخرج أنت مع الرقة

على الجادة وأخرج أنا وأدريس على طريق غامض لا تسلكه الزقاق وموعداً مدينه بركة فخرجوا واشد مع
الرفقة في رى التجار وخرج ادريس مع المصري فسلكا البرية حتى وصلوا الى بركة وأقاما بها حتى لحق
بهما راشد ثم جدد المصري لهما زاداً ودعهما وانصرف وسار ادريس وراشد بجدة ان السبي حتى وصلا
الى القسروان فأقاما بمدة ثم خرجا الى المغرب الاقصى وكان راشد من أهل النجدة والحرم والدين
والنصيحة لآل البيت فعمد الى ادريس حين خرجا من القسروان فالبس مدرعة صوف خشينة وعمامة
كذلك وصيره كخادم له يأمره وينهاه كل ذلك خوفاً عليه وحياطة له ثم وصلا الى مدينة تسمى تلمسان
فأراحها أياماً ثم ارتحل نحو بلاد طنجة فسار حتى عبر اودية ملوية ودخل بلاد السوس الادنى وتقدم
الى مدينة طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب الاقصى وأم مدينه فأقاما أياماً فلم يجد ادريس بها
مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا الى مدينة ويلي قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة متوسطة
حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لهما سور عظيم من بنيان الاوائل يقال انها السماء اليوم
بصرف فرعون فقتل بها ادريس على صاحبها ابن عبد الحميد الاوربي فاقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ
في اكرامه وبره ففرقه ادريس بنفسه وأفضى اليه بسره فوافقه على مراده وأتته معه في داره وولى
خدمته والقيام بشؤنه وكان دخول ادريس المغرب وتزوله على ابن عبد الحميد مدينة ويلي غرة ربيع
الاول سنة اثنتين وسبعين ومائة

في حياة الامام ادريس بن عبد القرضى الله عنه

لما استقر ادريس بن عبد الله بمدينة ويلي عند كبيرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي أقام عنده ستة
أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب ادريس
وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخيرية فقالوا الحمد
لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن الصيقاتريد منا قال تبايعونه قالوا ما مننا من يتوقف
عن بيعته فبايعوه بمدينة ويلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان أول
من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر
أحكامهم وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الاقصى وأكثرها عدداً وتلتها في نصرة
ادريس والقيام بأمره مدينة وصدينة وهما معان ولدتا بنيت بن ضري ولما بويع ادريس رحمه الله
خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس لا تمدن الاعناق الى غيرنا
فان الذي تعبدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناته والبربر مثل
زواغة وزواوة وسدرات وغنياته ومكاسة وغماره وكافة البربر بالمغرب الاقصى فبايعوه أيضاً ودخلوا
في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكة ولحقه من اخوته سليمان بن عبد الله ونزل بارض
زنات من تلمسان ونواحيها كذا عتد ابن خلدون في أخبار الادارسة والذي عتده في أخبار بني العباس
وكذا عتد أبي الفداء ان سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخرج مع رؤس القتل والله أعلم

في غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى وقعه اياها

ثم ان ادريس بن عبد الله رضى الله عنه اتفق جيشا كثيراً من وجوه زناته وأوربة ووصنهاجة وهوارة
وغيرهم وخرج غازيا لبلاد نامسنا ثم زحف الى بلاد ناد لا فتع معاقله وحصونها وكان أكثر أهل هذه
البلاد لازواقي دين اليهودية والنصرانية وانما الاسلام باقليل فأسلم جميعهم على يده وقفل الى مدينة
ويلي مؤيداً منصوراً فدخلها وأخروا الجمعة سنة اثنتين وسبعين ومائة فأقام بها شهر محرم فأتته سنة
ثلاث وسبعين وبثما استراح الناس ثم خرج برسم غزو من كان بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين
المجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقي منهم بقية متحصنون في المعقل والجبال والحصون المنية

فأرسل أدريس رحمه الله يباهدهم في حصونهم ويستزلمهم من معاقلم حتى دخلوا في الأسر - لأم طوعا
وكرها ومن أبي الإسلام منهم أباده قتلوسيا وكانت البلاد التي غزاها في هذه المرة حصون قنلاوة
وحصون مدونوتوبهولة وقلاع غيانة وبلاد فازر ثم عاد إلى مدينة ويلي فدخلها في النصف من جمادى
الآخرة من السنة المذكورة

﴿غزو أدريس بن عبد الله أرض المغرب الأوسط وفق مدينة تلمسان﴾

لما قفل أدريس رضي الله عنه من غزو بلاد المغرب الأقصى سنة ثلاث وسبعين ومائة أقام بوليل بقية
جمادى الآخرة ونصف رجب التالي لما رغب استراح جيشه ثم خرج منتعفا رجب المذكور برسم غزو
مدينة تلمسان ومنهم من قبائل مغراوة وبني بقرن فأنتهى اليهودي إلى خارجها فخرج إليه صاحبها محمد
ابن خزيمة من ولد صولات المغراوي مستأثما ومبايعا له فأمنه أدريس وقبل بيعته ودخل مدينة تلمسان
فأمن أهلها ثم أتمن سائر زناة وبني مسجد تلمسان وأتقته وأمر به - مل منبر نصبه فيه وكتب عليه
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الإمام أدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم
وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة ﴿قال ابن خلدون﴾ واسم أدريس مخطوط في صفحة المنبر
لهذا العهد اه ثم رجع أدريس رحمه الله إلى مدينة ويلي فدخلها مؤيدا منصورا

﴿وفوأة أدريس بن عبد الله والسبب في ذلك﴾

لما حصل لأدريس رحمه الله ما حصل من التحكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون
الرشيد العباسي وبلغه أن أدريس قد استقام له أمر المغرب وأنه قد استعمل أمره وكثرت جنوده وقد فتح
مدينة تلمسان وبني مسجدها وأنه عازم على غزوا فريضة نحاف الرشيد عاقبة ذلك وأنه لم يتدارك أمره
الآن رجا هجرته في المستقبل مع ما يعلم من فضل أدريس خصوصاً ومحبة الناس في آل البيت عموماً
فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال إن الرجل قد فتح تلمسان وهي باب
أفريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الأدار وقد همت أن أبعث إليه جيشاً ثم فكرت في بعد الشقة
وعظم المشقة فرجعت عن ذلك فقال يحيى الراي بأمر المؤمنين أن تبعث إليه برجل داهية يحتمل عليه
ويقتله وتستريح منه فأجيب الرشيد ذلك فوقع اختياره على رجل من موالى المهدي والد الرشيد واسم
الرجل حليان بن جبر وروى عن الشماخ فاحضره يحيى وأعلمه بما يريد منه ووعدته على قتل أدريس الرفعة
والمثلة العالية عند الرشيد وزوده مالا وطرفاً يستعين بها على أمره وأحضره الرشيد كتاباً منه إلى واليه على
أفريقية إبراهيم بن الأغلب كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه أن ابن الأغلب لم يكن والياً على
أفريقية في هذا التاريخ وأما وليها سنة أربع وثمانين ومائة حسبما سبق فوصل الشماخ إلى والي أفريقية
بكتاب الرشيد فأجازه إلى المغرب وقدم الشماخ على أدريس بن عبد الله فمظهر التزوع إليه فيمن ترع إليه
من وحدثان العرب متبرئان من الدعوة العباسية منتحلاً للدعوة الطالبية فاختصه أدريس رحمه الله
وحلى بعبه وعظمت منزلته لديه وكان الشماخ ممثلاً من الأدب والطرف والبلاغة عارفاً بمناعة الجدل
فكان إذا جلس الإمام أدريس إلى رؤساء البربر وجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل أهل
البيت وعظيم بركتهم على الأمة وبقر ذلك ويحجج لا مامة أدريس وأنه الإمام الحق دون غيره فكان ذلك
يجب أدريس ويقع منه الموقف فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكلي إلا معه وكان
راشداً كالنار لأدريس ملازمه أيضاً لما ينفر عنه لأنه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء
آل البيت يومئذ وكان الشماخ يتردد الغرة من راشداً ويتربق الفرصة في أدريس إلى أن غاب راشداً ذات
يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على أدريس فجلس بين يديه على العادة وتحدثا ملياً ولم يلمر الشماخ
راشداً بالخطرة أنهز الفرصة في أدريس فقبل أنه كانت مع الشماخ فارورة من طيب مسموم فأخبر بها

وقال لادريس هذا طبيب كنت استخضته معي وهو من جيد الطيب فرأيت ان الامام أولى به مني وذلك من بعض ما يجب له علي ثم وضع القارورة بين يديه فسكره ادريس وتناول القارورة ففتحها واشتم ما فيها فصعد السم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشي عليه وقام الشماخ المعين كانه يريد حاجة الانسان فخرج واقي منزله فركب فرسا له عتيقا كان قد أعنته لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق وافتقد الناس الامام ادريس فاذا هو مغشى عليه لا يتكلم ولا يعلم أحد ما به وقيل ان الشماخ سمع في سنون والسنون وزن صبور ما يستاك به وكان ادريس يشتكي وجع الاسنان واللثة وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في غيب أهده اليه في غير ابائه والله أعلم ولما اتصل خبر ادريس بعولاه راشد اقبل مسرعا فدخل عليه وهو يحترق شفتيه لا يبين كلاما فداشرف على الموت فجلس عند رأسه متحيرا لا يدرى ما داهاه واستمر ادريس على حاله تلك الى عشي النهار فتوفي في مهل ربيع الاخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقروا شد الشماخ فإبره فعلم انه الذي اغتال ادريس ثم جاء الخبر بان الشماخ قتل في علي أميال من البلد فكبوا راشد في جمع من البربر واتبعوه وقطعت الخيل في التواحي وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلقوه راشد بوادي ماوية عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعض عظامه ونجده في رأسه متصا باوجعي الشماخ بجرحه بالاذق وأعيى فرس راشد عن الحاق به فرجع عنه ويقال ان الشماخ رى بعد ذلك يبعداد وهو مقطوع اليد ولما رجع راشد الى منزله أخذ في تجهيز الامام رضى الله عنه وصلى عليه ودفنه بعض رابطة عند باب ويلي لتبرك الناس بترتبه رجه الله ورضي عنه

في أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رجه الله

قالوا ان الامام ادريس لما توفي لم يترك ولدا الا حلام من أمة له بربرية اسمها كثره فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حلام من أمة كثره وهي الآن في الشهر السابع من حملها فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكر أحسنار يئتم حتى اذ بلغ مبلغ الرجال باعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرتكم لانفسكم فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا نراي الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمورنا كما كان ادريس يقوم بها وتصلينا وتاتقينا يشنا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به علي انما ان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الامر لفعلك ودينك وعملك فسكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بأمر البربر تلك المدة ولما تمت الجارية أشهر حملها وضعت غلاما مشبه الناس بابيه ادريس فانخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى تطروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كانه لم يمت فسماء راشد ادريس ونشأ الصبي نشأة حسنة الى ان كان من أمره ما نذكره

في الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رجه الله

كانت ولادة ادريس بن ادريس بن عبد الله يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه وقام بأمره أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة والفقه في الدين والعريضة ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعها على سير الملوك وعرفه أيام الناس ودر به على ركوب الخيل والري بالمهام وغير ذلك من مكائد الحرب فلم يعض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة الا وقد اضطاع بما جل وترفع لادريس واستحق لان يبايع فبايعه البربر واتفقوا صفقتهم عن طاعة منهم واخلاص فيقال ابن خلدون بايع البربر ادريس الا صغر جلاله رضي عا ثم فصلا الى ان شب فبايعوه بجامع مدينة ويلي سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن إحدى عشرة سنة وكان ابراهيم

ابن الاغلب صاحب افريقية قد دس الى بعض البربر الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا مولاه سنة ٨٨
وغنائين ومائة وجلا اليه رأسه وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد بن يدين الياس العبدى ولم يزل عابا
ذلك الى ان بايعوا لادريس فقاموا بامره ووجدوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وفي القرطاس
ان مقتل راشدا كان في السنة التي يبيع فيها ادريس بن ادريس قال وكانت بيعة ادريس يوم الجمعة غر
ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشدا بعشرين يوما وادريس يوم ثمان احدي عشر
سنة وخمسة أشهر قاله عبد الملك الوراق في تاريخه وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم وفي قسرا
راشديقول ابراهيم بن الاغلب في بعض ما كتب به الى الرشيد يعرفه بنصحه وكما لخدمته
ألم ترى بالكيد أرديت راشدا • واني بانخري لا بن ادريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره • محتومة يحطى بها من بكايه
فناه أخوعك بمقتل راشدا • وقد كنت فيه شاهدا وهو راقدا

يريد بانخري عك محمد بن مقاتل العكي والى افريقية فانه لما حاول ابن الاغلب قتل راشدا وتم له ذلك كتب
العكي الى الرشيد يعلمه انه هو الذي قتل ذلك فكذب صاحب البريد الى الرشيد بحقيقة الامر وان ابن
الاغلب هو الفاعل لذلك والمتولى له فثبت عند الرشيد كذب العكي وصدق ابن الاغلب فعزل الرشيد
العكي عن افريقية وولى ابن الاغلب عليها ولما كان قبل ذلك عام لا للعكي على بعض كورها هكذا حكمي
صاحب القرطاس هذا الخبر وفيه ان عزل العكي عن افريقية وتولية ابن الاغلب عليها كان في سنة أربع
وثمانين قبل وفاة راشدا بستين أو أربع سنين على الخلاف المتقدم وقال البكري والبرنسي ان راشدا المبعث
حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب وان ادريس لما تم له من العمر احدي عشرة سنة ظهر من وفور عقله
وتباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فاخذ له راشدا البيعة على البربر يوم الجمعة صابغ ربيع
الاول من السنة المذكورة فبعد ادريس المنبر وخطب الناس فقال الحمد لله أجدده واستغفروه وأستعين
به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر وأشهد ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله
المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته
الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أيها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذي
يضاعف فيه للحسن الاجر وعلى المسمى الوزر ونحن والحمد لله على قصد فلا تمذوا الاعناق الى غيرنا فان
الذي نطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته
فجلب الناس من فصاحته وقوة جاشه على صغر سنه ثم نزل فصارع الناس الى بيعته وازدجوا عليه
يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له
البيعة وبعدي ببعته بقليل توفي مولاه راشدا والله أعلم

وفود العرب على ادريس بن ادريس رجه الله

لما استقام أمر المغرب لادريس بن ادريس وتوطئ ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه وفدت
عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستقر بيقية سنة ثمان وثمانين يصل
الوفود ويبذل الاموال ويستقبل الرؤساء والاقبال ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه
وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين اليه وملتفين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسة مائة فارس
من قبس والازد ومذج ويحصب والصدف وغيرهم فسر ادريس بوفاة ادريس وأجزل صانتهم وأدى منزلتهم
وجعلهم بطانة دون البربر فاعتزهم وأنس بقرهم فانه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم عيسى بن مصعب
الازدي المعروف بالمجوم من ضربة ضرب بها في بعض حروبهم ومعه على الخطر طوم وكان عيسى من فرسان
العرب وسادتها ولا يسه مصعب ماثر بافريقية والاندلس ومواقف في غزو والفرج واستغنى عن

عاصر بن محمد بن سعيد القيسي وكان من أهل الورع والفقه والدين سمع من مالك بن أنس وشفيان
الثوري وروى عنهما كثيرا وكان قد خرج إلى الأندلس برسم الجهاد ثم أجاز إلى المدونة فوجد بها على
أدريس فيمن وقد عليه من العرب فاستقضاه واستكتب عنهما أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي
ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثرت الناس لديه وضافت بهم مدينة وليلى وانتهى إلى ابن
الأغلب ما عليه أمر أدريس من الاستئصال فارهف عزمه للضرب بين البربر واستفسادهم على
أدريس فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضيقي من خاصة أدريس ومن أركان دولته فكانت بهلول
الأغلب واستهواه بالمال حتى باع الرشد وانصرف عن أدريس واعتزله في قومه فصالحه أدريس وكتب
إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه وكان فيما كتب به أدريس إلى بهلول
المدكور قوله

أهلول قد جلت نفسك خطية * تبثت منها ضلة برشاد

أضلك إبراهيم مع بعد داره * فأصبحت متقادا بغير قياد

كأنك لم تسمع بكمرا بن أغلب * وقدماري بالكيد كل بلاد

ومن دون ما ممتك نفسك خاليا * ومناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أحس أدريس من اسحق بن محمد الأوربي بالتحرف عنه وموالاة لابن الأغلب فقتله سنة ثنتين
وخمسين ومائة وصفاه المغرب وتكن سلطانه به والله غالب على أمره

بنياء مدينة فاس

لما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على أدريس رجه الله وضافت بهم مدينة وليلى أراد أن يبنى لنفسه
مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما في جماعة من ماشيته وخرج يتخير البقاع فوصل
إلى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وزينه فاخط بسنده مدينة عمالي الجوف وشرع في
بناها فبنى بها من الدور ونحو الثلث من السور فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي فهدم السور
والدور وجعل ماحول ذلك من الخيام والزرع والقاه في نهر سبوا فكف أدريس عن البناء واستقر الحال
على ذلك مدة يسيرة ثم خرج ثانية يصيد ويرتاد لنفسه موضع يبنى فيه ما قد عزم عليه فأتته إلى نهر
سبوا حيث هي اليوم حجة خولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هناك والحمة كافي
القوام من كل عين فيها ما حار ينسج منها ويستشفي به فعزم أدريس على أن يبنى هناك مدينة وشرع في
حفر الأساس وجعل الجيار وقطع الخشب وابتدأ البناء ثم فكر في نهر سبوا وما يأتي به من المدود
والسبيل زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضر والعظم للناس فكف عن البناء ورجع إلى وليلى ثم
بعث وزره عمير بن مصعب الأزدي يرتاده موضع يبنى فيه المدينة التي عزم عليها فاسار عمير في جماعة
يقص الجهات ويتخير البقاع ولتربس المياه حتى انتهى إلى شخص سادس فأعجبه المحل فنزل هناك على
عين ماء قطرد في مرج أخضر فتواصلى الطهر هو وجماعة القوم الذين معه ثم دعا الله تعالى أن يسر
عليه مطلبه ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود إليهم فغسب العين إليه من يومئذ
ودعيت عين عمير إلى الآن وعمير هذا هو جد بني الملبوم من بيوتات فاس وكبرائهم فأوغل عمير في شخص
سادس حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادى فاس فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين
عنصر أو رأى مياهها قطرد في فم من الأرض وحول العيون شعرا من شجر الطرفاء والطخش
والعصرار والكافور وغير ذلك فشرب من الماء فاستطابه ونظر إلى ماحوله من المزارع التي ليست على نهر
سبوا فأعجبهته فاحذر مع مسيل الوادي حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم فنظر فإذا ما بين الجبلين
غيسة ملتفة الأصبار مطردة العيون والأنهار وفي جانب منها خيام من شعير يسكنها قوم من زواغة
يعرفون بني الحسير وقوم من زناتة يعرفون بني يرغش وكان بنو يرغش على دين المجوسية وكان بيت

نارههم بالموضع المعروف بنشيبوبة وكان البعض منهم على دين اليهودية والبعض على دين النصرانية
 وكان بنو الخير ينزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش ينزلون بعدوة الاندلس وكانوا قلة يفترون عن
 القتال لاختلاف أهوائهم وتباين أديانهم فرجع حمير إلى ادريس وأعلمه بما رأى من الغيصة
 وساكنيهما موقع عامه اختياريها فجاءه ادريس لينظر إلى البقعة فالتفت إلى الخير وبنو يرغش يقتلون
 فأصلح بينهم وأسلموا على يده واشترى منهم الغيصة بستة آلاف درهم فرفضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد
 عليهم بذلك على يد كاتبه أبي الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ثم ضرب أبنته بكر وأودع شرع في بناء
 المدينة فاختط عدوة الاندلس غرة ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة وفي سنة ثلاث بعدها اختط
 عدوة القرويين وبنو مساكنتها وانتقل إليها وقد كان أول أدار السور على عدوة الاندلس وبنو بها
 الجامع المعروف بجامع الاشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل نائبا إلى عدوة القرويين كما قلنا ونزل
 بالموضع المعروف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونه وأخذ في بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضا
 ثم شرع في بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجروطيون من ولده ثم بنى
 القيسارية إلى جانب المسجد الجامع وأدار الأسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم من بنى موضعا
 أو أغترسه قبل تمام السور فهو في الناس من ذلك شيئا كثيرا وأغترسوا وودع عليه جماعة من الفرس
 من أرض العراق فازلهم بغيصة هناك كانت على العين المعروفة اليوم بعين علون وكان علون عبد الأسود
 يأوى إلى تلك الغيصة ويقطع الطريق بها على المارة فصاحى الناس غيصته وتناذروها فأعلم ادريس
 رجه الله بشأنه فبعث في طلبه خيلا قبضوا عليه وجأوه إليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على
 العين فأضيفت إليه العين من يومئذ وقبل عين علون ثم أدار ادريس السور على عدوة القرويين وكانت
 من إندن باب السلسلة إلى غدير الجوزاء قال عبد الملك الوراق كانت مدينة فاس في القديم ببلدين لكل
 بلد منهما سور يحيط به وأبواب تختص بموالتهم فاصل بينهما وسيمت إحدى العدوتين عدوة القرويين
 لنزول العرب الوافدين من القيروان بها وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسيمت الأخرى عدوة الاندلس
 لنزول العرب الوافدين من الاندلس بها وكانوا جماعة يقال أربعة آلاف أهل بيت وكان الحكم بن
 هشام الأموي صاحب الاندلس صدرت منه لاول أمارته هبات وأوجب قيام جماعة من أهل الورع
 عليه وكان فيهم يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالكا وراوى الموطأ عنه وطالوت الغيبة وغيرهما فخلعوا
 الحكم وبابوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة فقاتلهم الحكم وكثروا وكادوا يأتون عليه
 ثم أنظره الله بهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهمد دورهم ومساجدهم وفر بالباقيون منهم فخلعوا
 بقاس المغرب الأقصى وبالسكندرية من أرض مصر فأما اللاحقون بفاس فازلهم ادريس رجه الله
 بعدوة الاندلس فأضيفت اليهم وأما اللاحقون بالسكندرية فثاروا لم بعد حين فزحف اليهم عبد الله
 ابن طاهر الخزاعي صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقاتلهم ونفاههم إلى جزيرة أقر بطش فلم
 يزوالها إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم بعد مدة وهو ذكر ابن غالب في تاريخه أن الامام ادريس لما
 فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الأولى بعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يده في آخر الخطبة
 فقال اللهم انك تعلم اني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وإنما
 أردت أن تصبها ويأتي بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه
 وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها والخير وأعنيهم عليه وأكفهم مؤنة أعدائهم وادر عليهم
 الارزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت
 الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات وهو من محاسن فاس أن نهرها يشقها بمغنين وتتشعب جداوله
 في دورها وجسماتها وشوارعها وأسواقها وتطعن به أرواحها ثم يخرج منها وقد جعل أقدارها وأزبالها

الى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها وتتغير من ميوتها وتجاوز الحصر كثيرة وقد مدحها الفقيه الزاهد أبو الفضل ابن النخعي بقوله

يا فاس منك جميع الحسن مسترق * وسا كنوك ليهنهم بمارزقوا
هذه انسيمك أمروح زاحتنا * وماؤك المسلسل الصافي أم الورق
أرض تغلها الأنهار داخلها * حتى المجالس والأسواق والطرق
وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله المغيلي ينشوق الى فاس وكان يلي خطة القضاء بمدينة أزمو
يا فاس حيا لله أرضك من ترى * وسعة لك من صوب النمام المسبل
يا حسنة الدنيا التي أربت على * حصن بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويمجى تحتها * ماء أذن من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قدزخرفت * بجداول كالإيم أو كالفصل
ويجامع القروين شرف ذكره * أنس بذكراه بهيج غامل
وبعضه زمن المصيف محلسن * لمع العشي القرب منه استقبل
واجلس إزاء النخلة المسنابه * واكرمهم عني فديتلك وانهل

✽ غزو ادريس بن ادريس المغربي واستيلاؤه عليهما ✽

لما فرغ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل اليها بجمعيته واستوطنها بحاشيته وأرباب دولته واتخذها دار ملكه فأقامهم الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج غازي بلاد المصامدة فأنهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة ففيس ومدينة أغمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فأقامهم الى سنة تسع وتسعين ومائة فخرج في المحرم برسم غزو قبائل نفزة من أهل المغرب الاوسط ومن بقي هناك على دين الخراجية من البربر فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في أحوالها وأصلح سورها وجامعها وصنع فيها منبرا ✽ قال أبو عمر وان عبد الملك الوراثي ✽ دخل مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرأيت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هنالك ✽ كتبوا فيه هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ✽ رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة اه وقد تقدم لنا ما يخالف هذا والله أعلم وأقام ادريس بمدينة تلمسان وأحوالها يدير أمرها ويصلح أحوالها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس ✽ قال داود بن القاسم الاوربي ✽ شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته مع الخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمع انزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال قالوا قلنا هم قتلنا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرفقا ويكر في هذا الجانب الآخر ولم يزل كذلك حتى ارتفع النهار ثم رجع الى رأيت فوق باب زاتموا الناس يعانقون بين يديه فطقت أن أمته وأديم النظر اليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم فأعجبني ما رأيت من ثباته وقوة جاشه فالتفت نحوى وقال يا داود ما لي أراك تدع النظر الى ✽ قالت أم الامام انه قد أعجبني منك خصال لم أرها اليوم في غيرك قال وما هي قلت أولاها ما أراه من ثبات قلبك وطلاقة وجهك عند لقاء العدو قال ذاك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصالته علينا ووراثته من أيناعلى ✽ بن أبي طالب قلت وأراك تبصق بصا فاجتمعت معا وأنا أطلب قليل الريق في فني فلا أجده قال يا داود ذلك لقوة حاشي واجتماع لى عند الحرب وعدم ريقك الطيش علك فافتراق لبك قلت وأنا أيضا أعجب من كثرة تقلبك في سربك وقلة قرارك عليه قال ذاك مني مزمع الى القتال وصرامة فيه فلا تظنن رعبا وأنشأ يقول

أليس أبونا هاشم شذا زره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلما نزل الحرب حتى نزلنا • ولا نتسكى ما يؤول من النصب

﴿ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴾ انتظمت لادريس بن ادريس كلمة البربر وزناته رعي دعوة الغوارج منهم واقطع
المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه
بعد ما ضايقه بالكائد واسد نفوس الايام حتى قتلوا راشدا مولا وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن
الاغلب وسكن من غريبه وضرب السكة باسمه وعجز الاغالسة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة
ودافعوا خلفه بنى العباس بالمعاذير الباطلة وصفا ملك المغرب لادريس واستقر بدار ملكه من فاس
ساكنوا وادعاهم مقتدا اربكته مجتئعا ثمة الى ان توفاه الله ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين
وعمره نحو ست وثلاثين سنة ودفن بمسجده بزاوية الحائط الشرقي منه ﴿ وقال البرنسي ﴾ انه توفي بمدينة
وليلى ودفن الى جنب أبيه وكان سبب وفاته انه اكل عنباً فشق بحبة منه فأتت طينه وخلف من الولد
اثنى عشر ذكراً أولهم محمد وعبد الله وعيسى وادريس وأحمد وجعفر ويحيى والقاسم
وعمر وعلي وداود وحزرة كذا في القرطاس وزاد ابن خزم الحسین والحسين وولى الامر منهم بعده
محمد وهو أكبرهم

﴿ الخبر عن دولة محمد بن ادريس رحمه الله ﴾

﴿ لما توفي ادريس بن ادريس رحمه الله قام بالامر بعده ابنه محمد بعد منسه اليه ولما ولي قسم بلاد المغرب
بين اخوته وذلك باشارة جدته كنزة أم ادريس فاخص القاسم منها بطبعة وسنة وقصر معهوده وقعة
بحر النسر وتماوان وما انضم الى ذلك من القبائل والبلاد واخص عمر منها بتيكساس وترغة وما بينهما
من قبائل صنهاجة وغماره واخص داود ببلاد هواره وتسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكاسة
وغياثة واخص يحيى باصيلا والعرايش والبصرة وبلاد ورغة وما ولى ذلك واخص عيسى بسلا
وشالة وآزمور وتامسان وما انضم الى ذلك من القبائل واخص حزة بمدينة وليلى وأعمالها واخص
أحمد بمدينة مكاسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد تازا واخص عبد الله بأنعام وبلد نفيس وجبال
المصامدة وبلاد طامة والسوس الاقصى وأبقى الآخرين في كفالته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم وبقيت
تلسان لولده سليمان بن عبد الله فان ادريس بن ادريس لما غزا تلسان وأقام بها ثلاث سنين كما سبق
ودوخ بلاد زناته واستوسقت له طاعتهم عقد عليها بنى محمد سليمان بن عبد الله فلما توفي ادريس وانقسم
بنوه أعمال المغرب كانت تلسان في سهم عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله واستقرت بأيديهم
الى ان تلاشى أمرهم بدخول العبيدين عليهم قال ابن خلدون وأقام محمد بن ادريس بدار ملكه من
فاس مقتدا اربكته واخوته وولاه على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأمنوا أسبائها
وحسنت سيرتهم في ذلك الى ان كان ما نذكره

﴿ حدوث الفتنة بين بني ادريس ﴾

ثم خرج على محمد بن ادريس أخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور وبند طاعته وطلب الامر لنفسه فكتب
محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك فكتب محمد الى أخيه عمر
صاحب تيكساس بمثل ما كتب به الى القاسم فامتنع من ذلك ورجع الى عيسى في قبائل البربر وأمره محمد
بألف فارس من زناته فأوقع عمر بعيسى وهزمه وطرده عن عمله وكتب الى الأمير محمد بالفخ فشكره
على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى وأمره مع ذلك بالسيرة الى قتال القاسم الذي عصى أمره وأولا

فزعف عمر الى القاسم ونزل عليه بظاهر طنجة فخرج اليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولى عمر على ما بيده من البلاد فصار الى رف البصري كله في عمل عمر من تكديس اسوار بلاد حمارة الى سبته ثم الى طنجة وهذا ساحل البحر الى وى ثم ينقطع الى آصيل والعرايش ثم الى سلازم آرمور وبلاد تاسلوا هذا ساحل البحر المحيط وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجد ابساحل البحر قرب آصيل بموضع يعرف بتاهارت على ضفة النهر هناك وأعرض عن الدنيا وأقام بعبادة الله الى ان مات رحمه الله واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طوبته لآخيه محمد الامير الى ان توفي عمر بموضع يعرف بفتح الفرس من بلاد صناعية في دولة آخيه محمد سنة عشرين ومائتين فحمل الى فاس وصلى عليه الامير محمد ودفن مع آبيه وعمره هذا هو جد الاشراف اليهوديين المالكين للاندلس بعد بني أمية وعقد الامير محمد على عمه لولده على بن عمر الى ان كان من امره ما نذكره وأما عيسى فيقال انه توفي بآيت عتاب وله بها ذرية والله أعلم

وفاته محمد بن ادريس رحمه الله

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة آخيه عمر سبعة أشهر وتوفي بمدينة فاس في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومائتين ودفن بشرقي جامعها مع آبيه وآخيه بعد ان عهد بالامر لابنه على بن محمد المعروف بجيدرة على ماسياقي

الخبر عن دولة على بن محمد بن ادريس

لما توفي محمد بن ادريس بايع الناس لابنه على بن محمد بعد منه اليه ويلقب على هذا بجيدرة على لقب على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو جد الاشراف العلمين أهل جبل العلم ومنهم المشيشون أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه والوازيون أولاد مولانا عبد الله الشريف وينتهي نسب هؤلاء الى المولى علي بن مشيش أخى المولى عبد السلام بن مشيش وكان سنن على حيدرة يوم وبع تسع سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب والبرروا حسنوا كفالته وطاعته وكانت أيامه خيرا أيام وفاته ابن أبي ذرع في ظهر لعل هذا من الذي كانوا الفضل ما بقضيه شرفه وسار بسيرة آبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة الى ان توفي في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالامر لآخيه يحيى بن محمد على ماسياقي

الخبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس

وقال ابن خلدون في قام يحيى بن محمد بن ادريس بالامر وامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستقر عمران فاس وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت خارجها الارياض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية وقال ابن أبي ذرع في قصد اليها الناس من الاندلس وافريقية وجميع بلاد المغرب

بناء مسجد القرويين بفاس

وقال ابن أبي ذرع في كان موضع مسجد القرويين أرضا يضاطر جل من هوارة كان والده قد حازها أيام بناء فاس ولما أقدم وفد القيروان على ادريس الاصغر حسبا تقدم كان فيهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري ونكحها أم البنين فزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور ثم مات زوجها

وانحوتها فوئنت منهم مالا جسيما وكان من حلال فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير وكانت له سانية
 صالحة فزمت على بناء مسجد فجدوا به عند الله فاشترت البقعة من ربهما وشرعت في حفر أساس المسجد
 وبناء جدرانها وذلك يوم السبت فافرح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكذان
 وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه أنها التزمت أن تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة
 دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها فخفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد
 والحجر الكذان وتبني به وأنشط بها بئر يستقي منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله قريبا منها
 أن لا تدخل في بناء المسجد شبه فعدت بركة نبتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ما ترى
 قالوا ولم تزل فاطمة المذكورة صائتة من يوم شرع في بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت
 مساحة المسجد يوم بنى أربع بلاطات ومهنا صغيرا وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت
 طوله من الغرب إلى الشرق مائة وخمسين شبرا وبنت به صومعة غير مر تقف بموضع القبلة التي على
 رأس الحجرة اليوم واستقر الحال على ذلك إلى أن انقرضت دولة الأدارسة وجاءت دولة زناتة من
 بعدهم هادوا دار والسور على الحدودين مع القرويين والاندلس وزادوا في مصيبيهم سائر زيادة كثيرة
 ففعلوا الخطبة من مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين ومن مسجد الأشياخ إلى مسجد الاندلس
 وذلك صدر للمائة الرابعة ثم لما استولى عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس على فاس وبلاد
 العدو استعمل على فاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم أيفرغ فاستأنى الناصر في
 إصلاح مسجد القرويين والزيادة فيه فأذن له وبعث إليه جمال من خمس الفئام فزاد فيه زيادة بينة
 وأزال الصومعة القديمة عن موضعه وأبني الصومعة الموجودة الآن وكتب على بابها في أربعة بالخص
 واللاز وردها ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداية الله وفقه ابتغاء ثواب الله وجزيل أجزائه وأبتدأ
 العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وفتح من بنائها في
 شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وركب في أعمال المنارة سيف الامام ادريس بن
 ادريس تبركاه وذلك أن بعض حدة ادريس رحمه الله تنازعوا في السيف المذكور وأراد كل أن
 يحوزة لنفسه فقال لهم الامير أحمد بن أبي بكر هل لكم أن تبيعوني بهذا السيف قالوا وما
 تصنع به قال أجعله في أعلى المنارة فقالوا ما أذرت هذا فنحن نبعثك مجانا فهو به فركبه في أعلى
 المنارة وكانت مبنية من الحجر المتجور وفيها نقب يعيش فيها الطير من الحمام والزرور وغيرهما يتأذى
 المسجد والناس بها واستمر الحال على ذلك إلى أن كانت سنة ثمان وثمانين وسبعمائة أيام السلطان يوسف
 ابن يعقوب بن عبد الحق المريني فاستأذن القاضي أبو عبد الله ابن أبي الصبر السلطان يوسف المذكور
 في تلييس المنارة وتبييضها فأذن له فلبسها وبيضا ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة وهو قال
 ابن خلدون ثم أوسع في خطة المسجد المذكور المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس وأعتله السقاية
 والسلسلة بباب الحفصة ثم أوسع في خطته على بن يوسف اللتوني ثم ملوك الموحد بنو مريم واستمرت
 العمارة به وانصرفت همهم إلى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسبي الله
 مذكور في تاريخ المغرب اه وفي أيام يحيى بن محمد صاحب الترجمة وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين
 قام رجل مؤذن بناحية تلسان يدعى النوبة وتناول القرآن على غير وجهه فاتبعه خلق كثير من الغوغاء
 وكان من بعض شرائعه أنه ينهى عن قص الشعر وتقليم الأظفار وتنف الأبطال والاستجداد أو أخذ الزينة
 ويقول لا تبيعن خلق الله فامر أمير تلسان بالقبض عليه ففرب وركب البحر من مرسى هتسين إلى
 الاندلس فنشاع بها أيضا خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة فبعث إليه ملك الاندلس فاستنابه
 فلم ينب فقته وصلبه وهو يقول اتقوا من رجالنا يقول ربنا الله

في الخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس

لما توفي يحيى بن محمد الذي بنى مسجد القرويين في أيامه ولي الأمر من بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس فأساء السيرة وكثر عيته في الحرم ودخل على جارية من بنات اليه وفي الحمام وكانت بارعة الجال فرأوها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس اليه بالانكروا ثابت العامة عليه وتولى كبير ذلك عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وكانت زوجة يحيى المذكور وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس صاحب الزيف والسواحل أشارت عليه بالاختفاء بعدد الاندلس وبقا تنسكن القنطرة فتوارى بها هات من أيلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار واستولى عبد الرحمن بن أبي سهل على فاس وقام بأمرها فكتب عاتكة بنت علي إلى أبيها تطلبه بالخبر واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر ولما لم يجمع حشمه بجيشه وجاء إلى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا تارة يكون في عقب عمر بن ادريس صاحب الزيف وتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس الزاهد على ما نذكره

في الخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس

لما دخل علي بن عمر مدينة فاس واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكوفة في طاعته وخطبه على جميع منابر المغرب واستقام له الأمر إلى أن تار عليه عبد الرزاق الفهري وكان من الخوارج الصفرية وأصله من وشقة بلد بالاندلس فقام بجبال مديونة من أعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها قومه خلق كثير من البربر من مديونة وغياثه وغيرهم فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسموها وشقة باسم بلده وقال ابن أبي زرع وهو باقية تلك الناحية حتى الآن ثم زحف إلى قرية صغرى ونفذ خلفها وبايعه كافة البربر الصفرية ثم زحفهم إلى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق فانهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه إلى بلاد أوربة فدخل عبد الرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتع منه أهل عدوة القرويين وبعثوا إلى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ما نذكره

في الخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس

لما فرغ علي بن عمر من فاس واستولى عبد الرزاق الفهري على عدوة الاندلس بعث أهل فاس إلى يحيى بن القاسم بن ادريس ويعرف يحيى هذا بالعوام فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم ويحيى العوام هذا هو جد الأشراف الجوطيين بفاس فأنهم أولاد يحيى الجوطي ابن محمد بن يحيى العوام ولما قيل له الجوطي نسبة إلى الجوطية بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على غير سبعين ميلا بالعدوة الجنوبية منه ترها يحيى ابن محمد فنسب إليها وقبره معروف بها إلى الآن ولما استقل يحيى بن القاسم بالأمر قاتل عبد الرزاق حتى أخرجه من عدوة الاندلس فدخلها وبايعه أهلها وجميع من نزلها من أهل الاندلس الرضاة من رضى قرطبة واستعمل يحيى بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو رضى أيضا فمزل واليا على عدوة الاندلس إلى أن توفي فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله ابن ثعلبة المعروف بعبود إلى أن توفي أيضا فاستعمل الأمير يحيى مكانه ولده محارب بن عبود بن ثعلبة ونجح الأمير يحيى بن القاسم إلى قتال الصفرية فكانت له معهم حرب ووقائع كثيرة ولم يزل أميرا على

فاس وأعمالها إلى أن اغتاله الإريبع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت في أيام هؤلاء الأمراء أحداث نذكرها في سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدو والأندلس قحط شديد فنبذت منه المياه واستمر إلى سنة ستين وفي سنة أربع وخمسين كسف القوم من كل مكان إلى أول الليل حتى أصبح ولم ينجل وفي سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الأندلس والمغرب وأفريقية ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام ولم ينق بها إلا نفر يسير مع سدة الكعبة ثم كان بالمغرب والأندلس وبالغنى مع غلاء في الأسعار وعمت الأوقات فهلك خلق كثير وفي سنة ست وستين ومائتين كانت بالسماجرة شديدة من أول الليل إلى آخره لم يصب قبلها مثلها وذلك ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة وفي سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بعثلتها من القصور وانحطت منها العصور من الجبال وفرت الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقطت السقوف والجدران وفرت الطيور عن أوكارها وماجت في السماء ما نأحت سكت الزلزلة وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس وسهلها وجبالها وجميع بلاد العدو من تلمسان إلى طنجة ومن الجزائر إلى أقصى المغرب إلا أن الميعة فيها أحد لطاف من الله تعالى بخلقها وفي سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع أفاق الأندلس والمغرب وأفريقية وفي سنة خمس وعشرين ومائتين كانت المجاعة الشديدة التي عمّت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ثم عقب ذلك وباء مرض وموت كبير هلك فيه من الخلق ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموت وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة والامر لله وحده

في الخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن محمّد بن ادريس

لما قتل يحيى القوام في التاريخ المتقدم إلى الأمر من بعده يحيى بن ادريس بن محمّد بن ادريس قبائمه أهل عدو قاس وخطب لهم وأما مملكتهم على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابر وكان يحيى هذا واسطة عقد البيت الادريسي أعلاهم قدوا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزاهم فضلا وأوسعهم مالمكا وكان فقيها حافظا الحديث ذافصاحا وبيان بطلا نبعا عازما ذا صلاح ودين وورع قال ابن خلدون لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طمع على ملكه عياب العبيدين بأفريقية فأغرقه

في استيلاء العبيدين من الشيعة على المغرب الأقصى وقدم قائدهم مصالة بن حبوس إلى فاس

قد قدّمنا عند ذكر ولا المغرب أن إبراهيم بن الأغلب كان آخرهم وأنه أوثق بأفريقية ملكا لبني فاستمرت دولتهم إلى أن أواخر المائة الثالثة وانقرضت على يد أبي عبد الله المحتسب داعية العبيدين من الشيعة فإن المحتسب حج في سنة عشرين واجتمع عنده كرامة من أهل المغرب تعترف اليهم ووعدهم بظهور المهدي من آل البيت على يدهم ويكون لهم به الملك والسلطان فتبعوه على رأيه وحببهم إلى بلادهم ورأس فيهم رياسة دينية وقرّر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتسلطوا به ثم بايعوا مولاه عبد الله المهدي أول خلفاء العبيدين فاستولى على أفريقية في خبر طويل ثم سمع منه إلى غلب المغرب الأقصى فأغزاه قائده مصالة بن حبوس المكامي صاحب تاهرت والمغرب الأوسط فزحف مصالة إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثمائة وانتهى إلى فاس فبرز إليه يحيى بن ادريس لمداغته في جوع العرب والبربر والموالي والقوا قرب مكاسة فانهزم يحيى وعاد مغلولاً إلى فاس ثم تقدم مصالة إلى فاس وحاصرها إلى أن صالحه

يحيى على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله للهدي فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وانضبطت
الى اللهدي وأبقى عليه مصالة في سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية
المكاشي على ماسوى ذلك من بلاد المغرب وكان موسى هذا صاحب تسول وبلاد نازا وكان كبير مكاشة
بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقتل معه في
جميع حروب بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاسا واعمالها فانه تركها للامير
يحيى كما قلنا وصار المغرب الاقصى في ملكة العبيديين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فكان موسى
ابن أبي العافية بعد ذهاب مصالة كليا أراد الظهور بالمغرب والاستبداد به فمهر يحيى بن ادريس بحسبه
ونسبه وفضله ودينه فقطع به كليا كان يرده فكان على قلب موسى منه حل ثقيل فلما قدم مصالة المغرب
في كرمه الثانية وذلك سنة تسع وثلاثمائه تسمى موسى بن أبي العافية عنده يحيى بن ادريس حتى أغر
صدور عليه فلما قرب مصالة من فاس خرج اليه يحيى للقائه والسلام عليه في جماعة من وجوه دولته
فقبض مصالة عليهم وقيد يحيى بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه موثقا على جمل ثم عذبه
بأنواع العذاب حتى استصغى أمواله ونثاره ثم نفاه الى نواحي آسيلا وقد ساءت حاله وانفض جمعه فاقام
عند بني عمه ببلاد الريف مدة فاعطوه مالا ووصلا وما يقيم به أوده ويستعين به على امره فلم يرض ذلك
وارتحل عنهم يريد افرقية فعرض له موسى بن أبي العافية في طريقه فقبض عليه وسجنه عذبه آل الكاي
قريبان من عشرين سنة ثم أطلقه بعد ذلك قالوا وكان أبوه ادريس بن عمر قد دعا عليه أن يبيعه الله بثمان
غريبا فاشتبه به فيه فخرج يحيى من سجن ابن أبي العافية الى افرقية وهو في فقر وذلة قد بلغ سوء الحال
منه كل مبلغ فوصل الى المهدي بن علي تلك الحال فوافق ما قبلته أي يزيد بخد بن كسداد اليفري وحصاره
اباها فانت بها أباها فغريبا سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائه رحمه الله

فجاء المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجام ابن محمد بن القاسم بن ادريس

لما قبض مصالة على يحيى بن ادريس واستصغى أمواله كما قلنا استعمل على فاس ريمان الكاشي وعاد الى
القير وان فاقام ريمان عاملا على فاس وأحوارها نحو ثلاثة أشهر ونار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن
ادريس المعروف بالحجام وعرف بذلك لانه كان يسمو بين عمه أحمد بن القاسم بن ادريس حرب فحمل
الحسن على فارس من أصحاب عمه فطعن في موضع المحاجم ثم فعل ذلك بذان وثالث لا يطعمهم الا في موضع
المحاجم فقال عمه أحمد ان ابن أخي الحجام فازمه ذلك للقب وفي ذلك يقول بعضهم
وسميت حجاما ولست بحاجم • ولكن الطعن في مكان المحاجم

وكانت ثورة الحجام على ريمان سنة عشر وثلاثمائه اتي الى فاس في جمع من شيعته وأنصاره وكان مقدما
تبعاعا فدخلها على حين غفلة من أهلها فاستولى عليها وقتل ريمان وقبيل نفاه عنها واجتمع الناس على
بيعه ودخل في طاعته أكثر قبائل البر بالمغرب وملك عدة مدن مثل مدينة لواتة وصغير ون ومدن
ومدائن مكاشة والبصرة واستقام له الامر بالمغرب الى ان كان منه مع موسى بن أبي العافية ما نذكره

فخرج الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي العافية

وقال في القرطاس وفي سنة احدى عشرة وثلاثمائه تخرج الامير الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي
العافية فالتقى معه بخص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس ونازا فوقع الحجام ما بين أبي
العافية وقعة عظيمة لم تقع في دولة الادارسة مثلها قتل فيها من عسكر ابن أبي العافية نحو ألفين وثلاثمائه
من جلته ابنه مهناي بن موسى بن أبي العافية وقتل من عسكر الحجام نحو السبع مائة ثم كانت العافية
لموسى على الحجام فانقض عسكر الحجام وعاد مغلول الى فاس فحمل الحجام ودخل فاس وحده وترك عسكره
خارج المدينة فقدر به عامله عليها حامدا بن جدان الحمداني ويقال الاوربي من قرى افرقية دخل عليه

لما في داره فقتله وأخذ به وأغلق المدينة في وجه الجند وطير إلى موسى بن أبي العافية يستدعيه إلى فاس وكان ما ذكره

في الخبر عن دولة آل أبي العافية المسكسين الناصفة لدولة آل ادريس فاس وأعمالها

كان موسى بن أبي العافية متمسكاً في هذه المدة بدعوة العبيدين من الشيعة فلما قبض حامد بن جردان على الحسن الخجلم واستدعى ابن أبي العافية بادر نحوه فدخل عدوة القرويين واستولى عليها ثم قاتل أهل عدوة الاندلس حتى ملكها فلما ملك المدينة تسعين معاطب حامد بن جردان باحضر الحسن الخجلم وقال أقبله ولدي منال وكان حامد قد قدم على قلمته تلك فرفع موسى وسوفه وكره المجره بسفك دماء آل البيت ولما جرت الليلى خالف حامد إلى الحسن فلك عنه فبده وأرسله فقتل الحسن من السور وفسقط وانكسرت ساقه فتعالم حتى انتهى إلى عدوة الاندلس فاخترق بها إلى ان مات لغنى ثلاث من سقطته رحمه الله وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وأراد ابن أبي العافية قتل حامد بن جردان لعدم عيونه إياه من الخجلم ففر إلى المهديّة وكانت دولة الحسن الخجلم فاس خصوصاً بين وأقرضت دولة آل ادريس من فاس وأعمالها تداول المغرب الأقصى العبيدون أصحاب إفريقية والمروانيين أصحاب الاندلس مرة لؤلؤة ومرّة لؤلؤة وتجدت بلاد ادراسة دولة أخرى ببلاد إربند كرهها بن قريب ان شاء الله وصفت فاس وأعمالها لابن أبي العافية وملك معها كثيراً من أعمال المغرب وبابسته القبائل والأشباخ وهو في ذلك كله متمسك بدعوة الشيعة كما قلنا فكان كل نائب عنهم بالمغرب والله غالب على أمره

في طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره إياهم بحجر النسر

لما استولى موسى بن أبي العافية على فاس والمغرب شعر بطرد الأدارسة عنه فآخروهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم من شالة وأصيلا وغيرهما من البلاد التي كانت في أيديهم ولبوا بأجمعهم إلى قلعة حجر النسر مغلوبين على ملكهم مطرودين عن دار عزهم التي أسسها أسلافهم وكانت قلعة حجر النسر حصناً منيعاً بنه محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس شاحخاني غنان صاحب قنزل عليهم موسى بن أبي العافية وشدد عليهم الحصار وأراد استئصالهم وقطع ديارهم فخذله على ذلك أكار دولته وقالوا له أريد أن نقطع ديار أهل البيت من المغرب وتخليه منهم هذا ثم لا نوافقك عليه ولا نتركك له فاحتجوا عند ذلك وارتحل عنهم إلى فاس وخلف على حصارهم فأنه أبا الفتح التوسلي ألف فارس ينعوهم من التصرف وكان ذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة

في استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان وأعمالها

لما رتحل موسى بن أبي العافية عن حجر النسر سار إلى فاس فأقام بها أياماً وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الأزدي وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ثم عزله وولى مكانه طولاب بن أبي يزيد فلما رزله عاملها إليها إلى أن خرجت فاس عن يد ابن أبي العافية واستعمل موسى على المغرب الأقصى ولده مدني بن موسى بن أبي العافية وأزله بعد عدوة القرويين ثم نهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فلما كان في طريقها كانت بيد الحسن بن أبي العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخي ادريس الأكبر وفر الحسن إلى مدينة مليلة من جزائر ماوية وبني هنالك حصناً وتحصن به ثم زحف ابن أبي العافية إلى مدينة نكور فملكها أيضاً وحاصر الحسن في حصنه مدة ثم عقد له سلا على حصنه وكان ذلك في شعبان سنة عشرين وثلاثمائة ثم عاد إلى فاس وقد دقخ البلاد والأقطار وانتظم المغربان الأقصى والأوسط في ملكه

في انحراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما نشأ عن ذلك

كان عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاتدلس قد سعى له أمل في التملك على المغرب الاقصى لما بلغه من تراجع امر بني ادريس به واشتراف دولتهم على الحرم فلك سنة من يدين عصام القاتنين بها بالدعوة الادريسية ولما استولى موسى بن أبي العافية على المغرب خاطبه الناصر في القيام بدعوته ووعده الجليل على ذلك واتاه من بين يديه ومن خلفه حتى أجابه الى مراده وقضى طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله فاقبل الخبر بعيد الله المهدي صاحب افرقية فترح اليه فأنه جئته بصليت السكاسي صاحب تاهرت في عشرة آلاف فارس وهو ابن أخى مصالة بن جبوس المتقدم الذكر فالتقى جئيد وموسى بخصم مسون فكانت بينهم حرب مجال ثم ان جئيد ايدت موسى ليلة فضر في عسكره فانهمزم موسى وأصحابه ومضى الى عين احصاق من بلاد تسول فتصن بها وتقدم جئيد الى فاس فلما شارفها فرغها مدين بن موسى وخلق بابيه فدخلها جئيد واستعمل عليها حامدين جدان الحمداني وكان في جلته ثم عاد الى افرقية وقد قضى آربه من المغرب وكان ذلك سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ولما اتصل ببني ادريس المحصورين بحجر النمر خبر هزيمة موسى بن أبي العافية وقرأ ابنه عن فاس وولاية حامدين جدان عليها فويت نفوسهم وتظاهروا على أبي الفتح التسولي فزلا اليه وقتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى الفضاء بعد ان حصارهم بالقلعة المذكورة أربع سنين

في ثورة أجد بن بكر الجذامي بدعوة الرواين بفاس وما نشأ عن ذلك

وأقام حامدين جدان والياعلى فاس من قبل الشيعة الى ان ثار عليه أجد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي وذلك عقب وفاة عبيد الله المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فقتل حامدين جدان وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبي العافية فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة واستولى على المغرب وعادت الدعوة الى بني مروان ولما اتصل الخبر بصاحب افرقية أبي القاسم بن عبيد الله المهدي المتولي بعد أبيه سرح فأنه ميسور انطلق الى المغرب فقدمه ميسور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وخامس ابن أبي العافية عن لقائه واعتصم بحصن الكاكي وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها أياما الى ان خرج اليه أجد بن بكر مبايعا وقدم بين يديه هدية نفيسة ومالاً جليلاً فقبض ميسور الهدية والمال ثم قبض على أجد بن بكر وقيده وبعث به الى المهدي ولمّا أنذروا أهل فاس بغدوره امتنعوا عليه وأغلقوا أبوابهم دونه وقد موعا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصروهم ميسور سبعة أشهر ولما طال عليهم الحصار رغبوا في السلم فصالحهم على ان اعطوه ستة آلاف ديناراً وأنطاغاً ولبوداً وقرى بالماء وأنما كتبوا يبيعهم الى أبي القاسم الشيعي وكتبوا اسمهم في سكتهم وخطبوا له على منابرهم فقبل ميسور ذلك منهم وأقر عليهم حسن بن قاسم اللواتي وارثل عنهم واستمر حسن عاملاً على فاس الى ان قدم أجد بن بكر من المهدي مطلقاً مكرماً فخطي له عن ما كان يديه وذلك في سنة احدى وأربعين وثلاثمائة فكانت ولاية حسن بن القاسم على فاس ثمان عشرة سنة قاله في القرطاس في وقال ابن خلدون في ان أجد بن بكر الجذامي قدم من افرقية سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فصار الى فاس وأقام بها متمسكاً الى ان وثب بعامله حسن بن قاسم اللواتي فخطي له عن العمل والله أعلم

في حروب ميسور مع موسى بن أبي العافية

لما صالح ميسور أهل فاس نهض الى حرب ابن أبي العافية فدارت بينهم حرب كان الظهور في آخرها لميسور وأسر البوري بن موسى بن أبي العافية وغرته الى المهدي وطرده موسى عن أعمال المغرب الى نواحي مالاوية ووطاط وماوراءها من بلاد الصراء ثم قتل القيروان في وقال ابن أبي زرع في كتاب

القرطاس كان بنى ادريس تولوا معظم الحروب التي دارت بين ميسور وابن أبي العافية وانهم قاتلوا ابن أبي العافية حتى فرأى ما همم الى الصرا قال وتلك الادارسة أكثر ما كان بيد ابن أبي العافية فأتى بدعوة الشيعة فلم يزل ابن أبي العافية يسري في الأطراف البلاد التي بقيت بيده وذلك من مدينة آكر سيف الى مدينة تكور الى ان قتل بعض بلاد ملوية وذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة وقيل انه قتل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قاله البرنسي اه كلام ابن أبي زرع وهو قال ابن خلدون في ان موسى ابن أبي العافية رجع من الصرا الى أعماله بالمغرب فملكها وولى على عدوة الاندلس ابا يوسف بن محارب الأزدي قال وهو الذي مدت عدوة الاندلس وكانت حصونا ثم زحف الى تلمسان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فاستولى عليها قال واستفحل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خروملك مغراوة وصاحب المغرب الاوسط وبنو ادعوة الاموية في أعمالها والله أعلم

في بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب

قال ابن أبي زرع لما هلك موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه ابراهيم الى ان توفي سنة خمس وثلاثمائة فولى بعده ابنه عبد الله ويقال عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية الى ان توفي سنة ستين وثلاثمائة فولى بعده ابنه محمد وعليه انقضت دولة آل أبي العافية سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (وذكر بعض المؤرخين لا يأمهم) انه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه القاسم بن محمد الحارث الثوني فكانت بينه وبينهم حروب الى ان غلب عليه يوسف بن ناشف فقتله واستأصل شافقة ذرية موسى بن أبي العافية بالمغرب وكانت دولتهم مائة وأربعين سنة من سنة خمس وثلاثمائة الى سنة خمس وأربعين وأربعمائة اه ولكن دولتهم ضاقت انتت الى قدم ميسور انقصى كاهم وبقيت رياستهم بالأطراف الى دولة الثونيين والله أعلم وكان في هذه المدة من الاحداث ما نذكره في يوم الاربعاء في التاسع والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين ومائتين كسفت الشمس كسوفاً كلياً وكان ذلك بعد صلاة العصر فغاب القرص كله وظهرت النجوم وأذن أكثر الناس بالمساجد المغرب ثم تجلت مضيتة بعد ذلك ومكثت مقدار ثلث ساعة ثم غربت وهو في سنة ثلاث وثلاثمائة في كان بافريقية والمغرب والاندلس فتن كثيرة ومجاعة عظيمة أشبهت مجاعة سنة ستين ومائتين ثم وقع الموت في الناس حتى هجر واعن دفن موتاهم وهو في سنة خمس وثلاثمائة في أحرق النار أسواق مدينة فاس وأسواق ناهرت قاعدة زناتة وأحرق أسواق فرطبة وأرباض مكاسة من بلاد جوف الاندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار وهو في سنة سبع وثلاثمائة في كان بافريقية والمغرب والاندلس رخاء مضطوطا عيون ووباء كثير وفيها كانت الريح السوداء الشديدة المهبوب التي قلعت الأشجار وهدمت الدور فاس قتاب الناس ولزموا المساجد وارتدوا عن كثير من الفواحش وهو في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة في ظهر حامي المتنبى بجبال غمارة وهو قال ابن خلدون في كانت غمارة غريبة في الجبال والبعدين الشرائع بسبب البداوة والانتباذ عن مواطن الخير ونبأ فيهم من قبيصة يقال لها محكسة حامي بن من الله يكنى أبا محمد وكنى أبوه من الله أبا علف وكان ظهوره بجبال حامي المشتهر به قريبا من تطوان واجتمع اليه كثير من غمارة وأقربا وبنوه وشرع لهم شرائع وعبادات وصنع لهم قرآنا كان يتلوهم عليهم بلسانه خماس عشر صلاتا في كل يوم واحدة عند طلوع الشمس والاخرى عند غروبها ثلاث ركعات في كل صلاة يصعدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ومن قرأهم الذي كانوا يقرؤنه بعد تمليلهم للون به بلسانهم حتى من الذنوب يامن حتى النظر ينظر في الدنيا أخرجني من الذنوب يامن أخرج نونس من بطن الحوت وموسى من البحر ثم يقول في ركوعه آمنت بحامي وبأبيه أبي علف من الله وآمن برأسي وعقلي وما يكنه صدرى وما أحاط بدى ولحي وآمنت بتأليه همه حامي

أخت أبي خلف من الله ثم يصعد وكانت نالفة هذه امرأة كاهنة ساحرة وكان حاميم يلقب المغدري
 وكانت أخته دوا كاهنة ساحرة أيضاً وكانوا يستغيثونهم في الحروب والقحوط وفرض عليهم صوم
 الاثنين وصوم الخميس إلى الظهر وصوم الجمعة وصوم عشرة أيام من رمضان ويومين من شوال ومن
 أفطري يوم الخميس محمد أفكفأته أن يتصدق بثلاثة أثور ومن أفطري يوم الاثنين فكتفأته أن
 يتصدق بثورين وفرض عليهم في الزكاة العشر من كل شيء وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من
 الجنابة وأحل لهم أكل الاتي من الخنزير وقال لغاسم قرآن محمد الخنزير الذكروا وأمر أن لا يؤكل
 الحوت إلا بذكاة وحرم عليهم أكل البيض وأكل الرأس من كل حيوان فبعث إليه عبد الرحمن الناصر
 صاحب الأندلس عسكراً فالتقوا بقصر مسمودة من أحواز طنجة فقتلوه وقتلوا أتباعه وصلبوا شاوله
 بالقصر المذكور ويعتبر أرامه إلى الناصر بقرطبة ورجع من بقي من أتباعه إلى الإسلام وذلك سنة
 خمس عشرة وثلاثمائة وقال ابن خلدون وكان لابنه عيسى بن حاميم من بعده قدر جليل في غماره
 وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ظهر ببلاد المغرب غمام كثيف دام خمسة أيام لم ير الناس فيها شمساً
 وكان الشخص لا يرى من الأرض فيه الأموضع قدميه قتال الناس وأخرجوا الصدقات فكشف الله
 عنهم ما بهم وسببت سنة القمام وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة نزل برد عظيم الواحد منه ترن رطلا
 وأكثر قتل الطير والوحش والبهائم وكثير من الناس وكسر الأشجار وأفسد الثمار وكان ذلك بآرقط
 شديدي غلاعام وفي سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة نزل أيضاً برد كثيف لم يعد مثله كثرة قتل المواشي
 وأفسد الثمار وجاءت السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب وكان بهار عوداً قاصفة وبروق خاطفة
 ودام ذلك أياماً واستحق الناس واستعصوا في هذه السنة وفيها أيضاً كانت ريح شديدة هدمت المباني وفي
 سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس هلك فيه أكثر الخلق وفي هذه
 المدة كان الشيخ أبو سعيد المصري المعروف بابي سلامة موجوداً وهو من كبار صلحاء المغرب وقبره
 شهر قرب مخرج الحضرة على ساحل البحر وعليه قبعة عجيبة الصنعة محكمة العمل بالنقش والأصباغ
 الزايع اللون وقال أبو عبد الله محمد العربي القاسي في مرآة المحاسن كان علي وأمين قبر الشيخ أبي سلامة
 لوح مذهب مكتوب عليه هذه القبور الثلاثة التي أحق الله تعالى فيها قبر الشيخ أبي سعيد المكنى بابي
 سلامة وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة قال أبو عبد الله المذكور ثم إن النصراني زلوا امرأة
 هناك فاقطعوا اللوح وذهبوا به قال وكان النيف الزائد على الأربعين مسمى في اللوح وليكني أنيسه
 ومع ذلك فهو لا يزيد على السبع والله تعالى أعلم

الخبر عن الدولة الثانية لدارسة ببلاد الريف

هذه الدولة التي كانت لدارسة ببلاد الريف لم تكن لهم على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت لهم
 أولاً ببلاد المغرب إنما كانوا يهاجرت نظر المتغلب على بلاد المغرب إما من الشيعة أصحاب إفريقية
 وإما من الروانيين أصحاب الأندلس كما استغف عليه وأعلم أن أقد قدمنان بن إدريس كانوا قد اقتسموا
 أعمال المغرب بعد وفاة أبيهم إدريس وجه الله وذلك بإشارة جنتهم كثره وإن ببلاد الريف منها كانت
 في سهم عمر بن إدريس وأنه قاتل أخويه عيسى والقاسم وأضاف أعمالهما إلى عمله فبقيت ببلاد الريف
 يسدي بن عمر بن إدريس بتوارثها خلفاً من سلف فلما انقرضت دولة آل إدريس بغاس على يد موسى
 ابن أبي العافية انحاز والي بني همام وعشرين منهم ببلاد الريف وتخصنوا بقائمة هجر الناصر كما سبق ولما قدم
 ميسور أخصى من إفريقية وأجل موسى بن أبي العافية إلى الصحراء أقام بنو إدريس بريفهم يتداولون
 رياسته تحت نظر الشيعة تارة وتحت نظر الروانيين أخرى إلى أن انقرضت دولتهم وذهبت ريلستهم

من المغرب بالكافة والله غالب على أمره

في الخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس

لمافر موسى بن أبي العافية أمام القائد ميسور إلى الصمصرة أصارت الرياسة في المغرب بعده لابني محمد بن القاسم بن ادريس وهما القاسم الملقب بكنون وشقيقه ابراهيم وهما معا اخوان الحسن الحجام الذي تقدم ذكره فاجتمع بنو ادريس وبايعوا القاسم المذكور فلكا كثيرا بلاد المغرب الا فاسا فانه لم يملكها وكان سكناه بقاعة حجر النسر واستمر على امارته مقيما الدعوة الشيعة الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فولى بعده ابنه أبو العيش

في الخبر عن دولة أبي العيش أحد بن القاسم كنون

كان أبو العيش هذا قضيها ورعا حافظا للسياسة عارفا باخبار الملوكة وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر نجبا اجوادا وكان يعرف في بني ادريس بأجد الفاضل وكان ماثلا الى بني مروان ولما ولى بعد أبيه قطع دعوة العبيديين في جميع عمله وبايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطبه على جميع منابر عمله وبايع أهل المغرب الى سبطامسة وكان السواد الاعظم من أهل المغرب الاقصى لهم محبة في جانب آل ادريس واثار لهم لا يغيرون بهم بدلا مهما وجدوا الخلك سبيلا

في تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها

لما بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر وخطبه اقترح عليه أن ينزل له عن طخبة ليضيفها الى سبعة التي كان استولى عليها من قبل فامتنع أبو العيش من ذلك فبعث اليه الناصر بالاسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه ولما رأى أبو العيش أنه لا طاقه له بحربه أجابه الى ما سأله ووزل له عن طخبة وبقي أبو العيش مع اخوته وبني عمه من الادارسة بمدينة البصرة وأصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته وكانت قواد الناصر وجيوشه تجبر من الاندلس الى العدو فقاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم والناصر محمد بن هجر منهم برجاله مقتولن ضعف عمله حتى ملكا كثيرا بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر وخطبه على منابرهم من تاهرت الى طخبة ماعدا سبطامسة فانه قام بها في ذلك الوقت منادر البربر وبايع الناصر أهل فاس فبين ما يبعه من بلاد العدو فولى عليهم محمد بن الخير المغراوي وحكاه من أبسط ملوك زناتة يدا وأعظمهم شأنا وأحسنهم الى ملوك بني أمية انضماما وأخلصهم طوية وكان لبني يفرن ومغراوة من زناتة ولاية اللامويين ونشيع لهم وذلك بولاية عثمان ابن عفان رضي الله عنه بلذهم صولات بن وزمار المغراوي الذي وفد عليه وأسلم على يده كما سبق في اخبار الفتح والله أعلم فسرت تلك الولاية في عقب زناتة للامويين عموما كما كان لصنهاجة من البربر بولاية آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاقام محمد بن الخير والي على مدينتي فاس نحو سنة وارتحل عنها الى الاندلس برسم الجهاد واحتلف عليها ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتي وهو الذي بنى صومعة مسجد القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كما سبق وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة تولى الناصر على مدينة طخبة وأحوالها على بن محمد اليفري ففتر لها في قبائل يفرن وأمضى أمره ونهيه فيها

في هجرة أبي العيش الى الاندلس بقصد الجهاد

لمأراى أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدو هانت عليه رياسته فكتب اليه بقرطبة يستأذنه في
الجهاد فأذن له وأمر أن يبنى له في كل منزل منزلة قصر وذلك من الجزيرة الخضراء الى الثغر وأن يجري له
فيها ألف دينار في كل يوم ضيافته ومن الفرس والاثاث والطعام والشراب ما يقوم بالقصر فلم يزل على
ذلك حتى وصل الى الثغر فكانت منزله من الجزيرة الى الثغر ثلاثين منزلا ومات أبو العيش رحمه الله
شهيدا في جهاد الفرج سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

في الخبر عن دولة الحسن بن كنون

لما خرج أبو العيش الى الاندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وهو والقاسم بن
محمد بن القاسم بن ادريس وهو أخو ملوك الادارسة بالمغرب ولم يزل مواليا للروانيين متمسكا بدعوتهم
الى ان كان ما نذكره

في قدوم القائد جوهر الشيعي من افريقية الى المغرب واستيلائه عليه

لما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله محمد بن اسمعيل العبيدي غلبة الناصر على بلاد العدو
وأن جميع من بهامن قبائل زناته والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في دعوة بني أمية عظم الامر عليه
وبعث قائده جوهر بن عبد الله الرومي المعروف بالكاتب في جيش كثيف يستقل على عشرين ألف
فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم وأمره أن يبطأ بلاد المغرب ويذلها ويستزل من بهامن
التوار ويشد وطأته عليهم فخرج جوهر من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة بؤم بلاد المغرب
فانصل خبره يعلى بن محمد اليفرني صاحب طنجة وخليفة الناصر على بلاد العدو فحشد قبائل زناته
ونهب الى القائد جوهر فكان اللقاء على تاهرت فالتصفت الحرب بين الفريقين فانخرج القائد جوهر
الاموال وبذلها في قواد كتامة فضموا له قتل أمير زناته يعلى بن محمد فلما اشتد القتال صمعت عصا
من قواد كتامة وأنبجها وقصدوا الى يعلى بن محمد فقتلوه واحترقوا رأسه وأتوا به الى جوهر فبذل لهم مالا
جلبا لبشارة عليه وبعث بالراس الى مولاه المعز فطيف به بالقيروان فوجد كرابا خلدون فأن يعلى بن
محمد بادرا الى لقاء جوهر عند قدومه وأذعن له وباعه فأنظر جوهر القبول ثم دس اليه من اغتاله وتفرق
بنو يفرن وزناته بعد مقتل أميرهم وبعد مدة التأم ملكهم على ولده يتوان يعلى بن محمد اليفرني ثم تقدم
جوهر الى سجلماسة وكان قد قام بها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله وقد تقدم لنا
انه ادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه وكتب عليها فتدست عزه الله وكانت سكتته
تعرف بالشاكرية وكانت في غاية الطيب وكان سنيما الى المذهب فقتل سلفه في مذهب الصفرية
فنزله عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ثم اقضمها عنوة بالسيف وأفلت الشاكر ثم عاد بعد يومين أو ثلاثة
فدخل سجلماسة متسكرا فعرف وقبض عليه وأتى به الى جوهر فاقنعه في الحديدي ساقه أسيرايين يديه
حتى نزل على فاس بعد ان أفنى جماعة الصفرية وورجالها بالسيف وكان نزوله على فاس سنة تسع وأربعين
وثلاثمائة فحاصرها وأدار بها القتال من كل جهة فربما من نصف شهر ثم اقضمها عنوة بالسيف على يد
زيري بن مناد الصنهاجي فانه تسنم أسوارها ليلا ودخلها فقتل بها خلقا كثيرا وقبض على أميرها أجد بن
أبي بكر الزناتي الذي ولاه الناصر عليها ونهب المدينة وقتل جاتها وشيوخها وسب أهلها وهدم أسوارها
وكنن الحادثة بها عظيما وكان دخول جوهر اياها فقصه يوم الخميس الموافق عشرين من رمضان سنة تسع
وأربعين وثلاثمائة ثم سار جوهر في بلاد المغرب يقتل أولياء الروانيين وبسب ويقتل البسلاذ والمعاقل
واقامه البربر وقرت أمامه قبائلها فانفذ الامر في المغرب الاقصى ثلاثين شهرا وانتهى الى البحر المحيط

وصاد من ممكة وجعله في قلال الماء وأرسله إلى مولاه العزيز أنصرف راجعا بعد أن دقخ الملاحون أغصن فيها وقتل جانتها وقطع دعوة المروانيين منها ووردها إلى العبيدين فطلب لهم على جميع منابر المغرب وانتهى القائد جوهر إلى المهديّة ذوا العزيزين الله وقد جعل معه أحد بن أبي بكر اليفري أمير فاس وخمسة عشر رجلا من أشباهها وجل أيضا محمد بن أبي الفتح أمير مصلح ماسة ودخل بهم أسارى بين يديه في أقفاص من خشب على ظهور الجبال وجعل على رؤسهم فلانس من لبد مسطيلة منبثة بالقرون فطيف بهم في بلاد إفريقية وأسواق القيروان ثم ردوا إلى المهديّة وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها

﴿فقدوم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيبى من إفريقية إلى المغرب﴾

كان الأمير الحسن بن كعون قديبا مع العبيدين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب فلما انصرف جوهر إلى إفريقية أو أحرقة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة نكث الحسن بن كعون ببيعة العبيدين وعاد إلى المروانيين فمك بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكم المستنصر خوفا منهم لاجبة فيهم لقرب بلاده من بلادهم فأقام على ذلك إلى أن قدم الأمير بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من إفريقية إلى المغرب لاختنار أبيه فقتل زنانه واستأصلهم وملك المغرب بأسره وقطع أيضا عنده دعوة الأمويين وقتل أوليائهم وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للعزيز محمد بن اسمعيل كما فعل جوهر قبله فكان أول من سارع إلى بيعته ونصرته وقال أولياء المروانيين مع الحسن بن كعون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه في ذلك وأعمل فيه جهده فأنصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه لذلك فلما انصرف بلكين بن زيري إلى إفريقية بعث الحكم المستنصر صاحب الأندلس قائده محمد بن القاسم بن طلمس في جيش كثيف إلى قتال الحسن بن كعون فاجاز اليه من الجزيرة الخضراء إلى سبتة في عدد كثير وعدة كاملة وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فزحف الحسن إلى قتاله في قبائل البربر فكان اللقاء باحواز طنججة بموضع يعرف بنمصر بن مصرخ فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها محمد بن القاسم قائد الحكم المستنصر وقتل معه خلق كثير من أصحابه وفر الباقيون فدخلوا سبتة وتمصنوا بها وكتبوا إلى الحكم يستغيثون به فبعث إليهم صاحب حروبه غالب مولاه البعيدا البصير المعروف بالشهامة والتجدة والدهاء وأعطاه الحكم أموالا جليلة وجيوشا كثيرة وعددا وافر وأمره بقتال آل إدريس واستنزاهم من معاقلهم وقال له عند دعوته يا غالب سر مسير من لا إذن له في الرجوع إلا حيما منصورا أو ميتا معذورا ولا تشع بالمال وبسط يدك به يتبعك الناس

﴿فقدوم غالب الأموي إلى المغرب وتغريب آل إدريس إلى الأندلس﴾

ثم خرج غالب من قرطبة في آخر شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فأنصل خبر قدومه بالحسن بن كعون فخاف منه وأخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمه وأمواله وذخائره إلى قلعة حجرة النصر القريبة من سبتة واتخذها مقلا يتحصن بها وأجاز غالب البصر من الجزيرة الخضراء إلى قصر مسمودة فلقبه الحسن بن كعون هنالك في جوع البربر وقاله أيا ما وسر ب غالب الأموال التي وساء البربر الذين مع الحسن بن كعون ووعدهم ومناهم فانفضوا عن الحسن حتى لم يبق معه إلا خاصته ورجاله فلما رأى ذلك سار إلى حجرة النصر فحصر من به واتبعه غالب فأصر به ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المواد وأمدّه الحكم بحرب الدولة الذين بالأندلس ورجال الثغور فوصل المدد إلى غالب غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فاشتد الحصار على الحسن بن كعون فطلب من غالب الأمان على نفسه وأهله وماله ورجاله ويزل إليه فيسر معه إلى قرطبة فيكون بها فأجابه غالب إلى ذلك وعاهده عليه فقتل الحسن بأهله وماله ورجاله وأسلم الحسن إلى غالب فذا بك واستنزل غالب جميع العلويين الذين بارض العدو من معاقلهم وأخرجهم عن أوطانهم ولم يترك بالعدو رئيسا منهم وسار إلى مدينة فاس فملكها واستعمل عليها محمد

ابن أبي علي بن قشوش بعدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة بعدوة والاندلس فلم تزل فاس بيد بني أمية
 إلى أن غلب عليها زري بن عطية الغراوي وانصرف غالب إلى الأندلس وساق معه الحسين بن كعون
 وجيش مائتي الأدارسة وقد وطأ جميع بلاد المغرب وفرق العمال في نواحيه وقطع دعوة بني عبيد
 من جميع آفاقه وورد الدعوة إلى الأموية فخرجهم غالب من فاس آخر رمضان سنة ثلاث وستين
 وثلاثمائة ووصل إلى سبتة فركب البصر منها واستقر بالخضراء وكتب إلى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه
 بقدمه وعن قدم معه من العلويين فلما وصل كتابه إلى الحكم أمر الناس بالخروج إلى لقاءهم وركب
 هو في جمع عظيم من وجوه دولته فلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوم مشهود وذلك أول يوم من الحرم
 سنة أربع وستين وثلاثمائة وسلم الحسين بن كعون على الحكم فأقبل عليه وعفاه عنه ووفى له بعهدته وأوسع له
 ورجاله في العطاء وأجرى عليهم الجرايات الكثيرة وخلع عليهم الطلع الرفيعة وأثبت جميع أهل ورجاله
 في ديوان العطاء وكانوا سبع مائة رجل أعياذ بعدون بسبعة آلاف وأساكنه قرطبة وأقام الحسن وعشيرته
 في كتف الحكم في أمن وغبطة إلى أن كان ما ذكره

في حدوث النفرة بين الحكم والحسن والسبب في ذلك

لما استقر الحسن بن كعون وعشيرته بقرطبة تحت كتف الحكم المستنصر بالله الأماوي على ما وصفناه
 استمر الحال على ذلك إلى سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان الحسن قطعة عن غربية الشكل كبيرة الحرم
 ظفرها في بعض سواحله من بلاد العدو أيام ملكه ما فستواها منشورة بنوسدها ويرتفع بها فيبلغ أمير
 المؤمنين الحكم خبرها فأنسأه جلها إليه وضمها إلى ذخائره على أن له حكمه صمطا فامتنع الحسن
 من ذلك وأبى أن يسلمها إليه فكتبه عليها وطلبه جميع أمواله وطلبه القطعة أيضا فبقيت في خزنة
 الأمويين إلى أن غلب ابن جود الأدرسي على ملك الأندلس ودخل قرطبة واستقر بالقصر منها فالتفت
 تلك المنيرة لازالت طاغية العين قد عقبها الأيام حتى صارت إلى أيدي العلوية أربابا ولما انكب الحكم
 الحسن أمر بانزاجه وانزاج عشيرته من قرطبة واجلائهم إلى المشرق فركبوا البحر من المرية إلى تونس
 سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان قصد الحكم بتغريبهم الضغف منهم والراحته من نفاقهم مع ما كان
 قومه يعدلونه عليهم فسار الحسن بن كعون وعشيرته إلى مصر فزولوا بها على خليفة الشيعة وهو العزيز
 بالله زار بن العزيز العبيدي وكان العبيديون قد ملكو مصر يومئذ فوقفوا كرمي خلافتهم إليها فقبل
 العزيز زرار على الأدارسة وبالغ في إكرامهم ووعد الحسن النصرة والأخذ بثأره ممن غلبه على ملك سلفه

في عود الحسن بن كعون إلى المغرب وما كان من أمره إلى مقتله وأقراض دولته

لما استقر الحسن بن كعون بمصر عند العزيز زرار أقام عنده مدة طويلة إلى أن دخلت سنة ثلاث وسبعين
 وثلاثمائة في أيام هشام المؤيد بالله الأماوي فكتب زرار للحسن بعهدته على المغرب وأمر عامه على
 إفريقية بلكين بن زري بن مناد السنجاحي أن يقو به بالجيش فسار الحسن إلى بلكين فأعطاه عسكرا
 يشغل على ثلاثة آلاف فارس فاقصم بهم بلاد المغرب فساوت إليه قبائل البربر بالطاعة فشرع
 في اظهار دعوته واتصل خبره بالمنصور بن أبي عامر حاجب هشام المؤيد والقائم بملكه فبعث إليه ابن عمه
 الوزير أبو الحكم هرون بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسكلاجة في جيش كثيف وقلده أمر المغرب
 وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن بن كعون ففعلوا وجهه وركب البحر إلى سبتة ونزع إلى حرب الحسن
 فحاط به حاصره أياما ثم أجاز المنصور بن أبي عامر ولده عبد الملك في أثر الوزير أبي الحكم في جيش كثيف
 معه إليه فلما رأى ذلك الحسن بن كعون سقط في يده ولم يجد حيلة فطلب الأمان على نفسه على أن يسير إلى
 الأندلس كمثل حالته الأولى فأعطاه الوزير أبو الحكم من ذلك ما وثق به وكتب إلى ابن عمه المنصور يخبره

بذلك فامر بتجمله الى قرطبة موكلابه فبعث به اليه ولما انتهى الخبر الى المنصور بقدم الحسن لم يحض
أمان ابن عمه وانفذ اليه من قسده في طريقه وآناه برأسه ودفن شلوه بكن مقتله وذلك في جمادى الاولى
سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وركبت ربح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم وانقرضت دولتهم وتفرقت
الادارسة في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا الشارة ذلك النسب الشريف واستحالت صفتهم
منه الى البداوة واستمر الحال الى ان اشرفت دولة بني أمية بالاندلس على الانقراض وكان بالاندلس
رجلان من آل ادريس دخلوا في جملة البربر الذين كانوا هناك وهم على والقاسم ابنا جود بن ميمون
ابن اجد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فطار لهما ذكرفي الشجاعة والاقدام ثم ترفت بهم الاحوال
الى ان وروا خلافة الاندلس من يد الامويين بها في خبر طويل ولما قتل الحسن بن كعون هبت ربح
عاصف احتملت رداءه فلم يوجد بعد قالوا وكن كان الحسن هذا فظا غلط قاسي القلب كان اذا نظير بعدو
أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعة المسماة بمجر النصرية هو من هنا الى الارض مذ
البصر يدفع الرجل بحسبة ثمذ اليه فلا يصل الى الارض الا وقد تقطع قال ابن أبي زرع كان مدة ملك
الادارسة بالمغرب من يوم بوع ادريس بن عبد الله وذلك يوم الخميس السابع من ربيع الاول سنة اثنتين
وسبعين ومائة الى ان قتل الحسن بن كعون وذلك في جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مائتي
سنة وثلاث سنين سوى شهرين تقريبا وكان عملهم بالمغرب من السوسن الاقصى الى مدينة وهران
وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة وكانوا يكدون دولتين عظمتين دولة العبيديين بافريقية ودولة
بني أمية بالاندلس وكانوا يراخون الخلفاء الى ذروة الخلافة ويقعد بهم عناضف سلطانهم وقلة ما لهم
فكان سلطانهم اذا استنقوا في ينتهي الى مدينة تلمسان واذا اضطرب الحال عليهم وضعوا الامواج
سلطانهم البصرة وأصملا وجروا للنسرا الى ان انقضت أيامهم وانقرضت مدتهم والبقاء لله وحده وكان
في هذه المدة من الاحداث انه في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كانت ربح شديدة قلعت الاشجار
وهدمت الديار وقتلت الرجال (وفي ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب منها ظهر في البحر شهاب ناقب
ماثل كالعمود العظيم اضاء الليل لسطوع نوره وأشبهت تلك الليلة ليلة القدر وقارب ضوءها ضوء النهار
(وفي هذا الشهر أيضا) كسف النيران غسفت القمر ليلة أربع عشرة منه وطلعت الشمس كاسفة في اليوم
الثامن والعشرين منه (وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة كان الجراد بالمغرب (وفي سنة اثنتين
وسنتين بعدها دخل مغراوة المغرب وملكوه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان الغراوي وفيها
توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أبو ميمونة دراس بن اجميل وهو أول من أدخل مدونة محسنون مدينة
فاس وذكر الراسطي ان وفاته كانت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ولعله أصبح (وفي سنة سبع وسبعين
وثلاثمائة عم الجراد بلاد المغرب كلها (وفي سنة ثمان وسبعين بعدها كان الفيض الذي فاضت منه
جميع اودية المغرب (وفي سنة تسع وسبعين بعدها كانت الريح الشرقية بالمغرب ودامت ستة أشهر
فاعقبوب باعظيما وأمرضا كثيرة (وفي سنة ثمان وثلاثمائة تداوى الله عباده وكان الرخاء المفرط
بالمغرب فكان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرة وكان الفلاحون وأصحاب الحرف يتركونه فاعماق
محافلهم لا يجدونه لخصمه

والخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن بفاس والمغرب

ينبغي أن تقدم هنا كلاما يكون كالتوطئة لخبار هذه الدولة الغراوية فتقول ان هذه الدولة لم يكن لها
استقلال بالمغرب وفاس ولما كانت رياستها تحت نظر الامويين بالاندلس ثم ان مغراوة وبني يفرن
قبيلتان من أعيان قبائل زناتة وكان مغراوو يفرن أخوين شقيقين وهما ابنا صلي بن مسري بن زاكيا

ابن ورسيل بن الديب بن زانا وهو أبو زنانة وقد تقدم لنا في أخبار الفتح ان العصابة رضى الله عنهم
أسروا صولات بن وزمار كبير مغراوة لذلك العهد وبعثوا به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فأسلم على يده
وولاه على قومه وقيل ان صولات هاجر الى عثمان رضى الله عنه طائعا من غير أسرها كرمه وولاه فكان
بيت صولات بسبب هذه التزينة فيها في قومه مغراوة وسائر زنانة ولما مات صولات ورث رياسته
من بعده ابنه حفص بن صولات ثم من بعده خزن حفص بن صولات ثم ابنه محمد بن خزن وهو الذي
غزاه ادريس بن عبد الله عدنية تلمسان واتعاده وأجاب دعوته ودخل ادريس معه تلمسان وأصلح شأنها
وبنى مسجد هاجسما ثم انما خبر عن ذلك مستوفى ثم لم تزل ذرية محمد بن خزن هذا تتوارث رياسته سلفهم
من بعدهم الى ان كان منهم في صدر المائة الرابعة أربعة أخوة وهم محمد بن خزن وعبد الله بن خزن ومحمد
ابن خزن وفضل بن خزن وكلهم رئيس شريف في قومه ولهم أخبار مع خلفاء الشيعة بافر بقة والمر وانين
بالاندلس يطول ذكرها مع انها ليست من موضوعنا ولما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة وحف بلكين
ابن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب افر بقة بعد العبيدين الى المغرب الاقصى وأناخ على مدينتي فاس
وقتل عاملها محمد بن أبي علي بن شوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة
الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكاسي وأجفلت ملوك زنانة من بني خزن المغراويين وبني محمد
ابن صالح البغريين أمامه وانما جزا واجيعا الى سنة وعبر محمد بن الخير من آل خزن البصري الى المنصور بن أبي
عامر صر صر فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء مع ذلكهم بنفسه وعقد بطريق على
ابن جدون على حرب بلكين الصنهاجي وأجاز له البحر وأمه بمائة جبل من المال فاجتمعت اليه ملوك
زنانة وضربوا مصافهم بساحة سبعة وجاء بلكين الصنهاجي حتى صعد جبال تطوان وتسلم هضابها وأطلق
على عساكر زنانة وأهل الاندلس بساحة سبعة فرأى ما لا قبل له به ويقال انه لما عين ذلك قال هذه
أففى ففرت الينا فهاها وكتر راجع على عقبه فاجتاز على مدينة البصرة وكان بها حامية أهل الاندلس
وبها يومئذ هامة عظيمة فقدمها ثم صعد الى برغواطة بلاد تامسانا فاجدهم وقتل ملكهم عيسى بن أبي
الانصار واستولى على المغرب أجمع وعي دعوة بني أمية من فواحيه ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة وقدم الحسن بن كنون الادريسي من مصر الى المغرب يطلب ملك سلفه انضم اليه يدوان يعلى
ابن محمد بن صالح البغري في قومه وشابعه على مراده وصرح المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس اليه
ابن عمه أبا الحكم الملقب بعسكلاجة وانضم اليه آل خزن المغراويون وهم محمد بن الخير الاصغر وخزن ون
ابن قفل بن خزن ومقاتل وزيري ابن اعطية بن عبد الله بن خزن وانضم اليهم سائر مغراوة وظاهر وأ
أبا الحكم عسكلاجة على شأنه في حصار الحسن بن كنون حتى طلب الامان لنفسه حسبا استوفينا خبره
أنما تم تقدم عسكلاجة الى فاس فدخلها واستولى على عدوة الاندلس سنة خمس وسبعين وثلاثمائة
وخطب بها النبي أمية وبقي محمد بن عامر المكاسي حامل الشيعة بعدوة القرويين الى سنة ست وسبعين
وثلاثمائة فأتى أبو ياش فدخل عدوة القرويين بالسيف وقبض على محمد بن عامر المكاسي فقتله
وخطب بها النبي أمية أيضا هكذا في القراطيس وهو قال ابن خلدون ان المنصور بن أبي عامر عدا على
المغرب بعد انصرف عسكلاجة عنه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الوود السلمي وأطلق يده في الاموال
والرجال وأرسله اليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما تاتل وزيري
ابن اعطية لحسن انخباهم الى المرابطين وصدق طاعتهم فلم واغراه يدوان يعلى البغري لتمريره في
الطاعة وقباه مع الحسن بن كنون فتفد الوزير حسن بن عبد الوود له ووزل بقاص وضبط المغرب
أحسن ضبط واجتمعت عليه مغراوة ثم هلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين ورث رياسته على بادية
قومه أخوه زيري بن عطية وحسنت محبته للوزير حسن بن عبد الوود ومعاملته له ثم ان المنصور

ابن أبي عامر استدعى زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوجد عليه وأحسن المنصور اليه ورفع منزلته ثم عاد إلى المغرب وأمره بقتال يدو بن يعلى اليفرقي فاجتمع عليه هو والوزير ابن عبد الدود فقاتلوه فانتصر عليهم يدو بن يعلى وقتل الوزير ابن عبد الدود ثم عقد المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية من بعده على المغرب وفاس وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة هذا ملخص ما عند ابن خلدون في هذا الخبر ثم حكى بعده ما يخالفه مما نذكره مبسوطا عن قريب وتوقف في أهم الصواب والله أعلم

في الخبر عن دولة زيري بن عطية المقرأى بفاس والمغرب

هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المقرأى وعبد الله المذكور هو أحد الأخوة الأربعة من بني خزر فيقال في القرطاس في ملك علي زانة سنة ثمان وستين وثلاثمائة فقام في المغرب بدعوة هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور بن أبي عامر وذلك بعد انقراض دولة الأدارسة منه وبني أبي العافية المذكورين فغلب زيري أولاً على جميع بلاد المغرب ثم ملك مدينتي فاس بعدد سكر لجة وأبي يمان دخلها سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فاستوطنها وصيرها دار ملكه واستقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه وهو في ذلك متمسك بدعوة بني مروان أصحاب الأندلس والله غالب على أمره

في حديث أبي البهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك

كان أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي قد خالف على ابن أخيه منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير إفريقية وظهير الدولة العبيدية وخلع دعوة الشيعة ومال إلى دعوة المروانيين وغلب على المهدية وتونس وشلشال وتلمسان وهران وشلف وكثير من بلاد الزاب وخطب للويد وحاجبه المنصور ابن أبي عامر وبعث يبيعه الميهم وذلك في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلما وصلت بيعته إلى المنصور بن أبي عامر بعث إليه بهمهده على ما يهده من البلاد وهدية وخطع وباربعين ألف دينار فلما قبض أبو البهار المال والهدية أقام على بيعته نحو الشهرين ثم خلعهم وعاد إلى العبيديين فبلغ ذلك المنصور فغاضبه وكتب إلى زيري بن عطية بعهدده على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله عليها فإسار اليه زيري بن عطية من فاس في جيوش لا تحصى من قبائل زانة وغيرهم ففر أبو البهار أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك له البلاد فلما ذكر زيري بن عطية تلمسان وسائر أعمال أبي البهار فأنبسط سلطان المغرب من السوس الأقصى إلى الزاب وكتب بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر وبعث له بهدية عظيمة فيها ما تافى من عناق الخيل وخسوس جلامهر يسابقة وألف درفحة من جلود اللط وأحال كثيره من قس الزان وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش العسراوية كاللظ وغيره وألف جل من التمر الجيد في جنسه وأجال كثيرة من ثياب الصوف الرفيقة فسر بها المنصور وكافأه عليها وكتب له بتجديد عهده على المغرب وذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وأقام زيري بن عطية بفاس وأسكن قبيلة بأفحاءها بالقرب منها في قباطينهم ودفع بني يفرن عن فاس وأحوازها إلى نواحي سلا فاستولوا عليها كما سيأتي

في وفادة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالأندلس

لما كانت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية أن يقدم عليه بقرطبة فاستخلف على المغرب ولده المعز بن زيري وأمره بسكنى تلمسان واستخلف على عدوة الأندلس من فاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن نعلبة وعلى عدوة القرويين منها علي بن محمد بن أبي علي بن قشوش وولى قضاء المدينتين الفقيه الفاضل أبي محمد قاسم بن عامر الأزدي وسار إلى الأندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة من جلتها أثر فصيح يتكلم بالعريسة والبرية ودابة من دواب المسك ومهاة وحشية تشبه الفرس وحياوات غريبة وأسدان عظيمات في قفه بين من حديد وشئ كثير من التمر في غاية الصكبر

الواحدة منه تشبه الخيل عظماء وجل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل فاحتفل المنصور ولقد دمه احتقاراً عظيماً وبرز الخافصة والعامرة للقائه وأترته بقصر جعفر الحاجب وتوسع له في الجرايات والاکرام ولقبه باسم الوزير وأفاض عليه أموالاً جسيمة وخلعاً نفيسة وعجل براحه إلى عمله بعد أن جدد له عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه فصر البصر واحتل مدينة طنجبة فلما استقرت بها وضع يده على رأسه وقال الآن علت أنثى في فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سمى به ولقد غناطيه به بعض رجاله فمهاه عن ذلك وقال وزير من بالكع لا والله إلا أمير بن أمير وأهجا لابن أبي عامر وغرقته لأن تسمع بالمعدي خير من أن تراه والله لو كان بالاندلس رجل متركه على حاله وإن له منالي وما وبنت مقاتله المنصور فصر عليها أذن وزاد في اصطناعه إلى أن كان ما نذكره

في استيلاء يدو بن يعلى البصري على فاس ومقتله

تقدم لنا ابن بغير من أعيان قبائل زناتة وكان يدو بن يعلى بن محمد بن صالح البصري قد قام بأمر بني بغير بن محمد مقتل أبيه يعلى بن محمد حين قتله جوهر الكاتب قائد الشيعة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فملك يدو كثيراً من وادي المغرب واتصلت رياسته إلى هذا التاريخ وتقدم لنا أن مغراوة دفعوا بني بغير إلى سلا وأحواز فاستولوا عليها وكان الأمير يدو بن يعلى مضاهيلاً يري بن عطية في الحسب والفضل والمال ولما استدعى المنصور بن أبي عامر يري بن عطية للوفادة المتقدمة أراد أن يفعل يدو بن يعلى مثل ذلك وكان قصده أن يكره له لأنه كان لا يطمئن إليه أطمئنان يري بن عطية فأساء يدو بن يعلى أجابة المنصور وقال متى عهد المنصور رجح الوحش تنقاد لياطرة فاقصر عنه المنصور وكانت بين يري وبتو بن يعلى منافسات ومنازعات على الرياسة بالمغرب فكان يدو بن يعلى إذا غلب على يري دخل مدينة فاس واستولى عليها وإذا غلب عليه يري أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما محبلاً وسميت الرعية بفاس كثرة تعاقبهم عليها ثم لما سافر يري بن عطية إلى الأندلس انتهز يدو بن يعلى الفرصة في غيبته فزحف إلى فاس ودخل منها عدوة الأندلس بالسيف في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وقتل بها خلقاً كثيراً من مغراوة فلما نزل يري بن عطية بطنجبة اتصل به خبر يدو بن يعلى واستيلائه على فاس فاسرع السير نحوه حتى نزل قريباً من فاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبني بغير إلى أن هزمه يري واقفهم عليه فأساعوه فقتله ومثله به وبعت برأسه إلى المنصور بن أبي عامر بقرطبة وذلك سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

في بناء مدينة وجدة

لما قتل يري بن عطية يدو بن يعلى صفاه أمر المغرب ولم يبق له به منازع وهابته الملوكة وبقي الأمر مستقيماً بينه وبين المنصور في الظاهر فبنت حتمه إلى بناء مدينة تكون خاصة به وبقومه وأرباب دولته فبنى مدينة وجدة وشيد أسوارها وأحكم قصبها وركب أبوابها وسكنها بأهلها وحشمه ونقل إليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وتقرأ للعلماء من المغرب الأقصى والوسط وكان اختطاطها أياها في شهر رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولم يزل يري بن عطية في علو سلطان وارتفاع شأن إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة ثم حدث ما نذكره

في حدوث الفجرة بين يري بن عطية والمنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك

ثم فسد ما بين المنصور وبين يري بن عطية واتصل بالمنصور أن يري ينتقمه ويعرض في شأنه ويحجبه على المؤيد ويتكلم فيه بالقبح فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجري به عليه في كل سنة ونحى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه فحزم يري على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقصر على ذكر

هشام المؤيد وطردهما من المغرب وألجأهم إلى سبتة فأنفذ إليه المنصور بن أبي عامر مولاه وأخاه
الفتي في جيش عظيم وأمدّه بالجاه من سائر الطبقات وأزاح عنهم وأفاض عليهم الأموال للنفقات
وأأنواع السلاح والكنى فعبروا بطن البحر واستقرت عدينته فأنفذهم إلى بعض قبائل البربر من غمارة
وصنهاجة وغيرهم وبايعوه على قتال زيري بن عطية ومن معه من قبائل زناتة فأفاض عليهم الخلع
والأموال ثم أمدّه المنصور بمن كان معه بالاندلس من ملوك البربر النازعين عن زيري بن عطية إليه
فتكاملت جيوشه وخرج بهم وأضح من طنجة يوم فاسا فأنزل خبره زيري بن عطية ففرج اليه من فاس
في عساكر زناتة فالتقى الجمعان بوادي زادات فكانت بينهما حرب وبعدة العهد بينهما مدة من ثلاثة أشهر
إلى أن انهزم وأضح وقتل أكثر جيشه وفر وأضح إلى طنجة فدخلها منهزما وكتب إلى المنصور يطلب منه
المدد وقال إن خلدون في أن وأخاه حين برز من طنجة وزحف إليه زيري بن عطية فواقفا ثلاثة أشهر
ثم تناول وأضح أصملا ونكروا فضبطهما وأقامت الوقائع بينهما وبين زيري ثم بيت وأضح معسكر زيري
بنواحي أصملا وهم غارون فأوقع بهم وخرج المنصور من قرطبة فوصل إلى الجزيرة الخضراء ثم أجاز ابنه
عبد الملك المظفر بجميع عسكر الاندلس وقوادح حتى بقي المنصور وحده وأمره بحرب زيري بن عطية
فركب المظفر البحر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة وأصل خبر المظفر زيري بن عطية خفافه وأخذ في
الاستعداد لادلائقه وكتب إلى جميع قبائل زناتة يستصرحهم فأتته الوفود من بلاد ملوية وتلمسان
والزاب وسائر بوادي زناتة فقبض بهم إلى قتال عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر وز عبد الملك من
طنجة ومعه وأضح الفتى في جيوش لا تحصى والتقى الجمعان بوادي منى من أحواز طنجة فكانت بينهم
حرب أعظم من الأولى ودام القتال بينهم يوما إلى الليل وكان في عسكر زيري بن عطية غلام أسود اسمه
سلام كنز زيري فقتل أخاه فوجد الفرصة إليه فأنهزها وضرب به بسكين في صدره ثلاث ضربات فاشواه
أي لم يصب مقتلده وصر الأسود يشتم المظفر وبشره بقتل زيري فاستكذبه ثم سقط إليه الخيل الصبيح
بان زيري قد أنبت فشده عليهم عبد الملك وهم في حال دهشة من جرح أميرهم فهزمهم واشتمرت الهزيمة
على زيري وأصحابه وأخضع فيهم عبد الملك بالقتل ومك حيلة زيري بأسرها واحتوى على جميع ما فيها من
المال والسلاح والكرام والابل والعدة فاستولى من ذلك على ما لا يأخذه الحصر ومضى زيري على
وجهه حتى انتهى إلى موضع يعرف بضييق الحية بالقرب من مكاسة فمسك به واجتمع إليه الفضل من
قومه وعزم على الرجوع لتأخذه المظفر فأنزل الخبر بالمظفر فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس
وقدم عليهم وأخاض الفتى ونهضوا إلى زيري بن عطية فضرروا في محلته ليل العيسيق الحية وهم آمنون
فأوقعوا بهم وقعة عظيمة أسرف فيها من أشرف مفراوة نحو ألفي رجل وذلك في منتصف رمضان سنة سبع
وثمانين وثلاثمائة فامتنع عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم معه فكانوا من جنده وفرز زيري بن عطية
في شردمة من أصحابه وبني عمه فأنتهى إلى فاس فأغلق أهلها الأبواب ودونه فساءلهم أن يخرجوا إليه عياله
وأولاده فأخرجوهم إليه وأعطوه مع ذلك الزاد والدواب فأخذهم وانصرف إلى العسراء فقتل ببلاد
صنهاجة وكان ما ذكره أن شاء الله تعالى

وقدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنه بها

لما انهزم زيري بن عطية من مضييق الحية إلى العسراء نهض عبد الملك المظفر من معسكره يوم فاسا
فدخلها يوم السبت منسحق شوال سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فاستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن
لغاهم وكتب إلى أبيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء من قرطبة وعلى منبر مساجد
الاندلس كلها ثم باعق المنصور ألفا وخمسمائة مملوك وثلاثمائة مملوك شكرا لله تعالى وفرق
أموالا كثيرة على الفقراء وذوي الحاجات وكتب إلى ولده المظفر بعهده على المغرب وأوصاه بحسن

السيرة والعدل فقرئ كتابه على منبر مسجد القرويين وذلك يوم الجمعة آخر ذي القعدة من السنة المذكورة وانصرف واضح الى الاندلس واستوطن عبد الملك مدينة فاس وعمل فيها عدلا لم يعدهوه من أحد قبله وأقام بها سنة أشهر ثم صرفه والده عنها الى الاندلس وبث اليها عوضا منه عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام واليا عليها الى صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة فغزله المتصور عنها وما كان ولاه من بلاد العدو وولى عليها واخفا الغنى وانصرف عيسى بن سعيد الى الاندلس من السنة المذكورة

في بقية أخبار زيري بن عطية

لما تزل زيري بن عطية ببلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكهم مهاديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد صاحب افرقية فالوسل زيري بن عطية في قبائل زناتة حاسرين فأقن منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم فاعتزم زيري تلك الفرصة من صنهاجة فزحف اليهم وأغل في بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وجعله من بلاد الزاب وملك مع ذلك تلمسان وشلف والمسيلة وأقامها الدعوة للقيود وحاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن أبي عامر بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى ولايته وينفذ ما هو محاصر لا يشربيا كرها ويراجعها بالقتال انتقص عليه راجاته التي كان يرده الاسود فثابت منها سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

في أخبار بن دولة المعز بن زيري بن عطية الغراوي

لما هلك زيري بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه وضبط أمرهم وأقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور بن أبي عامر فقام بدعوتهم ورجع الى طاعته ولم يزل على ذلك الى ان توفي المنصور وولى ابنه بعده عبد الملك المطرف بايعه المعز أيضا ودعاه على منابر فغزل المطرف واخفا الغنى عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بعده على فاس وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وشروطه المعز ان يؤدي اليه في كل سنة مالا معلوما وخيلا ودرقا ووصل ذلك الى قرطبة وأعطاه مع ذلك ولده منصرف بن المعز رهنا وكانت نسخة كتاب العهد في يوم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المطرف سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة أهل مدينتي فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله (أما بعد) أصح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالحمد لله علام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذي البطش الشديد المبدي المعبد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر ويده الخير والشر اياه تعبدوا وياه نستعين واذا قضى أمر افاغما يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيري ابن عطية أكرمهم الله تابع رسوله لدينا وكتبه متصلا من ههنا دفعته اليها ضرورات ومستغفر من سيئات خطيئتين توبته حسنات والتوبة بخمسة الذنوب والاستغفار من مقدم العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن نكرهوا شيئا ولكم فيه خبيره وقد وعد من نفسه استئسار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة ونخفة المؤنة فولينا ما قبلكم وعهدنا اليه ان يعمل بالعدل فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويشاور عن مسيئكم الا في حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد جهنا الوزير ابا علي بن حذيم أكرمهم الله وهو من ثقاتنا ووجوه راجلنا لباخذ بشانه ويؤكد كد المهدي عليه بذلك وأمرناه بأشراككم فيه ونحن بأمركم معتون ولا حوالكم مطلقون وأن يقضى على الاعلى للادنى ولا يرضى

فيكم بشئ من الادنى فتقوا بذلك واسكنوا اليه ولم يرض القاضى أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا معهودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذ في الله لومة لائم فذلك ظنتابه اذ أولياه وأملنا فيه اذ قدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو وتبلغوا مناسلا ما يطيب جزيلنا ورحمة الله وبركاته ولما وصل الى المعز بن زيري العهد بولايته على المغرب ما عدا كورة مغلماسة فانها كانت لبني خرون بن قفل ضم شمرة وثاب اليه نشاطه وبث عماله في جميع كور المغرب وجبا تراجمها ولم تزل ولا تته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افرق امر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب أمر المغرب على المعز وأقام على ذلك الى ان هلك سنة سبع عشرة وأربعمائة كذا عصفه ابن خلدون وهو في القرطاس لم تزل بلاد المغرب أيام المعز في غاية الهدنة والعافية والرخاء والامن الى ان توفي في جادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والله اعلم * وأما ابنه معصفه فإنه أقام بقرطبة الى ان قامت الفتنة بالاندلس وانقرضت الدولة العاصرية فانصرف معصفه الى أبيه وعشرينه بناس وهو حكي في القرطاس انه لما كانت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتوفي عبد الملك المظفر وولى بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر بعث اليه المعز بن زيري بهدية نفيسة فيها خسون فرسا وكان ولده معصفه من تناعفده بقرطبة كما قلنا فأحضر الحاجب عبد الرحمن معصفه بن المعز حين وصلت اليه هدية أبيه فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعث به الى أبيه مكرما لجمع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغ عدد الخيل تسعمائة فرس ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية أعظم منها

في الخبر عن دولة حامية بن المعز بن عطية المغربي

لما توفي المعز بن زيري بن عطية وولى بعده ابن عمه حامية بن المعز بن عطية وليس بآل له كما زعم بعض المؤرخين وإنما هو ابن عمه وقع الاتفاق في بعض الاسماء فثبأ الغلط واستولى حامية على حمل فاس والمغرب واستفصل ملكه وقصده الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء وكانت الدولة بالاندلس قد تداعت الى الاختلال فكان ذلك من أسباب استحصال الدولة المغربية بناس والمغرب واستقلالها بالامر فكان لحامية من الظهور وما ذكرناه الى ان أصابته عين الكال بمنزلة أبي الكال على ما ذكره

في الخبر عن ثورة أبي الكال عم بن زيري اليفري واستيلائه على فاس وأعمالها

قد تقدم لنا ان بني يفرن كانوا قد تحيزوا الى نواح سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد ثم لما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة كان الامير على بني يفرن أبو الكال عم بن زيري بن علي بن محمد بن صالح اليفري فزحف من سلا الى فاس في قبائل بني يفرن ومن انضاف اليهم من زناته وبرزاليه حامية في جوع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة حامية ومات من مغراوة أم واستولى عم على فاس وأعمال المغرب ودخلها في جادى الاخرة من السنة لمذ كورة واستباحهم وودفقت منهم أكثر من ستة آلاف يهودى وسباحهم واصطلم نعمتهم بالمرّة يلحق حامية بوجدة فاستمد من كان هناك من قبائل مغراوة وزناته واتحاد قبائل ملوكة وانتهى الى نس فاستقر من هناك من زناته وبعث الحاشدين في قباطينهم الى جميع بلاد المغرب الاوسط وكتب من بعده من رجالهم فاجتمع له من ذلك جم غفير ثم زحف الى فاس سنة تسع وعشرين وأربعمائة فأفرج عنها أبو الكال وخلق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقام بها الى ان هلك سنة ست وأربعين وأربعمائة كانت مدة استيلائه على فاس وأعمالها خمس سنين وقيل سبع سنين وكان أبو الكال اليفري يغلب عليه لجفاء والجهل ومع ذلك فقد كان صابا في دينه مستقيما فيه مولعا بجهاد برغواطة كان يفرزهم من بني في لسنة الى ان توفي ولما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقتل ابنه في حرب لثونة جاؤا به ليدفنوه في جانب قبر أبيه أبي الكال فسمعوا من قبره تكبيرا وتنهيدا كثيرا فقبضوا عليه فالفوه لم يتغير منه شئ

عمره بعض قرأت في النوم فقال له ما هذا التكبير والتشهد الذي سمعناه من قبرك قال تلك الملائكة وكلهم الله يقبري بكبر يوم لا لون ويسبحون ويكون ثواب ذلك لي الى يوم القيامة قال يومئذ ذلك قال بجهداى برغواطة حتى هذا الخبر في القوطاس والله على كل شيء قدير وأقام جامعة في سلطان فاس والمغرب الى ان توفي سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقيل غير ذلك

في الخبر عن دولة دوناس بن جامعة بن المعز بن عطية المغربي

لما توفي جامعة بن المعز ولي بعده ابنه دوناس بن جامعة ويكنى أبا العطف واستولى على فاس وسائر ما كان لآبائه من مدن المغرب وأعماله وخرج عليه لأول دولته ابن عمه جادين معصر بن المعز بن عطية فحزرت له معه مشروب وخطوب وكثرت جوع جاد وغلب على ضواحي فاس وحاصرها حصارا شديدا وقطع عن عدوة القرويين جوة الوادي واحضر السباح المعروف بسباح جاد ويقال ان دوناس خندق به على نفسه واستمر جاد محاصر الفاس الى ان هلك سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فاستقامت دولة دوناس وانضمت آيامه ووصار الناس في هدنة ودعة ورخاء كبير وفي آيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي فأدار دوناس السور على أرباضها وبني بها المساجد والحمامات والفنادق واستعمر عمرانها فصارت حاضرة المغرب من يومئذ ولم يستغل دوناس من يوم ولي الى ان توفي الابناء والتشديد وكانت وفاته في شوال سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

في الخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغربي

لما توفي دوناس بن جامعة ولي بعده ابنه الفتوح بن دوناس وتزل بعده دولة الأندلس ونازعه الأمر أخوه الأصغر واسمه بجسة وكان شهبا عمر با فاستولى على عدوة القرويين واستبد على أخيه واقترب أمر فاس وأعمالها باقترا فها واما فقامت الحرب بينهما على ساق وبني الفتوح بعده دولة الأندلس قضية منبهة بالموضع المعروف بالسككذان وبني عسيبة أيضا قضية مثلها برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين وكثرت العدو بينهما واستحكمت فككالا يفتران عن القتال لب لا ونازلوا عظم الجوف بالمغرب وكثرت المخرج وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وظهرت ثنونة على أطراف البلاد فلكوها والأمر لا زال والحال ماحال وليس لأهل فاس شغل الا القتال واستمر الأمر على ذلك ثلاث سنين الى ان مات الفتوح عسيبة فاقسم عليه عدوة القرويين ليلال قتله واستولى على العدوتين معا والفتوح بن دوناس هذا هو الذي بني باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلي وبه عرف الى الآن وأخوه عسيبة هو الذي بني باب عسيبة برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين من ناحية الجوف وبه عرف أيضا الى الآن فلما ظفر الفتوح بجسة وقتله أمر بتغيير اسم الباب المنسوب اليه فاسقط الناس العين من بجسة وعوضوا عنها الألف واللام فقالوا باب الجيسة قاله في القوطاس وقال ابن خلدون في خفوه لكثرة الاستعمال ولم يزل الفتوح مستوليا على فاس الى ان دهم المغرب مادحه من أمر المرابطين من ثنونة وخشى الفتوح مقبة لك فافرج عن فاس وتغلب عليها وزحف صاحب القلعة بلكين بن محمد بن جاد المسنجاى الى المغرب سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودخل فاسا واحتمل من أسكابرها وأمرها عدا رهنها على الطاعة قبل الى قلعتها

في الخبر عن دولة معصر بن جادين معصر بن المعز بن عطية المغربي

اتخذ الفتوح بن دوناس على ملك فاس وأعمالها قام بالأمر بعده قريبه معصر بن جادين معصر بن المعز بن عطية فبايعته قبائل مغراوة الذين بفاس وأحوازها وذلك في رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة وكان معصر ذا خرم ورأى وشجاعة وأقدام وشغل به سنة ثمانية وكانت له عليهم الوقفة

المشهوره ثم غلب يوسف بن ناشئين على فاس وخلف عليها عامه وارتحل الى غماره وفتح الكثير من بلاد هاتحي اشرف على العظيمة ثم رجع الى حصار قلعة فازل فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب واتصل الخبير بيوسف بن ناشئين وهو محاصر لقلعة فازل فاستدعى مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكاسة لتسقيش به على فاس فاستعرضه معنصر في طريقه قبل أن تتصل أيديهما وناجزه الحرب ففرض جوعه وقتله وبعث برأسه الى وليه الحاجب سكوت البرغواطي صاحب سبتة واستصرخ أهل مكاسة بيوسف بن ناشئين فصرح عساكر لمتونة الى حصار فاس فأخذوا يخنقها وقطعوا المرافق عنها وألحوا بالقتال عليها حتى اشتد باهلها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الزاحين فكانت الدائرة عليه وقضى المهمة ذلك اليوم سنة ستين وأربعمائة فملا يدبر ما قبل الله سبحانه وتعالى

في الخبر عن دولة تميم بن معنصر المقرأوي

لما قدم معنصر بن جاد في المهمة التي كانت بينه وبين اللتينين بايع أهل فاس من بعده لاتباعه تميم ابن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وقتته وجهه وغلاوشغل يوسف بن ناشئين عنهم بفتح بلاد غماره حتى اذا كانت سنة اثنتين وستين وفتح من فتح غماره صعد الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم وهلك تميم بن معنصر في جلته ثم حتى يفرج الناس عن موارثهم فرادى فاتخذوا لهم الاخاديد وقبر واجاعات وخلص من نجاة من القتل منهم الى تلمسان قاله ابن خلدون (وقال في القرطاس) دخل يوسف بن ناشئين مدينة فاس الدخلة الثانية الكبرى فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن في أزقتها وجوامعها ما يزيد على العشرين ألف رجل وذلك سنة اثنتين وستين وأربعمائة وانقرضت دولة مغراوة من المغرب والبقاء لله وحده وكانت مدة دولتهم نحو مائة سنة وفي دولتهم عظم شأن فاس وبنيت الاسوار على أرباضها وحصنت أبوابها وزيد في مسجدتها القرويين والاندلس زيادة كثيرة واتسع الناس في أيام مغراوة في البناء فغطت فاس واستبحر عمرانها وسكنت خيراتها واتصل الامن والرخاء في أيامهم الى ان ضعفت أحوالهم وجاروا على رعيتهم بأخذ أموالهم وسلب ثماثهم والتعرض لحرهم فانقطعت عنهم المواد وكثر الخوف في البلاد وغلب الأسعار وبلا الله عباده بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثروات وذلك في دولة الفتح ابن دوناس ومن بعده فكانت فاس مغراوة وبنى يفرن يلجئون على الناس دورهم فأخذون ما يجدون بهامن الطعام ويتعرضون لنسائهم وصيداتهم يأخذون أموال التجار فلا يقدر أحد أن يمدحهم عن ذلك وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على قبة جبل العرض فينظرون الى الدور التي بالمدينة فاذا رأوا دارا بها دخان قعدوها وأخذوا ما وجدوا بها من طعام أو غيره ومن قمر من لهم في ذلك فتلوه فلما ارتكبوا هذه العظام سلبهم الله ملكه وغير ما بهم من نعمه والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فسلط الله عليهم المرابطين فحوا آثارهم من المغرب ونفروهم عنه بالكيفية وطهروهم من جورهم وفي أيامهم اتخذ أهل فاس الطعام يرفي بيوتهم الطحين والطبخ لئلا يسمع دوى الرعي فقصدهم سفهاء مغراوة (وفيها أيضا) اتخذوا غرالا هراقا حتى اذا كان عشي النهار صعد الرجل بالهدهد وبعاله اليها بسلم ثم رفع السلم معه لئلا يدخل عليه فجاءه وكان من هذائهم كثير وكان من الاحداث في هذه المسئلة انه في ليلة الخميس الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ظهر نجم في السماء كان في رأي العين مثل الصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق ونهافت جريا فباين المغرب والجوف وظاهر منه شر عظيم فزع الناس منه واستعاذوا بهم في صرف مكر وهه عنهم في سنة اثنين وعشرين بعد هه كان الكسوف الكلي الذي اذهب جميع القرص وفي سنة خمس وعشرين

وثلاثمائة كانت الریح المائلة التي تظر الناس فيها الى البها ثم تحسرين السماء والارض نعوذ بالله من
 صخطه * وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة طلع الكوكب الوقاد وهو نجم عظيم ضخم الجرم كثير الضياء
 * وفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة طلع نجم عظيم من ذوات الاذنب شديد الارتعاد * وفي سنة سبع
 وأربعمائة انقرضت دولة بني أمية بالاندلس وقامت بها دولة بني جد فكانت مدتها نحو سبعين
 وانقرضت أيضا واقترب أمر الجماعة بالاندلس وصار الملك بها طوائف الى ان نسخ ذلك يوسف بن
 تاشفين * وفي سنة إحدى وعشرة وأربعمائة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تاهرت الى سجلماسة
 وكثر القناء في الناس نسأل الله العافية * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة كانت الزلزلة العظيمة بالاندلس
 اضطربت لها الارض وانهممت الجبال * وفي سنة سبع عشرة وأربعمائة توفي الفقيه ابن الجوزي
 بفس * وفي سنة ثلاثين وأربعمائة توفي الشيخ الفقيه أبو عمران الفاسي قال في التشوف أبو
 عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي أصله من مدينة فاس وزل بالقيروان فأخذ عن أبي الحسن
 القاسبي ثم رحل الى بغداد فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب ثم عاد الى القيروان وبها مات لثلاث
 عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة وكان مقدما في الفضل والامانة اهـ

في الخبر عن الدولة الصنهاجية التتوية المرابطية وأوليتها

قد تقدم لنا عند الكلام على نسب البربر وشعوبها أن صنهاجة إحدى قبائل البرانس من البربر وانهم
 أعظم قبائلها بالمغرب لا يكاد قطر من أقطاره يتخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسطة حتى زعم كثير
 من الناس انهم ثلث البربر وتقدم لنا ان النسابين من العرب زعموا ان صنهاجة وكثارة من جبر خلفهم
 الملك افرقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والتحقيق خلاف ذلك وانهم من كتمان بن حام
 كسائر البربر وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتمي الى السبعين منهم مأتونة وكذالة ومسوفة ومسرارة
 ومداة وبنو وارث وبنو دخير وبنو زيا وبنو موسى وبنو شمال وغير ذلك وتحت هذه القبائل بطون
 وأنحاذ تغوت المحضر وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان احدهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجين
 بافريقية ووثاما كلها من يد الشيعة العميديين والاخرى دولة الملقين بالمغرب الاقصى والواوسط
 والاندلس كاسياتي وموطن هؤلاء الملقين أرض مصر والمال الجنونية فيما بين بلاد البربر وبلاد
 السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً وفيهم قوم لا يعرفون حنوا ولا زرعاً
 ولا فاكهة وانما أموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللين يقيم أحدهم حره لا يأكل خبز الا أن يمر ببلادهم
 التجار فيضفونهم بالخبز والدقيق وانما قيل لهم الملقون لانهم يتلقون ولا يكشفون وجوههم أصلاً
 قال ابن خلدون في اللثام سنة لهم بتوارثهم اخفا عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان جبر كانت تنتم
 لشدة الحر والبرد تفعله انطواص منهم فكثرت ذلك حتى صار تفعله عامتهم وقيل كان سببه ان قوما من
 أعدائهم كانوا يقصدون غلبتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم فأشار
 عليهم بعض مشائخهم ان يبيعوا النساء فيرى الرجال الى ناحية ويقعدوهم في البيوت مثلين فيرى
 النساء فاذا ناهم العدو وظنوهم نسائهم جوا عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيف فقتلواهم
 فلزموا اللثام تبركاً بهما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال عز الدين ابن الاثير في كامله ما مثله وقيل
 ان سبب تلثمهم ان طائفة من لثامهم جوامع من على عدوهم ففعلهم العدو في بيوتهم ولم يكن بها
 الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو وأمر والنساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلخن
 ويضيقنه حتى لا يعرفن بلبسهن السلاح ففعل ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهم واستدار النساء
 بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جماعهم اظنه رجالاً وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهم قتال
 الموت والرى ان نسوق النعم ونغني فان اتبعونا فلناهم خارجا عن حريمهم فينماهم في جمع النعم من

المراعي إذا قبل الرجال إلى الحى فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خلقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر فى ذلك الوقت جعلوا للثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يرونه لئلا ولا نهرا وفى ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب

قوم لهم شرف العلى من جبر * وإذا انقوا صناعه فهم هم
لماحوا أحوال كل فضيلة * غلب الحياء عليهم قتلوا

وقال ابن خلدون كان دين صناعه أهل اللثام الجوسية شأن برارة المغرب ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات العصرية حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس وكانت الرياسة فيهم للتونة واستوسق لهم ملك ضمن عند دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس قوارنه ملوك منهم من بنى ورقتطوا وطلات أعمارهم فيه إلى الثمانين ونحوها ودقوا تلك البلاد العصرية وجاهدوا من بهامن أمم السودان وجاهلهم على الإسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزيرة فقبولها منهم ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ووراستهم شيئا واستقر وأعلى ذلك مائة وعشرين سنة إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاف المعروف بتاسرت التوفى فاجتمعوا عليه وأحبوه وباعوه وكان من أهل الفضل والدين والجهاد وأجلى قلب فيهم ثلاث سنين ثم استشهد فى بعض غزواته

في الخبر عن رياسة يحيى بن إبراهيم الكدالى وما كان من أمره مع الشيخ أبي عمران الفاسى رحمه الله لما توفى أبو عبد الله بن تيفاف قام بأمر صناعه من بعده يحيى بن إبراهيم الكدالى وكذا للتونة أخوان يجتمعان فى أب واحد وكل منهما قبيل كبير يسكنون العصرية التى تلى بلاد السودان ويليهما من جهة المغرب البحر المحيط فاستقر الأمير يحيى بن إبراهيم على رياسة صناعه وحرمهم لأعدائهم إلى أن كانت سنة سبع وعشرين وأربعمائة فاستخلف على صناعه ابنه إبراهيم بن يحيى وأرسل إلى المشرق يرسم الخ فلما قضى حجه ووزارته قتل إلى بلاده فتر فى عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه أبا عمران الفاسى وحضر مجلس درسه وتأثر وعظم فراه الشيخ أبو عمران محباً فى الخير فأجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق فقال له الشيخ وما ينتحلون من المذاهب قال أنهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم فاختبره الشيخ وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئاً إلا أنه حرص على التعلم صحيح النية والعقيدة فقال له الشيخ وما يمنعك من تعلم العلم قال يا سيدي عدم وجود عالم بأرضى وليس فى بلادى من يقرأ القرآن فضلاء العلم ومع ذلك فأهل أوضى يحبون الظير ورغبون فيه ولو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم فى دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الإسلام فلورغبنا فى الثواب من الله تعالى لبعت معى بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين فينتفعون به ويكون لك وله الأجر العظيم عند الله تعالى إذ كنت سبب هدايتهم فندب الشيخ أبو عمران تلامذته إلى ذلك فاستمع به وادخل أرض الحضراء واشفقوا منها فقال الشيخ أبو عمران ليحيى بن إبراهيم أنى أعرف ببلد تنفس من أرض المصامدة فقبها ذا قورعا وأخذ عنى علما كثيرا واسمه وأجابه بن زلوا اللطى من أهل السوس الأقصى كتب له كتابا لينظر فى تلامذته من يبعثه معك فسر إليه لعلك تجد حاجتك عنده فكتب إليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه أما بعد إذا وصلت حامل كتابى هذا وهو يحيى بن إبراهيم الكدالى فابعت معه من طلبتك من تتق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم فى دين الله ولك وله فى ذلك الثواب والأجر العظيم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وأبو محمد وأجابه هذا من رجال التشوف قال فيه ومنهم وأجابه بن زلوا اللطى من أهل السوس الأقصى رحل إلى القيروان وأخذ عن أبي عمران الفاسى ثم عاد إلى السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقرأ القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه

وإذا أصابهم قحط استسقوا له فسار يحيى بن ابراهيم بكاتب الشيخ أبي عمران حتى وصل إلى الفقيه وإباح عبد بن نفيس فسلم عليه ودفع إليه الكتاب وكان ذلك في رجب سنة ثلاثين وأربعمائة فنظر الفقيه وإباح في الكتاب ثم جع تلامذته فقرأ عليهم وندهم لما أمر به الشيخ أبو عمران فانتدب لذلك رجل منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة مشاركا في العلوم فخرج مع يحيى بن ابراهيم إلى الصحراء وكان من أمره ما قصه عليك

في الخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بها

لما انتهى يحيى بن ابراهيم إلى بلاده ومعه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي لتقاء قبائل كدالة ولتونة وفرحو باعقد معهم ما يتخونوا الفقيه والعوفي أكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم درس الدين ويسوهم بآداب الشرع والفاهم يتزوجون أكثر من أربع حواثر فقال لهم ليس هذا من السنة وإنما سنة الاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حواثر فقط وله فيما شاء من ملك العيين سعة وجعل بأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وكسبهم عن كثير من مآلوفاتهم الفاسدة وشد في ذلك فاطر حووه واستصعبوا عليه وتركوا الأخذ عنه لما جنهم من مشاق التكليف فلما رأى عبد الله بن ياسين أعراسهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم إلى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام يومئذ فلما ترك يحيى بن ابراهيم ذلك وقال له إنما أتيت بك لا تنفع بعلمك في خاصة نفسي وماعلى فبين ضل من قومي وكان قومه ليس عندهم من الاسلام الا الشهادة دون ما عداها من أركان الاسلام وشرائعه ثم قال يحيى بن ابراهيم لعبد الله بن ياسين هل لك في رأى أشير به عليك ان كنت تريد الاخرة قال وما هو قال ان ههنا جزيرة في البحر قال ابن خلدون هو بحر النيل يحيط بها من جهاتها يكون خضضا في الصيف يتحاضر بالاقدام وغمر في الشتاء يعبر بالزوارق قال يحيى بن ابراهيم وفيها الحلال المحض من شجر البرية وصيد البر والبحر تدخل فيها ونقات من حلالها ونصب الله تعالى حتى غوت فقال عبد الله بن ياسين ان هذا رأى حسن فهم بنا فلندخلها على اسم الله فدخلها ودخل معها سبعة نفر من كدالة وابتقى عبد الله وابطة هنالك وأقام في أمهات يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة أشهر يتسامع الناس بهم وانهم اعترفوا بدينهم يطلبون الجنة والنسابة من النار فكثر الواردون عليهم والتواؤم لديهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستقبلهم إلى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويعذرهم ألم عقابه حتى تمكن حبه من قلوبهم فلم تغر عليه الامدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل وكان من أمرهم ما سمعته عن قريب

في شروعه عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك

لما اجتمع إلى عبد الله بن ياسين من أشرف صهاجة نحو ألف رجل سماهم المرابطين للزومهم رابطة ولما تقهروا ورجع فيهم الذين قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم إلى الجنة وخوفهم من النار وأمرهم بتقوى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظم جزائه ثم ندبهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صهاجة وقال لهم معشر المرابطين انكم اليوم جع كثير نحو ألف رجل ولن يلبث ألف من قلة وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أحل لكم الله تعالى وهذاكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمة الله عليكم بأن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتحبوا في الله حتى جهاد فقالوا له أيها الشيخ المبارك من نأجنا شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لقتلنا فقال لهم انخرجوا على بركة الله وانذروا قومي وخوفوهم عقاب الله وانفخواهم حجة فان تابوا اغلوا سيلهم وان أبوا من ذلك وتعادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم

وجاهدناهم

وجاهد باهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته فوعظهم
 وأنذرهم ودعاهم الى الافلاح عما هم بسبيله فلم يرفعوا بذلك رأسا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه
 وجع أشياخ قبائلهم وجوهها وقرأ عليهم بحجة الله ودعاهم الى التوبة ورغبهم في الجنة وخوفهم من
 النار وأقام ينذرهم سبعة أيام وهم في ذلك كله لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الافسادا فلما شئ منهم
 قال لاصحابه قدأ بلغنا في الحجة وأنذرنا وأعدرنا وقد وجب علينا الان جهادهم فاغزوهم على بركة الله فبدأ
 أولا بقبيلة كدالة فنزلهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهم ما بين يديه وقتل منهم خلقا كثيرا
 وأسلم الباقيون اسلا ما جديدا وحسنت حالهم وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم وكان ذلك
 في صفر سنة أربع وثلاثين وأربع مائة ثم سار الى قبيلة لتونة فنزل عليها وقتلهم حتى أظهره الله عليهم
 وأذعنوا الى الطاعة ويايعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له
 ويايعوه على ما يابعه لتوننو كذلك فلما رأى ذلك سائر صنهاجة ساروا الى التوبة والبايعه وأقروا له
 بالسمع والطاعة فكان كل من أماء نائبان منهم يطهره بان يضربه مائة سوط ثم يعمل القرآن وشرايع
 الاسلام وكان يأمرهم بالصلاة والازكاداء العشر واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع اليه من ذلك
 ثم أخذ في اشتراء السلاح وراكب الجيوش من ذلك المال وجعل يغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد
 الصحرا عوذل قبائلها ثم جمع أسلاب القتلى في تلك المغازي وجعلها قيسا للمرابطين وبعث رجالا يجمعون
 لديه من الزكوات والاعشار والاجاس الى طلبة العلم لاداء المصامدة فاشتهر أمره في جميع بلاد الصحراء
 وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبيلة وبلاد المصامدة وسائر اقطار المغرب وانه قام رجل بكدالة
 يدعو الى الله تعالى والى الصراط المستقيم ويحكم بما أنزل الله وانه متواضع زاهد في الدنيا وطاهر ذكر
 في العالم وعكس ناموسه من الغلوب وأحبته الناس ثم توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي على أثر ذلك وحكى
 ابن خلدون ان وفاة يحيى بن ابراهيم كانت قبل اعتزال عبد الله بن ياسين واصحابه في الجزيرة والله أعلم

في الخبر عن وياسة يحيى بن عمر بن تكلان الدين التتوني

لما توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين في حروبهم
 وجهادهم لعدوهم وكانت قبيلة لتونة من بين قبائل صنهاجة أكثر طاعة لله تعالى وديننا وصالا حاكما
 عبد الله بن ياسين بكرهم ويقتد بهم على غيرهم وذلك لما أراه الله تعالى من ظهور أمرهم وعلوهم على
 الخلق فجمع عبد الله بن ياسين رؤس القبائل من صنهاجة وولى عليهم يحيى بن عمر التتوني وعبد الله بن ياسين
 هو الأمير على الحقيقة لانه هو الذي يأمر وينهى ويعطى ويمنع وعن رأيه يصدر ونفذ فكان يحيى بن عمر
 يتولى النظر في أمر الحرب وعبد الله بن ياسين ينظر في أمر الدين وأحكام الشرع ويأخذ الزكوات
 والاعشار وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين واقفا عند أمر مؤنيه فمن حسن طاعته له انه قال
 له يوما قد وجب عليك أدب قال يحيى فيما ذا يا سيدي قال لا أعرفك به حتى آخذ منه فكشف له يحيى
 عن بشرته فضر به عشرين سوطا ثم قال له اغاضرتك لاني ما شرت القتال واصطليمت بنار الحرب بنفسك
 وذلك خطأ منك فان الأمير لا يقاتل وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم فان حياة الجنة بحياة
 أميره وهلاكهم بهلاكه واستقام الأمر ليحيى بن عمر وملك جميع بلاد الصحراء وغزا بلاد السودان ففتح
 كثيرا منها وكان من أهل الزهد والدين والمصالح

في الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر مجملامة والسبب في ذلك

لقد تقدم لنا عند الكلام على بني مدرار المكاسبين أصحاب مجملامة ان انقراض دولتهم كان على يد
 زور بن قفل بن خز والقراوى وانهم حثوا الى مجملامة سنة ست وستين وثلاثمائة وبرز زالية صاحبها

أومحمد المعتز بالله آخر ملوك بني مدرار الصفرية فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيره وبعث
برأسه الى قرطبة وكان ذلك لأول حجة لمنصور بن أبي عامر واستمر خزرون بن قائل واليداعلى سجلماسة
الى ان هلك وولى بعده ابنه وانودين بن خزرون الى ان هلك أيضا وولى بعده ابنه مسعود بن وانودين
ولما انقرضت الدولة الاموية بالاندلس واسترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف استبد أمراء
الاطراف وملوك زناتة بالمغرب كل على يده وعدم الوازع وتصر فوافى الرايا باعتضى أغراضهم وشهواتهم
فقال قاسا وأهلها من جور بني عطية المغراويين ما حكمنا بعرضه قبل ونال أهل سجلماسة ودرة
من بني خزرون بن قائل المتقراوين مثل ذلك أو أكثر فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد انتشر
ذكر عبد الله بن ياسين وأصحابه المرابطين في العالم اجتمع فقهاء سجلماسة ودرة وكتبوا الى عبد الله
ابن ياسين ويحيى بن عمر وأشباه المرابطين كتابا يرغبون اليهم في الوصول الى بلادهم ليطهروها عما هي
فيه من المنكرات وشدة السيف من الأمراء وعرفوهم بما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين من
الذل والصغار مع أميرهم مسعود بن وانودين المتقراوى فلما وصل الكتاب الى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء
المرابطين وقرأ عليهم وشاورهم في الأمر فقالوا أيها الفقيه هذا ما يلزمننا ويلزمك فسر بنا على بركة الله
فدعاهم بتجديد حزمهم على الجهاد وخرجهم في عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش
كثيف من المرابطين وقيل كان نحو وجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة فسار حتى وصل الى بلاد درعة
فوجد فيها عامل مسعود بن وانودين فقناه عنها ووجد بها خمسين ألف ناقه اسود المذكور وكانت ترحى
في حتى جاء لها هنالك فاكتسها عبد الله بن ياسين واقتل الخبير وعمود جمع جيوشه وخرج نحوه فالتقى
الجمعان فيما بين درعة وسجلماسة فكانت بينهما محارب فظيفة مضى الله فيها المرابطين النصر على مغاوة
فقتل أميرهم مسعود وأكثرت جيشه وفر الباقيون واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم
وأموالهم مع الابل التي كانا كثرها في درعة فخرج الخمس من ذلك كله وفرقه على فقهاء سجلماسة
ودرعة وصلحتهم ما قسم الاربعة أنجاس على المرابطين وارتحل من فوره الى سجلماسة فدخلها وقتل
من وجد بها من مغاوة وأظلمها حتى اصبح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو
وأحرق الدور التي كانت تباع بها الخمر وأزال المكوس وأسقط المغازم الخزنية وحجى ما أوجب الكتاب
والسنة نحوه واستعمل على سجلماسة عاملا من لتونة وانصرف الى الصحراء ثم توفى الأمير أبو زكرياء
يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان سنة سبع وأربعين وأربعمائة

في الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر التوفى وفتح بلاد السوس

لما توفى الأمير يحيى بن عمر التوفى ولي عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر وذلك في محرم سنة ثمان
وأربعين وأربعمائة وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين الى غزو بلاد السوس والمصامدة فزحف
اليها في جيش عظيم في ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل
على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين التوفى ثم سار حتى انتهى الى بلاد السوس ففازر لولة من قبائلها
وقمع مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم البجلي نسبة
الى علي بن عبد الله البجلي الرافضي كان سقط الى بلاد السوس أيام قيام عميد الله الشيعي بأفريقية فاشاع
هذه المذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه فكانوا لا يرون الحق الا ما يريدهم
فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى قضوا مدينة تارودانت غنوة وقتلوا ما اخلقا كثيرا ورجع
من بقي منهم الى مذهب السنة والجماعة وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فشا وأظهر الله
المرابطين على من عاداهم فقتلوا ما عاقل السوس وخضعت لهم قبائله وفرق عبد الله بن ياسين عماله
بنواحيه وأمرهم بإقامة العدل وانظار السنة وأخذ الرصوات والاعشار واسقاط ما سوى ذلك

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطية وفتح بلادهم

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين إلى بلاد المصامدة ففتح جبل دون و بلاد رودة ومدينة شفاوة بالسيف ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلاد كدمية ووقفت عليه قبائل رجواجة وحاجة قبايعوه ثم ارتحل إلى مدينة أنجات وبها يومئذ أمير القوط بن يوسف بن علي المفاوي فقتل عليها حاصرها حصارا شديدا ولما رأى القوط ما لاطاقة له به أسلمها وقرعها بالسلا هو وجميع حشمه إلى نادلا فاستجاب يني بقرن مسلولك سلا وتادالا ودخل المرابطون مدينة أنجات سنة تسع وأربعين واربعمائة فقام بهم عبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند ثم خرج إلى نادلا فقتلهم وقتل من وجدهما من بني بقرن ملوكها وظفر بالقوط المفاوي فقتله وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت اسحق النخراوية قال ابن خلدون وكانت من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والزينة وكانت قبل القوط عند يوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المفاوي خلفه أبو بكر ابن عمر علي امرأة زينب بنت اسحق المذكورة إلى أن كان من أمرها ما نذكره ثم تقدم عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسانا ففتحها واستولى عليها ثم أخبر بان بساحل تامسانا قبائل برغواطية في عدد كثير وجمع عظيم ولذكرك هذا كلاما ملخصا في برغواطية ودولتهم ثم ترجع إلى ما نحن بصدده فنقول اختلاف الناس في نسب برغواطية هؤلاء إلى أي شيء يرجع فبعضهم يلقبهم بزناة وبعضهم يقول في نسبهم صالح بن طريف البرغواطى انه يهودى الأصل من سبط شعوب بن يعقوب عليه السلام نسا يرباط حصن من عمل شدونة من بلاد الاندلس ثم رحل إلى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزى واشتغل بالصنعة وجمع منه فنونا و قدم المغرب فقتل بلاد تامسانا فوجد فيها قبائل جهال من البربر فأظهر لهم الصلاح والزهد وموه عليهم وطلبهم بلسانه وصهرهم بنير نجاة فصدقوه واتبعوه فادى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا حسيما تقدم ان خبر عنه مستوفى فكان يقال له بعد ودخل في دينه برباطى ثم عرسته العرب وقالوا برغواطى فهو برغواطية قال ابن خلدون وهذا من الأغاليط البينة وصح ان القوم من المصامدة بشهادة للوطن والجوار وغير ذلك والتحقق ان برغواطية قبائل شتى ليس بجمعهم أب واحد وانما هم انحلاط من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف الذى ادعى النبوة بتامسانا سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المؤمنين وشرع لاتباعه الديانة التي أخذوها عنه وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب مبصرة المذكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه طريف يكنى أباصم ومن كبار أصحاب مبصرة المذكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه الشرائع ثم هلك سنة سبع وعشرين ومائة وقام بامرهم ابنه صالح بن طريف المذكور ففتت مخارقه على مخارقه أبيه وكان أولا من أهل العلم والدين ثم انسلخ من آيات الله واتصل بدعوى النبوة وأتى من الهتان بما أوفضاه قبل في ولاية حفظه بن صفوان السكابي على المغرب ثم خرج صالح بن طريف إلى المشرق سنة أربع وسبعين ومائة بعد ان ملك أمرهم سبعاً وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابغ منهم وأوصى بشرعيته إلى ابنه الياس بن صالح ولم يزل الياس مظهر الاسلام بمصر على ما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان متظاهرا بالاعتق والزهد إلى ان هلك سنة أربع وعشرين ومائتين لخصي خسين سنة من ولايته ثم ولّى من بعده ابنه يونس بن الياس فظهر دينهم ودعاه إلى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مائة ثمان مائة واما والاهة قال انه حرق منها ثلاثمائة وعشرين مدينة واستسلم أهلها بالسيف فالحقهم أياه وقتل منهم بموضع يقال له تاماوا كالات وهو حجر عال نابت وسط الطريق سبعة آلاف وسبع مائة وسبعين نفسا قال زمور بن صالح ثم رحل يونس بن الياس إلى المشرق ورجع ولم يحج أحد

من أهل بيته قبله ولا بعده وهلك سنة ثمان وستين ومائتين لاربعم وأربعين سنة من ملكه وانتقل الامر
عن بيته الى غيرهم من قرابته فولى امرهم أبو غنير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى
على ملك رغواطه وأخذ بن آياته واشتدت شوكته وعظم أمره وكانت له في البربر وقائع مشهورة
وأيام مذكورة أشار الى شيء منها سعيد بن هشام العمودي في آيات منها قوله

وهذه أمة هلكوا وضلوا * وعاروا لا سقوا ماء معينا

يقولون النبي أبو غنير * فآخى الله أم الكاذبين

سيعلم أهل تامنا اذا ما * أتوا يوم القيامة فقطعنا

هناك يونس وبنو آيسه * يقودون البرابر حارثنا

واتخذ أبو غنير من الزوجات أربعا وأربعين لأنهم يصنعون في ديارهم الحسد سنة أن يتزوج الرجل من
النساء ما شاء وكان له من الولاد مثل ذلك أو أكثر وهلك أواخر المائة الثالثة تسع وعشرين سنة من ملكه
ثم ولى بعده ابنه أبو الانصار عبد الله بن أبي غنير فافتق سنة وكان كبير الدعوة مهيبا عند ملوك عصره
يهادونه ويدافعونه بالمواصله وكان يلبس الخففة والسرابل ويلبس المحيط من الثياب ولا يعم أحد في
بلاد الا الغريب وكان حاقط الجار وأفياء العهد وتوفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لاربعم وأربعين
سنة من ملكه ودفن بتاسلاخت وبها قبره وولى بعده ابنه أبو منصور عيسى بن أبي الانصار وهو ابن
اثنين وعشرين سنة فسار سيرة آياته وادعى النبوة واشتد أمره وعلا سلطانه وذات له قبائل المغرب
(قال زمر بن صالح) كان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من رغواطه وعشرة آلاف من سواهم وقد كان
ملوك العدوتين في غزو برغواطه هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من المدارس والاموية والسبعة
وغنيرهم ولما زحف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الى المغرب زحفه المشهور وأجفلت قبائل
زناة وملوكها يدينه وانحازوا الى سبته وأطاعهم من جبل تطوان وعابن جمعهم الكنيف رجع
عنهم الى جهاد برغواطه فأوقع بهم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبي الانصار وبعث بسبيهم الى
القيروان وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة ثم حاربهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر لما عقد ابنه
عبد الملك المظفر لولاه وأضح على جهاد برغواطه فعظم أثره فيهم بالقتل والسبي ثم حاربهم أيضا بنو
يقرن لما استقل بنو علي بن محمد بن صالح منهم ناحية سلاوطة وهاعن حمل زيري بن عطية المغراوي
صاحب فاس وكان لابي الكمال عجم بن زيري اليقرني فيهم جهاد كبير حسمه اتقاهم التنبيه عليه وذلك
أعوام العشر من وأربع مائة فقتلهم على تامسنا وولى عليها من قبله بعد ان أئتمن فيهم سبيًا وقتلهم
تراجعوا من بعده الى ان جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغرب دخلتهم الثانية وفتحو بلاد المصامدة
وبلاد تادلا وتامسنا فأخبر عبد الله بن ياسين بان بساحلها قبائل برغواطية في عدد كثير وجمع عظيم
وانهم مجوس أهل ضلالة وكفر وأخبر بملوكهم من ديارهم الخبيثة وقيل له ان برغواطية قبائل كثيرة
وأخلاق شتى اجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريف المتنبي الكذاب واعترف حالهم على الضلالة
والكفر الى الآن فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطية وما هم عليه من الكفر رأى ان الواجب
تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار اليهم في جيوش المرابطين والامير يومئذ على برغواطية هو
أبو حفص عبد الله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الانصار عبد الله بن أبي غنير محمد بن معاذ بن اليسع
ابن صالح بن طريف فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام مات فيها من الفريقين خلق كثير
وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولى مهدي المرابطين فكان فيها شهادته وجهه الله ولما حضرته
الوفاة قال لهم يا معشر المرابطين اني ميت من بوى هذا الاحماله وانكم في بلاد عدوكم فاياكم ان تجبنوا
أو تنازعوا فاعملوا وتهدبر يحكم وكونوا أعوانا على الحق واخوانا في ذات الله واياكم والتصادم على

الرياسة فان الله يوثق ماله من دسائس خلقه ويستخلف في أرضه من أراد من عبادته في كلام غير هذا
وتوفي عبد الله بن ياسين عشية ذلك اليوم وهو يوم الاحد الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة
احدى وخمسين وأربعمائة ودفن بموضع يعرف بكر بلة وبني على قبره مسجد او هو مشهور به الى الآن
وكان عبد الله بن ياسين رحمه الله شديد الورع في المطعم والمشرع فيما يتعش من لحوم الصيد ونحوها
لم يأكل شيئا من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة اقامته فيهم وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوج
في كل شهر عددا من النساء يطلقهن ولا يسمع بامرأة جيلة الا خطبها ومن حسن سياسته انه اقام
في صنهاجة السنة والجماعة حتى انه ألزمهم ان من فاتته صلاة في جماعة ضرب بعشرين سوطا ومن
فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط ومن كراماته ان المرابطين خرجوا معه في بعض غزواته ببلاذ
السودان فتفقد ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك فقام عبد الله فيقيم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى
وأمن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هذا احفروا فصادقوا الماء
على نحو شهر من الارض عذبا بارد افشروا واستقوا وملثوا أو عيبتهم ومن تقواه وورعه انه لم يزل صلحا
من يوم دخل بلاد صنهاجة الى ان توفي رحمه الله واستمر الامير أبو بكر بن عمر على رياسته ووجدت له
البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين فكان أول ما فعله بعد تجهيزه اياه ودفنه ان زحف الى برغواطة
معهما في حريم متوكلا على الله في جهادهم فأتحن فيهم قتلا وسبيا حتى تفرقوا في المكامن والفياض
واستأصل شافتهم وأسلم الباقيون اسلا ماجيدا ونحى أبو بكر بن عمر أترد دعوتهم من المغرب وجمع غنائمهم
وقسمها بين المرابطين وعاد الى مدينة أغمات

بم غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وقصه اياها

لما استقر الامير أبو بكر بن عمر بأغمات أقامهم الى صفر من سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وخرج غازيا
بلاد المغرب في أم لا تحصى من صنهاجة وجزالة والمصامدة ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن
مكاسة ثم زل على مدينة لواتة فحاصرها حتى افتحمها عنوة بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن
ونحوها فلم تعمر بعد الى الآن وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم
رجع الى مدينة أغمات

بم عود أبي بكر بن عمر الى بلاد الصعراء والسبب في ذلك

كان الامير أبو بكر بن عمر اللواتي قد تزوج زينب بنت اسحق النغزوية وكانت بارعة الجمال والحسن
كافلتا وكانت مع ذلك حازمة لمية ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بآداب الامور حتى كان يقال
لها الساحرة فأقام الامير أبو بكر عندها بأغمات نحو ثلاثة أشهر ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره
باختلال أمر الصعراء ووقوع الخلاف بين أهلها وكان الامير أبو بكر رجلا متورا فاعظم عليه أن يقتل
المسلمون بعضهم بعضا وهو قادر على كنههم ولم يرأه في سعة من ذلك وهو متولى أمرهم ومسؤول عنهم
فغزم على الخروج الى بلاد الصعراء ليصلح أمرها ويقم رسم الجهاد بها ولما عزم على السفر طلق امرأته
زينب وقال لها عند فراقه اياها يا زينب اني ذاهب الى الصعراء وأنت امرأة جيلة بصلة لا طاقة لك على
حرارتها وانى مطلقك فاذا انقضت عتدتك فأنكحى ابن عمي يوسف بن ناشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب
فطقتهم سافرا عن أغمات وجعل طريقه على بلاد نادلا حتى أتى مملكة ماسة فدخلها وأقام بها أياما حتى
أصلح أحوالها ثم سافر الى الصعراء ونقل ابن خلكان عن كتاب العرب عن سيرة مالوك المغرب في
سبب رجوع الامير أبي بكر بن عمر الى الصعراء ما مثله قال كان أبو بكر بن عمر رجلا ساذجا خيرا الطباع
مؤثرا البلاد على بلاد المغرب غير ميل الى الرفاهية وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفا لم يقاوموا الملثمين

فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط فلما حلت البلاد لابي بكر بن عمر سمع
 أن بجوزا في العصور ذهبت لها ناقة في غداة فبكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر يدخله إلى بلاد المغرب
 لحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين نورجى إلى بلاده
 الجنوبية اه وكان سفر أبو بكر بن عمر إلى العصور في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما وصل
 إليها أصطحب شأه وأورب أحواله واجتمع جيشا كثيفا وغزاه بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين
 مرحلة وكان يوسف بن تاشفين قد استعمل أمره أيضا بالمغرب واستولى على أكثر بلاده فلما سمع الأمير
 أبو بكر بن عمر بما آل إليه أمر يوسف بن تاشفين وما مضى الله من النصر أقبل من العصور ليختبر أحواله
 ويقال أنه كان مضطرا للزلة وتولية غيره فأحسن يوسف بذلك فساووز وجتسه ز ين بنت اسمعق وكان
 قد تزوجها بعد أبي بكر بن عمر فقالت له ابن عمك متورع عن سفك الدماء فاذل لنفسه فارتك ما كان
 يعهده منك من الأدب والتواضع معه وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساو له ثم لا تطفه مع ذلك
 بالهدايا من الأموال والخلع وسائر طرق المغرب واستكثر من ذلك فانه بارض صحراء وكل ما جلب اليه من
 هنافس ومستطرف لديه فلما قرب أبو بكر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليه يوسف بن تاشفين فلقبه
 على بعد وسلم عليه وهو راكب سلا من مختصر ولم ينزل له ولا تأدب معه الادب المعتاد فظفر أبو بكر إلى كثرة
 جيوشه فقال له يا يوسف ما صنعت بهذه الجيوش قال استعين بها على من خالفني فارتاب أبو بكر به ثم نظر
 إلى ألف بعيرة قد أقبلت موقرة فقال ما هذه الأبل الموقرة قال أيم الأميراني قد جئت بك بكل ما مضى من مال
 وأثاث وطعام وأدام لتستعين به على بلاد العصور فازداد أبو بكر تعمر فامن حاله وعلم أنه لا يجتلي له عن الأمر
 فقال له يا ابن عم أوصيك فلتزلا معا وجلسا فقال أبو بكر اني قد وليت هذا الأمر واني مسؤول عنه
 فائق الله تعالى في المسلمين واعتقني واصق نفسك من النار ولا تضع من أمور وعيتك شيئا فانك مسؤول
 عنه والله اني ليحملك وعيقلك وبوقك لعمل المالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم
 ثم ودعه وانصرف إلى العصور فأقام بهم ما هو انطباع على الجهاد في كفار السودان إلى أن استشهد من سهم
 مسموم أصابه في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة بعد أن استقام له أمر العصور كافة إلى جبال الذهب من
 بلاد السودان والله خالب على أمره

في الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين التتويج

لما غزم الأمير أبو بكر بن عمر على السفر إلى بلاد العصور دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم التتويج
 فعقد له على بلاد المغرب وقوض اليه أمره وأمره بالرجوع إلى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر
 زناته والبربر واتفق على تقديمه أشيخان المرابطين ليعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدة وعدله
 وورعه وسدادر أهويه ومن تعييته فعاد يوسف من بهلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال أبي بكر
 ابن عمر بالنصف الآخر وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما انتهى يوسف بن تاشفين
 إلى ملوية ميز جيوشه فوجد هاربعين ألفا من المرابطين فاختر منهم أربعة من القواد وهم سير بن
 أبي بكر التتويج ومحمد بن عيم الكدالي وعمر بن سليمان المسوفي ومدرك التلاكي وعقد لكل قائد منهم
 على خمسة آلاف من قبيلته وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر
 قبائل البربر القاطنين به ثم سار هوفي أثرهم يتقرى المغرب بلبا لبلدا ويتبع أهله قبيلة قبيلة فقوم بقا تلونه ثم
 يظفرهم وقوم بفرون بين يديه وقوم يلقون اليه السلم ويذلون الطاعة حتى دوق بلاد المغرب ثم سار حتى
 دخل مدينة انجفات ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسمعق النغراوية التي كانت تحت أبي بكر بن عمر
 فكانت عنوان سعدة والقائمة بملكه والمدة لأمره والقائمة عليه بحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ومن

ذلك اشارت عليه في امر ابى بكر بن عمرو كيفية ملاقاته حسانا كزناه آخاوه هكذا كان امره في كل ما قبله رجعها الله في يومها يستطاب من حديثها ما حكاه ابن الاثير في كامله وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا فقال كان حسن السيرة خيرا عادلا يعيل الى اهل العلم والدين يكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم وكان يحب الصغو والصفح عن الذنوب العظام من ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فقتلوا أحدهم ألف دينار فبخر بها وغنى الآخر عما يعمل فيه لأمير المسلمين وتغنى الآخر زوجته وكانت من أحسن النسب ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى مئتي المئال ألف دينار واستعمل الآخر وقال لئني تغني زوجتي يا جاهل ما جعلك على هذا الذي لاتصل اليه ثم أرسله الى زوجته فتركته في خيمة ثلاثة أيام ثم أمرت بان يجعل اليه في كل يوم طعام واحد ثم أحضرته وقالت له ما كنت في هذه الثلاثة الايام قال طعاما واحدا فقالت له كل النساء في واحد وأمرت له بال وكسوة وسر حته الى حال سبيله وكانت وفاتها سنة أربع وستين وأربع مائة

بناء مدينة مراکش

لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربع مائة كان امر يوسف بن تاشفين قد استعمل بالمغرب سجدة اورمخت قدومه في الملك وعظم صيته فمحت همة الى بناء مدينة بأوى اليها يحتمه وجنده وتكون حصانه ولا باب دولته فاشترى موضع مدينة مراکش عن كان يملكه من المصامدة فقال صاحب المغرب كان ملكا لبحر ومنهم من نزل الموضع المذكور بتيام الشعوب وبني به مسجد الصلاة وقبة صغيرة لا خزانة ماله وسلاحه وليين على ذلك سورا وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس ان موضع مدينة مراکش كان من رعة لاهل غيس فاشتراه يوسف منهم بماله الذي خرج من الصحراء وهو في كتاب المغرب ان يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراکش بموضع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة أمس مبرها وكان ذلك الموضع مكنتا للصوم فكان للبارون فيه يقولون زفقاتهم تلك الكلمة ففرق للموضع بها وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة بعد ألف وبعد الألف كلف مكسورة ثم شين معجمة ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غاية من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبني بها القصور والمساكن الانيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراخ منها بالقرب منها جبل لا يزال عليه النبل وهو الذي يعذل من اجهلوا سورها وهو قال ابن خلدون في اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراکش لنزوله ونزول عسكره ولتتمس بقبائل المصامدة المقيمة بجوارهم منها في جبل دون اذ يمكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا كتر جمعا وهو في القراطيس في لما شرح يوسف ابن تاشفين في بناء مسجد مراکش كان يحترم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعه الله تعالى قال والذي بناء يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسورا الجرم من مدينة مراکش جوار من جامع الكتبيين منها يعرف اليوم بالصينة ولم يكن بالموضع ما يحضر الناس ابارا قط لهم للماعلى قرب فاستوطنوها ونزلها قالوا لم نزل مدينة مراکش لاسو ولها ان توفي يوسف بن تاشفين رحمه الله وولي بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة يقال كان ذلك باشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور فانه كان قد قدم على السلطان بمرأ كش فأشار عليه بذلك عند ما تبخ محمد بن تومرت مهدى الموحدين بجبال المصامدة وكانت مدة البناء ثمانية أشهر وكان الاتفاق على السور سبعين ألف دينار وبني علي بن يوسف ايضا الجامع الاعظم المنسوب اليه الى اليوم والمثار الذي عليه وأتفق عليه سنة ثمانين ألف دينار أخرى ورأيت في كتاب ابن عبد العظيم الازموري الموضوع في مناقب بني امغار رضي الله عنهم ان أمير المسلمين علي بن يوسف الشرفي لما عزم على ادارة السور على مراکش شاور الفقهاء واهل الخبر في ذلك فمهم من ثبطه ومنهم

كذا ضبطها صاحب كشف
التفنون الامام القسطنطيني
رحمه الله

من نذبه اليه وكان من جملة من نذبه القاضي أبو الوليد بن رشد ثم شاروا بأبعد الله محمد بن اصبغ المعروف
بامغار صاحب عين القطر فأشار بنيناؤه وبعث له من ماله الحلال وأمره أن يجعله في صندوق صائر البناء
ويتولى الاتفاق في ذلك رجل فاضل فقبل السلطان اشارته وعمل برأيه فعمل الله أمر البناء ثم لما جاءت
دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذي كراعتني بمدينة مرا كس واحتفل في تشييدها
وبالغ في تزيين مساجدها وتشييد مصانعها ومعاهدها على ما نذر كرا بعض منه في محله أن شاء الله ولم تزل
مرا كس دار ملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم ثم لما جاءت دولة بني مرين من بعدهم
اتخذوا كرسى مملكتهم بمدينة فاس وبنوا لها المدينة البيضاء ثم جاءت الدولة السعيدية من بعدهم فنقلوا
الكرسى الى مرا كس وبنوا قصر البديع المشهور ثم جاءت الدولة الشريفة العلوية فاتخذوا المولى
اسماعيل بن الشريف كرسى ملكه بمكة كاسة الزيتون واحتفل في بنائها احتفالا عظيما على ما نذر كره
شأن الله ثم لما كانت دولة المولى محمد بن عبد الله رد كرسى الملك الى مرا كس وبنى بها قصوره ومصانعها
واستمرت كرسى مملكتهم الى الآن وفضل مرا كس أشهر من أن يذكر لا سيما ما اشتملت عليه من
مزارات الاولياء ومساجد الصالحين والاعمة الاخيار حتى قال الوزير ابن الخطيب في مقامات
البلدان عند كره مدينة مرا كس هي زينة المولى وحضرة الملك الاول وعبر عنها أبو العباس المقرئ
في فتح الطيب بعداد المغرب حسبها الله وعانها من ريب الزمان وطوارق الحداث

فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة المذكورة جند يوسف بن تاشفين الاجناد واستكثر القواد وفتح كثيرا
من البلاد واتخذ الطبول والبنود ورتب العمال وكتب اليهود وجعل في جيشه الاغزاز والمائة كل ذلك
ارهابا للقبائل المغرب فكم له من الجيش في تلك السنة أكثر من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة
وجزولة والمصامدة وزناتة والاغزاز والمائة فخرج بهم من حضرة مرا كس قاصدا مدينة فاس فلقته
قبائلها من زواغة ولماية ولواتة وصدينة وسدازنة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرها في خلق عظيم
فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من بين يديه وانحصر بمدينة صدينة فدخلها
عليهم بالسيف عنوة فهدم أسوارها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف ثم رحل الى فاس فتنازل بها بعد
أن فتح جميع أحوالها وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمائة وهو قال ابن خلدون في يوسف بن
تاشفين نازل أولا قلعة فازاز وبها مهدى بن تولى الصفسي وبنو يفض بن من زناتة وكان أبوه تولى
صاحب تلك القلعة ووليها هو من بعده فتنازل يوسف بن تاشفين ثم استجاب به على فاس مهدى بن يوسف
الكرزائي صاحب مكة لانه كان عدوا لمعصر المغراوي صاحب فاس فزحف في عساكر المرابطين الى
فاس وجعل اليه معسكر ففض جوعه اه والله أعلم ثم أقام يوسف على فاس أياما قططر بعاملها بكار بن
ابراهيم فقتله وارسل عنها الى مدينة صغر وافدخلها من يومه عنوة وقتل ماؤها وأولادهم سعدون
وأفون بن المغراوي صاحب مصلحاسة وكانوا قد استولوا عليها ثم رجع يوسف الى فاس فحاصرها حتى فتحها
وهو الفتح الاول وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فاقام بها أياما واستعمل عليها عاملا من لمتونة
وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى أشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطي
من موالى بني جود ثم رجع الى منازلة قلعة فازاز فغلبه بنو معصر بن جاد المغراوي الى فاس فدخلوها
وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها وكان مهدى بن يوسف الكرزائي صاحب بلاد مكة قديما يعوسف
ابن تاشفين ودخل في طاعة المرابطين فافترقه يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بجيشه لفتح بلاد
المغرب فجمع مهدى بن يوسف جيشه وخرج من مدينة عومجة يريد الاجتماع يوسف بن تاشفين وهو
محاصر لقلعة فازاز فسمع بذلك ثم بن معصر المغراوي صاحب فاس فاجابه في انجاد مغراوة وقبائل زناتة

وأدركه بعض الطريق وناجزه الحرب ففرض جوعه وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب سكوت صاحب
سبته وطمحة ولما قتل مهدي بن يوسف بعث أهل مدائن مكاسة إلى ابن تاشفين بالخبر وبذلوا له الطاعة
فكثرت بلادهم ثم نال عساكر المرابطين على تميم بن معنصر بالغازات والنهب واشتد عليه الحصار وعدم
القوات بفاس فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع معراوة وبنى بقرن وخرج اليهم لاحتدوا
فكانت عليه الهزيمة فقتل تميم وجعاعة من عشيرته وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن
إبراهيم بن موسى بن أبي العافية المكاسي فجمع قبائل زناتة وخرج بهم إلى المرابطين فالتقى معهم على
وادي صيقير فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم وانسحل الخبر
بيوسف بن تاشفين وهو على قلعة فازاز فارتحل عنها وخلف جيشا من المرابطين لحصارها فأقاموا عليها
تسع سنين ثم دخلوها صلحاً سنة خمس وستين وأربعمائة ولما رحل يوسف عن قلعة فازاز وذلك سنة ست
وخسين سار إلى بني مرسان وأميرهم بومثديلي بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلقاً وفتح بلادهم ثم سار
إلى بلاد فندلاوة فغزاه وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها إلى بلاد ورغة ففتحها وذلك في سنة ثمان
وخسين وأربعمائة وفي سنة ستين فتح جميع بلاد غمارقوجيا لها من الريف إلى طنجة وفي سنة اثنتين
وستين أقبل إلى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه بعد أن فرغ من جميع بلاد المغرب سوى سبته وشدد
الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من معراوة وبنى بقرن ومكاسة وغيرهم خلقاً كثيراً
حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاندلس ما يزيد على
ثلاثة آلاف وفر من بقي منهم إلى أحواز تاسان وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس وكان يوم الخميس
ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفي هذا الخبر بعض مخالفة لما قد مناه في أخبار
معراوة وذلك نقلناه عن ابن خلدون وهذا عن ابن أبي زرع وربك أعلم عن هوأهدى سيلا فلما دخل
يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة
الاندلس وصيرهما مصر واحد أو حصناً وأمر بنيان المساحد في شوارعها وزفتها وأى زقاق لم يجد
فيه مسجد أعاقب أهله وأمر ببناء الحمامات والقنادق والأرعاو أصح بناءها ورتب أسواقها وأقامها إلى
صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم خرج إلى بلاد مابوية ففتح حمون وطلاط وفي سنة أربع وستين
بعدها استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة وغمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر
فقدموا عليه وبايعوه وكساهم ووصلهم بالأموال ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتعمد أحوال
الزعماء والنظر في سيرة ولاته وعما فيها وهم في صحبته فصلح على يده الكثير من أمور الناس وفي سنة
خمس وستين بعدها غزا يوسف مدينة الذممة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان وفي سنة
سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غيابة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقاً كثيراً وفيها
فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبي بكر على مدائن مكاسة وبلاد مكلاثة وفازاز وولى عمر بن
سلميان على فاس وأحوازها وداود بن عائشة على مصلحاسة ودرعة وولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة
مراكش وغانمات وبلاد السوس والمصامدة ونادلا ونامسنا وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين
سوى سبته وطمحة وكان من خبرهما ما ذكره

﴿فتح سبته وطمحة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس﴾

كانت سبته وطمحة لبني جود الأديبيين من لدن دولة الأمويين بالاندلس ولما انقضت دولتهم
ونحلتهم بنو جود المذكورين بها استنابوا على سبته وطمحة من وثقوا به من موالهم الصغالية ولم يزل
أمر المدينتين إلى نظر هؤلاء القواب واحدا بعد واحد إلى أن استقل بها الحاجب سكوت البرغواطي
وكان عبد الشيخ حداد من موالى اليهوديين اشتراه من سبي برغواطة في بعض أيام جهادهم ثم صار إلى على

ابن جود فاختذت النجاية بضجعه الى ان استقل بالامر واقعد كرسى عملهم بطخبة وسبنة وأطاعته قبائل
 غمارة واتصلت أيام ولايته الى ان كانت دولة المرابطين تغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب ونزل
 بلاد غمارة فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرتهم عليهم فهم بالاجلاب معه ومظاهرتهم على عدوه ثم ثناه
 عن ذلك ابنه الفائل الراى فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمننة واقعد المغرب لطاعته صرف
 عزمه الى الحاجب سكوت وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه
 الجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فأجاب يوسف بقوله لا يمكننى ذلك الا اذا ملكت طخبة وسبنة فراجع
 ابن عباد بنسب عليه بان يسره هو اليها بعساكره في البر فينزلها ويبيع ابن عباد قطائعها في البحر
 فينزل لوها ايضا حتى يتملكها فأخذ يوسف في محاولة ذلك وصرف عزمه اليه ثم دخلت سنة سبعين
 وأربعمائة فجهز اليها قائده صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من
 سائر قبائل المغرب فلما قروا من طخبة برز اليهم الحاجب سكوت بجسمه وعه وهو شيخ كبير قد ناهز
 التسعين سنة وقال والله لا يسمع أهل سبنة طبول اللثوف وأناحي أبدا فالتقوا الجمعان وادى منى من
 أحواز طخبة والنعم القتال فقتل سكوت وفوض جوعه وسار المرابطون الى طخبة فدخلوها واستولوا
 عليها ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبنة فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف
 وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مرزوق بن تياكان اللثوفى لغزو تلمسان
 والمغرب الاوسط فسار اليها في عشرين ألفا من المرابطين وكان تلمسان يومئذ العباس بن يحيى من ولد
 ديملى بن محمد بن الخليل بن محمد بن خزام الغراوى قد توخوا المغرب الاوسط وتقرروا بالادزنانة وظهروا على
 ابن الامير العباس بن يحيى فقتلوه وانكفأوا راجعين الى يوسف فألقوه بمراكش ثم دخلت سنة ثلاث
 وسبعين فيها غر يوسف بن تاشفين السكة في جميع عمله وكتب عليها اسمه وفيها فتح مدينة آكرويف
 ومدينة مليلة وجميع بلاد الزيف وفتح مدينة نكور ونوثرهم اقليم تعمر بعد ثم دخلت سنة أربع وسبعين
 وأربعمائة فيها زحف يوسف بن تاشفين الى مدينة جندة ففتقها وفتح بلاد دني برناس وما والاها ثم سار
 الى تلمسان ففتقها واستسلم من كان بها من مغراوة وقتل أميرها العباس بن يحيى الغراوى وأزله بها
 عامله محمد بن تينغر المصوفى في عساكر المرابطين فصارت تلمسان ملكه واختط بها مدينة ناكراوت
 بمكان محالته وهو اسم الحلة بلسان البربر ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وأنشريس وجميع أعمال
 شلف الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب فدخل مراكش في ربيع الاخر سنة خمس وسبعين
 وأربعمائة ثم ورد عليه بها كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب
 العدو على أكثر نفورها ويسأله النصر والاعانة فأجاب يوسف بقوله اذا فتح الله على سبنة اتصلت بكم
 وبذلت جهدى في جهاد العدو وسكان الفتن قد تحرك في هذه السنة في جيوش لا تحصى من
 الأفرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فشق بلاد الاندلس شقا يعيق على كل مدينة منها فيفسد
 ويحترق ويقتل ويسبي ثم رحل الى غيرها ونزل على اشبيلية فأقام عليها ثلاثة أيام فافسد ونزول وكذلك
 فعل في شدونة وأحوازها ونوب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فادخل
 قواثم فرسه في البحر وقال هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئت ثم رجع الى مدينة سرقسطة فزحل عليها
 وحاصرها وحلف أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقتل بها الفتح على غيرها
 فبذل اليه أمرها المستعين بن هود مالا عظيما فلم يقبله منه وقال المال والبلادى وبعث الى كل قاعدة
 من قواعده بالاندلس جيشا لحصارها والتضييق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر
 ابن ذى النون سنة سبع وسبعين وأربعمائة فكان ذلك من أقوى الأسباب المحركة لغزائم المسلمين
 بالاندلس والمغرب على الجهاد

في الخبر عن الغزوة الكبرى بالرافقة من أرض الاندلس

لما انقضت دولة بني أمية بالاندلس صدر المائة الخامسة بعد نزاع بين أعيانها شديدا وقتل منهم عريض مديد وخلفتها الدولة الجودية فلم يطل أمدها حتى اقتسمت رؤساء الاندلس ملكها ونزعوها كلها وصارت الخلال الى ما قال ابن الخطيب

حتى اذا سلك الخلافة انتثر * وذهب العين جميعا والائر

قام بـكل بقعة مليك * وصاح فوق غصن ديك

فوجد العدو والسيل الى الاستيلاء على نفور المسلمين واتهاز الفرس فيهما بالتضريب بين ملوكها واغراء بعضهم ببعض وكان منهم ابن عباد بشييلة وابن الافطس بطليوس وابن ذي النون بطليطة وابن هودب سرقطة ومجاهد العامري بدانية وغير هؤلاء وكلهم يدأري الطلغية ويتقيه بالجزيرة الى ان كان من أمر الادفونس ما كان من تخريب بلاد المسلمين واستيلائه على طليطة بعد حصاره اياها سبع سنين ثم حصاره سرقطة فلما رأى رؤساء الاندلس ما نزل بهم من مضايقة عدو الدين واستطالته على نفور المسلمين أجبر رأيهم على اجازة يوسف بن تاشفين فكتبه أهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة يستنصر خونه في تنقيس العدو عن مخنفهم ويكونوا معه يد أو واحدة عليه فلما تواترت رسلهم وكتبهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف في عساكر المراتين الى سبتة فغزة المجاز فزارها وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بحرا فاقصموها عنوة في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربع مائة وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغاطي وحبسه الى المغرب أسيرا فقتله صبرا وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر في أمر الجهاد ويستعذله ففرح يوسف بفتح سبتة ونزع من حينه فاصد نحوها ليعبر منها الى الاندلس ولما سمع المعز بن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنصار يوسف الى الجهاد فلقبه مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف ببلطة على ثلاث مراحل من سبتة **وقال ابن خلدون** * لقبه بفاس فأخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقيه السملون من عدوهم من القتل والامر والمصار كل يوم فقال له يوسف ارجع الى بلادك ونحذف أمرنا فاني على أثرك ورجع ابن عباد الى الاندلس ونزل ليوسف عن الجزيرة الخضراء لتكون بابا للجهاد ودخل يوسف سبتة ففتقر في أمرها وأصلح سفنها وقدمت عليه باجنود الله من المغرب والعصراء والقبلة والزاب فنصر على اجازتها الى الاندلس ولما تكاملت بساحل الخضراء عبر هو في أثرها في موكب عظيم من قواد المراتين وانجدهم وصلحهم فلما استوى على ظهر السفينة رفع يده وقال اللهم ان كنت تعلم ان في جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبده وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبده فسهل الله عليهم العبور في أسرع وقت وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال من منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربع مائة ونزل بالخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقيه المعز بن عباد صاحب اشيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس وانصل الخبر بالادفونس وهو محاصر لسرقطة فارتحل عنها وقصد نحو أمير المسلمين وبعث الى ابن ردمير والبرهانس وغيرهما من كبار النصرانية واستنصر أهل قسالة وجليقية وسائر الجوارين له من أم النصرانية فاجتمع له منهم ما يغوث الحصر وصعد الى ابن تاشفين والمسلمين هكذا وقع مساق هذه الغزوة عند ابن خلدون وابن أبي ذر وغيرهما وساقها ابن الاثير وابن خلكان وابن عبد المنعم الجيري مساقا غير هذا ولذا كره بعض ما نقلوه من ذلك فنقول لما ملك يوسف بن تاشفين المغرب وبني مراکش وتلسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكرها الشديدة ونهت له الافطار العريضة المدينة تاق نفسه الى العبور بالجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشائه السفن والمراكب ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس

كرهوا والماسم يجزيرتهم وأعتوا له العدة والعدد الا انهم استهوا لواجعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا
 أن يصعبوا بين عدوين الفرغ عن شملهم والمؤمنين عن جنوبهم وكانت الفرغ قد اشتدت وطأتها عليهم
 فتغير وتذهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرغ مع ذلك تهرب
 جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لثغاذ أمره وقلة دولة زبانة وملك
 المغرب اليه في أسرع وقت مع ما ظهر لابطال المؤمنين ومشائخ صناجة في المعارك من ضربات السيوف
 التي تقذف الفارس والطعنات التي تنظم الكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم
 وكان ملوك الاندلس يفيون الى نزل يوسف ويحذرونه خوفا على ملكهم ومعايير اليهم وعين بلادهم
 فلما رأوا عزيمة متوفرة على العبور راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم في أمره وكان فرغهم في ذلك
 الى المعتمد بن عباد لانه أصبح القوم وأكبرهم عما كلفه وقوع اتفاقهم على مكابته وقد تحققوا انه يقصدهم
 بسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس يقول أما بعد فانك
 ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبناد اعيك نسبنا الى عقل ولم تنسب الى وهن
 وقد اخترنا لنفسنا أجل نسبنا فاخترنا نفسك أكرم نسبتيك فانك بالمثل الذي لا يجوز ان تسبق فيه
 الى مكروته وان في استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب
 مع تحف وهدايا وكان يوسف لا يعرف اللسان العربي لكنه كان ذكي الطبع يصيد فهم المقاصد وكان له
 كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس به ظمونك
 فيه ويبرقونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادي
 فانهم مسلمون وهم من ذوى البيوت فلا تغيرهم وكف بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم
 ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم امرأته عن أطاعتك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين
 لكاتبه ما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم ان تاج الملك وجهته وشاهده الذي لا يدانه خلق بما حصل
 في يده من الملك أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكلما هب جزى بالان أعظم لقدرة فاذا
 عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم
 يشعهم المشقة اليهم وكان ولوث الملك من غير اهلاك لا آخرته واعلم ان بعض الملوك الاكاره والحقاء
 البصر بطريق تحصيل الملك قال من جادسد ومن ساد قادم ملك البلاد فلما أتى الكاتب هذا
 الكلام على السلطان يوسف فهمه وعلم حخته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ
 على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيمن حكم عليكم وانكم بما يديكم من الملك في أوسع اباحة
 مخصوصون منابا كرام ايثار وسماحة فاستدعوا وفاء باؤفاؤكم واستصلحوا ائامنا باصلاح اخائكم
 والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين باسانه فاستحسنه وقرن
 به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللط عمالا يكون الا في بلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا
 كتابه فرحوا به وعظموه واعتزوا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرغ وأزعموا ان راءوا من الفرغ
 ما يريهم ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه عليه فتأقلى يوسف بن تاشفين برأى
 وزبره ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه حرجهم وقال ابن الاثير في الكامل ثم كان المعتمد بن عباد
 أعظم ملوك الاندلس ومتملكا كبر بلادهم مثل قرطبة واشيلية وكان مع ذلك يؤدى الضريبة الى
 الادفونس كل سنة فلما ملك الادفونس طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم
 يقبلها منه ثم أرسل اليه يتهذو ويتوعده بالمسير الى قرطبة وتلكها من يده الا أن يسلم اليه جميع
 الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسة مائة فارس فأرسله

المعتمد فرق أصحابه على قوادسكركه ثم أمر القواد أن يقتل كل منهم من عنده وأحضر الرسول فصعده
 حتى برزت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعدوا إلى الأذفونش وأخبروه وأخبروه وكان متوجها إلى
 قرطبة ليحاصرها فلما بلغه هذا الخبر رجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويستعد استعدادا غير الذي
 سبق وعاد المعتمد إلى أشبيلية وأقامها وترك قرطبة بدون مدافع يدافع عنها وهو قال ابن عبد المنعم الجبري في
 كتابه الروض المطار ما ملخصه في أن المعتمد بن عباد آخر في سنة من السنين الضريبة التي كان يدفعها
 للأذفونش عن وقتها ثم أرسلها إليه بعد دفع الضريبة للأذفونش واشتط وطلب بعض الحصون زيادة على
 الضريبة وأمر في الثبني حتى طلب أن تأتي زوجته إلى الجامع الأعظم بقرطبة قتلده إذ كانت حاملا
 وكان بالجانب الغربي من المسجد المذكور وموضع كنيسة قديعة بنى المسلمون عليها المسجد فأشار عليه
 الأطباء والقسيسون أن تكون زوجته سائلة قرب ولا تنهض بدمية الزهراء التي بناها عبد الرحمن
 الناصر لدين الله وأبعد في تشييدها وتجهيدها وتردد المراء مع ذلك إلى الجامع المذكور حتى تكون
 ولادتها بين طيبن نسيم الزهراء فضيلة موضع الكنيسة وكان الرسول في ذلك يهوديا وكان وزيراً
 للأذفونش فاستمع ابن عباد من ذلك فراجعه اليهودي وأعطاه في القول ولسعه بكلمة أسفته فأخذ
 ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فانزل دماغه في حلقه وأمر به فقلب منكوسا
 بقرطبة ولما سكن غضبه استفتى الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع
 بالرخصة في ذلك لتستوى الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل أن ليس له ذلك وقال للفقهاء
 اغتبابا دبت بالقوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله أن يجعل في
 عزيمته الحسنيين خيرا وبلغ الأذفونش ما صنع ابن عباد فاقسم بالله أنه ليغزونه بأشيبيلية وليحاصرها
 في قصره ثم زحف في عسكر من أحداهم عليه والآخر على بعض قواده حتى نزل على ضفة النهر الأعظم
 بأشيبيلية قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هناك كتب إلى ابن عباد أرباب عليه كثر بطول مقامه
 في مجلسي هذا على الذباب واشتد الحرق فاحتفى من قصره بمرحوة أروح بها على نفسه وأطرد بها
 الذباب عن وجهه فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرآن كتابك وفهمت خيلا لك واجهاتك
 وسأ تطورك في مراح من جلود الأطر روح منك لا عليك إن شاء الله فلما وصلت رسالة ابن عباد
 الأذفونش وقرئت عليه وفهم مقتضاها طرق أطراق من لم يخطره ذلك ببال وقشاشي الأندلس فوقع
 ابن عباد ما أظهر من العزيمة على اجازة يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس
 وفرحوا بذلك وانفتحت لهم أبواب الآمال وأمام ملك طوائف الأندلس فلما تحقق قوا عزم ابن عباد
 وانفراد برأيه في ذلك اتهموا منه فخرج من كتابه ومنهم من شافوه وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم
 والسيفان برأيه في ذلك اتهموا منه فخرج من كتابه ومنهم من شافوه وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم
 ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسير أرى جماله في الصراء خير من كونه ممزقا للأذفونش
 أسير أرى خنازيره وقال لمن لاهه يا قوم إلى من أمري على حالتين حالتيين وحالة شك ولا بد لي من
 أحدهما أما حالة الشك فاني إن استدت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش فني الممكن أن يني لي ويبقى
 على وفائه ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة الشك وأما حالة اليقين فاني إن استدت إلى ابن تاشفين فاني أرى
 الله وإن استدت إلى الأذفونش أمضت الله فإذا كانت حالة الشك فيهما عارضة فلا شيء أدر ما يرضي
 الله وآق ما يرضيه فحينئذ أقصر أصحابه عن لومه ولما عزم ابن عباد على رأيه أمر صاحب بطليوس
 المتوكل على الله عمر بن الأقطس وصاحب غرناطة عبد الله بن حبوس المنهاجي أن يبعث إليه كل منهما
 قاضي حضرته فضلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه
 فلما اجتمع عند ابن عباد القضاء بأشيبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم وأبعثهم أنهم رسله

الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه في الجهاد وأسند الى الوزير
 ما لا بد منه من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تقدم عليه وفود تغور الاندلس
 مستعطفين مجتهدين بالكفاة ناشدين بالله والاسلام مستعجدين بفتحها حضرة ووزراء دولته فيجمع
 اليهم ويصغي لقولهم وترقى نفسه لهم ولما انتهت رسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم متواهم وجرت
 بينه وبينهم مراضات ثم انصرفوا الى مرسلهم ثم عبر يوسف البحر بمراسلها حتى أتى الجزيرة الخضراء
 فخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوفا جلبوا اليه ما عندهم من سائر
 المرافق وأذوا الفزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلات المساجد والحداب بالمطوعة وتواصوا بهم
 خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار وهو قال ابن الأثير رحمه الله لما رجع المعتدين عبادا الى اشبيلية وترك
 قرطبة بدون مدافع وسمع مشائخها يجري من قتل ابن عباد لليهودى وأوقوة الفرغ وضعف
 المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرغ على بعض اجتماعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها
 الفرغ ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى
 القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنتظر الى ما فيه المسلمون من الضغار والذلة واعطاهم
 الجزية بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا ان تعرض عليك قال ما هو قالوا كتب الى عرب افر ببيعة
 ونشترط لهم اذا وصلوا اليها فاسمناهم أموالنا ونرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال أخاف اذا وصلوا
 اليها ان يخذلوا اذنا كما فعلوا بفر ببيعة ويتركوا الفرغ ويبدؤنا والرابطون أصح منهم وأقرب اليها
 قالوا له فكانت يوسف بن تاشفين وأرغب اليه في العمور اليها أو رسل بعض قواده وينفاهم بتقاوضون
 اذ قدم عليهم ابن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت
 رسول الله في ذلك فامتنع القاضي وانما أراد ان يرى نفسه من عمة تلحقه فأخ عليه المعتمد فعبر
 القاضي البحر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من
 الأذفونش وكان أمير المسلمين يومئذ بعد بيعة سبتة في الحال أمر بعجور العساكر الى الاندلس
 وأرسل الى مراكنش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت اليه يتلو بعضها بعضها فالتاكتاكت عنده
 عبر البحر وسار فاجتمع بالمقعد بن عباد اشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل
 قرطبة عسكر كبير وقصد المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الأذفونش فجمع
 عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبته له
 بعض غواة أديبا المسلمين يلقظ له في القول ويصف مامعه من القوة والعددو بالغ في ذلك فلما وصل وقراء
 يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبها مغلطا فكتب أجاد فلما قرأه على أمير المسلمين
 قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الأذفونش وكتب على ظهره الذي يكون ستره وأرسله اليه فلما
 وقف عليه الأذفونش ارتاع له وعلم انه بلى رجل له دهاء وعزم وهو ذكر ابن خلدون رحمه الله أن يوسف بن تاشفين
 أمر بعجور الجبال فجمع برمنها ما أغص الجزيرة وأوتق رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا
 جلاقط ولا خيلهم رأتهما فقط فصار الخيل تجمع من روية الجبال ورفائها وكان ليوسف في عبورها
 رأى مصيب فكان يمدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرغ تجمع منها وقد قدم يوسف بن
 تاشفين بين يديه كتاب الأذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الاسلام أو الجزيرة أو الحرب كما هي السنة
 ومن جملة ما في الكتاب بلغفابا الأذفونش أنك دعوت الله في الاجتماع بنا وتغيب أن تكون لك سفين
 تعبر عليها البحر اليها فقدمنا اليك وقد جمع الله تعالى في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائنا
 ومادعاء الكافرين في الاقي ضلال فلما سمع الأذفونش ما كتب اليه يوسف جاش بمرغيطه وزاد في طغيانه
 وأقسم أن لا يرجح من موضعه حتى يلقاه (ولترجع الى كلام صاحب الروض المعطار) قال رحمه الله فلما عبر

يوسف وجميع جبهوشه البحر الى الخضر انهمض الى اشيلية على احسن الميئات جيشا بعد جيش واميرا
 بعد امير وقبيل بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وامر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات
 وراى يوسف ماسره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع امرائها على اشيلية وخرج المعتمد الى لقاء
 يوسف من اشيلية في مائة فارس من وجوه اصحابه فلما اتى محلة يوسف وكفى نحوهم وركضوا نحوه
 ثم رزاليه يوسف وحده والتقى بمنفردين وتماخوا وتعانقوا واطهر كل منهما صاحبه المودة والخصوص
 وشكرا نعم الله وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا انفسهم بما استقبلاه من غزو اهل الكفر وتضرع الى الله
 في ان يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه واقرقا فعاد يوسف لمحله وابن عباد الى جهته والحق ابن عباد
 ما كان اعده من هدايا وتحف وضيافات اوسع مما على محلة يوسف بن ناشفين وباتوا تلك الليلة فلما
 اصبحوا واصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشيلية ففعل وراى الناس
 من عزة سلطانهم ماسرهم ولم يبق من ملوك الطوائف الا ندلس الامن بادر اوعان وكذلك فعل
 الصرايون مع يوسف اهل كل صقع من اصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما راى اجتماع
 العزائم على مناجزته علم انه عام نطاح فاستنفر الفرشجة للفرج ورفع القسيسون والازهبان والاساقفة
 صلبانهم ونشروا اناجيلهم فاجتمع له من الجلالة والاقرع ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق
 تردد من الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعشى بالمحى بمن بلاده وتغوض
 البحر وانما كفيه الغناء فيما يلقى ولا اكلفكم تعباً امضى اليكم والقاكم في بلادكم رقابكم وتوفير اعليكم
 وقال لخاصته واهل مشورته افديت افي ان اممككنهم من الدخول الى بلادى فنجاز وفي فيها وبين
 جدرها ورعيا كانت الدائرة على يستحكمون البلاد ويحصون من فيها غداة واحدة ولكنى اجعل
 يومهم محى في حوز بلادهم فان كنت على اكنفوا عيانا لوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد اهبه اخرى
 فيكون في ذلك صون لبلادى وجبريل كسرى وان كانت الدائرة عليهم كان معنى فيهم وفي بلادهم ما خفت
 ان يكون في وفي بلادى اذا نجاخ وفي وسطها ثم برز بالختار من جنوده وانجاخ جوعه على باب دربه
 وزك بقية جوعه خلفه وقال حين نظروا الى ما اختاره منهم هولاء قاتل الجن والانس وملأ شكة العلماء
 فالقل يقول المختارون اربعون ألف دارع ولكل واحد اذناج واما النصرارى فيعجبون من زعم ذلك
 ويرون انهم اكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين كان اقل من عدد الكفار وراى
 الاذفونش في نومه كائنا كى فيلاوين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقصر رؤياه على القسيسين فلم
 يعرفوا تاويلها فاخضر رجلا مسلما على ان يتفسير الرؤيا فقصها عليه فاستخفاه من تعبيرها فلم يفهم فقال
 تاويل هذه الرؤيا من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر
 السورة وقوله تعالى فاذا نفركم في التافور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وذلك يقتضى
 هلاك هذا الجيش الذى تجمعه فلما اجتمع جيشه وراى كثرة اعجبه فاحضر ذلك المعبر وقال له هذا
 الجيش الذى اتيه محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه
 وذكر الحديث ثلاث مهلكات وفيه واعجاب المرء به ثم خرج الاذفونش الى بلاد الاندلس وتقدم
 السلطان يوسف نحوه ايضا وتأخر ابن عباد بعض مهلة ثم انزعج بقفواته بجيش فيه جماعة الثغور
 وروساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد مثنائا لابن سينا ثم حجزه بالبيات
 من شعره

لا بد من فرج قريب • يا نيك بالحب الجيب غزو عليك مبارك • سيمود بالفتح القريب
 لله سعادك انه • نكس على دين الصليب لا بد من يوم يكو • ن له احي يوم القلب
 وواف الجيوش كلها بطيوس فانا خونا طاهرها وخرج اليهم صاحب المتوكل عمر بن محمد بن الافطس

ففيهم بما يجب من الضيافات والقوات وبذل المجهود ثم جاءهم الخبير بشخص الاذفونش اليهم وهو قال
 ابن افرحيم ارتحل يوسف بن تاشفين من الخضره فاصدا نحو الاذفونش وقدم بين يديه قائده
 اباسليمان داود بن عائشة وكان بطلامس الابطال في عشرة آلاف فارس من المرباطين بعد ان قدم امامه
 المعتمد بن عباد مع امرائه الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المرية وابن حبوس صاحب
 غرناطة وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى وابن ذى النون وابن الاقطس وغيرهم فأمرهم يوسف ان
 يكونوا مع المعتمد فتكون محلة مالوك الاندلس واحدة ومحلة المرباطين أخرى فتقدمهم ابن عباد فكانوا
 اذا ارتحل ابن عباد من موضع نزله يوسف بمحله فمروا كذا حتى زلوا مدينة طرطوشة فأقاموا بها
 ثلاثا وكتب منها يوسف الى الاذفونش يدعوهم الى الاسلام والجزية أو الحرب وكان جواب الاذفونش
 ما تقدم ثم ارتحل يوسف وارتحل الاذفونش حتى زلوا معايا القرب من بطليوس وكان نزول يوسف بموضع
 يعرف بالزلاقة وتقدم المعتمد فزل ناحية أخرى تعجز بينه وبين يوسف بوة وبين المسلمين والغرج فمهر
 بطليوس حاجرا شرب منه هؤلاء فقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم الى ان وقع اللقاء على
 ما ذكره ولما زل فبعضهم الى بعض اذكى المعتمد عيونهم في محلات الصراوين خوفا عليهم من مكائد
 الاذفونش اذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصراوين
 كان لا يخرج الى طرف المحلة لقضاء امر أو حاجة الا ويحذر ابن عباد بنفسه مطبقا بالمحلة بعد ترتيب الخيل
 والرجال على أبواب المحلات ثم قامت الاساقفة والرهبان ووفروا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على
 الموت وعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون في الناس مقام الوعظ وحضوهم على
 الصبر والثبات وحذروهم من القتل والفرار وجاءت الطلائع تخبران العدو ومشرق عليهم صبيحة
 يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكعب الاذفونش ورجع الى أعمال المكر
 واخذ يدعيه فعاد الناس الى محلاتهم وباو اليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول
 غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والا حديدنا فليكن لقاءنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان
 يوسف وأعلمه انه احبلة منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم
 الجمعة كل النهار ويقال ان الاذفونش واعدهم ليوم الاثنين وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس
 كما أشار ابن عباد وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أجد بن زميلة القرطبي وكان
 في محلة ابن عباد فرحامسروا يقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح
 والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا ونصر عر دهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن
 عباد فبعث الى يوسف يخبره بان تحقيق ما توقعه من غدر العدو الكافر ثم جاء بالليل فارسان من طلائع
 المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسعما ضوضاء الجيش وشخصة السلاح ثم تلاحق بقية
 الطلائع محققين لقهر الاذفونش ثم جاءت الجواليس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا
 الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى
 بصائر في الحرب فمهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا له فان انكشف
 لكم هان عليكم الصراويون بعده ولا أراه يصبر لكم ان صدقتموه المحلة فعند ذلك بعث ابن عباد الكتاب
 أبابكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصرته فمضى ابن القصيرة
 يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فمضى بجيلة الامر فقال له قل له اني سائر اليك ان شاء الله وأمر
 يوسف بعض قواده أن يعصى بكتيفر سمعها له حتى يدخل محلة النصاري فضر مها تارا مادام الاذفونش
 مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فبصره الاوقد غيبته جنود الطاغية فقدم ابن
 عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى

الوطيس واستقر القتل في أصحاب ابن عباد وصبر صبر لم يعهد مثله واستبطأ السلطان يوسف وهو
يلاحظ طريقه وعصته الحرب واستدعليه وعلى أصحابه البلاوعات الطنون وانكشف البهض منهم
وفيهما ابنه عبد الله بن المعتمد وأثنى هوجارات في رأسه وبدنه وعقرت تحته في ذلك اليوم ثلاثة أفراس
كلها هلك واحد قدّم له آخر وتد كرفي تلك الحالة ابنه صغيرا يكنى أباهام ثم وكان قد تركه بأشيبيلة
عليلا فقال أباهام هشفتني الشفار * فله صبري لذلك الاوار

ذكرت شخصك تحت الجحاح * فلم يثنى ذكره للفسار

ثم كان أول من وافي ابن عباد من قواد يوسف بن تاشفين داود بن عائشة وكان بطالها منهم ما نفوس بحبيته على
ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوه قدماء أقصاها البطون فلما أصره الأذفونش وجه جلته اليه
وقصده بعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصددهم صدمة ردتهم الى مر كزهم وانتقم به شمل
ابن عباد واستشفق الناس من ربح الظفر وتباشر وبالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فزلزلت الأرض من حوافر
الخيل وأظلم النهار بالجحاح وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم راجع ابن عباد الى
يوسف وجعل معه حملة جامعها النصر وتراجع المنزومون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالهجوم الغشني
وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنة بقي يجمع بها بقية
عمره قالوا وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس يومئذ أنى يجرين ساقات المسلمين وصغوفهم
يصرّضهم ويقوى نفوسهم على الجهاد ويصمهم على الصبر فقاتل الناس في ذلك اليوم قتال من يطلب
الشهادة ويرغب في الموت وهو على سباق ابن خلكان في ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر
العسوق في يوم الأربعاء وكان الموعد بالناجزة يوم السبت فعذر الأذفونش ومكر فلما كان صبح يوم الجمعة
منتهى فرجب أقبل طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبت
الخيل في العسك كرفاجت بأهلها ورجفت الأرض وصارت الناس فوضى على غير تقية ولا أهبة ودهتهم
خيل العدو ففمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وركت الأرض حصيدا خلقتها وصرع ابن عباد
وأصابه جرح أشواه وفرز رؤساء الأندلس وأسلموا محللتهم وظنوا أنه وهى لا يرفع وتارة لا تدفع وطلق
الأذفونش ان أمير المسلمين في المنزومين ولم يعلم ان العاقبة للثقتين فتقدم أمير المسلمين وأحدث به أنجاد
خيله ورجاله من مناجاة ورؤساء القبائل وقصدا وحلة الأذفونش فاقصموا هوا وقتلوا حاميها وضربت
الطبول وزعقت البوقات فاهترت الأرض وتجاوبت الجبال والالافاق وتراجع الروم الى محالهم بعد ان
علموا ان أمير المسلمين فيها قصده ففرج لهم عنائهم كرت عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم
عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان أمر أمير المسلمين حشمة السودان فترجل منهم زهاء أربعة
آلاف ودخلوا المعتزل بدوق الطوس وسيف الهند ومن اريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها ففرت
بفرسانها وأجمعت عن أقرانها وتلاحق الأذفونش بأسود ففدت من أربقه فاهوى ليضربه بالسيف
فلصق به الاسود وقبض على عنقه وانتضى خنجره كان متمنطاه فاقبته في فخذه فهتك خلق درعه وشك
فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربع مائة وهبت
ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه
فأخرجوهم عن محلتهم فلولوا ظهورهم وأعطوا ألقاهم والسيوف تصدفعهم والرمح تطعنهم الى ان
لحقوا بؤة بطوا اليها واعتصموا بها وأحدث بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من
الربوة وألقوا من بعد ما نسبت فيهم أطفالا للنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث
والأنية والمضارب والاسلحة وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك نل عظيم
هو قال صاحب الروض المعطار في لجأ الأذفونش الى نل كان يلي محله في نحو خمسة مائة فارس ما منهم

الامكولوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابه وعمل المسلمون من رؤسهم ما ذن يؤذون عليها
 والمخذول ينظر الى وضع الوقعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على
 السلطان يوسف وصالحه وهنأه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد وعقابه وحسن بلائه
 وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهم زامهم عنه فقال له ها هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك
 وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونا كذا في هذا السلك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف
 رجب وقد أمر الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفخ للدين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب
 الاليم واخطب الجسيم فالحمد لله على ما يديره وسناده من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في
 تثبيت شمل الانفوس والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكالا للنجيم ولا أعدمه الوبال
 العظيم بعد اتیان النهب على محلاته واستئصال القتل بجميع أبطاله وجناته حتى اتخذ المسلمون من
 هاماتهم صوامع يؤذون عليها فله الحمد على جيل صنعته ولم يصني والحمد لله الاجرات بسيرة آلمت
 لكتها قرحت بعد ذلك فله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء مثل
 ابن زميلة صاحب الرواية المذكورة وقاضي مراکش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحم الله
 الجميع وروى في ان موضع المعترك كان على اتساعه ما فيه موضع قدم الاعلى ميت أودم وأقامت
 المساكر بالموضع أربعة أيام حتى جفت الفنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فقف عنها وأثرها
 ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده الجهاد والابرار العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب القيم فلما
 رأته ملوك الاندلس اثنا عشر يوسف لهم بالفتائم استكرموا واحبوه وشكروا له صنعه وأمر أمير المسلمين
 بقطع رؤوس القتلى وجعلها قطعت وجمع بين يديه منها أمثال الجبال فبعث منها الى اشبيلية عشرة آلاف
 رأس والى قرطبة مثل ذلك والى بلنسية مثلها والى سرسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدو
 أربعين ألف رأس فقسمت على مدن العدو ليراه الناس فيشكروا الله على ما منهم من النصر
 والظفر العظيم وقال ابن أبي زرع في وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن يدعي به
 قبل ذلك وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله وكتب أمير المسلمين بالفخ الى بلاد العدو والى تميم بن المغز
 الصنهاجي صاحب افرقية فعملت المغرقات في جميع بلاد افرقية والمغرب والاندلس واجتمعت كلمة
 الاسلام وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى ولما بلغ الانفوس الى بلاده وسأل
 عن أصحابه وأبطاله ففقدهم ولم يسمع الا نواح الشكاى عليهم اغتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك أسفلو غما
 وراح الى أمه الهاوية ولم يختلف الا بتوا واحدة جعل الامر اليها فحسنت بطليطة ورحل المعتد الى
 اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام يوسف بن تاشفين ثلاثة أيام وورد عليه الخبر بوفاة
 ولده أبي بكر بن يوسف وكان قد تركه مرضا بسببة فاعتم لذلك وانصرف راجعا الى العدو وذهب معه ابن
 عباد يوما وليلة فعزم عليه يوسف بن تاشفين الرجوع الى منزله وكانت جراحاته قد تورمت عليه فسير معه ولده
 عبد الله الى ان وصل البحر وعبر الى المغرب وكان أمير المسلمين عند مجيئه الى بلاد الاندلس وقصده ملاقة
 الانفوس قد تحرى المسير بالعراس من غير ان يمر بمدينة اورस्ता حتى نزل الزلافة تجاه الانفوس
 وهناك اجتمع عساكر الاندلس فانه ابن خلكان ولما فرغ من الوقفة رجع عوده على يده كل ذلك
 نورع منه وتكرّم وتخفيف عن الرمايا رجه الله ورضى عنه ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس
 وهني بالفخ وقرأت القرءاء وقامت على رأسه الشعراء فانشدوه في عبد الجليل بن وهبون في حضرت
 ذلك اليوم وأعدت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ في الاتصروه فقد نصره الله فقلت بعدا الى ولشعري
 والله ما أقتل هذه الامة معنى أحضره وأقوم به اه ومن هنا اختلف أقوال المؤرخين في حال أمير
 المسلمين في الجهاد فقيل انه لم يرجع الى بلاد الاندلس بعد هذه المرة لكنه ترك قواده فيها ورسم لهم

بالجهاد وشن الغارات على بلاد العدو وقيل انه عاد اليها ثانياً والثالث على هذا القول فانفتحو في زمان ذلك العمود تاريخه والله تعالى أعلم

في حقيقة أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد

اعلم ان أقوال المؤرخين اختلفت في أمر يوسف بن تاشفين بعد غزوة الزلاقة فبني ابن خلكان وغيره ان أمير المسلمين لما غزم على النهوض إلى بلاد المغرب ترك قائده سير بن أبي بكر التوفي بارض الاندلس وخلف معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح سير بن أبي بكر أياما قلائل ثم دخل بلاد الأذفونش وشن الغارات قهبا وقتل وسبوا فتح الحصون المنيعه والمعقل الصلبة وتوغل في بلاد العدو وحصل على أموال جليلة وذخائر عظيمة وتربد بالافورسان في جميع ما استولى عليه وأرسل إلى السلطان يوسف بجميع ما حصله وكتب اليه يعرفه ان الجيوش النغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضياع عيش وأنكده وملوك الاندلس في بلادهم وأهلهم في أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه ان يأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض العدو في فصيل فذلثوا من أبي فحاصره وقاتله ولا تنهس عليه ولتبدأين وإلى النغور منهم ولا تعرض لابن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فقل عليه أمرهم عسكرك فامتثل سير بن أبي بكر أمره واستقر لهم واحداه واحد حتى كان آخرهم ابن عباد فالحقهم ونظمه في سلكهم على ما ذكره وهو قال ابن أبي زرع كلما كانت سنة احدى وثلاثين وأربع مائة جاز أمير المسلمين إلى الاندلس الجواز الثاني برسم الجهاد قال وسبب جوازه ان الأذفونش لعنه الله لما هزم وجرح وقتل جوعه همد إلى حصن لبيط الموالي لعميل ابن عباد فقتلته بالخيول والرجال والمائة وأمرهم ان يكونوا ينزلون من الحصن المذكور فيغيرون في أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الاندلس اذ كان السبب في جواز أمير المسلمين إلى الاندلس فكانوا ينزلون من الحصن في الخيل والرجل فيغيرون ويقتلون ويأسرون قد جعلوا ذلك وظيفة عليهم في كل يوم فساء ابن عباد ذلك وضاق به ذرعا ثم عبر البحر إلى العدو مستنقرا أمير المسلمين فلقية بالمعمورة من خلق وادى سبوا وهذه المعمورة هي المشعة اليوم بالمهدية من أحواز سلا فشبكي إليه حصن لبيط وما يتقاه المسلمون من أهله فوعده الجواز اليه فرجع المعتمد وصار يوسف في أثره فركب البحر من قصر الجواز إلى الخضراء فقتله ابن عباد بها بالف دابة تحمل الميرة والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها إلى أمراء الاندلس يدعوهم إلى الجهاد وقال لهم الموعد ينشأ وينكم حصن لبيط ثم تحرك يوسف من الخضراء وذلك في ربيع الأول من السنة المذكورة فقتل على حصن لبيط وفي القاموس بلطيط كزنييل ببلد بالجزيرة الخضراء الاندلسية ولهله هو هذا فلما نزل أمير المسلمين لم يأت به عن كتب اليه من أمراء الاندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية وابن عباد صاحب أشبيلية فنزل معه الحصن وشرعوا في القتال والتصنيق عليه وكان يوسف رجه الله يشن الغارات على بلاد الفرنج كل يوم ودام الحصار على الحصن أربعة أشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا إلى ان دخل فصل الشتاء وقع بين ابن عبد العزيز وابن عباد نزاع وشتا فشبكي المعتمد إلى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه أمير المسلمين وأسلمه إلى ابن عباد فاختل أمر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع بها الغلاء ولما علم الأذفونش بذلك حشد أعم النصرانية وقصد إلى حياة الحصن في أم لا تحصي فلما قرب من الحصن انخرق له يوسف عنه إلى ناحية لورقة ثم إلى المرية ثم جاز إلى العدو وقد تغير على أمراء الاندلس لكونهم لم يأت به منهم أحد عند مادعاهم إلى الجهاد ومنزلة الحصن ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور قبل الأذفونش حتى نزل عليه فاحلاه مما كان فيه من آله الحصار ومادته وأخرج من كان فيه من بقية النصارى المتفلتين من مخالب النية وعاد إلى طليطلة فاستولى ابن عباد عليه بعد خلافته وفتناه جميع جاته بالقتل والجرح سوى

تلك الصباية المنفصلة وكان فيه عند ما نازله أمير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية فأتى عليهم القتل والجرح حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المتفلتون منه عند أخلائه ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث برسم الجهاد فسار حتى نزل على طليطلة وحاصرها الأذقون وشق الغارات بطرافها فأكسبها واتسفت حارها وزرعها وخرب عمرانها وقتل وسبا ولم يأت من ملوك الأندلس أحد ولا عرج عليه منهم معرج فقاطعه ذلك ولما فصل من غزو طليطلة عمد إلى غرناطة فنزلها وكان صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس قد صالح الأذقون وظاهره على أمير المسلمين وبعث إليه عيال واشتغل بتحصين بلده وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره يني على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير دعوه يني فسوف يدري * إذا أتت قدرة التقدير ولما انتهى أمير المسلمين إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين وأغلق أبوابها ودونه فحاصره أمير المسلمين نحو شهرين ولما اشتد عليه الحصار أرسل يطلب الأمان فأخذه أمير المسلمين وتسلم منه البلاد فدخلها وبعث بعبد الله وأخيه تميم بن بلكين صاحب مالقة إلى مراکش مع حريمهما وأولادهما فأقامها وأجرى عليهما الاتفاق إلى أن ماتا بها ولما خلع أمير المسلمين بني باديس وملك غرناطة ومالقة وما أضيف اليهما خاف منه المعتمد بن عباد وانقبض عنه ويقال إن ابن عباد طمع في غرناطة وإن أمير المسلمين يعطيه أياها فعرض له بذلك فأعرض عنه أمير المسلمين تخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه ثم سعى بينهما الوشاة فتغير عليه أمير المسلمين وعبر إلى العدو في رمضان سنة ثلاث وثمانين للمذكورة ولما انتهى إلى مراکش ولي على الأندلس قائده سير بن أبي بكر التوفى وقوض إليه جميع أمورها كلها ولم يأمره في ابن عباد بشئ فسار سير بن أبي بكر نحو اشبيلية وهو يظن إن ابن عباد إذا سمع به يخرج إليه ويتلقاه على بعد ويحمل إليه الضيافات على العادة فلم يفعل وتحصن منه ولم يلتفت إليه فراسله سير بن أبي بكر أن يسلم إليه البلاد ويدخل في طاعة أمير المسلمين فامتنع ابن عباد فمض ذلك تقدم سير إلى حصاره وقتاله وبعث بعض قواده إلى قرطبة ليحاصرها ويؤمئذ المأمون بن المعتمد بن عباد فنزل لها في عساكر المرابطين حتى قضوا يوم الأربعاء ثالث صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وقتل صاحبها المأمون ابن المعتمد ثم فتح بإسالة وأبدع وحسن البلاط والمدور والصخرة وشقورة ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد الاوقد ملكه المرابطون ماعدا قرمونة واشبيلية ثم ارتحل سير بن أبي بكر إلى قرمونة فنزلها حتى دخلها غصوة واليوم السبت السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة فاشتد الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث إلى الأذقون ليعنه الله يستغيث به على لمونة ويعدده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد إن هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار فبعث إليه الأذقون قائده القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل فلما علم سير بقدم الفرغ إليه انتصب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل الشباعة والنجدة وقدم عليهم إبراهيم بن اسحق التوفى وبعثه للقاء الفرغ فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهم حرب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ومنهم الله النصر فمزمو الفرغ وقتلوه حتى لم يبق منهم الا القليل ثم شدد سير بن أبي بكر في الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها غصوة وقبض على المعتمد وجاعة من أهل بيته فقتلهم وحملهم في السفين بنهر اشبيلية وبعث بهم إلى أمير المسلمين بجراش فاهر أمير المسلمين بإرسال المعتمد إلى مدينة أغمات فسمع بها واستقر في الحصن إلى أن مات بها لاحد عشر ليلة خلت من شوال سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان دخول سير بن أبي بكر مدينة اشبيلية يوم الاحد الثاني والعشرين من رجب سنة أربع وثمانين ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقي من بلاد الأندلس إلى أن خلصت لهم ولم يبق ملوك الطوائف بها ذكر وهذه الاخبار نقلناها عن ابن أبي زرع وعزوجة بالسير من كلام غيره

واعتمدنا كلامه لانه موضوع بالقصد الاول لاختبار المغرب فيكون أعنى به من غيره وفي تاريخ
 ابن خلدون بعض مخالفة لما مر في قولهم أجاز يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس الجواز الثاني سنة ست
 وثمانين وأربعمائة وتساقل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من نكيره عليهم لما يسومون به
 رعاياهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المقارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس وتحرى المصلحة (وقال
 أيضا) ان الفقهاء بالاندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى
 ملوك الطوائف فاجابوه بالامتنال حتى اذار جمع عن بلادهم وجعوا الى حالهم فلما أجاز ثانية انقبضوا
 عنه الابن عباد فانه بادى الى لقائه وأغراه بالكثير منهم فتقبض على ابن رشيق البناء وأمكن ابن عباد منه
 للعداوة التي بينهما وبعث جيشا الى المربة فصرعها صاحبها ابن صمداح ونزل بجباية من أرض افر بقبصة
 وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين ومحلالة فساء نظره وأقتاه الفقهاء وأهل
 الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الامر من أيديهم وصارت اليه بذلك فتاوى أهل
 المشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما فعمد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين
 وأخاه قيسا عن ماله بعد ان كان منهما مائة اخلة للطاغية في عدوة يوسف بن تاشفين وبعث به مالى
 المغرب فخاف ابن عبد الله ذلك منه وانقبض عن لقائه وفشت السعيات بينهم ما نفض أمير المسلمين الى
 سبته فاستقر بها وعقد لأمير سير بن أبي بكر على الاندلس وأجازه فانتهى اليها وقعد ابن عباد عن تلقية
 وميرته فاحتفظه ذلك وطالبه بالطاعة لا أمير المسلمين والنزول عن الامر ففسد ذات بينهم ما تم عليه على جميع
 عمله ثم صعد الى اشبيلية فحاصره ما واستجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يرض عنه شيئا
 وكان دفاعا متون عاف في عضده واقصم المرابطين اشبيلية عنوة سنة أربع وثمانين وأربعمائة
 وتقبض سير على المعتد وقاده أسيرا الى مراکش فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك
 في محبسه من اغمات سنة تسعين وأربعمائة ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الانطس
 فقتله وابنيه يوم الاضحية سنة تسع وثمانين وأربعمائة بما صم عنده من مداخلهم الطاغية وأن على كوه
 مدينة بطليوس ورتاهم الاديب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في أولها

الدهر يجمع بعد العين بالثر • لما البكاء على الاشباح والمور

وهي قصيدة غريبة في منوالها وموضوعها عند فقهاء أهل الذنكات ومن عثر به الزمان على أبيكي منه الجاد
 وتستشرق لسماعة الانجاد والوهاد ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث الى الاندلس سنة تسعين
 وأربعمائة وزحف اليه الطاغية فبعث أمير المسلمين عساكر المرابطين لظفر محمد بن الحاج التتوي فانهزم
 انه ارى أمامه وكان الظهور للمسلمين ثم أجاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث
 وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر فاقتصوا عامة الاندلس من أيدي ملوك الطوائف
 ولم يبق منها الا سرقسطة في يد المستعين بن هود معتصما بالنصارى وأغزى الأمير من دلى صاحب
 بالنسية الى بلاد برشلونة فاتحن فيها وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع وانتظمت بلاد الاندلس
 في ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن واستولى أمير المسلمين على
 العدوتين معا واصلت هزائم المرابطين على القرغ مرارا والله غالب على أمره فهذا كلام ابن خلدون
 في سياق هذه الاخبار وعلم انه قد يوجد هنا بعض المؤرخين حط من رتبة أمير المسلمين وغض عليه
 اما في كونه كان بربريا من أهل الصحراء بعيدا عن مناحي الملك والادب ورقة الحاشية واما في كونه تحامل
 على ملوك الاندلس حتى قتلهم ما فعله وذلك حيث عين حسن بلادهم ورفاهية عيشهم واعلم ان هذا
 الكلام جدير بالرد وأصله من بعض أدباء الاندلس الذين كانوا ينادون ملوكهم اويسة يتطلون بظلمهم
 ويغدون ويزوون في نعمتهم فحين فعل أمير المسلمين بسادتهم ورؤسائهم ما فعل أحدهم من ذلك

ما يأخذ النفوس البشرية من الذنب عن الصديق والمحاماة عن الغريب حتى باللسان والافتقد كان أمير المسلمين رجه الله من الذين والورع على ما قد علمت ومن ركوب الجادة وتحري طريق الحق على الوصف الذي سمعت وهذا ابن خلدون أمام الفتح ومضري الصديق قد نقل أن مالوك الاندلس كانوا ينظرون رعاياهم بضرب المكوس وغيرها ثم وصلوا أيديهم بالطاغية وبذلوله الاموال في مظاهرة اياهاهم على أمير المسلمين ثم لم يقدروا على قتالهم واستنزالهم عن سرير ملكهم حتى تعددت لديه فتاوى الاغمة الاعلام من أهل المشرق والمغرب بذلك فافهم هذا واعرفه والله تعالى يقابل الجميع بالعفو والصخ الجبيل عنه وكرمه

﴿بقية أخبار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سوى ما تقدم﴾

﴿قال ابن خلدون﴾ كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حاز ما حاز اللامور ضابطا لمصالح ملكه موزا لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم قال وبلغني ان الامام حجة الاسلام ابا حامد الغزالي رجه الله لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى أهل العلم عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فجاء اليه الخبر بوفاته فرجع عن ذلك العزم قال وكتب وفتت على هذا الفعل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت من أن وجدته (وكان أمير المسلمين يوسف) معتدل القامة اسمر اللون خفيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو أول من تسمى بأمير المسلمين ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمس مائة وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمس سنين سترحه الله ﴿وقال ابن خلدون﴾ تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين وخطب الخليفة لعهدده ببغداد وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله العباسي وبعث اليه عبد الله ابن محمد بن العربي المافري الاشيلي وولده القاضي أبا بكر بن العربي الامام المشهور فتلطفاني القول وأحسناني الابلاغ وطلب من الخليفة أن يعقد لأمير المسلمين بالمغرب والاندلس فعدله وتضمن ذلك مكتوب من الخليفة منقول في أيدي الناس وانتقلا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما لي تطهره من الاقطار والاقاليم وخطبته الامام الغزالي والقاضي أبو بكر الطرطوشي بمحضانه على العدل والتمسك بالخير ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة اه كلام ابن خلدون وانما احتاج أمير المسلمين الى التقليد من الخليفة المستظهر بالله مع أنه كان بعيدا عنه وأقوى شوكة منه لتكوين ولايته مستندة الى الشرع وهذا من ورعه رجه الله وانما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أديامع الخليفة حتى لا يشاركه في لقبه لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة والخليفة من قرش كافي الحديث فافهم ومن أخبار يوسف بن تاشفين أيضا ما نقله غير واحد من الأئمة ان أمير المؤمنين طلب من أهل البلاد المغربية والاندلسية المعونة بشئ من المال على ما هو بصدد من الجهاد وانه كتب الى قاضي المرية أبي عبد الله محمد بن يحيى عرف بابن البراء يأمره بفرض معونة المرية ويرسلها اليه فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب اليه يخبره بأنه لا يجوز له ذلك فاجابه أمير المسلمين بان القضاء عندي والفقهاء قد أباحوا فرضها وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فرضها في زمانه فراجعته القاضي عن ذلك بكاتب يقول فيه الحمد لله الذي اليه ما بينا وعليه حسابنا وبعد قد بلغني ما ذكره أمير المسلمين من اقتضائه المعونة وتأخرى عن ذلك وان أبا الوليد الباجي بجميع القضاء والعقاه بالعدة والاندلس أتوه بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها فاقضاه والفقهاء الى الناردون زبانية فان كان عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيره وخصيجه في قبره ولا يشك في عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وزيره ولا خصيجه في قبره ولا يمن لا يشك في عدله فان كان القضاء والفقهاء أنزلوك منزله في العدل فأنه تعالى سائلهم وحسيهم عن تقلدهم فيك

وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم وحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقة عليهم فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بمحضرة من هناك من أهل العلم وليحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقة عليهم وحينئذ نجب معوته والله تعالى على ذلك كله والسلام عليك ووجه الله تعالى وبركاته فلما بلغ كتابه إلى أمير المسلمين وعظه الله بقوله ولم يعد عليه في ذلك قولا والأعمال بالنيات وكان أمير المسلمين حين ورد عليه التقليد من الخليفة ضرب السكة باسمه ونقش على الدينار والاه الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب على الدائرة ومن يتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وكتب على الصفحة الأخرى عبد الله أحد أمير المؤمنين العباسي وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكته وكان ملكه قد انتهى إلى مدينة إفراغة من قاصية شرق الأندلس وإلى مدينة أشبونة على البحر المحيط من غرب الأندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً طولا وفي العرض ما يقرب من ذلك وملك بعدوة المغرب من جزائر بني مرغنة إلى آخر السوم الأقصى إلى جبال الذهب من بلاد السودان ولم يرق بلد من بلاد ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا خراج لا في حاضرة ولا في بادية إلا ما أمر الله به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكوات والأعشار وخيلت أهل الذمة وأخماس الغنائم وقد جني في ذلك من الأموال على وجهها ما لم يجبه أحد قبله يقال أنه وجد في بيت ماله بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعون ربعم من مطبوع الذهب وكان وجهه الله زاهداً في زينة الدنيا وزهراً ورعاً متعباً بالعبادة الصوف لم يلبس قط غيره وما كلفه الشهيير ولحم الأبل والباقي ما يقتصر على ذلك لم ينقل عنه مدة عمره على ما مضى الله من سعة الملك ونحوه من نعمة الدنيا وقد رداً أحكام البلاد إلى القضاء وأسقط ما دون الأحكام الشرعية وكان يسير في أعماله بنفسه فينفق أحوال الرعية في كل سنة وكان محباً للفقهاء وأهل العلم والفضل مكرماً لهم صادراً عن رأيهم يعمرى عليهم أرزاقهم من بيت المال وكان مع ذلك حسن الأخلاق متواضعاً كثيراً للحياء جامعاً لخصال الخير رجه الله تعالى ورضي عنه

﴿الخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى﴾

لما توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في التاريخ المتقدم بايع الناس ابنه علي بن يوسف المذكور عمره أكش بعهد من أبيه إليه وذهب أمير المسلمين وكان سنه يوم بوع دلائلنا وعشرين سنة وذلك من البلاد ما لم يملكه أو لا تنصاف البلاد ساكنة والأموال وافرة والرعايا آمنون بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة وسلك طريقة أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه

﴿خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين﴾

لما توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بمجاه ابنه علي بن يوسف بشو به وتخرج إلى المرابطين ويده في يد أخيه أبي الطاهر تميم بن يوسف فبقي لهم أباه ثم وضع أبو الطاهر يده في يد أخيه علي بن يوسف فبايعه ثم قال المرابطين قوموا فبايعوا أمير المسلمين فبايعه جميع من حضر من ثلثون وسائر قبائل صنهاجة وبايعه الفقهاء وأشباه القباطل فتمت له البيعة بمراكش ثم كتب إلى سائر بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بوفاة أبيه واستخلافه من بعده وأمرهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع البلاد وأقبل نحوه الوفود للتعزية والتهنئة إلا أهل مدينة فاس فإن ابن أخيه يحيى بن أبي بكر بن يوسف كان أميراً عليها من قبل جده يوسف فلما انتهى إليه الخبر بموت جده ولاية عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعته فخرج عليه وواقفه على ذلك جماعة من قوادس ثلثة فرحف إليه علي بن يوسف من مراكش حتى إذا دنى من فاس خاف يحيى بن أبي بكر على نفسه وعلم أنه لا طاقة له بحرب عمه فأسلم فأسالعه وخرج منها خائفاً

يترب قد خلعها على بن يوسف يوم الأربعاء الثامن من ربيع الآخر سنة خمس مائة واستقام له الأمر وقيل
أن علي بن يوسف لما دنا من فاس نزل بمدينة مفيدة من أحوازها ثم كتب إلى ابن أخيه يعاتبه على
ما ارتكبه من الخلاف ويدعوه إلى الدخول في الطاعة كما دخل الناس وكتب كتاباً آخر إلى أشياخ البلد
يدعوهم فيه إلى بيعته ويتذدهم ويتوعددهم فلما وصل الكتاب إلى يحيى وقراه جمع أهل البلد
واستشارهم في المقاتلة والحصار فلم يوافقوه فلما بش منهم خرج فاراً إلى مرزدي بن تيلكان وكان عاملاً
على تلسان فلقية مرزدي بوادي ملوبة مقبلاً برسم البيعة لعلي بن يوسف فاعلم يحيى بما كان من شأنه
فضمن له مرزدي عن همه العفو والصفيح فرجع معه حتى إذا وصل إلى فاس دخل مرزدي على أمير المسلمين
علي بن يوسف ونزل يحيى مستخفياً بجحومة وادي شردوع ولما اجتمع مرزدي بأمير المسلمين وسلم عليه
ورأى منه أكراماً وقبلوا أعله بجبر يحيى وما ضمن له من العفو فاجابه إلى ذلك وعفاه عنه وأمنه ثم جاء يحيى
فبايعه وخبره أمير المسلمين بن أن يسكن بجزيرة مبورقة بشرق الأندلس أو ينصرف إلى بلاد الحمراء
فاختار الحمراء فأنصرف إليها ثم سافر منها إلى الجاز فنجى البيت ورجع إلى همه فاستأذنه أن يكون في جلته
ويكون سكاه معه بحضرة مراکش فاذن له في ذلك فسكنها مدة ثم أتته همه بالتشغيب عليه فثقله
وبعث به إلى الجزيرة الخضراء فاستقر بها إلى أن مات

في أخبار الولاة بالمغرب والأندلس

لما بيع أمير المسلمين علي بن يوسف عزل عن قرطبة الأمير أباعبد الله محمد بن الحاج التتوي وولى مكانه
القائد أباعبد الله محمد بن أبي زلفي قنزي طليطلة وأوقع بالنصارى قتلهم قتلانديا بباب القنطرة أخذهم
على غرة وفي سنة إحدى وخمسمائة عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب وولى
مكانه أباعبد الله بن الحاج فاقام والياً على فاس وسائر أعمال المغرب نحو ستة أشهر ثم عزله وولاه بالنسبة
وأعمالها من بلاد شرق الأندلس ولما عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولاه غرناطة
وأعمالها من بلاد الأندلس فكانت له على النصارى وقعة الفليح وذلك أنه خرج غازيلاً بالدار الفريخ سنة
اثنين وخمسمائة فنزل حصن الفليح وبه جمع عظيم من الفرنج لحاصره حتى اقتحم عليهم الحصن فارز
النصارى إلى القسبة فحصبوها وانتهى خبرهم إلى الفتن فاستعدت لفرج ولأغاثتهم فاشتدت عليه
زوجته أن يبعث ولده عوضاً منه لأن تميم بن يوسف ابن ملك المسلمين وساجدة ابن ملك النصارى فامتنحل
أشارتها وبعث ولده ساجدة في جيش كثيف من زعماء الفرنج وأتباعهم فسار حتى إذا دنا من الفليح
أخبر تميم بن يوسف بجهدهم ففرغ على الإفراج عن الحصن وأن لا يليق الفرنج فاشار عليه قوادلتونة
منهم عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة وغيرهم بالمقام وشجعوه وهو نوا عليه أمرهم فقالوا غدا
قدموا في ثلاثة آلاف فارس وينتالو بينهم مسافة فرجع إلى رأيهم فلم يكن إلا عنى ذلك اليوم حتى
وافتهم جيوش الفرنج في ألوف كثيرة فهم تميم بالفرار فلم يجد له سبيلاً ثم صمم قوادلتونة على مناجرة العدو
وصعدوا إليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بعتلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد
الفتن وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفاً ونيف ودخل المسلمون الفليح بالسيف عنوة واستشهد في
هذه الوقعة جماعة من المسلمين زجهم الله وأصل الخبر بالفتن فأنهم لقتل ولده وأخذ بلده وهلاك جنده
فمرض ومات أسف العشرين يوماً من الوقعة وكتب تميم بن يوسف إلى أمير المسلمين بالفتح (واعلم) أنه قال في
ملوك الجلالة الذين نعيمهم اليوم الأصينول الأذفونش ويقال الفتن فقال ابن خلكان الأذفونش
بضم الهمزة وسكون الذا لالمجمة وضم الفاء وسكون الواو بهاءون ثم شين مجمة هو اسم لا كبر ملوك
الأفرنج وهو صاحب طليطلة (هو قال ابن خلدون) بنواذفونش هم ولداذفونش بن بطرة أول ملوك
الجلالة اه وأما قولهم الفونش فهو اسم علم لبعض ملوكهم وليس لقباً لجميعهم وكان محمد بن الحاج

رحمه الله عمدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضيقا فاحشا بالعارات والنهب فخرج في غزاه
 ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبا وكان معه جماعة من قوادس تونة فبعث بالغنم على الطريق
 الكبير وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين وكأكثر الناس مع الغنم وكان طريق البرية الذى
 أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك الا على سرب واحد لصعوبته وشدة وعورته فلما توسلته محمد بن الحاج
 وأخذته الاوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجده النصارى قد كثروا له في جهة من تلك الجهات
 فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتنى الشهادة اذ لم يجد منفذا يخلص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه
 جماعة من المتطوعة وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بجيلة فلما واثم على خبر الواقعة بأمر
 المسلمين فاستغفروا موت أبي عبد الله بن الحاج وولى مكانه أبا بكر بن ابراهيم بن تافلوت وهو محمد دوح ابن
 خضاجة ومخدوم أبي بكر بن باجة الحكيم المعروف بآب الصائغ وكان عاملا على مرسية فوصل اليه العهد
 بالولاية على بلنسية وطرطوش وما والاها وهو بمرسية ثم خرج بجيش مرسية الى بلنسية فاجتمع اليه
 من كان بها من الجنود ثم حفرهم الى برشاونة فدار لها واقام عليها عشرين يوما فانتصف ما حولها وقطع
 ناراها ونزح قراها فأتاه ابن دهم من قرابة الاذقوش في جيوش كثيرة من حشود بسط برشاونة
 وبلاد رونة فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الفرنج واستشهد فيها من المسلمين نحو
 لسيب ما نثرهم الله تعالى

في أخبار أمير المسلمين على بن يوسف في الجهاد وجوزة الاول الى بلاد الاندلس

سادخلت سنة ثلاث وخمسمائة جاز أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد
 فغلب البصر من سنة منتصف المحرم من السنة المذكورة في جيوش عظيمة تريد على مائة ألف فارس
 فأتته الى قرطبة فأقام بها شهر ثم خرج منها غزيا الى مدينة طلائوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح من
 أعمال طليطلة سبعة وعشرين حصنا وفتح مجريط ووادي الحجاز وانتهى الى طليطلة فحاصرها شهرا
 وانتصف ما حولها بالغنم ثم نقل الى قرطبة بهد ان دقخ البلاد وفي سنة أربع وخمسمائة في فتح
 لا مرسير بن أبي بكر شترين وبطليوس وياورة وبرتقال واشبونة وغير ذلك من بلاد غروب الاندلس وكان
 ذلك في شهر ردى القعدة من السنة المذكورة وكتب بالغنم الى أمير المسلمين وفي سنة سبع وخمسمائة في
 وفي الامرسير بن أبي بكر باشيلية ودفن بها وولى اشيلية عوضا منه أبو عبد الله محمد بن طامة فلم يزل
 عليها الى ان توفي سنة عشر وخمسمائة وفي سنة سبع المذكورة غزى الامير من دلى طليطلة وأعمالها
 ففتحها وفتح حصن أرجنة عنوة فقتل المقاتلة وسبا النساء والذرية واتصل الخبر بالبرهانس كبير الفرنج
 فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم فشهد القائد من دلى لقاته ففر أمامه ليللا وعاد من دلى الى قرطبة ظافرا
 غائبا ثم كانت له في الفرنج وقائع أخرى الى ان توفي رحمه الله غازيا بسلاذ الفرنج سنة ثمان وخمسمائة
 فولى أمير المسلمين مكانه على قرطبة ابنه محمد بن من دلى فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر ثم توفي شهيدا في بعض
 غزواته أيضا

في استيلاء العدو على سرقسطة

كانت سرقسطة وأعمالها من شرق الاندلس بيد بني هود الجذامين تغلبوا عليها في صدر المائة
 الخامسة أيام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم أحد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف اليه ابن
 ردمير سنة ثلاث وخمسمائة فخرج اليه المستعين فالتقوا وبظواهر سرقسطة فانهمز المسلمون واستشهد
 منهم جماعة منهم المستعين بن هود ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة وصاحب مرة بسطة يومئذ عبد الملك بن
 المستعين بن هود الملقب بعماد الدولة زحف ابن ردمير اليها فأنزلها وزحف الففش أيضا في أمم من
 النصرانية الى لاردة من بلاد الجوف فقاتلها واتصل الخبر بأمير المسلمين فكتب الى امرأته غريب الاندلس

بأمرهم بالمسير إلى أخيه تميم بن يوسف وكان يومئذ والياً على شرق الأندلس فسيرون معه لاستنقاذ
سرقسطة ولاردة فقدم على تميم عبد الله بن مرزوق وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهم
فخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع أمراء الأندلس فصدوا لاردة وكان بينه وبين الغنش قتال عظيم
أزجه عن لاردة خاسراً بعد أن بذل جهده في حصارها واقفد من جيوشه عليه أماً يزيد على العشرة
آلاف فارس ورجع تميم إلى بلنسية ولما رأى ابن زعيم ذلك بعث إلى طوائف الأفرنج يستصرخهم على
سرقسطة فأتوا في أمم كالمحل حتى نالوا هامة وشروعاً في القتال وصنعوا أبراجاً من خشب تجري على
بكرات وقرى بها منها ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين مضيقاً وقوى طمعهم فيها فاشتد
الحصار واستمر حتى قُتِلَ الآفوات وهلك أكثر الناس جوعاً فراسل المسلمون الذين بها ابن زعيم على أن
يرفع عنهم القتال إلى أجل فإن لم يأتهم من ينصرهم أخواله البلديو سلموه اليه فعاهدهم على ذلك فتم
الأجل ولم يأتهم أحد فدفعوا إلى المدينة وخرجوا إلى مرسية وبلنسية وذلك سنة اثنى عشرة وخمسمائة
وبعد استيلاء النصارى عليها وصل من بلاد دوة جيش فيه عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين
لاستنقاذها فوجدوها قد فرغ منها ونفذ حكم الله فيها وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قتل ابن
زعيم على بلاد شرق الأندلس ومكث قلعة أيوب التي ليس في بلاد شرق الأندلس أمنع منها وألح
بالغارات على بلاد الجوف فأتصفت هذه الأخبار بأمير المسلمين وهو جراحا إلى الأندلس برسم
الجهاد وضبط النفور وهو جواز الثاني فخلع معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناته
والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه إلى قرطبة ونزل خارجها وأتمه وفود الأندلس للسلام عليه
فسألهم عن أحوال بلادهم فنوؤهم ببلد بالدفتر فوه بما كان وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء
قرطبة وولى مكانه أبا القاسم بن حدين ويقال أنه عزل ابن رشد لأنه استغفاه وكان قد اشتغل بتأليف
البيان والتحصيل ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنترية فقصها عنوة وسار في بلاد الفرنج يقتل
ويسبي ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دقخ بلاد غرب الأندلس وفرأ ما معه الفرنج وتحصنوا
بالمعاقل المنيعه وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد أمير المسلمين إلى بلاد العدو بعد أن ولى أخاه تميم
ابن يوسف على جميع بلاد الأندلس فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة عشرين وخمسمائة

في ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الأندلس وأخباره في الجهاد

لما توفي الأمير تميم بن يوسف في التارخ المتقدم ولى أمير المسلمين على بلاد الأندلس ابنه تاشفين بن علي
ابن يوسف ماعد الجزائر الشرقية فانه قد عقد عليها المحدث بن علي الأسوفي المعروف بابن غانية فعبر الأمير
تاشفين البحر إلى الأندلس في خمسة آلاف من الجنود وبعث إلى أجناد البلاد فأقوه فخرج بهم غازياً
طليطلة ففتح بعض حصونهم بالسيف وانسف ما حولها وفي السنة المذكورة أعنى سنة عشرين
وخمسمائة هزم الأمير تاشفين النصارى بهت من الصواب وقتلهم قتلًا ذريعاً وفتح ثلاثين حصناً من حصون
غرب الأندلس وكتب بالفتح إلى أبيه وفي سنة ثلاثين وخمسمائة هزم الأمير تاشفين جوع الفرنج
فحصن عطية وأتقى منهم خلقاً كثيراً بالسيف وفي سنة إحدى وثلاثين بعدها دخل الأمير تاشفين
بمدينة كركبا بالسيف فلم يبق بها بشر وفي سنة اثنتين وثلاثين بعدها جاز الأمير تاشفين من الأندلس
إلى المغرب بعد أن غزى مدينة أشكوبية فقصها عنوة وحل معه من سيدها إلى العدو ستة آلاف سبية
انتهى إلى مراکش وخرج أمير المسلمين للقائه في زى عظيم وسرور كبير وفي سنة ثلاث وثلاثين
مدها أخذ أمير المسلمين البيعة لولده تاشفين وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة كانت وفاة أمير
المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين التوفي رحمه الله وذلك لسبع خلون من رجب من السنة المذكورة
يقال ابن خلكان كان أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين رجلاً حليماً قوياً صالحاً عادلاً لا منقاداً

الى الحق والهاء تنجي اليه الاموال من البسلاد ولم يزعمه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه
 في ذلك قد طاف به في آخر دولته أعظم مكروه وذلك محمد بن تومرت الذابغ تحت ابطه بجبال المصامدة
 كما يأتي خبره ان شاء الله

في الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللنوفي

لما توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في التاريخ المتقدم ولي بعده ابنه أبو المعز تاشفين بن علي بعهد من أبيه
 اليه وأخذ بطاعته وبيعه أهل العدوتين معا كما كانوا في عهد أبيه وكان أمر عبد المؤمن بن علي يومئذ
 قد استعمل بتبخل وسائر بلاد المصامدة أهل جبل درن فيقال ابن الخطيب كان تاشفين بن علي قد
 استظفه أبوه علي بلاد الاندلس ثم استقدمه لمداقة أصحاب محمد بن تومرت مهدي الموحد بن فلم ينجح
 أمره بخلاف ما عوده الله في بلاد الاندلس من النصر لافضاء الله من الاديبار على دولتهم فيولوا في خروج
 عبد المؤمن بن علي من تبخل يريد فتح بلاد المغرب وكان مسيره على طريق الجبال سرا أمير المسلمين علي بن
 يوسف ابنه تاشفين المذكور معارضاه على طريق السهل وأقاموا على ذلك مدة توفي أمير المسلمين علي بن
 يوسف في أثناءها وأفضى الامر الى ابنه تاشفين وهو في الحرب وقدم أهل مرا كش أصحابي بن علي بن
 يوسف نائب عن أخيه تاشفين بمرا كش وأعمالها ومضى تاشفين بعد البيعة له متبعاً لعبد المؤمن حتى
 انتهى الى تلمسان فنزل عند المؤمن بكهف الفصحاء بين المصرتين من جبل تطري المطل عليها وتزل
 تاشفين بالبطح ما يلي الصفصافي ووصله هناك مدد صناعته من قبل يحيى بن المعز بن صاحب بجاية مع
 قائده طاهر بن كباب لعصبة الصنهاجية وفي يوم وصوله أشرف على عسكر الموحد بن وكان يدل باقدام
 وشباعة فقال لجيش لتونة الفجائية كم اخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتدح
 تاشفين حكمته وأذن له في المناجزة فحمل على القوم فركبوا وصحوا للقائه فكان آخر العهد به وبعسكره
 وكان الموحدون قد قتلوا قبل ذلك الروبريق قائده تاشفين على الروم وقتلوا عسكره في بعض الغارات ثم
 قتلوا بعسكر ثالث من عساكر تاشفين وتالوا منه أعظم النيل فيوفي القرطاس زحف المرباطون
 لقتال الموحد بن قهاهم تاشفين فلم ينتهوا وتعلقوا في الجبل لقتالهم فحبط عليهم الموحدون فهزموهم
 هزيمة شنعاء ولما توالى هذه الوقائع على تاشفين أجمع الرحلة الى وهران فبعث ابنه ابراهيم ولي عهده
 الى مرا كش في جماعة من لتونة وبث كتابا معه أمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين
 وخمسمائة فأقام عليها شهرين ينظر قائدا سطوله محمد بن ميمون الى ان وصل اليه من المربعة بعشرة أساطيل
 فأرسل قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أباحفص عمر بن يحيى
 فقدموا وهران وفوضوا جموع المرابطين الذين اوجلا تاشفين الى اية هناك فأحسد قولهم وأضرموه
 النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه فتردى من بعض حافات
 الجبل وهلك السبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ونجا قافل العسكر الى وهران
 فأنحصر وامن أهلها حتى جهدهم العطش وتزلوا جميعا على حكم عبد المؤمن يوم عيده الفطر من السنة
 المذكورة فأتى عليهم القتل رحيم الله فيوفي القرطاس ان تاشفين بن علي خرج ذات ليلة وهو
 بوهران ليضرب في محلة الموحد بن فسكارت عليه النخيل والرجل فخرأمامهم وكان يجبل عال مشرف على
 البحر فظن ان الارض مده له به فاهوى من شاقه بازار ابطه وهران فأتى رجعه الله وكان ذلك في ليلة
 مظلمة ممطرة وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة آنفا فوجد من الغدباء
 البحر ميتا فاحترأه وحمل الى تبخل فعلق على شجرة هناك وذلك بعد ملازمة الحرب مع الموحد بن في
 البيداء لم يأت الى ظل قط من يوم يروح الى ان مات وكانت مدة ولايته سنتين وشهرا ونصف شهر فيوفي
 ابن خلكان في المسائق تاشفين بن علي ان دولتهم سترول في مدينة وهران وهي على البحر وقصد ان

بجملها مقروء فان غلب على الامر وكب منها الى الاندلس وكان في ظاهر وهران دوة على البحر تسمى صلب
 السكب وباعلاها رباط يأوي اليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع
 وثلاثين وخمسمائة صعد ناشقين الى ذلك الرباط ليضرب الختم في جماعة يسيرة من خواصه وسكان
 عبد المؤمن يجمعهم في تاركرات وهي وطنه واتفق انه ارسل منسرا من الخيل الى وهران فوصلها في
 اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي فكنموا
 عشيته واعلموا بانفرلنا شقين في ذلك الرباط قصده واطاوله واحرقوا به فابقن الذين فيه بالهلاك
 فخرجوا كباقره وشدة الرقص عليه لثقت الفرن النار ونحوه فترامى الفرن نازيلا وعنه ولم يحسكه
 اللجام حتى نردي من جرف هذا الى جهة البحر على جدار في محل وعرق كسر الفرن وهاك ناشقين في
 الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية اخرى لا علم لهم بما جرى في ذلك الليل وجاء
 الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك
 الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلسان وهي مدينتان قديمة وحديثة بينهما ماشوط
 فرس ثم توجه الى فاس فاحصرها واستولى عليها سنة اربعين وخمسمائة ثم قصد مراکش سنة احدى
 واربعين بعدها فاحصرها احدى عشر شهرا وفيها اسحق بن علي بن يوسف بن ناشقين وجماعة من مشايخ
 دولتهم فقتلهم بعد موت أبيه علي بن يوسف نائب عن أخيه ناشقين فاستولى عليها وقبض على القبط من
 أهلها كل مبلغ وأخرج اليه اسحق بن علي ومعه سببرن الحاج وكان من الشجعان ومن خواص دولتهم
 وكانا مكتوفين واسحق بن علي يقول عبد المؤمن أن يعفون اسحق اصغر سنة فلم يوافق خواصه وكان
 لا يوافقهم فغلب بينهم وبينهم فقتلوا ثم نزل عبد المؤمن القصر وذلك سنة اثنتين واربعين وخمسمائة
 وهو قال ابن خلدون في أيام الموحدين على مراکش تسعة أشهر وأمير المؤمنين يومئذ اسحق بن علي بن
 يوسف يابعه صياصغرا عند بلوغ خبر أخيه ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى
 مدافعة الموحدين فانهم مروا بقتلهم الموحدين بالقتل وانضموا عليهم المدينة في آخرات شوال سنة
 احدى واربعين وخمسمائة وقتل جماعة المؤمنين ونحى اسحق في جلته وأعيان قومه الى القسبة حتى
 نزلوا على حكم الموحدين واحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك
 أبو حفص عمر بن واكلا منهم وانحى أمر المؤمنين واستولى الموحدون على جميع البلاد والله غالب على أمره
 فيقال ابن جنون في كانت اتون أهل ديانة وصدة قونية خالصة وصحة مذهب ملكوا بالاندلس من بلاد
 الافرنج الى البحر الغربي المحيط ومن بلاد الصدوق من مدينة بجاية الى جبال الذهب من بلاد السودان
 وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر بالثنية وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن
 تناسل القمح في أيامهم الى ان يسع أربعة أوسق بنصف مثقال ويبيع الثمار ثمانية أوسق بنصف
 مثقال والقطاني لا تباع ولا تشتري وكان ذلك معصوبا بطول أيامهم ولم يكن في عمل من أعمالهم نراج ولا
 معونة ولا تقسيط ولا وتظلم من الوظائف المخزنية حاشي الزكاة والعشر وكثرت الخيرات في دولتهم
 وعمرت البلاد ووقعت النقط ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق ولا من يقوم عليهم وأحبهم
 الناس الى ان خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة خمس عشرة وخمسمائة وهو أما الاحداث
 الواقعة في أيامهم في شهر ذي الحجة من سنة سبع وستين وأربعمائة ظهر النجم المعكب بالمغرب
 وهو في سنة احدى وسبعين وأربعمائة في كسفت الشمس الكسوف الكلي الذي لم يهد قبله مثله
 وكان ذلك يوم الاثنين عند الزوال في اليوم الثامن والعشرين من الشهر وهو في سنة اثنتين وسبعين
 بعدها في كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس مثله بالمغرب انه دمت منها الابنية ووقعت الصوامع
 والمنارات ومات فيها خلق كثير تحت الهدم ولم تزل الزلزلة تتعاقب في كل يوم ليلة من أول يوم من ربيع

الاول الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة **﴿وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة﴾**
 ولد الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ المعروف بابن المناصف صاحب الأرجوزة **﴿وفى سنة**
سبع وتسعين وأربعمائة﴾ توفي الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الطلاع **﴿وفى سنة ثلاث عشرة**
وخمسائة﴾ توفي أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي بقلعة جاد صاحب أبي الحسن
 النخعي وغيره من المشايخ وكان أبو الفضل من أهل العلم والدين على هدى السلف الصالح وكان مجاب
 الدعوة ولما أفتى فقهاء المغرب بأحق كتب الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه وأمر أمير المسلمين
 على بن يوسف بحرقها انتصر أبو الفضل هذا لأبي حامد رحمه الله وكب إلى أمير المسلمين في ذلك وحدث
 صاحب التتوف وهو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الدار عرق بابن الزيات بسنده عن
 أبي الحسن على بن حزمهم قال ما وصل إلى فاس كتاب أمير المسلمين على بن يوسف بالتحريم على كتاب
 الأحياء وأن يحلف الناس بالإيمان المغلظة أن كتاب الأحياء ليس عندهم ذهب إلى أبي الفضل أسقطته
 في تلك الأيمان فأقناني بأنهم لا تزم وكانت إلى جنبه أسفار فقال لي هذه الأسفار من كتاب الأحياء ووددت
 أني لم أنظر في عرى سواها وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الأحياء في ثلاثين جزأً فذا دخل شهر
 رمضان قرأت في كل يوم جزأً أو ناقبه كثيرة وجه الله **﴿قلت﴾** لم يقع في دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة
 وهي إراق كتاب الأحياء فإنه لما وصلت نسخة إلى بلاد المغرب فصنعها جماعة من فقهاء منهم القاضي
 أبو القاسم بن جدين فانتقدوا فيها أشياء على الشيخ أبي حامد رضى الله عنه وأعلموا السلطان بأمرها
 وأقنوه بأنهم يجب إحراقها ولا يجوز قراءتها بجمال وكان على بن يوسف واقفاً كأيته عند إشارة الفقهاء
 وأهل العلم فندرج جميع الأحكام إليهم فلما أقنوه بأحق كتاب الأحياء كتب إلى أهل ملكه في سائر
 الأمصار والأقطار بأن يصح عن نزع الأحياء بحثاً كيدا ويحرق ما عثر عليه من نسخها عدد
 كثير ببلاد الأندلس ووضعت بعض جامع قرطبة وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها بالنار وكذا فعل بما
 ألفي من نسخها بما ركس وتولى الإراق عليها في سائر بلاد المغرب ويقال إن ذلك كان في حياة الشيخ
 أبي حامد رحمه الله وأنه دعا بسبب ذلك على المرابطين أن يعزق ملكهم فاستحيب له فيهم فان كان كذلك
 فتاريخ الإراق يكون فيما بين الخمسمائة والخمس بعد هذا لا يبعه على بن يوسف كانت على رأس الخمسمائة
 و وفاة الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه كانت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس
 وخمسمائة **﴿وفى سنة ست وثلاثين وخمسمائة﴾** توفي الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى
 ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف كان متنبها في الفضل والدين والزهدي الذي انما منقطعا
 إلى الخبير يقصده الناس وبألقونه فيحمدون محبته وسعى به إلى أمير المسلمين على بن يوسف فأمر
 بانحصاره إلى حضرة مراكش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة
 المذكورة واحتفل الناس لحنازة وتندم أمير المسلمين على ما كان منه له في حياته ونظرت له كرامات
 رحمه الله ودفن بقرب الجامع القديم الذي وسط مراكش في روضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي
﴿قلت﴾ وقبره الآن مشهور بسوق العطارين من مراكش عليه بنا محض وفي هذه السنة أيضا
 أعني سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي أبو الحكم بن برجان **﴿قال﴾** ابن خلكان **﴿هو﴾** أبو الحكم عبد السلام
 ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن النخعي عرف بابن برجان شيخ البلاء الموحدة وتشديد الرأى بعدها
 جيم وبعد ألفون وكان عبدا صالحا وله تفسير القرآن الكريم وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب
 الأحوال والمقامات اه **﴿وقال في التتوف﴾** لما انتخص أبو الحكم بن برجان من قرطبة إلى حضرة مراكش
 وكان فقهاء العصر انتقدوا عليه مسائل قال أبو الحكم والله لا عشت ولا عاش الذي انتخصني بعد مرقى
 يعني أمير المسلمين على بن يوسف فغاث أبو الحكم فأمر أمير المسلمين أن يطرح على الزبلة ولا يصلى

عليه وقد قدمه من تكلم فيه من الفقهاء وكان أبو الحسن علي بن حزم يومئذ برا كاش فدخل عليه وجعل أسود كان يجدهم ويحضر مجلسه فأخبره بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم فقال له أبو الحسن إن كنت تبين نفسك من الله فقل ما أقول لك فقال له مرني بما شئت أفعله فقال له تنادي في طرق مرا كش وأوافقها يقول لكم ابن حزم أحضر واجتازة الشيخ الفقيه الصالح الزاهد أبي الحكم بن برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله ففعل ما أمره فبلغ ذلك أمير المسلمين فقال من عرف فضله ولم يحضر جنازة فعليه لعنة الله فقال ابن عبد الملك في كتاب الذيل والتكملة في أبي الحكم بن برجان مدفون برا كش برحمة الجنة منها قال وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال وكان الشيخ أبو ينور المشترقي موجودا في هذه المدة إلا أني لم أقف على تاريخ وفاته فقال في النشوف هو أبو ينور عبد الله بن واكريس الدكالي من مشترقية من أشياخ أبي شعيب أبو ب السارية كبير الشأن من أهل الزهد والورع حدثوا عنه أنه مات أخوه فتزوج امرأته فقدمت إليه طعاما يأكله فوقع في نفسه أن فيه نصيب الأيتام الذين هم أولاد أخيه فأمسك عنه وبات طويلا وجاءه رجل من أشياخ مشترقية فقال له إن عامل علي بن يوسف تهتد في القتل والصلب وقد خرج من مرا كش متوجها إلى دكالة فقال له أبو ينور رد الله عنك فسار إلى أبي بينه وبين قرية يليساكون وهي التي تسميها العامة بوسكاون نصف يوم فأصاب العامل وجع قضى عليه من حينه وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في نار القاضي أبو القاسم بن حنين بقرطبة مع العامة على المرابطين قتلهم والله واث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

في الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدي

في قال ابن خلدون في كان للمصامدة في صدر الإسلام بجبال درن عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لأخوانهم برغواطة في نخلة كفرهم وكان منهم قبل الإسلام ملوك وأمراء ولهم مع ثلثة ملوك المغرب حروب وقتل سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم به بدعوتهم فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من ثلثة بالعدوتين ومن منهاجة بأفريقية حسبا هو مشهور ويأتي ذكره إن شاء الله تعالى في قال في وأصل المهدي من هرغة من بطون المصامدة يسمى أبو عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا أمغار وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت فبعضهم ينسب به إلى سليمان بن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وبعضهم ينسب به إلى العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب والله أعلم بحقيقة الأمر وكان أهل بيته أهل نسل ورياء وكانت ولادته على ما عتد ابن خلدون يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وشبه للمهدي فارسا محبا للعلم ثم ارتحل في طلبه إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ومرا بالاندلس ودخل قرطبة وهي يومئذ دار علم ثم لحق بالاسكندرية وج ودخل العراق ولقي ببجلة من العلماء فحول النظر وأقاد علما واسعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده ولقي أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره في ذلك فأراه عليه في قال ابن خلدون في اجتمع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي واليكاء المراسي والطرطوشي وغيرهم وج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشا مخلوقا كثيرا لطراف بساما في وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصعبه من متاع الدنيا الأعاصير وكوة وكان شجاعا فصيحيا في لسان العرب والبربر شديد الانكسار على الناس فيما يخالف الشرع لا يفتن في أمر الله بغير نظاره وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متعته باللاذي من الناس بسببه وناله بمكة شر فيها الله شيء من المكروه من أجل ذلك فخرج منها إلى مصر وبالع في الانكار فزادوا في أذاه

وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل يخط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وأزعمهم إقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهديّة من أرض إفريقية وكان ملكها يومئذ يحيى بن نعيم بن العزيز بن شاذان بن نعيم الصنهاجي في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان وقبل ان ارتحل محمد بن نور من عن بلاد المشرق كان سنة عشر وخمسة مائة واجتاز به مصر كان سنة إحدى عشرة بعد ها والله أعلم بالصواب ولما انتهى الى المهديّة نزل بمصر معلق وهو على الطريق وجلس في طاق شارع الى الحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكر من آله الملاحى أو وافي الخمر الا نزل اليها وكسرها فتسمع الناس به في البلد فأتوا اليه وقرأوا عليه كتابا من أصول الدين فبلغ خبره الامر يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصطحت الله لميتك ولم يبق بعد ذلك بالمهديّة الا أياما يسيرة ثم انتقل الى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله في الانكار فأخرج منها الى بعض قراها واسمها ملاة فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي الكرمي وهو قال ابن خلدون في انطوى المهديّ راجعا الى المغرب بغير امتعير من العلم وشهابا واريامن الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الاتصاف بالعقائد السلفية والنسب بها بالجمع العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الاسماء والا حاديت بعد ان كان أهل المغرب يعزل عن اتباعهم في التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار التشابهات كما جاءت بفطر المهديّ أهل المغرب في ذلك وحلهم على القول بالتأويل والاخذ بهذا ذهب الاشعرية في كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوب تقليد هم وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد وكان من رأيهم القول بصحة الامام علي رأى الامامة من الشيعة ولم تحفظ عنه قلعة في البدعة سواها واحتل بطرابلس الغرب معنيلا بذهبه ذلك مظهر التنكير على علماء المغرب في عقولهم عنه أخذوا نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى اقي بسبب ذلك اذابات في نفسه احتسبها من صالح عمله ولما دخل بجاية يوم ايو مئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حاد من امره صنهاجة وكان من المعتزفين فأغلظه ولا تباعه بالنكير وتعرض بوال تغيير بعض المنكرات في الطرق فوقت بسببها هبة نكرها السلطان والخاصة وأمر وابه فخرج منها ثاقا يترقب ولحق بعلاة على فرسخ منها يوم ايو مئذ بنو وريا كل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فأزوه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه اليه فأبوا وأحبطوه وأقام بينهم يدوس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ على صخرة بقارة الطريق قريبا من ديار ملاة وهناك لقى به كبير أصحاب عبد المؤمن بن علي حاجا معهما فأعجب بعلمه وصرف عزمه اليه فأخص به وشمر للاخذ عنه وهو في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب في ان المهديّ كان قد اطاع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت يقال انه عثر عليه عند الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم همام وفاته تسمى مل و رأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واحدة له وتكنه يكون على يد رجل من أصحابه همام اسمه عبد مومن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه في نفسه انه القاتم بهذا الامر وان انه قد أرفق ما كان محمد يعرض عن الاويسال عنه ولا يرى أحدا الاخذ اسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي

معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوز ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت
 بنيتي ونظرت في حليته فوافقت ما عنده فقال له من أين آقبت قال من كومية قال أين مقصدك فقال
 المنبرق قال ما بيني قال علماؤنا قال قد وجدت علما وشرفا وذكرنا أصحني تسله فوافقه على ذلك فالتقى
 محمد اليه بامرء وأودعه سره فقال ابن خلدون رحمه الله تعالى المهدى إلى المغرب وعبد المؤمن في جلته وخلق
 وانشر بس فصبه منها أبو محمد عبد الله الوائش يسمى المعروف بالبشير فقال ابن خلدون رحمه الله تعالى وكان جيلا
 فصيفا في لغتي العرب والبر فقاوضه المهدى فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان
 البشير عن تهميد وفرقتها قذا كرايوا في كيفية الوصول إلى المطلوب فقال المهدى للبشير أرى أن تستر
 ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من الجهل واللكم والحصر والتعري عن الفضائل
 ما تستر به عند الناس لتتخذ المنهج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سبيلا إلى المطلوب
 ويقوم لذلك مقام الجهل عند حاجتنا اليه ففصد في فيما نقول ففعل البشير ذلك ثم لحق المهدى بنيسان
 وقد تسامع الناس بخبره فاحضره القاضي بها وهو ابن صاحب الصلاة وبجته على متخذه ذلك وعلى
 خلافه لاهل قطره وظن القاضي ان من العدل تزعمه عن ذلك قسم عن قوله واستمر على طريقه إلى فاس
 فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يد من العلم إلى سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم انتقل إلى مكاسة فبني بها من
 بعض المنكرات فنار اليه الغوغا وأوجعوه ضربا ثم لحق بمراسمها أخذ في شأنه واتى بها أمير
 المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له في القول واتي ذات يوم أخت
 أمير المسلمين حاضرة فنادى على عادة قومها الملقين في زى نسائهم فوجها ودخلت على أخيها باكية
 لما نالها من تقريره فقاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل اليه من سيرته وكانوا قد ملشوا منه
 حسدا وحيطة لما كان ينتقل من مذهب الأشعرية في تأويل التشابه وينكر عليهم جودهم على
 مذهب السلف في إقراره كما جاء يرى ان الجهل ولفقوه تحسيدا ويذهب إلى تكفيرهم بذلك على أحد
 قولى الأشعرية في التكفير فأغروا الأمير به فاحضره للناظرة معهم فكان له الفج والظهور عليهم
 وهو قال ابن خلدون رحمه الله تعالى كان محمد المهدى قد استندى أنصافا من أهل المغرب جلادى القوى الجمكانية
 أنصارا وكان أميل إلى الانحياز من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة نفر سوى أبي محمد البشير
 ثم انه رحل إلى أقصى المغرب وتوجه في أصحابه إلى مراکش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن
 تاشفين وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بمحض ربه رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي
 وكان عالما صالحا زادا ابن خلدون عارفا بالنجوم فشرع محمد المهدى في الانكار على جوى عادته حتى أنكر
 على ابنة الملك فبلغ خبره الملك وأنه يتحدث في تفسير الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره فقال مالك
 ابن وهيب يخاف من فتح باب بصير علينا سدة والراى ان تنصر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم
 بحضور جماعة من علماء البلاد فاجاب الملك إلى ذلك وكان المهدى وأصحابه مقيمين في مسجد خراب
 خارج البلد فطلبوهم فلما ضهمهم المجلس قال الملك لعماء بلده سلوا هذا الرجل ما بيني منّا فانتدب له
 قاضى المرية واسمه محمد بن اسود فقال ما هذا الذى يدكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم
 المتقاد إلى الحق المورثا لله تعالى على هواه فقال له المهدى أما ما نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه
 أقوال وأما قولك انه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار رحمة هذا القول عنه
 ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما يقولون له وتضرر منه به مع علمك ان الحق متوجهة عليه فهل
 بلغت يا قاضى ان انحر بترباع جهارا وتغشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال البناى وعند من ذلك شيا
 كثيرا فلما سمع الملك كلامه زرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من غوى كلامه انه طامع
 في الملكة لنفسه ولما راوا سكوت الملك وانخداعه لقوله لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب

وكان كثيرا لاجتماعي الملك أيها الملك ان عندى لصيغة ان قبلتها حسدت عاقبتها وان تركها لم تأمن
 غائبتها فقال الملك ما هي فقال انى أخاف عليك من هذا الرجل وأرى ان تصقله وأحسبه وتتفق عليهم
 كل يوم دينار التكنفى ثم وان لم تفعل فلتستفقد عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعل ذلك فوافقته الملك على
 رأيه فقال له وزيره يقيم بك أن تبكى من موعظة رجل ثم تسمى اليه في مجلس واحد وان يظهر منك
 الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعته فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة
 النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء وقال ابن خلدون كان مالك بن وهيب خرا ينظر في
 النجوم وكان الكهان يصدقون بأن ملكا كان بالمغرب في أمة من البربر ويتغير فيه شكل السمكة
 اقران بين الكوكبين المألوفين من السيارة يقتضى ذلك فقال مالك بن وهيب احتفظوا بالدولة من الرجل
 فانه صاحب القران والدرهم المربع فطلبه على بن يوسف فقتله وشرح الخيلة في طلبه فقاتلهم
 وهو حكي صاحب العرب كان المهدي لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى ان فارقه
 فقيل له نالك قد ناديت مع الملك اذ لم توله ظهورك فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيبه
 ما استطعت اه كلامه فلما خرج المهدي وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم هنا جريا كش
 مع وجود مالك بن وهيب فأتا من أن يعاد الملك في أمرنا فينا لنا منه مكروه وان لنا بدينة أتممت أنا
 في الله فنقصد المرو به قلن نعدم منه راياد دعا صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من
 فقهاء المصامدة فخرجوا اليه وزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعهم على مقصدهم
 وما جرى لهم مع الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وان أحسن الموضع المجاورة لهذا البلد تنفل
 وينتأوينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه بهدرا يشماتسى ذكركم فلما سمع المهدي بهذا
 الاسم تعذله ذكر كرام الموضع الذي رأيته في كتاب الجفر فقصده مع أصحابه وقال ابن خلدون لما
 لحق المهدي بأخوات غير المتكرات على عادته فأغرى به أهل أتممت على بن يوسف وطبخوا اليه بخره
 فخرج منها هو وتلاميذه الذين كانوا معه في محبته فلحقوا ولا يجسفة ثم هتاتة ولقيه بها الشيخ
 أبو حفص عمر بن يحيى المنتافى جسد الملوكة المحضين أصحاب تونس وإفريقية ثم ارتحل المهدي عنهم
 الى هرغة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى وابطة للعباد فاجتمع عليه الطلبة من
 القبائل وأخذ يعلمهم الرشدة في التوحيد بللسان البربرى وشاع أمره ثم داخل عامل لموتونه على
 السوس اناسا من هرغة في قتله ونذرهم اخوانهم فقتلوا المهدي الى معقل من أشباعهم وقتلوا من
 داخل في أمره ودعوا المصامدة الى مبايعته على التوحيد وقتل الجسمة دون سنة خمس عشرة
 وخمسمائة فتقدم اليها رجالهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هتاتة أبو حفص عمر بن يحيى
 وأبو يحيى بن بكيت ويوسف بن واودين وابن يسمور ومن تنفلل أبو حفص عمر بن علي الصفاكى
 ومحمد بن سليمان وعمر بن تافرا كين وغيرهم وأوعيت قبيلة هرغة فدخلوا في أمرهم كلهم ثم دخل معهم
 كدمية وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان قبلها يقب بالامام وكان يسمى أصحابه
 الطلبة وأهل دعوته الموحدين ثم رضوا لموتونه في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم الى التحسيم
 ولما تم له من أصحابه مخصون مما هم آية التحسين ثم زحف اليهم عامل لموتونه على السول وهم بكانهم
 من هرغة فاستجابوا اخوانهم من هتاتة وتنفلل فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بسكراتونه فكانت تلك
 با كورة الفخ وكان المهدي يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقت كافتهم الى الدخول في دعوته
 وتزدت اليهم عسا كرموتونه مرة بعد أخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تنفلل
 فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالى منبع وادى نفيس قاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة
 استقاموا له هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جثابه مختصرا واقتضى كلام ابن خلدون

أن ظهور المهدي ومبايعته لم تكن الابتغى فانه قال عقب ما سبق له من ان الفقيه عبد الحق بن
 ابراهيم العمودي أشار على المهدي بالمسير الى تبخل وان المهدي لما سمع هذا الاسم تجذبه ذكر فيه
 فقصده مع أصحابه فلما أتوه رأهم أهله على تلك الصورة فعملوا انهم طلاب علم فقاموا اليهم وأكرمهم
 وتلقوهم بالترحاب وأتزلوهم في أكرم منزل لهم وسأل أمير المسلمين عنهم بعد خروجه من مجلسه فقيل
 له انهم سافروا فسر ذلك وقال تخصصنا من الانتم بحسبهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدي
 اليهم وكان قد سلف فيهم ذكره فخاؤه من كل فج حقيق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استدناه وعرض
 عليه ما في نفسه من الخروج على السلطان فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه أعرض عنه وكان
 يستميل الاحداث وذوى الفرة وكان ذوو الحسكة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم
 من اتباعه ويخوفونهم سطوة السلطان فكان لا يتم له مع ذلك أمر وطالت المدة وخاف المهدي من
 مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامسل وخشي ان يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يوجبهم الى
 اسلامه اليه والتخلي عنه فتسرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض
 اولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكميل فسالهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فالزمهم الاجابة
 فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج وفي كل سنة تصعد بمالكه بناوا يتزلون في بيوتنا
 ويغرجوننا عنها ويحتلون بين فيها من النساء فتأتى اولادنا على هذه الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا
 فقال المهدي والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضىتم بهذا وانتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعمهم
 بالرح فقالوا بالارغم لبارضى فقال أرايتم لو ان ناصر انصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نتقدم
 أنفسنا بين يديه لآلوت ثم قالوا من هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يقولون في تعظيمه
 فأخذ عليهم اليهود والمواتيق واطمان قلبه ثم قال لهم استعدوا الحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤكم
 فأجروهم على حادتهم وخلاو بينهم وبين النساء وميلاو عليهم بالجور فاذا سكروا فاذنوني بهم فلما حضر
 المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي وكان ذلك ليلا أعموه بذلك فأمر بقتلهم كلهم فلم يرض من
 الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنزل لحاجة له فسمع
 التكبير عليهم والايقاع بهم فهرب على غير الطريق حتى خلاص من الجبل ولحق بجرا كس فأخبر الملك
 بما جرى فقدم على فوات محمد بن تومرت من يده وعلم ان الخزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهر
 من وقته خيلا بقدار ما يسع وأدى تبخل فانه ضيق المسلك وعلم المهدي انه لا بد من عسكر يصل اليهم
 فأمر أهل الجبل بالعودة على آتاق الودى ومرأى صده واستجد لهم بعض الجوارين فلما وصلت الخيل
 اليهم أقبلت عليهم الحارة من جانبي الوادى مثل المطر وكان ذلك من أول النهار الى آخره وحال بينهم
 الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعمل انه لا طاقة له بأهل الجبل لتصميمهم فأعرض عنهم
 وتحقق المهدي ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل ففند ذلك استدعى أبا محمد البشير وقال له هذا
 أو ان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المجرة لتستميل بذلك قلوب من لم يدخل في الطاعة
 ثم انقاعا على أنه يصلى الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة والاكنت في تلك المدة في رأيت
 البارحة في منامى انزل الى ملكان من السماء وشقاؤدى وغسلا وحشواه علما وحكمة وقرأنا فلما
 أصبح فعل ذلك وهو فصل بطول شرحه فانقاده كل صعب القياد عجبوا من حاله وحفظه القرآن في
 النوم فقال له محمد بن تومرت فبهل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعدنا نحن أم أشقىا فقال له أما أنت
 فانك المهدي القائم بامر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال عرض أصحابك على حتى أمير أهل
 الجمنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها كل من خالف أمر محمد بن تومرت وأبقى من أطاعه
 وشرح ذلك بطول وصحكان غرضه أن لا يبق في الجبل مخالفا لهم فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت

ان في السابقين له أهل وعشيرة قتلوا وانهم لا تطيب نفوسهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك
 مرا كش اليهم واعتنق أموالمهم فصرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم (وبالجملة) فان تفصيل هذه الواقعة
 طويل ولست بصد ذلك وخلاصة الامر ان محمد بن تومر تلم يزل حتى ججز جيشا عسدر جاله عشرة
 آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير وأصحابه كلهم أقام هو بالجبل قتل
 القوم بخصار مرا كش وأقاموا عليه شهرات ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم منهم من القتل
 وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل البشير وبلغ الخبر المهدي وهو بالجبل وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه
 اليه فأوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة جيدة فلا يضجر واوليها عودوا القتال
 فان الله سبحانه وتعالى سيبهت على أيديهم وان الحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقولون
 وتكثرون وأنتم في مبدأ أمرهم وفي آخره وأشباه هذه الوسايا وهي وصية طويلة اه كلادم ابن خلكان
 وهو قال ابن خلدون لما كان شأن أبي محمد البشير ومير الموحدين المتأفق اعترم المهدي على غزو
 لتونة فجمع كافة أهل دعوته من المعامرة وزحف اليهم فلقوه بككب وهزمهم الموحدين
 واتبعوه الى أن حلت فقبضهم هناك زحوف لتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف وراهم بن ناعاش
 فهزمهم الموحدين وقتل ابراهيم وجنده واتبعوه الى مرا كش فقتلوا البصيرة في زهاء أربعين
 ألفا كلهم راجل الأربع مائة فارس واحتقل على بن يوسف في الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم
 خرج عليهم من باب آبلان فهزمهم وأنخن فيهم قتلوا وسبوا وفقد البشير واستمر القتل في هيلانة
 وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء وقيل للمهدي ان الموحدين قد هلكوا فقال لهم ما فعل
 عبد المؤمن قالوا هو على جواده الأدهم قد أحسن البلاء فقال ما بقي عبد المؤمن فلم يملك أحد وهو قال ابن
 الخطيب في رقم الحل كانت وقعة البصيرة باحواز مرا كش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي
 وكادت تأتي عليهم ومع ذلك فلم تضع منه ولا هنت صبره وكان يقول مثل هذا الامر كالقبحر يتقدمه
 القبحر الكاذب وبعده يندب الصبح ويستعلي الضوء يأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من في
 عدوهم بعدها وانه يعطي الرجل على قدم ما أعد من المراتب الى غير ذلك فهذا خبر المهدي مختصر من ابن
 خلدون ومزجوا بما نقله ابن خلكان من ذلك وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي هذا وفيه
 بعض مخالفة لما تقدم قلنا به وان أدى الى بعض التكرار زيادة في الامتناع وتحلية للاسماع فنقول
 وهو قال ابن أبي زرع ما ملخصه ان المهدي رحل الى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ وسمع منهم وما أخذ
 عنهم علما كثيرا وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبغ في علم الاصول والاعتقادات
 وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه لازمه ثلاث سنين وكان الشيخ
 أبو حامد كثير ما يبشر الى المهدي ويقول انه لا بد أن يكون له شأن وغي الخبر بذلك الى المهدي فلم يزل
 يتقرب الى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلع على ما عنده من العلم في ذلك فلما تحققت عنده الحال استخار
 الله وعزم على الترحال فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة ولازم في طريقه
 درس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى ان اجتمع به عسكرا من المؤمنين بن علي فبايعه على موازنته
 في السنة والارضاء والعسر والبسر ثم قدم بلاد المغرب واستقر عرا كش وكانت له فصاحة وعلية مهابة
 فآخذ يظعن على المراتبين وينسبهم الى الكفر والتجسيم ويشيع عندهم من يتقوه ويسكن اليه انه المهدي
 المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وجرى منه عرا كش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم
 ذكره فاتصل خبره بعلي بن يوسف التتوي فآخضه وقال له ما هذا الذي بلفنا غنك فقال انما أنا رجل فقير
 طلب الآخرة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسؤول عنه
 قد ظهرت بعدك المنكرات وفشت البدع وقد وجب عليك احياء السنة وامانة البدعة وقد صاب الله

تعالى أمة تركوا التهي عن المنكر فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون فلما سمع
 أمير المسلمين كلامه تأثر له وأخذته وأطرق مفكر ثم أمر بإحضار الفقهاء فحضر منهم ما أغص المجلس
 ثم قال أمير المسلمين اخترت الرجل فان كان عالما اتبعناه والأدباء وكان المهدي فصيحا لسانا ذا معرفة
 بالاصول والجدل وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع فداوت بينهم محاوره ومذاكرة
 أسكتهم فيها وبان يحجزهم عنه فعدوا عن المذاكرة إلى الممالاة وأغروا به أمير المسلمين وقالوا هذا رجل
 خارجي وإن بقي بالمدينة أفسد عقائد أهلها فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد فخرج إلى الجبانة
 وضرب بها خيمة جلس فيها وصار الطلبة يترددون إليه لاخذ العلم عنه فكثر جمعه وأحبته العامة
 وعظموه وانتهى خبره إلى أمير المسلمين فأنابوا ونقل إليه أنه يطعن على الدولة فأحضره مرة أخرى وقال له
 أيها الرجل اتق الله في نفسك ألم أنهك عن عقد الجمع والحزب وأمرتك بالخروج من البلد فقال أيها
 الملك قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة إلى الجبانة واشتغلت بما يعني فلا تنزع لاقوال المبطلين
 فتعوده أمير المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله عنه ليقتضى الله أمرا كان مفعولا ولما انفصل
 المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به وشرعوا له جليلة أمر وما يدعوا إليه فاستدرك
 أمير المسلمين فيمراؤه وبعث إليه من يأتيه برأسه فجمع بذلك بعض بطائفة فرس سرا حتى إذا قرب من
 الخيمة قرأ قوله تعالى يا موسى إن اللأيمان بك ليقطوك الآية فسمعها المهدي وطمأن لها فأنزل
 من حينه وخرج حتى أتى ثبعل فاقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم لحق به أصحابه
 العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بامامته وهم عبد المؤمن بن علي الكوي وأبو محمد البشير
 الوائلي وأبو حفص عمر بن يحيى المنتسقي وأبو يحيى بن بكيت المنتسقي وأبو حفص عمر بن علي
 أصناك وأبراهيم بن اسمعيل الخزرجي وأبو محمد عبد الواحد الحضري وأبو هران موسى بن عمار وسليمان
 ابن خالوف وعائش فاقاموا بثبعل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة فغلبت عليه بهيمة
 درن وكثرت أتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته فبايعه العشرة البيعة الخاصة
 عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة ولما كان الغد وهو يوم السبت خرج المهدي
 في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي
 المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة ثم بث دعايته في بلاد المصامدة يدعون الناس
 إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتحرى الحق وإظهار الكرامات
 فأنال الناس عليه من كل جهة وسمى أتباعه الموحدين ولقبهم عقائد التوحيد باللسان البربري
 وجعل لهم فيه الاعشار والاحزاب والصور وقال من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحدا لا يجوز
 امامته ولا تؤكل ذبيحته فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهرا وباطنا حتى كانوا
 يستغيثون به في شدائدهم وهو هو باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود توافد عليه حتى اجتمع
 عليه جم غفير فلما علم ان ناموسه قد سرخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيبا وندبهم إلى جهاد المرابطين
 وأباح لهم دماءهم وأموالهم فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت فانتخب منهم عشرة آلاف من
 أتباع الموحدين وقدم عليهم بأحمد البشير وعقله راية بيضاء ودعاهم وانصرفوا فاصعدوا إلى مدينة
 أشمكت وانتهى الخبر إلى أمير المسلمين فجهز لقتالهم جيشا من الحشم والجناد فلما التقوا انتصر عليهم
 الموحدون وهزموهم واتبعوههم بالسيف حتى أدخلوهم مراکش وحاصروها أياما ثم أفرجوا عنها
 حين تكررت عليهم جيوش ثلثون وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة وقسم المهدي
 الغنائم التي غنمها من عسكر المرابطين وتلى عليهم قوله تعالى وعدكم الله مغنايم كثيرة تأخذونها فجهل لكم
 هذه الآية وانتشرد كرام المهدي بجميع أقطار المغرب والأندلس وأركب جل جيشه من خيل المرابطين

التي غفوها ثم غزاها كس بنفسه فبأجيشه وسار حتى زل بجبل كيلز بقرب المدينة فأقام محاصرها ثلاث سنين يماكرها بالقتال ويروحها من سنة ست عشرة إلى سنة تسع عشرة ولما خصر من مقامه هناك نهض إلى وادي فئس وانفرد مع حسيبه يدعو الناس لطاعته ويقاثل من أي منهم فانتقاه أهل السهل والجبل وبايعته كدمية ثم غزا بلاد كركاكة فأخذهم بالدعاء إلى توحيد الله وشرائع دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من أبي ويسالم من أجا بفتح بلادا كثيرة ودخل في دعوته عالم كثير من المصامدة ورجع إلى تيفل فأقام بهم شهرين ثم استراح الناس ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هزرجة في ثلاثين ألفا من الموحدون فاجتمع على حربه أهل أغمات وهزرجة وخلق كثير من الحشم وتبوءة وغيرهم فانتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقسم المهدي أقالهم بين الموحدون ثم غزا أهل درن فتح قلاعهم وحصونه وطاعه جميع من فيه من قبائل هرغة وهناتة وكفيسة وغيرهم ثم عاد إلى تيفل فأقام بها يوما ثم استراح الناس ثم ندبهم إلى غزو مرا كس وجهاد المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وأبا محمد البشير وخص عبد المؤمن بأمامة الصلاة فساروا حتى انتهوا إلى أغمات فقبضهم أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من تبوءة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا وادمت الحرب بينهم ثمانية أيام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموا أبا بكر وجيشه إلى مرا كس وقتلوه في كل طريق وحصر مرا كس أياما ثم رجعوا إلى تيفل فخرج المهدي للقائهم فحربهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يكون من البلاد ثم كانت وفاته عقب ذلك على ما ذكره إن شاء الله فهذا أسياق ابن أبي زرع لهذه الأخبار والله أعلم بالصواب

• بقية أخبار المهدي وبعض سيرته إلى وفاته •

كان المهدي رجلا ربة أسمر عظيم المصاهرة عاثر العيين حديد النظر خفيف العارضين له شامة سوداء على كتفه الأيمن ذات سابعة ودهاء وناو من عظيم ولكن مع ذلك عالما بفتيهار أوي بالحديث عارفا بالاصول والجبل فصيح اللسان مقداما على الأمور العظام غير متوقف في سفك الدماء يهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه وكان حصور الأباقي النساء وكان متيقظا في أحواله ضابطا لما ولى من سلطانه أنشد صاحب كتاب العرب في حقه آثاره تنبيك عن أخباره • حتى كأنك بالعبان تراه ثم قال له قدم في التري بوهمة في الثريا ونفس ترى أراقه ماء الحياة دون أراقه ماء المحبا أغفل المرابطون عقله وربطه حتى دب اليهم ديب الطلق في الغسق وترك في الدنيا دوايا أنشأ دولة لو شاهدتها أبو مسلم لكان لمزمه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفا بقليل سمى أوزيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما قد مالمت نفوسهم إلى كثره ما غفوه فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال من كان يتبعني للدنيا فليس له عندي إلا مارأي ومن تبعني للدنيا فجزاؤه عند الله وكان على خول ذيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب لا عند مظلة وله رجل مخصص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر في ذلك قوله أخذت بأعضاءهم أذناوا • وخلقك القوم أذودعوا فكأنت تهى ولا تنتهى • وتسع وعظا ولا تسع فيأجر السنن حتى متى • تسن الحد يد ولا تقطع وكان كثيرا ما ينشد

تجر من الدنيا فانك لنما • خرجت إلى الدنيا وأنت مجرود

وكان يتمثل أيضا بقول أبي الطيب المتنبي

إذا غارت في شرف مروم • فلا تنقع عبادون النجوم
فطم الموت في أمر حقير • كطم الموت في أمر عظيم

وبقوله أيضا ومن عرف الأباة معرفتي بها * وبالناس روى رحمه غير راحم

فليس بحرهم اذا نظروا به * ولا في الردي الجاري عليهم باثم

وبقوله أيضا وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

وقال ابن الخطيب في رقم الحال قالوا كان محمد بن تومرت يزعم انه ما مور بنوع من الوحى والالهام وينكر كتب الرأى والتقليد وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزعة خارجية وكان يتحل القضايا المستقبلية ويشير إلى الكوائن الالمانية ورتب قومه ترتيبا غربيا فزعم أهل الدار وأهل الجماعة وأهل الساقة وأهل حسين وأهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل القبائل فأهل الدار لادامته والخدمة وأهل الجماعة للتفاوض والمشورة وأهل الساقة للاباهة وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة الحل العلم والتأني وسائر القبائل للدافعة العدو وكان يعلمهم أوجه العبادات في العادات فقلت من ذلك ان طائفة من المصاعدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدتهم فعدت كلمات أم القرآن ولقب بكل كلمة منها رجلا فمفهم صفا وقالوا لهم اسمك الحمد لله والثاني رب العالمين وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة ثم قال لهم لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوا هذه الاسماء على نسقها في كل ركعة فسهل عليهم الامر وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المعرب قالوا هو أول من أحدث أصبح والله الحمد في أذان الصبح ومن جواته وافداهم وتها لك على تحصيل مرأته ما حكاها صاحب القرطاس قال كانت بين الموحدين والمرباطين حرب قتل من الموحدين خلق كثير فعظم ذلك على عشائرتهم فاحتال المهدي بأن انقلب قوما من أتباعه وودعهم أحياء بموضع المعركة وجعل لكل واحد منهم متنفذا في قبره وقال لهم اذا استلتم عن حاكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وان ما دعا اليه الامام المهدي هو الحق فخذوا في جهاد عدوكم وقال لهم اذا فعلتم ذلك انزعجتكم وكانت لكم عندى المنزلة العالية وقصد بذلك أن يثبتهم على التمسك بدعوتهم ويؤمن عليهم المقاومين القتل والجراحات بسببه ثم جمع أصحابه عند السمر وقال لهم انتم يا معشر الموحدين حزب الله وانما اردت به واعوان الحق فخذوا في قتال عدوكم فانكم على بصيرة من أمركم وان كنتم تراثبون فيما أقوله لكم فاقوموا موضع المعركة وسلاوا من استشهد اليوم من اخوانكم يخبروكم بما لقوا من الثواب عند الله ثم أتى بهم إلى موضع المعركة ونادى يا معشر الشهداء اما ذا القستم من الله عز وجل فقالوا قد اعطانا من الثواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقسم الله للناس وظنوا ان الموتى قد كلوهم وحكوا ذلك لبقية اخوانهم فزادوا بصيرة في أمره وثباتا على رأيه والله أعلم بحقيقة الحال

وفاته المهدي رحمه الله

كانت وفاة المهدي عقب وقعة البصرة قال ابن خلدون لاربعة أشهر بعدها وقال ابن الخطيب وغيره كانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقيل غير ذلك وقال في القرطاس لما رجع الموحدون من غزوهم راكشا إلى تيفل خرج اليهم المهدي فسلم عليهم ورحب بهم وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يمكنه من البلاد وبعده ملكهم وأعلمهم انعمت في تلك السنة فبكوا وأسفوا ثم مرض مرضه الذي مات منه وقدم عبد المؤمن للصلاة أيام مرضه ثم توفي في التاريخ المتقدم وروى كريب بن المورخين ان المهدي رأى في منامه قبل وفاته كأن أنبياء أتاه فأنشده آياتا ناعى له فيها نفسه وأعلمه باليوم الذي يموت فيه فكان كذلك انظر القرطاس وقدم في هذه الاخبار في ذكر كتاب الجفر وبعثت تشوق النفس لمعرفة حقيقة فقد قال ابن خلدون في كتاب طبيعة العمران واعلم ان كتاب الجفر كان أصله ان هرود بن سعيد الجهلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق رضي الله عنه وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم

ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائرهم من رجالهم على طريق الكرامة
والكشف الذي يقع لثلثهم من الأولياء وكان مكتوباً عند جعفر الصادق في جلد ثور صغير فرواه عنه
هرون الجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه لأن الجفر في اللغة هو الصغير فصار هذا الاسم
علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن الكريم وما في باطنه من غرائب المعاني مروية
عن جعفر الصادق رضي الله عنه وذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام
طويل وأعجب من هذا التفسير تفسير الرافض للقرآن الكريم وما يدعونهم من علم باطنه بما وقع اليهم
من الجفر الذي ذكره الجلي ثم قال ابن قتيبة

ألم تر أن الرافضين تفرقوا • فكلهم في جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا امام ومنهم • طوائف سمته النبي للطهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم • برئت إلى الرحمن عن تجفرا

في أبيات غيره هذه ثم قال ابن قتيبة وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كلما
يحتاجون اليه وكل ما يكون في يوم القيامة اهـ وهذا تعريف من ابن قتيبة لكتاب الجفر وخالف هذا
المذهب أبو العلاء المعري فقال

لقد عجبوا لاهل البيت لما • أتاهم علمهم في مسك جفر

ومرأة المتيم وهي صغرى • أرته حكمل عامرة وقفر

والمسك بفتح الميم الجلد والجفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من أولاد المعز وكانت عادتهم في ذلك الزمان
أنهم يكتبون في الجلود وما شاكلها القلة الأوراق يومئذ وقال ابن خلدون في كتاب الجفر لم تتصل روايته
عن جعفر الصادق رضي الله عنه ولا عرف عينه وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصح ادليل
ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات
رضي الله عنهم

الخبر عن دولة أبي محمد عبد المؤمن بن علي الكومي وأوليتها

أعلم أن بني عبد المؤمن ليسوا من المصادة وأنما هم من كومية ثم من بني عابدينهم وكومية ويعرفون
قديمًا بصطورية بطن من بني قاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الابتر فهم بنوع
زنانة يجتمعون في ضري بن زجيك هذا هو الصحيح وبعض المؤرخين يرفعون نسب عبد المؤمن إلى
فيس عيلان بن مضر وهو ضعيف قال ابن خلدون في كتابه عبد المؤمن من بني عابدين وبنات
كومية وأشرفهم قال وموطنهم بتاكرارت وهو حصن في الجبل المطل على هذين من ناحية الشرق
وقال ابن خلدون كان في الدار عبد المؤمن وسبطا في قومه وكان صانعاً في عمل الطين يعمل منه الأنية
فيبيعها وكان عاقلاً من الرجال وقوراً وهو يحكي أن عبد المؤمن في شبابه كان دائماً يتجأه أبيه وأبوه مشتغل
بعمله في الطين فسمع أبوه دواقي السماء فرفع رأسه فرأى صحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على
الدار فنزلت كلها مجتمعاً على عبد المؤمن وهو نائم فقطعه ولم ينظرهم تحتها ولا استيقظ لها فرأى أنه أمه
على تلك الحال فصاحت خوفاً على ولدها فسكت أبوه فقال أنت أخاف عليك فقال لا بأس عليه بل اني متعجب
عما يدل عليه ذلك ثم انه غسل يديه من الطين وليس ثيابه وقفاً ينتظر ما يكون من أمر النحل فطار عنه
باجعه فاستيقظ الصبي ومابه من ألم فتفقدت أمه جسده فلم تدره أثر ولم يشك اليها أمها وكان بالقرب منهم
رجل معروف بالزحف فضى أبوه اليه فآخبره بما رواه من النحل مع ولده فقال الزاحوشك أن يكون له
شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر وقد تقدم لنا أن المهدي كان عنده كتب
الجفر وكان فيه أن أمره لا يتم إلا على يد رجل اسمه كذا وحليته كذا وهو عبد المؤمن بن علي فاقام المهدي

يتطلبه مدة الى ان لقيته بعلاوة وعبد المؤمن انذاك شاب حدث طالب علم فلازم المهدي واستمسك بخرزه
الى ان كان من أمره ما كان وكان المهدي يتفرس فيه النجابة وينشد اذا بصره
تكاملت فيك أوصاف خصصتها • فكانت منك مسرور ومقتبط
السنن ضاحكة والكف مانحة • والنفس واسعة والوجه منبسط
والبيان ذي الشيص الخراي وكان يقول لاصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول وكان يقول عبد المؤمن
من صدقي هذه الدائرة • وقال ابن خلدون • آثر المهدي عبد المؤمن بمزيد الخصوصية والقرب بما خصه
الله به من الفهم والوعي للتعليم حتى كان خالصا للمهدي وكنز حبايته وكان مؤثرا لخلافة له أظهر عليه
من الشواهد المؤذنة بذلك وفي ذلك يقول ابن الخطيب

وخلف الامر لعبد المؤمن • فأتقادت الدنيا له في رسن

جابه بين القوم بالاماره • اذ فحمت له فيه الاماره

ولما اجتاز للمهدي في طريقه الى المغرب بالتحالفة عرب الجزائر اهدوا اليه جارا فارهيا ركبته لانه كان
ساعيا على رجليه فكان يوثقه عبد المؤمن ويقول لاصحابه اركبوه الحمار يركبكم الخيل المستومة وزعم
بنو عبد المؤمن ان المهدي كان احتفظه من بعده • وقال ابن خلدون • لم يصح انه احتفظه وانما راي
اصحابه في تقديمه اشارته فتم له الامر والله أعلم

في عفة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها •

لما توفي المهدي في التاريخ المتقدم تولى عبد المؤمن تجهيزه والصلاة عليه ثم دفنه بمسجده الملاصق لداره
من تغزل ولمافرغ الموحدون من أمره تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل
شقي وأحب كل قبيلة أن يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليها من هو من غير هافتنا فسوا في ذلك
فاجتمع العشرة والخمسون وناوهم وافيا بينهم وخافوا على أنفسهم النفاق وان تغسب نيابتهم وتفترق جماعتهم
فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن لكونه كان غريبا بين أظهرهم ليس من المصاعدة لان المصاعدة من
البرانس وكومية قبيلة عبد المؤمن من البرت فقطموه لذلك مع ما كانوا يرون من ميل المهدي اليه
وايثاره على غيره فتم له الامر • وقال ابن خلدون • لما مات المهدي خشي اصحابه من افتراق الكلمة
وما يتوقع من مضط المصاعدة لولاية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم فارجعوا الامر الى ان يتخالط
بشاشة الدعوة فلوهم وكنوا موته ثلاث سنين يموتون فيها برضه ويقومون سنته في الصلاة والحزب
الراتب ويدخل اصحابه الى بيته كأنه اختصهم بميادنه فيجلسون حوالى قبره ويتفاوضون في شؤنهم
ثم يضرجون لانفاذ ما أبرموه ويتولى ذلك عبد المؤمن حتى اذا استحك أمرهم وتكثرت الدعوة
من نفوس كفتهم كشفوا القناع عن حالهم وغالما من بقي من العشرة على تقديم عبد المؤمن وتولى كبر ذلك
الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى المشتاق جد الملوك الحفصيين اصحاب تونس فأنظر والناس موت المهدي
وعنده لصاحبه وانقاد بنية اصحابه لذلك وروى لهم يحيى بن يعمر انه كان يقول في دعائه اترسلوا لله
بارك في صاحب الافضل فرضي الكافة واتقادوا له وأجمعوا على بيعته وزعموا أن عبد المؤمن استعمل
في ذلك حيلة تم له بما أراد وذلك انه عهد الى طائر وأسد فصرهما حتى أنسابه وعلم الطائر أن يقول عند
علامة نصبه الله النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين وعلم الاسد ان يصعب له ويتسمع به كل ما رآه
ثم جمع عبد المؤمن الموحدون وخطبهم وحضهم على الالفة واجتماع الكلمة وحذرهم عاقبة البغي
والخلاف وبينما هو في ذلك اذا أرسل سائس الاسد أسده وصفر صاحب الطائر لطائر فبعبص هذا
وأعلن بالنصر هذا فاجب الحاضرون من ذلك ورأوا انها كرامة لعبد المؤمن فازدادوا بها بصيرة في أمره
وثبنا على بيعته مع ما كان من تقديم المهدي له في الصلاة أيام مرضه وفي ذلك يقول بعضهم

أنس السبل ابتهاجا بالاسد ورأى شبه أبيه فقصده

ودعا الطائر بالنصر لكم * فقتضى حكم حين وفد والله أعلم

وكانت بيعة عبد المؤمن العاتقة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوما من ربيع الأول سنة ست وعشرين وخمسمائة بجماع تينخل وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ثم الحسن من أشياخ الموحدين ثم كافة الموحدين لم يتخلف عن بيعته منهم أحد فاستوسق له الأمر واستولى على المغرب بأسره وفتح بلاد إفريقية إلى برقة وبلاد الأندلس بأسرها وخطب له على منابر هذه الأقاليم كلها على ما سياتي تفصيله إن شاء الله ولما تمت بيعته غزا من حينه بلاد تادلا فقتل ما وسبا ثم غزا بلاد دعة فاستولى عليها ثم غزا بلاد غمارة فافتتح البعض منها وقتل واليهاء ثم تسابق الناس إلى دعوته أفواجا وانتفضت البربر على المرابطين في سائر أقطار المغرب وكان ما ذكره

في غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين

ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوة الطويلة التي مكث فيها سبع سنين وأجلت عن فتح المغربين معا الأقصى والأوسط فخرج لها من تينخل في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فلم يزل يتقرب بلاد المغرب ويقع معاقله ويستقرل جنانها ويذل صعاها إلى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وكان خروجه من تينخل على طريق الجبل وخرج تاشفين بن علي في اتباعه من مراکش على طريق السهل إلى أن وصل إلى تلمسان حسبا فقدمه في أخبار المرابطين فقال ابن خلدون خرج عبد المؤمن في هذه الغزوة من تينخل يعني على طريق الجبل كما قلنا وخرج تاشفين بن علي يعني في حياة والده بعساكره يحاذيه في البسيط والناس يفرّون منه إلى عبد المؤمن وهو يتنقل في الجبال في سعة من الفواكه لئلا كل والحطب للدفء إلى أن وصل إلى جبال غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا عن البلاد وألح الطاغية على المسلمين بالدعوة إلى الأندلسية وهلك خلال ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وولي بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور وهو في غزاته هذه وهو في القرطاسين ثم ارتحل عبد المؤمن إلى جبال غمارة وارتحل تاشفين بن علي في أثره فقتل بلزاعين القديم وذلك في فصل الشتاء فقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محله أو تادأ خبيثهم ورامحهم وهدموا بيوتهم ونحياهم انتهى ونشأت فتنة بين لتونة ومسوفة فترج جماعة من أمرائهم مسوفة منهم عامل تلمسان يحيى ابن امصق المعروف بابن كبر ولحقوا بعبد المؤمن ودخلوا في دعوته فنبذ إليهم المرابطون العهد وإلى سائر مسوفة واستمر عبد المؤمن على حاله فقتل سنة فامتعت عليه وتولى كبر دقاعه عنها القاضي أبو الفضل عياض بن موسى الشهير بالذكر وكان رئيسها يومئذ يابوتة ومنصبه وعلمودينه فقال ابن خلدون في ذلك مضطته الدولة يعني دولة الموحدين آخر الأيام حتى مات مغربا عن سبنة مستعملا في خطة القضاء بالبادية من تادلا رجه الله وتماذى عبد المؤمن في غزاته إلى جبال غمارة وبطوية فافتتحها ثم نازل ماوية فافتتح حصونها ثم تحطى إلى بلاد زانة فطاعته قبائل مديونة وكان قد بعث إليهم جيشا من الموحدين إلى نظر يوسف بن واودين فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فاو وأعمال تلمسان من قبل المرابطين فيمن معه من جيوش لتونة وزانة ففوزهم الموحدون وقتل بن فاو وانفض جمع زانة فمروا إلى بلادهم وولى تاشفين بن علي على تلمسان أبا بكر بن مرزوق فقدم على عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن بدر من أمراء بني وماوان من زانة فبعث معهم يحيى بن بضم مور ويوسف بن واودين في عسكر فالتفتوا إلى بلاد بني عبد الواد بن يلاوى من زانة سبوا أسرا ولحق صرغهم بتاشفين بن علي فأمدتهم بعساكر لتونة وهجمهم الروبرت فأنذار وموزوا من داس وانضمت إليهم قبائل زانة من بني يلاوى وبني عبد الواد مع شيخهم حمامة بن مطهر وأخوانهم بني توجين وغيرهم فاقصروا بني وماوان فقتلوا أبا بكر بن ماخوخ في

ستمائة من قومه واستنقذوا غنائمهم وتحصن الموحدون وفل بن وماو ايجيل سيرات ولحق تاشفين بن
 ماخوخ صريخا بعد المؤمنين ومستحيشا به على لتونة وزانة فارتحل معه عبد المؤمن الى تلمسان ثم أجاز
 الى سيرات وقصد محلة لتونة وزانة فاقبضهم ورجع الى تلمسان فقتل ما بين الصغرى من جبل تيطرى
 ونزل تاشفين بن على بالسبل على الصغاف ثم وصل مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب
 بجاية لنظر قائده طاهر بن كباب أمثوابه تاشفين بن على وقومه لعصبة الصنهاجة وفي يوم وصوله
 أشرف على معسكر الموحدون وكان يدل باقدام فعرّض لتونة وأميرهم تاشفين بن على لقعودهم عن
 مناجرة الموحدون وقال انما جئكم لاختصاصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وارجع الى قومي فامتعض
 تاشفين بن على من كلمته وأذن له في المناجزة فعمل على القوم فركبوا وسموا اللقاء فكان آخر العهد به
 وانقض عسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم وهو الوارث بن ريرى عسكر خضع فاعار على
 قوم من زناتة كانوا في بسطط لهم فاكسهم ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن
 فقتلوهم وقتلوا الوارث بن ريرى جلته ثم بعث تاشفين بن على بعثا آخر الى جهة أخرى فلقبهم تاشفين بن
 ماخوخ ومن كان معه من الموحدون واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فقالوا منهم أعظم النيل وتوالت
 هذه الوقائع على تاشفين بن على اللتوني فأجع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ولى عهده ابراهيم بن تاشفين
 الى مراکش في جماعة من لتونة وبعث كاتباً معه أجد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين
 وخمسمائة فأقام عليها شهرا ينتظر قائداً سطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المربة بعشرة أساطيل
 فأرسل قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أباحض عمر بن يحيى
 المتناقي ومعه بنو وماو من زناتة فتقدموا الى بلاد زناتة وولوا مئذاس وسط بلادهم وجعل له بنو يادين
 كلهم وبنو بلوى وبنو مرن ومغراوة فأتى فيهم الموحدون حتى أذعنوا للطاعة ودخلوا في دعوتهم
 ووفد على عبد المؤمن جماعة من رؤسائهم وكان منهم سيده الناس ابن أمير الناس شيخ بني بلوى وجماعة بن
 مطهر شيخ بني عبد الواد وغيرهم فلقاهم بالقبول وسار بهم في جوع الموحدون الى وهران فبقيت لتونة
 بمعسكرهم فغضوهم ولبأ تاشفين الى راية هناك فأحذقوا بها وأضرمو الزنيران حولها حتى اذا غشيه
 الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل وهلك لسبع وعشرين من
 رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبعث برأسه الى تيفل ونجافل العسكرة الى وهران فانحصروا بها
 مع أهلها حتى جهدهم العطش فزلوا على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة
 فاستأصلهم القتل ورجعهم الله وبلغ خبر مقتل تاشفين بن على الى تلمسان مع قل لتونة الذين نجوا من وقعة
 وهران وفيهم سبر بن الحاج في آخر من أعيانهم ففر معهم من كان بها من لتونة ولما وصل عبد المؤمن
 الى تلمسان استباح أهل تاكرانت لما كالأكثرهم من الحشم بعد ان كانوا بعثوا ستة من وجوههم
 فلقبهم بصلتين من مشيخة بني عبد الواد فقتلهم أجمعين وافتتح عبد المؤمن تلمسان وعفان أهلها ورحل
 عنها السبعة أشهر من فتحها بعد ان ولى عليها سليمان بن محمد بن واودين وقيل يوسف بن واودين

فتح مدينة فاس

نقل بعض المؤرخين ان عبد المؤمن لم يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه وهناك وصلتهبيعة أهل
 مصلماسة الى ان اعتزم على الرحيل الى المغرب فترك ابراهيم بن جامع محاصرا لتلمسان وقصد مدينة فاس
 سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقد تحصن بها يحيى بن أبي بكر الصعراوى من قل تاشفين بن على من
 وهران فقاتلها عبد المؤمن وبعث عسكرا محاصرا مكأسة ثم غرض في اتباعه وترك عسكرا من الموحدون
 على فاس وعليهم الشيخ أبو حفص وأبو ابراهيم من محابة المهدي العشرة فحاصروها سبعة أشهر ثم داخلهم
 ابن الجياني فسرّب البلدة وأدخل الموحدون ليللا وفر يحيى بن أبي بكر الصعراوى الى طنجة ثم أجاز منها الى

يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية بالاندلس وكان والياً على قرطبة من قبل المرابطين فأقام عنده الى ان كان من أمره ما نذ كره وانتهى خبر فتح فاس الى عبد المؤمن وهو يحكمه من حصار مكاسة فرجع اليها ودخلها ورجع وحكي صاحب القرطاس يحيى في فتح فاس خلاف هذا الوجه فقال وفي سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن فأساء بعد حصار شديد قطع نهرا من الداحل اليها وسد به البناء والخشب حتى انحبس الماء فوق بسط الأرض وانتهى الى مرا كره منها ثم حرق السد فالتحق الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد على ألفي دار بالثمنية وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتي على أكثرها ثم دخلها عبد المؤمن وأمن أهلها إلا من كان بها من المرابطين فإنه أمر أن لا يضي لهم أمان وقتلهم قتل عاد ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلث كثيرة وأسعها جذاً وقال أنا لانتصاح الى سور وائسا سوراً ناسوفا وعدلنا فلم نزل فاس لا سور لها الى ان تداركها حافده يعقوب المنصور فابند أبنائه ومات فأتته ابنه الناصر سنة ست مائة ولفتح عبد المؤمن فأساء على ابراهيم بن جامع الذي خلفه على تلسان فإنه أساقصها ارتحل الى عبد المؤمن فاقبل به وهو محاصر فاس ففتحها عبد المؤمن وولاه عليها وكان قد اعترضه في طريقه الخصب بن عسكر شيخ بني مرين ونالوا منه ومن رفقة وكانت معه أموال كثيرة وذخيرتهم التي استولى عليها عبد المؤمن بوهران وكان ابن جامع ذاهباً الى تينجل فاعترضه بنو مرين وانزعروا هامة وانتهى الخبر بذلك الى عبد المؤمن فكتب الى عامر له على تلسان يوسف بن واودين يأمره أن يجوز العساكر الى بني مرين فبعثها محبة عبد الحق بن منفعا شيخ بني عبد الواد فأوقوا بني مرين وقتل الخصب شيخهم

في فتح مرا كش واستصال بقية التونيين

ثم ارتحل عبد المؤمن من فاس عامدا الى مرا كش فوافقه في طريقه ببيعة أهل سبتة فولى عليهم يوسف ابن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على مدينة سلا فافتتحها بعد موقعة قليلة ونزل سورها كفاً ونزل منها يدارين عشرة وكانت هذه الدار قصر ابي عبد الله سلا بنائه الفقيه أبو العباس بن القاسم من بني عشرة قنسية واتفقته ولما فرغ منه وصفته الشعراء وهنتته به ودعته وكان بالحضرة يومئذ الاديب ابن الجمار ولم يكن أعذشياً فأفكر قليلاً ثم قال

يا أوحده الناس قد شئت واحدة * حل فيها حاول الشمس في الجمل

لما كدرك في الدنيا لذي أمل * ولا كدرك في الاخرى لذي حل

وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم ثم عمداً عبد المؤمن الى مرا كش وسرح الشيخ بأخص لغزو وبرغواطة فأخضع فيهم ورجع فلقبه في طريقه وانتهوا جميعاً الى مرا كش وقد انضم اليها جوع لمطة فأوقع بهم الموحدون وأخضعوا فيهم قتلاً واكنسوا أموالهم وطمعائهم وأقاموا على مرا كش تسعة أشهر وأميرهم يومئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وكانوا قد يابوا أولاً ابراهيم بن تاشفين بن علي فآلفوه مضغاً عاجزاً لخلعوه وبابوا عمه اسحق بن علي المذكور وهو صبي صغير ولم يطل عليهم الحصار وجهدهم الجوع وزوا الى مداقة الموحدين فأنهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل فاتجمعوا على هدم المدينة في آخر يات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل عامة الملقين ونجا اسحق في جلته وأعيان قومه الى القسبة حتى زلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك أبو حفص بن واجاح منهم وانحى أمر الملقين واستولى الموحدون على جميع البلاد وقد قيل في ترتيب هذه الاخبار غير هذا الوجه فيقال ابن مطروح القنسي في الملبوع عبد المؤمن بتينجل ارتحل بجيوش الموحد بن نحو مرا كش فحاصرها أياماً وذلك في شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ثم ارتحل عنها الى تالان ثم الى سلا فلقاه أهلها سامعين مطيعين فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وخطب له بها في يوم سابع وعشرين بعدها فتح عبد المؤمن بلاد

ناراً في سنة ثمان وعشرين بعد هـ تسمى عبد المؤمن بأمير المؤمنين واعلم ان اللقب بأمير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصاً بالخليفة بالشرق من بني أمية أو من بني العباس بعدهم ولما قام عبيد الله المهدي أول ملوك العبيديين بأفريقية تسمى بأمير المؤمنين لأنه كان يرى أنه أحق بالخلقة من بني العباس المعاصرين له بالشرق فهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الاندلس ورأى ان له في الخلقة حقاً اقتداءً بسلفه الذين كانوا خلفاء بالشرق وكلاهما أعنى العبيدي والأموي قرشي من بني عبد مناف ثم لم يتجاسر أحد لامن ملوك العجم بالشرق ولا من ملوك البربر بالمغرب على اللقب بأمير المؤمنين لأنه لقب الخليفة الأعظم القرشي كما علمت ان جاءت دولة المرابطيين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغربين والاندلس وعظم سلطانه واتسعت مملكته وخطب الخليفة العباسي بالشرق فولاه على ما يده وتسمى بأمير المسلمين أديب الخليفة حسباً أشرفاً إليه سالفاً ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بأمير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده وله ان الحال ينشد

لقد هزلت حتى بدام هز لها • كلاها وحتى سامها كل مفلس

وفي سنة تسع وعشرين وخمس مائة هـ أمر عبد المؤمن ببناء بلط مدينة نازق بنيت وحصن سورها ثم كانت محاربته تاشفين بن علي على نحو ما أسلفناه والله تعالى أعلم

في دولة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي

كان محمد بن هود بن عبد الله السلاوي رجلاً من سوقة أهل سلا وكان أبوه سمساراً يبيع السكايش وكان هو قصاراً ممتدحاً ثم تلقى بعد المؤمنين عند ما ظهر وباعه وشده معه فتح مراكنش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالمهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة فأقبل إليه الثرثار من كل جانب وانصرفت إليه وجوه الانصار من أهل الأفاق وأخذ بدعوته أهل سبل ماسة ودعة وقبائل دكالة وبرجاجة وقبائل تامسنا وهوارفة وفشت ضلالتهم في جميع المغرب وقال في القرطاس يابيعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن الا مراكنش فسرّح اليه عبد المؤمن عسكره من الموحدون فنظر يحيى بن اسحق انكار التنازع اليه من ايلة تاشفين بن علي حسباً تقدم فالتقى بالماسي وقاتله فانتصر الماسي عليه وعاد مهزوماً الى عبد المؤمن فسرّح اليه عبد المؤمن ثانياً الشيخ أبو حفص الممتناقي في جيش عظيم من أشياخ الموحدون وغيرهم واحمق عبد المؤمن في الاستعداد ونهض الشيخ أبو حفص من مراكنش فاقع ذي القعدة سنة اثنيتين وأربعين وخمس مائة وشيعة عبد المؤمن الى وادي تانسيفت ثم دعا له وودعه وانصرف الشيخ أبو حفص في جيوش الموحدون حتى انتهوا الى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد بن هود في نحو ستين ألفاً من الرجال وسبع مائة من الفرسان فكانت بينهم حرب شديدة ثم انتصر عليهم الموحدون فهزم موهم وقتل محمد بن هود في المعركة مع كثير من أتباعه وفشت جموعه وكان ذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة وكان الذي باشر قتل ابن هود هو الشيخ أبو حفص ورئيس الجيش فلقبه الموحدون بسيف الله تشبهاً به بخالد بن الوليد رضي الله عنه وكتب الشيخ أبو حفص الى عبد المؤمن برسالة الفخ من انشاء الفقيه أبي جعفر بن عطية القاضي الكاتب المشهور يقول فيها كتابنا هذا من وادي ماسة بعد ما تجد من أمر الله الكريم ونصره تعالى للمهود القديم وما النصر الامن عند الله العزيز الحكيم ففتحهم الانوار اشراقاً وأحرق بنفوس المؤمنين احداً فانيه لا لاماني التناغة جفونا وأحداً واستغرق غاية الشكر استغراقاً فلا تطيق اللسان لكن وصفه ادراكاً للاحاق جمع أشتات الطلب والارب وتقلب في النعم أكرم منقلب ولادلاء الامل الى عقد الكرب فتح تفتح أبواب السماء • وتبرز الارض في أثواب القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة حين لم تعط الحال بشرحه مهلة كان أولئك الضالون قد بطروا وعدوا وانا وظلما واقطعوا الكفر معني واسما وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقي قد استمال لنفوس بجزع لاته واستوى القلوب بهول لاته ونصب له الشيطان من جبال لاته فأتته المخاطبات من هدوك وب و نسلت اليه الرسل من كل حدب واعتقدته انلخوطا راجب هجب وكان الذي قادهم الى ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك لسواحد عن رؤسهم ب رسم الانقطاع عن الناس فيعاسف من الاعوام واشغل على زعمه بالقيام والصيام آناء ليلالي والايام لبسوا الناموس ثوبا وتدرعوا الزياء جلبابا فلم يفتح الله تعالى لهم للنوفيق بابا وهو منافي ذكر صاحبهم المسمى المذني للهداية فصرع بحمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأتته واقداث الخطايا عن يساره ويعينه وقد كان يتقي أن يشرب أن المنة في هذه الاعوام لاتصيه والنواب لاتتوبه ويقول في سواء قولا كثيرا ويمتثق على الله تعالى افكار وزورا فلما رأوا هيئة اضطجاعه و ماخطته الاسنة في أعضائه وأضلاعه ونفذه من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعه هزم من مكان لهم من الخراب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا على بكرة أييهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب فامتلا تلك الجهات باجسادهم وأذانت الاجال بانقراض آمادهم وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعان منهم الا من نحر صريحا وسقى الارض نجيعا ولقي من أمر الهنديات قطيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي في الوادي فمن كان يؤمل الفرار وروبيعه ويسبح طامعا في الخروج الى ما يفيحه اختطفه الاسنة اختطافا وإذا فته موتا ذاعا ومن لم ينج الترامي على لججه ورام البقاء في نجبه قضى عليه شرقه وألوى بذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتداولون قتالهم طعنا وضربا وياقونهم بأمر الله تعالى هو لا عظيميا وكربا حتى انبسطت مرقات الدماء على صفحات الماء وحسكت جررتها على زرقة حمر الشفق على زرقة السماء وبرت لعبرة للعتبر في جرى ذلك الدم جرى الابحر (وبالجملة) فهي رسالة بلغة وهي التي أورثت منشها الرتبة العلمية والمنزلة السنية فان عبد المؤمن لما وقف عليه استحسنها ووقف منه موقعا كبيرا فاستكتبه وادغم استوزره ثانيا ثم نكبه وقتله نالنا كما سيأتي ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسية أراح عمرا كش أياما ثم خرج غازيا بلاد القاهن بدعوة محمد بن هود بجبال دون فأوقع بأهل نفيس وهي لانة وأخضع فيهم بالقتل والسبي حتى أذعنوا للاطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة فأوقع بهم واقتنع معاقبهم وحصونهم ثم نهض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مرا كش ثم خرج نالته الى برغواطة فخار به دة ثم هزموه واضطربت نار الفتنة بالمغرب وكان ما نذكره

في انتقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم

قد تقدم لنا ان عبد المؤمن كان غزا سبتة في غزوة الطويلة وان القاضي عياض ارجه الله دفعه عنها وانه لما قتل ناشفين بن علي وفتحت تاسان وفاس واستفعل أمر عبد المؤمن باياع أهل سبتة في جملة من ياياع من أمصار المغرب قالوا بادر القاضي عياض الى لقاء عبد المؤمن فاجتمع به بمدينة سلا حين كان ذاهبا لفتح مرا كش فاجزل صلته وولى على سبتة يوسف بن محمد الوفي التتغلي وساكن الموحدون أهل سبتة في ديارهم واطمأنوا اليهم فلما انتقض المغرب على عبد المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن انتقض أهل سبتة أيضا وكان اتقاضهم كافي القرطاس برأى القاضي عياض رحمه الله فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميه وحقروهم بالذار وركب القاضي عياض البصري يحيى بن علي السوفي المعروف بابن غانية وكل معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين فقيه وأدى اليه البيعة وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى بن أبي بكر العسراوي الذي كان معتصما بفاس أيام حصار عبد

المؤمن لها فقر ولحق بابن فائبة كما قلنا وبقي في جلته الى ان بعثته مع القاضي عياض في هذه المرة فدخل
يحيى سبعة وقام بامرها ولما اتصلت بعبد المؤمن هذه الاخبار مع ما تقدم من هزيمة برغواطة للشيخ أبي
حنيف خراج من مرا كش فاصد ابلا برغواطة أولا ثم من بعدهم ثانيا فاستمعت برغواطة بنجر ورجع عبد
المؤمن اليهم فكتبوا الى يحيى بن أبي بكر بكانه من حجة يستنصره وعليهم فأتاهم وباعوه واجتمعوا
عليه وقاتلوا عبد المؤمن فهزموه ثم كانت له الكثرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأقتهم
حتى انقادوا للطاعة وتبرؤا من يحيى الصعراوى وملتونة وفر الصعراوى الى منجانه ثم طلب الامان من عبد
المؤمن وتشفع اليه باشياخ القبائل فأقنعه وقد عليه فباعه وحسنت طاعته لديه وكان ذلك سنة اثنتين
وأربعين وخمسمائة ولما رأى أهل سنة ذلك كله سقط في أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا اليه ثم الى
عبد المؤمن وقدمها أشياخ سنة وطلبها ثابدين ففعلنهم وعن القاضي عياض وأمره بسكنى مرا كش
والصحيح انه ولاء القضاء بشادالا ثم دخل مرا كش قبل دخلها مرضا مرض موته وقيل مات بالطريق
وجعل اليها وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سنة فهدم وكذلك فعل بغاس وسلا (واعلم) ان ما صدر من
القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على انه كان يرى ان لاحق لهم في الامر والامامة
ولتأهم متقلبون وهذا أمر لا يخافه كما هو واضح ولما كانت شوكة عبد المؤمن لازالت ضعيفة
وتأشقين بن علي أمير الوقت لازال قائم العين امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن
ودافعه عن سنة اذلا موجب لذلك لان بيعة تأشقين في أعناقهم وهو لازال حيا فلا يبعد عن بيعته الى
غيره بلا موجب وأما ما غلبه المهدي رحمه الله من ان المرابطين مجمعة وان جهادهم أوجب من جهاد
الكفار فضلا عن ان تكون طاعتهم واجبة ففسطه منه عفا الله عنه ولما قتل تأشقين وفشت
تلسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن بآيئه القاضي عياض حينئذ وقبل صلته لان من قويت شوكة
وجبت طاعته ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسي عليه واجام قبائل المغرب على التمسك بدعوته
رجع القاضي باهل سنة عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الامامة بطريق الاصل
ولم يأخذ بدعوة الماسي لانه نأثر أيضا هذا مع ما كان ينقل عن المهدي من انه غلبت ترغية خارجية عليه
وانه يقول بعصمة الامام وذلك بدعة كما لا يخفى فتكون امامته وامامة أتباعه مقدودا فيها من هذه
الحقيقة لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة فالماصل ان ما فعله القاضي عياض أولا
وثانيا وثالثا كله صواب موافق للحكم الشرعي فهكذا ينبغي ان تفهم أحوال أئمة الدين واعلام المسلمين
رضي الله عنهم ونفعنا بعلومهم وأما القتل والتعريق الذي صدر من أهل سنة فالظن بالقاضي عياض
رحمه الله انه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه لكن العامة تنسرع الى مجاوزة الحدود لاسيما أيام الفتن وذلك
معروف من حالهم والله الموفق ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ففتح الموحدون مدينة مكاسة
القديمة بعد حصارهم اياها سبع سنين اقتحموها عنوة يوم الاربعاء ثالث جادى الاولى من السنة
الذكرية فخرت وقتل أكثر رجالها وسبي حريمهم وخسب أموالهم ثم بنيت مكاسة تكرارت
المدينة الموجودة الآن

في أخبار الاندلس وقتوحها

كان عبد المؤمن لما فتح تلسان وفاس بعث الى الاندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أنجاد
الموحدين وقال ابن خلدون بعث عبد المؤمن بعد فتح مرا كش جيشا من الموحدين لنظر بدران
ابن محمد اللسوفى النازع الى عبد المؤمن من جبهة تأشقين بن علي وعقد له على حرب الاندلس ومن بها
من ملتونة والتوار وأمدّه بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح
العنهناجى ولما أجازوا الى الاندلس تزولوا بابي الغمر بن عزرون صاحب شريش فكان أول بلد فتحوا

من الاندلس بلد شريش خرج اليهم صاحبها أبو الغمر فيمن معه من المرابطين ويايهم لعبد المؤمن
ودخل في طاعته فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسابقين الاولين وحورت أملاكهم فلم تزل
محرومة سائر أيامهم فلم يكن في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الاندلس مربعة وكان ملوك الموحدون
إذا قدم عليهم وفود الاندلس كان أول من ينادى منهم أهل شريش فكان يقال ابن السابقون
في مدخلون للسلام فإذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا فدخل غيرهم حيثنذ وكان فتح شريش فافغ
ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ثم زحف الموحدون الى لبلة وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد
البطروجي فبذل لهم الطاعة ثم زحفوا الى شلب ففتحوها ثم نهضوا الى باجة وبطليموس ففتحوها أيضا ثم
زحفوا الى اشبيلية فحاصروها ثم زحفوا الى انقصوها في شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقر من
كان بها من المرابطين الى قرومونة وقتل من أدركه القتل منهم وقتل في جلهم عبد الله ولد القاضي أبي بكر محمد
ابن عبد الله بن العربي المعافى الحافظ المشهور أصيب في هبة تلك الدخلة من غير قصد وكتب الموحدون
بالفتح الى عبد المؤمن ثم قدم عليه وفدهم عمرا كش مبايعين له سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ورئيس
الوفد يومئذ القاضي أبو بكر بن العربي المذكور فالتفوا عبد المؤمن مشغولا بحرب محمد بن هود الماسي
فأقاموا عمرا كش سنة ونهضوا لم يلقوه فيها حتى كان يوم عيد الاضحى من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة
فلقوه بالمصلى فسلموا عليه سلام الجماعة ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا عليه السلام انخاص وقبلت بيعتهم
وسأل عبد المؤمن القاضي أبو بكر بن العربي عن المهدي هل كان لقيه عنده الامام أبي حامد الغزالي فقال
ما لقيه ولكن سمعت به فقال له لما كان أبو حامد يقول فيه قال كان يقول ان هذا البري لا بد ان سيظهر
ثم صرف عبد المؤمن أهل اشبيلية بعد ان أجازهم وكتب لهم منشورا بشعرب أملاكهم فأنصرفوا عنه
في جادى الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فلما قرى من مدينة فاس توفي الامام أبو بكر بن
العربي رحمه الله فحمل ودفن خارج باب المحروق منها بتربة القاعة مظفر وقبره مزاراة الى الآن وعليه قبة
حسنة وفي هذه السنة ملك الموحدون قرطبة وكان بها يحيى بن علي السوفى المعروف بابن غانية مقيما
لدعوة المرابطين فلما دخل الموحدون الاندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الطاغية
الفرصة في بلاد الاسلام وصايق ابن غانية بقرطبة وألح على جهاته حتى نزل له عن يأسه وأبده وتقلب
على اشبهون طوطوشة والريفة وما ردة وأفرغة وشترين وشترية وغيرهما من حصون الاندلس وطالب
ابن غانية بالزيادة على ما بذل له أو الاخراج عن قرطبة فأسل ابن غانية الى بدران بن محمد أمير الموحدون
واجتمعوا استجبه وضمن له بدران أمام الطليعة عبد المؤمن على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة ففعل ثم لحق
بقرطبة وهاجمهم بن بدران التوفى في جماعة من المرابطين وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدون
وأن يحكمهم من غرناطة كما فعل هو بقرطبة فتوفى بقرطبة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة
ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن في القصة بآراف قبر باديس بن حبوس الصنهاجي وانتهز الطاغية الفرصة
في قرطبة فزحف اليها وهاجمها فزحف اليه الموحدون الذين كانوا بـاشبيلية أبا الغمر من عزرون لحايتها
ووصل اليه مدد يوسف البطروجي من لبلة وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث اليها عسكرا من الموحدون
لتنظر يحيى بن يغمور ولما دخلها أفرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادرتوار الاندلس الى يحيى بن
يغمور في طلب الامان من عبد المؤمن ثم تلاه توابه عمرا كش قتلهم وصنع لهم عاسلف

وقد قدم عبد المؤمن الى سلا وفادة أهل الاندلس عليه بهاجي

لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المؤمن من مرا كش الى سلا فنظر في أمرها وأجرى
اليها ماء عين غبولة حتى وصل الى رباطها ولم تكن رباط الفتح يومئذ بنيت لان بانيها حافده يعقوب
الذمور كما ساقى ان شاء الله ولما كان يقال رباط سلا ثم اذن عبد المؤمن لأهل الاندلس في الوفاة عليه

بسلا فقد مواعليه في نحو خمسائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والاشياخ والقوادق لقاهم الشيخ أبو حفص المتهنقي والوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية وأشياخ الموحدين على نحو مبلين من المدينة فأمر عبد المؤمن بآثارهم وأفاض عليهم سجال الاكرام وأنواع الصياغات والأناعام ويقروا على ذلك ثلاثة أيام ثم أذن لهم في الدخول فدخلوا عليه أول يوم من المحرم فاتح سنة ست وأربعين وخمسائة فسلموا عليه وأشار الوزير ابن عطية لاهل قرطبة بالتقدم فتقدم قاضيههم أبو القاسم بن الحاج فأراد أن يتكلم فدهش ثم وصف حال قرطبة فقال يا أمير المؤمنين ان النفس لعنه الله قد أضاعها فتلافاه أبو بكر بن الجلبا الخطبة الدليقة فخل في ذلك المجلس واستحسن عبد المؤمن خطبته ووصل الجميع كلالا على قدره وقضى مطالبهم وأوصاهم بما اقتضاه الحال وأمرهم بالانصراف الى بلادهم فانصرفوا فرحين مغتبطين وهو قال ابن خلدون رحمه الله استهدى عبد المؤمن أهل الاندلس وهو بسلا فوقدوا عليه وبايعوه جميعا وبايعه الرؤساء من الثوار على الانخلاع من الأمر مثل سدراتي ابن وزير صاحب باجة وبايرة ويوسف البطريركي صاحب بلبة وابن عزرون صاحب شريش ورندة ومحمد بن الحجام صاحب بطليموس وعامل بن مهيب صاحب طليبرة وتختف بن القيس وأهل شلب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد وانصرف أهل الاندلس الى بلادهم ورجع عبد المؤمن الى مراکش واستعصب الثوار في بلادهم وانهته الى أعلم

في غزو إفريقية وفتح مدينة بجاية

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب بلاد إفريقية بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين واستطالة العرب عليهم بها فاجع الرحلة الى غزوها بعد ان شاور الشيخ أباحفص وأبا ابراهيم وغيرهما من المشيخة فوافقوه فخرج من مراکش أو نحو سنة ست وأربعين وخمسائة واستخف عليها الشيخ أباحفص المتهنقي وسار حتى وصل الى سلا فأقام بها شهرين ثم نهض منها الى سبتة مظهرا انه يريد العبور الى الاندلس بقصد الجهاد فلما وصل الى سبتة استهدى فقهاء قرطبة واشيالية وأعيان الاندلس وقوادها فاستوضع منهم أحوال البلاد وأوصاهم بما اليهم منها ودعاهم وحمل عن سبتة مظهرا العود الى مراکش وسار حتى وصل الى القصر الكبير وهو قصر كتامة في زنجيوشه وأزعج عليهم وفرق فيهم الاموال وأمرهم بتجديده زادوا وخرج يعقوب الدلا على غير طريق فجعل مدينة فاس عن يمينه وحده السير حتى خرج على وادي ملوية ثم سار الى تلمسان فأقام بها يوما واحدا ثم خرج منها الى السير فاصد ابجاية فطرق الجزائر على حين غفلة من أهلها فدخلها وأمنهم وفر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز الى أبيه يحيى بجاية وخرج الى عبد المؤمن الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهدية وكان الفرغ قد أخذ جوه منها فقصده ابن همة يحيى بن العزيز صاحب بجاية فعدله الى الجزائر وأتته بها كالمسجون فلما طرقت عبد المؤمن بالجزائر في هذه المرة خرج اليه الحسن بن علي المذكور فحصبه ووصل يده يسده حتى كان من أمره ما نذره ان شاء الله ثم اعترضت جيوش صنهاجة عبد المؤمن بام العلو فنهزمهم وصبح بجاية من الغد فدخلها وفر صاحبها يحيى بن العزيز الصنهاجي آخر ملوك بني حاد أصحاب القلعة فركب البحر في أسطووين كان أعداه لذلك واحتمل فيه ما ذخيره وأمواله وعزم على السير الى مصر ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه الحارث فانكر عليه سوء صنيعه وافرجه عن البلد فارتحل عنه الى قسنطينة فقتل على أخيه الحسن فقتل له عن الأمر وفي خلال ذلك دخل الموحدون قلعة حماد عنوة وكان عبد المؤمن وجه جيشا من الموحدين اليها وأمر عليهم ابنه أبا محمد عبد الله فدخلوها وأضرمو النيران في مساكنهم ووقواهم وقاتلواهم نحو ثمانية عشر ألفا وراثة لآبائهم الموحدين من الغنائم والسبي ثم جمع لهم العرب الذين هنالك من الانبيج وزغبه ورياح وغيرهم بسطيف فأوقعوهم واستسلموهم وسبوا نساءهم واكتسحوا أموالهم وأما يحيى بن العزيز فانه بايع لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين وخمسائة ونزل له عن قسنطينة واشترط لنفسه فوق له

عبد المؤمن ونقله الى مراکش باهله وخاصة فسكها وأفاض عليه صيال الاحسان وأنزله منزلة رفيعة
ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فسكن بقصر ابن عشرة منها الى ان مات من سنة وجه الله
وفد على عبد المؤمن بمراكش كبراء العرب من أهل افريقية طائعين فوصلهم ورجعوا الى
قومهم مغتبطين

فتح المريّة وبياسة وأبدّه

كانت هذه البلاد قد استولى عليها الفرنج أيام فتنة الموحدين والمرابطين بالاندلس فلما كانت سنة ست
وأربعين وخمسمائة عبر الشيخ أبو حفص الى الاندلس بامر عبد المؤمن في جيش كثيف من الموحدين
ومعه السيد أبو سعيد ابن أمير المؤمنين برسم الجهاد وكان بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة فقاتلوا
المريّة وضيقوا عليها بالحصار وبني السيد أبو سعيد على محلة سور واستغاث نصارى المريّة بالفرنش
فأتاهم بمحمد بن مردنيش وكان واصلا بده ووجه معه السلطان أحد قواد الفرنج في جيش كثيف
فلم يتمكنوا من البلد ولا من محلة الموحدين لكونها محصنة بالسور ورجع ابن مردنيش والسلطان بخفي
حين واقترا فاقم بمجمع بعد ثم عهد السلطان الى بياسة وأبدّه فأخلاه من النصاري الذين كانوا ينجحوا
عليهم ورجع عوده على بدنه وأما السيد أبو سعيد فانه شدّد الحصار على المريّة حتى نزول على الامان بواسطة
الوزير ابن عطية في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ووجه عبد المؤمن على بصلين قريب المهدي فأتى به
مكبولا من سبعة فأمر بقتله وصلبه باب مراکش لا مرقمه عليه ثم ارتحل عبد المؤمن بعد مقتل
بصلين الى تيفل بقصد زيارة قبر المهدي فزار وقرق في أهلها أموالا عظيمة وأمر ببناء مسجد هادوسعتها

قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على النواحي

لما قضى عبد المؤمن أربه من تيفل ارتحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
ثم دخلت سنة تسع وأربعين بدها فبأنع لابنه السيد أبي عبد الله محمد ولاية العهد وأمر أن يذكر في
الخطبة بعده وكتب بذلك الى جميع الأقاليم ثم عقد لابنه السيد أبي الحسن على علي فاس وأعمالها
واستوزر له أبا الحاج يوسف بن سليمان وعقد لابنه السيد أبي حفص عمر على تلمسان وأعمالها واستوزر له
أبا محمد عبد الحق بن وفودين واستكتب له أبا الحسن عبد الملك بن عياش وعقد لابنه السيد أبي سعيد عثمان
على سبتة وطنجة واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سليمان وأبا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجي واستكتب له
أبا بكر بن طفيل القيسي وأبا بكر بن حبيش الداجي وعقد لابنه السيد أبي محمد عبد الله على بجاية وأعمالها
واستوزر له أبا سعيد يخلف بن الحسن وعقد للشيخ يزيد بن يكت على قرطبة وأعمالها ويقال ان قرطبة
كانت في هذا التاريخ في يد يحيى بن يعقوب فأنه أعلم واستقامت الاحوال لعبد المؤمن وبنيه وصفاه المغربيان
والاندلس والله غالب على أمره

إيقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك

كان عبد العزيز وعيسى أخو المهدي من مشيخة العسكر ووجه الجيش باشيالية أيام فتقها و فادة
أهلها على عبد المؤمن بمراكش حسبا تقدم ثم ساء أثرهما واستطالت أيديهما على أهلها واستباحا
الدما والأموال ثم اعتزما على القتل بيوسف البطرورجي صاحب لبلة فلحق ببلده وأخرج الموحدين
لذين هموا حول الدعوة عنهم الى المرابطين ونشأ عن ذلك فساد كبير بالاندلس ثم لحق أخو المهدي بالعدوة
في خبر طويل واستقر حالهما الى ان بايع عبد المؤمن لابنه محمد بولاية العهد وعقد لاخوته على العمالات
والنواحي ففسدت نية عبد العزيز وعيسى بذلك مع ما كان صدر من عبد المؤمن من قتل ابن عمهما بصلين
وكأبائهم فذهبوا وعبد المؤمن بسلا فخرج من فاس الى مراکش على طريق المصن مضرين للقدر

واتصل خبره ووجهه ابي عبد المؤمن فخرج من سلا في أثرهما متلافياً امرهم ارا كس وقدم امامه وزيره
ابا جعفر ابن عطية فسبقاه اليها وادخلوا بعض الاواباش بها في شأنهم سافوا فوثبوا ليعاملها ابي حفص عمر بن
نافر اكين فقتلوه بمكانه من القسبة ووصل على اثرهما الوزير ابن عطية ثم عبد المؤمن على اثره فاطفاً تلك
الناثرة وتقبض عبد المؤمن على عبد العزيز وعيسى فقتلهم ما وصلهم ما وتبع المداخلين له ما فاحقهم بهما
وانقطع الشعب وزال الفساد

في ايقاع يحيى بن يغمور بأهل ليلة واسرافه في ذلك

لما كانت سنة تسع وأربعين وخمسمائة فزع الموحدون مدينة ليلة وكان المتولي لفتحها يحيى بن يغمور والي
قرطبة واشييلة حاصرها مدة ثم اقتحمها عنوة وقبض على أهلها فخرج بهم الى ظاهر المدينة وصفهم في
صعيد واحد ثم عرضهم على السيف اجمعين حتى خلص القتل منهم الى الفقيه المحدث ابي الحكم بن بطل
والفقيه الصالح ابي عامر بن الجدد وكان عدداً من قتل من أهل ليلة في ذلك المسعى دغانية آلاف وقتل
باحوازها نحو أربعة آلاف ثم بيعت نساؤهم وابناؤهم وأمتعتهم وأسلابهم فعمل ذلك اقسياً ما على
عبد المؤمن وبلغه الخبر وهو بمراكش فخطه وبعث اليه عبد الله بن سليمان فجاءه معتقلاً الى الحضرة
يوم عيد الفطر فآزاه بيته وبقى على ذلك مدة ثم عفاه وسرحه مع ابنه السيد ابي حفص الى تلمسان
ولم يصرف الى أهل ليلة شيئاً مما أخذ لهم واستقام أمر الاندلس ونزل ميمون بن بدر التتوي عن غرناطة
للموحد بن ذكروها وأجاز اليها السيد أبو سعيد صاحب سبتة بعد أيامه عبد المؤمن اليه بذلك وطلق
المؤمنون بمراكش

في أمر عبد المؤمن بتفريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة

لما كانت سنة خمسين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي باصلاح المساجد وبنائها في جميع
ممالكه وبتبشير التكرات ما كانت وأمر مع ذلك بتفريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب
الحديث واستتباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة بفقره
التخيرا

في نقل المصنف العثماني من قرطبة الى مراكش وبناء جامع الكتبيين بها

كان بقرطبة ثم بجامعها الاعظم المشهور مصنف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ذكر ذلك
جامعه من المؤرخين منهم ابن شكوال وغيره وكل ذلك المصنف الكريم متداولاً عند بني أمية وأهل
الاندلس واستمر بقرطبة الى دولة الموحد بن فقهه عبد المؤمن الى مراكش في قال ابن بشكوال في اخرج
المصنف العثماني من قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت الحادي عشر من شوال سنة
اثنيتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره وهذا أحد المصاحف الاربعة التي
بعث بها عثمان رضي الله عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل من ان فيه دم عثمان
بعيد وان يكن أحد هافعله الشامي في قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم الطيبي السبتي في أما الشامي
فهو باق بقصورة جامع بني أمية بدمشق وعائته هنالك سنة سبع وخمسين وسبعمائة كما عانت المسي بقبة
الشراب قال فله الكوفي أو البصري في قال الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن في
اختبرني الذي بالمدينة والذي نقل من الاندلس فالغيت خطه ما سواه وما هو هو انه خطه بيمينه فليس
بصحيح فلخط عثمان واحد منها وانما اجمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المذني ونص
ما على ظهره هذا ما اجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله
ابن الزبير وسعيد بن العاص وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله عنهم

على كتب المصنف اه وكان من خبر نقله الى مراکش ما ذكره ابن رشيد في رحلته عن أبي ذر كريب بن يحيى
 ابن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن
 طفيل المذكور قال وصل الى عبد المؤمن ابنه السيد أبو سعيد وأبو يعقوب من الاندلس وفي صحبتهما
 مصنف عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف قتل في وصوله بالاجلال
 والاعظام وبود اليه عاييب من التبجيل والاكرام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر
 لكرامة ما هو معتبر لاولي الالباب وذلك ان أمير المؤمنين عبد المؤمن كان قبل ذلك أيام قد سرى ذكره
 في خاطره وتروى مع نفسه في كيفية جلبه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم فتوقع ان يتأذى أهل
 ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا الفقدان اضاءته واشراقه فوقف عن ذلك فأوصله الله اليه تحفة
 سنية وهدية هنية دون ان يكثرها من البشراكتساب أو يتقدمها استدعاء واجتلاب بل أوقع
 الله تعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بارساله ما اطعم بالمشاهدة على صحة صدقه وعصفت
 بخبايل برقه سواكب ودفه وعذ ذلك من كرامات أمير المؤمنين عبد المؤمن وسعادته ثم عزم عبد
 المؤمن على تعظيم المصنف الكريم وشرع في انتداب كسوته واختيار حليته فحضر الصنائع المتقنين
 من سكان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والاندرلس فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة من المهندسين
 والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والموصعين والتجارين والزواقين والرسميين والمجلدين
 وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحذاق في صناعة الا حضر للعمل فيه
 والاشتغال بجني من معانيه (وبالجملة) فقد صنعت له أغشية بعضها من السندس وبعضها من الذهب
 والفضة ورصع ذلك بأنواع البواقيت وأصناف الاجار العربية النواع والشكل العديدة المثال واتخذ
 الغشاء محمل يدبج عما يناسب ذلك في غرابة الصنعة وبداعة الصبغة واتخذ للجمل كرسى على شاكلته
 ثم اتخذ للجمل تابوت يمان فيه على ذلك المنوال ووصف ذلك بطول وفي خلال هذه المدة أمر
 عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بمحضرة مراکش حرسها الله بقيد بنيائه وتأسيس قبلته في القصر الاول
 من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكل في منتصف شعبان من السنة المذكورة
 على اكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والنجارة وفيه من تسميات الزجاج
 ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما هو مل في السنين العديدة لاستقرار تمامه فكيف في هذا الامد
 البسر الذي لم يتخيل أحد من الصنائع ان يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة
 الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهض عبد المؤمن عقب ذلك لزيارة روضة المهدي بمدينة تلملل فأقام بها
 بقية شعبان ومعظم رمضان وحل في صحبت المصنف العثماني في التابوت المذكور ومعه مصنف المهدي
 وختم القرآن العزيز في مسجد المهدي وعند ضريحه ختمات كثيرة وعاد الى مراکش ولم يزل الموحدون
 يعتمون بهذا المصنف الكريم ويحلمونه في أسفارهم متبركين به كتأبوت بني امراثل الى ان جسه منهم
 السعيد وهو علي بن ادريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمتعهد بالله حين توجه الى تلمسان آخر سنة
 خمس وأربعين وسنة ثمانية فقتل السعيد قريبا من تلمسان ووقع النهب في الخزائن واستولت العرب وغيرهم
 على معظم العسكر ونهب المصنف في جملة ما نهب منه وعثر عليه ملوك بني عبد الواد أصحاب تلمسان فلم يزل
 في خزانتهما الى ان اقتحمها السلطان الاعظم أبو الحسن المريني وأواخر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
 وسبعمائة وحصل عنده فكان يتبرك به ويحمله في أسفاره على العادة الى ان أصيب في وقعة طريف
 وحصل في بلاد البرقال وأهل أبو الحسن الحيلة في استخلاصه حتى وصل الى فاس سنة خمس وأربعين
 وسبعمائة على يد بنه بن تجاور زموور واستقر في خزانته الى ان سافر أبو الحسن سفرته المألومة الى افريقية
 فاستولى عليها ولما كانت سنة خمسين وسبعمائة ركب أبو الحسن البحر من تونس فافلا الى المغرب وذلك

في ايام هيجان البحر ففرقت مراكمه وهلكت نفوس تجل عن الحصر وضاعت نقائس يعز وجود مثلها
ومن جعلها المصنف العثماني فكان ذلك آخر العهد به ومما يناسب ذكره هنا المصنف العقباتي وهو
مصنف عقبة بن نافع الفهرى فاتح المغرب وكان متداولا عند ملوكه ومتركبه وثاني المصنفين في المنزلة عند
اهل المغرب (قال أبو عبد الله البغوي في كتاب التزهة) ان السلطان ابا العباس أحمد المنصور بالله المعروف
بالذهبي لما جدد ولاية العهد لولده المأمون بعث اليه بالقدوم من مدينة فاس فوافاه بتامسنا وبأشهر
المنصور وأخذ البيعة له بنفسه وحضر الاعيان وأهل العقدة والحل وأحضر المصنف لكرم الذي هو
مصنف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه قال وهو من ذخائر الخلفاء وأحضر المصنفان الشيخين وقرئ
ظاهر البيعة وذلك في شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ولم يزل المصنف العقباتي متداولا بين الملوك
السعديين الى ان انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلوية السجلية فانتقل المصنف المذكور
اليها وتداولته ملوكها الى ان جاء السلطان المولى عبد الله بن اسمعيل بن الشريف رحمه الله فبعث هدية
سنية مع ركب الحاج للحرم النبوي وبعث في جعلها لمصنف المذكور في قال صاحب البستان في ولما سافر
الركب النبوي يعني سنة خمس وخمسين ومائة وألف وجه معه السلطان المولى عبد الله ثلاث وعشرين
مصحفا بين كبير وصغير كلها محلاة بالذهب متبينة بالدر والياقوت ومن جعلها المصنف الكبير العقباتي
الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصنف العثماني وهو مصنف عقبة بن نافع الفهرى نسخة بالقيروان من
المصنف العثماني فوق هذا المصنف يبدأ اشرف الزيدانيين بتداولونه بينهم الى ان بلغ الى السلطان المولى
عبد الله المذكور فغزته من المغرب الى المشرق ورجع النور الى صدقه والابريز الى معدنه في قال الشيخ
المسناوي في وقته عليه حين أمر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه الى الحجرة النبوية وظهر
ان تاريخ كتبه بالقيروان في نفسه نظرا بعد ما بينهما ووجهه السلطان المذكور الى حصة بالتبينة
وسبع مائة حصة من الياقوت المختلف الالوان الى الحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأزكى
السلام وهذه الاخبار وان كانت متباعدة التاريخ فهي متناسبة المعنى جمعنا هاهنا ليقف الناظر عليها
في محل واحد وتحصل فائدتها متسقة والله الموفق

في نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عطية من اهل مراکش وأمه له القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية
وكان أبوه أبو أحمد بن عطية كاتباً لأمير المسلمين علي بن يوسف اللواتي ثم لابنه تاشفين من بعده وتوصل
في قبضة الموحدين ففجأته عبد المؤمن ولما حاصر عبد المؤمن فاسا اعترض أبو أحمد هذا على الفراق فقبض
عليه في طريقه وسبق الى عبد المؤمن فاعتذر فلم يقبل عبد المؤمن عذره ومحب الى مصر عفو قبل رحمه
الله وكان ابنه أبو جعفر صاحب الترجمة كاتباً لاسحق بن علي اللواتي بمراكش فتم له عفو أمير المؤمنين
فحين تم له من ذلك الفل وخرج في جملة الشيخ أبي حفص الهنتاتي حين تم من قتال محمد بن هود الماسي
فلما كان الفتح وكتب رسالته المتقدمة وقف عليها عبد المؤمن فاستحسنها واستكتبه لذلك ثم ارتفعت
مكانته عنده فاستوزره فظهر غناؤه وكفايته وجدت سيرته وإدارته وقاد العساكر وجمع الاموال وبذلها
وبعد في الدولة صيته ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد في دولته وتحبب الى الناس باجال السعي
والاحسان فعمت صنائعه وفشامع روفه وكان محمود السيرة مجتنب المحاولات نافع الماسي سعيد المأخذ
ميسر المأرب وكانت وزارته زينة للوقت وكالات الدولة لرحمة الله ثم لما كانت سنة احدى وخمسين
 وخمسمائة وفد اشبه اخ اشبيلية على عبد المؤمن ورغبوا منه في ولاية بعض اثنائه عليهم فعد لابنه السيد
أبي يعقوب عليها وبعث معه الوزير ابن عطية المذكور لياشرة الامور وصلاح الاحوال فانني في ذلك
القضاء الجليل ولما غاب وجهه عن الحضرة وجد حساده السبيل الى التسديد عليه والسعي به حتى

أوغروا صدر الخليفة عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومي وابن بركا بن طالبة ابن عطية وجنق النحاس عوراته وتنشيع سقطانه وطرحه بمجلس السلطان أديت منها

قل للامام أطل الله مدته * قولاً تبين لذى لب حقائقه
ان الزاجين قوم قدوترهم * وطالب النصار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذل ما كثر فيهم علائقه
فبادر الخزم في اطفاء نارهم * فرعا عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والا هم كهم * فاحذر عدوك واحذر من بصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم * والحق أبلغ لا تخفى طوائقه

قالوا فلما وقف عبد المؤمن على هذه الايات البليغة في معانها وغر صدره على وزيره أبي جعفر وأخبره في نفسه شراً فكان ذلك من أقوى أسباب نكبته وقيل أفضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبي جعفر وهو بالاندلس فعلق وعجل الانصراف الى مراکش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المصطفى اليوم بعده حاصر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرر واعلى ما يعلمون من أمره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه في أثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي فاستصحبها بحال ثقاف وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الآداب تعلموا ونثر في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب فلم يتحدثوا مع نفوذ قدر الله تعالى فيه وما انصرف من وجهته أعادها معه قافلاً الى مراکش فلما حاذى تاركات أنفذ الأمر بقتلها بالشعراء المتصلة بالحسن على مقربة من اللاحه هنالك فخصيا السيلهما وذلك في شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ومما خاطبه الوزير المذكور عبد المؤمن مستعطفاه من رسالة تعالى فيها قال له المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالهوية ولم يخرس لسانه من الوقوع فيما يندس في وجهه فضل الانبياء على غيرهم قوله سبحانه الله تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ولم تنفك نفسي عن انظيرت بطيئة حتى سخرت من في الوجود وأنفت لا دم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك الى نوح وأبرمت لحطب نار الخليل حبلاً وربيت لقدر نوح دنيلاً وحططت عن دنس شجرة البقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها واقتربت على العذراء لبتول ففقدتها وكتبت بحيفه القطيعة بدار الندوة وظاهرت الاخوان بالقصوى من العداوة وأبغضت كل قرشي وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي وقلت ان بيعه السقيفة لا توجب امامة الخليفة وشهدت شفرة غلام المغيرة بن شعبة واعتلقت من حصار الدار وقتل اشعثها بشعبة وقلت تقاتلوا رغبة في الابيض والاصفر وسفكوا الدماء على التريد الاعصر وغادرت الوجه من الهامة خصيباً وناولت من قرع سن الحسين قضيباً ثم أنبت حضرة المعصوم لا ئذا وبهر الامام المهدي عائداً لقد أن المقاتل أن تسمع وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع مع اني مقترف وبالذنب معترف

فغفوا أمير المؤمنين فن لنا * بحمل قلوب هذه الخلفان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وكذب مع ابن له صغير آخره
عطفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها ليج * ورحمة منك أنجي من السغن
وصادقتنا سهام كلنا غرض * وعطفة منك أوفى من الجمن
هيهات للخطب أن تسطو حوادنه * بمن أجارته رجاءكم من المحن
من جاء عندكم يسعي على نقة * بنصره لم يخف بطشاً من الزمن

فالثوب يظهر عند الغسل من درن • والطرف يرهص بعد الركن في سنن
 أنتم بذلتهم حياة الخلق كلهم • من دون من عليهم لا ولا نحن
 ونحن من بعض من أحببت مكارمكم • كلها الحياتين من نفس ومن بدن
 وصية كقراخ الورق من صفر • لم يألموا النوح في فرع ولا فنن
 قد أوجدتم • ما أباد منكم سابقة • والكل لولاك لم يوجد ولم يكن
 فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين • وما كتب به من
 السجن أفرح على نفسي أم انتظر الصفا • فقد أن انتسى الذنوب وأن تحما
 فما أنا في ليل من السخط حائر • ولا أهتدي حتى أرى للرضى صبا
 وامتنع عبد المؤمن الشعراء من عطيته فلما سمعوه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب
 الأدب معه وكان لابي جعفر أخ اسمه عطية قتل معه كما قلنا ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب
 عقيل بن عطية ومن نظمته في رجل تعشق فينة كانت ورنث ما لا من مولاها فكانت تتفق عليه منه
 فلما فرغ المال لها فقال أبو طالب
 لا تلمه إن مل من حبها • فلم يكن ذلك عن ود • لما رآها قد صفا لها • قال صفا الوجد مع الوجد
 (وهو يروي) أن الوزير ابن عطية رحمه الله مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مرا كش فاطمت
 جارية بارعة الجمال من شبالة فقال عبد المؤمن
 قدت فوادى من الشبالة اذنطرت • فقال الوزير بحبره • حورا تزوالى العشايق بالقتل
 فقال عبد المؤمن • كأنما لخطها في قلب عاشقها • فقال الوزير سيف المويدي عبد المؤمن بن علي
 ولا يخفاء أن هذه طبقة عالية رحمه الله الجميع عنه

فغزو إفريقية ثانياً وفتح المهديّة وغيرها من الثغور

كانت بلاد إفريقية بيد بني زيري بن مناد الصنهاجيين من لدن الدولة العبيدية بها وفي هذا التاريخ
 كانت دولتهم قد أشرفت على الهرم وكثر التنازع بينهم وراجتهم الثوار من العرب وغيرهم تلك الاقطار
 فانتزع الفرج أصحاب صقلية الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور مثل صفاقس وسوسة وغيرها
 ثم ملكوا بسد ذلك المهديّة وهي يومئذ دار ملك الحسن بن علي الصنهاجي آخر ملوك بني زيري بن مناد
 فغزا الحسن عنها إلى ابن همة يحيى بن العزيز صاحب بجاية فآثره بالجزائر ولبطريق عبد المؤمن ثغر الجزائر
 في غزوه الأولى إلى إفريقية خرج إليه الحسن بن علي هذا وحجبه وصار في جلته فكان الحسن يغريه
 بغزو إفريقية واستنقذها من يد العدو وكان عبد المؤمن يحب ذلك ويرغب فيه إلا أنه كان ينتظر بان
 الفرصة فاتفق أن فرج صقلية أو قروا بابل زويلة وهي مدينة بينها وبين المهديّة نحو مائة ووقعة
 شنيعة حتى أنهم قتلوا النساء والأطفال فخرج جماعة منهم إلى عبد المؤمن بن علي وهو بجرا كش يستغيثونه
 ويستنصرونه على العدو فلما وصلوا إليه أكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وأنه ليس في ملوك
 الإسلام من يقصد سواهم ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه وأطرق ثم رفع رأسه وقال أبشروا
 لا نصركم ولو بعد حين • وأمر بآثارهم وأطلق لهم ألفي دينار ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج
 إليه العسكر في السفر وكتب إلى جميع نوابه في المغرب وكان قدم ملك العدو تين الأندلس والمغرب
 وأتت خطة ملكه إلى قرب مدينة تونس فكتب إلى من بطريقه من الثواب يأمرهم بحفظ جميع
 ما يتحصل من الغلات وأن يترك الزرع في حبله ويحزن في مواضعه وأن يحضروا الأباريق الطرق ففعلوا
 جميع ما أمرهم به وجعلوا غلات الحب ثلاث سنين وتناولوها إلى المنازل التي على الطريق وطبقوا عليها
 فصارت كأنها تلال فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسة مائة سار عبد المؤمن من مرا كش بوقم

بلاد افريقية **هو** قال ابن خلدون **كان** عبد المؤمن في هذه السفرة قد عزم على العبور الى الاندلس لما بلغه من اضطراب احوالها واستطالة الطاغية بما قنض يريد الجهاد واحتل بسلا فبلغه انتقاض افريقية واهله شأن النصاري بالمهدية فلما توافى العساكر بسلا احتضن الشيخ ابا حصص المتتقي على المغرب وعقدي يوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض بغد السيرا الى افريقية واجتمع عليه من العساكر مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم وكان هذا الجند بعد أميالا وبلغ من حفظه وضبطه أنهم كانوا يحشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة واذنزلوا صوابا مام واحد بتكبيره واحدة لا يختلف منهم أحد كانوا من كان وقدم بين يديه الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهدية وكان قد انفصل به كما قلنا فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها صاحبها أحد بن خراسان وأقبل اسطوله في البحر في سبعين شينا وطريده وشلندة فلما نازل لها راس أهلها بدعواهم الى الطاعة فامتنعوا فقاتلهم من الغد أشد قتال ولما حرق الليل نزل سبعة عشر رجلا من أعيان أهلها الى عبد المؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم عبد المؤمن بان لهم الامان في أنفسهم وأهلهم وأموالهم لم يادرهم الى الطاعة وأمان عداهم من سائر أهل البلدي فيؤمنهم في أنفسهم وأهلهم ويقاسمهم على أموالهم وأملأهم فاملاهم فخرج صاحب البلد هو وأهلها فاستقر الامر على ذلك وقتل في البلد وبعث اليهم من ينجع العساكر من الدخول عليهم وبعث أمناءه ليقاسموا الناس على أموالهم وأملأهم وأقام أهل تونس بها على أجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فبن أسلم سلم ومن أبى قتل وأقام عليها ثلاثة أيام ثم صار الى المهدية واسطوله يحاذيه في البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب من السنة المذكورة وكان بالمهدية يومئذ نحو اربعين فرسخ من أولاد ملوكها وأبطال فرسانها وقد أخذوا مدينة زويلة المجاورة للمهدية فدخلها عبد المؤمن وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والغرب وأهل افريقية ما يخرج عن الاحصاء وأقبلوا يقاتلون المهدية مدة أيام فلا يؤثر فيها الحصانها وقوة سورها وضيق محال القتال عليها لان البحر دائريا كثرها فكانها كف في البحر وزندها متصل بالبر وكانت الفرغ تخرج شجعانها الى أطراف العسكر قتال منه ويعودون سر يعافا من عبد المؤمن يبنها سور وغربي المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن شينها ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها ونطوف بها في البحر فهاه ما رأى من حصانها وعلم انها لا تنفع بقتال برا ولا بحرا وليس لها الا المطاولة وقال الحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلعة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد عبد المؤمن من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات وترك القتال فلم يعض غير قليل حتى صار في العسكر مثل الجبلان من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال هي حنطة وشعير فيتهب من ذلك وتقادى الحصار وفي مدة هذا الحصار استولى عبد المؤمن على طرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه السيد ابا محمد من مكان حصاره للمهدية في جيش ففتح بلادا أخرى ثم أطاعه أهل مدينة قفصة وقدم عليه صاحبها فوصله بالقدنيار (وبالجلجلة) فانه استخلص في هذه المدة جميع بلاد افريقية من أيدي القاطنين بها ولما كان الثاني والعشرون من شعبان من السنة المذكورة جاء الاسطول صاحب صقلية في مائة وخمسين شينا غير الطرائد عند الاهل المهدية وكان هذا الاسطول قد قدم من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبأ أهلها وأمرهم وجعلهم معه فأسلم اليهم ملك الفرغ يأمرهم بالنسار الى المهدية ليمتدوا اخوانهم الذين بها فقدموا في التاريج المذكورة فلما قاربوا المدينة حطوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على

جانب البحر فاستعظم الفرج ما رآه من كثرة العساكر ودخول العرب قلوبهم ونزل عبيد المؤمنين إلى الأرض فجعل يمرّ غ وجهه ويبيكي ويدعو للمسلمين بالنصر واقتبلوا في البحر فانهم زمت شواني الفرج وأعادوا القلوع وساروا وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع شواني وكان أمر انجيبيا وفتحنا غريما وعاد أسطول المسلمين مظفر منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الأموال ويشس أهل المهديّة حيثئذ من النجاة ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى إلى آخر ذي الحجة من السنة فقتل حينئذ من فرسان الفرج إلى عبد المؤمن عشرة وسألو الأمان لمن فيهما من الفرج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها إلى بلادهم وكان قوتهم قد نفى حتى أكلوا الخيل فعرض عليهم عبد المؤمن الإسلام ودعاهم إليه فقالوا ما جئنا لهذا وإنما جئنا نطلب فضلك وترددوا إليه أياما وكان من جملة ما استعطفوه به أن قالوا أيا الخليفة ما عسى أن تكون المهديّة ومن بها بالنسبة إلى ملكك العظيم وأمرك الكبير وإن أنعمت علينا كنّا أرقاء لك في أرضنا ففزعنا عنهم وكان الفضل شيمته وأعطاهم سفنار كبوا فيها وساروا وكان الزمن شتاء ففرق أكثرهم ولم يصل منهم إلى صقلية إلا النفر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال إن قتل عبد المؤمن أحببنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا نوحهم وأموالهم فأهلك الله الفرج غرقا وكان مدة استيلائهم على المهديّة اثنتي عشرة سنة فدخلها عبد المؤمن صبيحة يوم عاشوراء من الحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان يقال لهذه السنة سنة الاتحاد وأقام عبد المؤمن بالمهديّة عشرين يوما حتى رتب أحوالها وأصلح ما أنتم من سورها ونقل إليها الذخائر والأقوات والرجال والعدد واستخلف عليها أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي وجعل معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها وأمره أن يقتدى برأيه في أفعاله وأقطع الحسن بها أقطعا وأعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل بأولاده وصفت إفريقية كلها عبد المؤمن ودخل أهلها في طاعته من برقة إلى تلمسان ولم يبق له بها منازع ففرق فيها أعماله وقضائه وضبط نفورها وأصلح شؤونها وثنى عنائه إلى المغرب أول صفر من السنة المذكورة وانقطعت عادية الفرج عن بلاد إفريقية مدة مديدة والله تعالى أعلم

﴿توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب﴾

وفي هذه السنة أثنى سنة خمس وخمسين وخمسمائة أمر عبد المؤمن بتكسيب بلاد إفريقية والمغرب فذكر من برقة في جهة الشرق إلى بلاد نول من السوس الأقصى في جهة الغرب بالغراسخ والأميال طولاً وعرضاً ثم أسقط من التكسيب الثلث في الجبال والقباض والأنهار والسيباح والخزون والطرق وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب عفا الله عنه

﴿بناء عبد المؤمن جبل طارق﴾

كان عبد المؤمن رحمه الله وهو بافريقية قد أمر ببناء جبل الفخ وتحصينه وهو جبل طارق فبنى وشيّد حصنه وكان ابتداء البناء في تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة المذكورة وكل بناءؤه في ذي القعدة منها

﴿بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء﴾

لما كان عبد المؤمن قافلاً من بلاد إفريقية إلى مدينة البطحاء وسبب بناءه إياها أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالشرق والتغرب عن أوطانهم غرمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والقتل به في خبائثه إذا نام فأتى شيخ من أشياخ الموحدين بمن أطلع على ذلك إلى عبد المؤمن فأخبره الخبر وقال له دعني أبت الليلة في موضعك وأتم على فراشك فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت قد قديتك بنفسي في حق المسلمين وأجري

في ذلك على الله وان حصلت السلامة فن الله تعالى ويكون أجري على قدر نيتي فبات على فراشه فاستشهد في تلك الليلة فلما أصبح عبد المؤمن وصل على الصبح اتفقده فوجده قتيلا على فراشه فأخذه وحمله بين يديه على ناقه لا يقودها أحد فسمارت الناقه عينا وشمالا حتى ركت وحدها فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأزله عنها وأخذ بزمام الناقه فأزبلت عن مبركها وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة وبنى بازارا القبة جامعا ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيل من قبائل المغرب فقبور الشيخ هنالك من أمة عند أهل تلك البلاد إلى اليوم قاله في القرطاس ولما دخل عبد المؤمن إلى تلمسان في هذه الرحلة قبض على وزيره عبد السلام بن محمد الكوي فصبه ثم سمع في جرة عين هلك بها من ليلته

﴿عبد المؤمن إلى جبل طارق والسبب في ذلك﴾

كان عبد المؤمن وهو باقرية قد بلغه ان محمد بن مردنيس الناصر شرقي الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليهاء محمد بن علي الكوي ثم نزل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونه وملكها ثم رجع إلى قرطبة وخرج ابن يكتي لحربه فهزمه ابن مردنيس وقتله فكتب عبد المؤمن إلى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح أفريقية عليه وأنه واصل اليهم فلما مضى من تلمسان في رجته هذه عدل إلى طنجة فدخلها في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمسة وأقام بها إلى ان دخلت سنة ست وخمسين بعدها فمر منها إلى الاندلس وزل بجبل طارق فأقام به شهرا واستشرى منه أحوال الاندلس ووفد عليه قوادها وأشياخها فأمر بغزو غرب الاندلس فنهض إليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص المنتسقي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرتكس من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى وخرج الفتنش من طليطلة لأغاقتة فوجده قد قنع وصمد الموحدين لقتاله فهزمه الله وقتل من عسكره ستة آلاف وساق المسلمون السبي إلى قرطبة وأشبيلية وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة وباورة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد إلى مراکش

﴿قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب في ذلك﴾

تقدم لنا ان عبد المؤمن لم يكن من المصامدة وإنما كان من كومية إحدى بطون بني فاتن من البرابرة البتر وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط إلى ان استدعاهم عبد المؤمن إلى مراكش سنة سبع وخمسين وخمسة والسبب في ذلك ان ملأهم الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي فداه بنفسه وتحقق ذلك منهم ورأى انه غريب بين أظهرهم ليس له قبيل يستند اليه ولا عشيرة يثق به ويعتمد عليه أرسل في خفية إلى أشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرتهم وأمرهم بالقدوم عليه وأن يركبوا كل من بلغ الحلم منهم ويأتوه في أحسن زى وأكل عدة وسرّب اليهم الأموال والكسبي فاجتمع منهم أربعون ألف فارس ثم أقبلوا إلى عبد المؤمن وهو بمراكش برسم خدمته والقيام بين يديه ولما دخلوا أرض المغرب تشوّش أهلهم من قدوم هذا الجيش الخفيف من غير ان يتقدم لهم سبب ظاهر وتقول الناس الا قال بل فسار جيش كومية حتى زلوا على وادي أم الربيع وتسامع الموحدون بأقوالهم فارتابوا منهم وعزّوا أمير المؤمنين عبد المؤمن يخبرهم فأمر عبد المؤمن الشيخ بأحفص الهنتاقي أن يخرج اليهم في جماعة من الموحدين وأشياخهم ليعترفوا خبرهم فسار حتى لقيهم على وادي أم الربيع فقال لهم ما أنتم أسلم لنا أم سرب قالوا بل نحن أسلم نحن قبيل أمير المؤمنين نحن كومية قصدنا زيارته والسلام عليه فرجع أبو حفص وأصحابه وعزّى عبد المؤمن الخبر فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا إلى لقاءهم ففعلوا واحتفلوا لذلك وكان يوم دخولهم مراكش يوما مشهودا فرتبهم عبد المؤمن في الطبقة الثانية من أهل الدوران وجعلهم بين قبيلة تيملل وقبيلة التابعة لهم وجعلهم بطائفة يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه اذا خرج ويقومون على رأسه اذا جلس فاعتصمهم عبد المؤمن وبه سائر دولتهم إلى انقرضها والله

غالب على أمره

فجاستعد اعداؤه المؤمنين للجهاد وانشأوه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله
 لما عهد لعبد المؤمن ملك المغربين وافرريقية والاندلس وطاعته لساير الاقطار وخضعت له الرقاب في
 البوادي والامصار تفرغ لشأنه وتاقت نفسه للجهاد فعزم على غزو بلاد الفرنج برا وبحرا فأمر رحمه
 الله في هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وخمسمائة بانشاء الاساطيل في جميع سواحل ممالكه
 فأنتشى له منها أربع مائة قطعة فنهاي خلق العمورة وهي التي تسمى اليوم المهديية مائة وعشرون
 قطعة ومنها بطنجية وسببة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة ومنها بلاد افرريقية وهران ومرسى
 هنين مائة قطعة ومنها بلاد الاندلس ثمانون قطعة وتطرق في استيصال الخليل للجهاد والاستكثار
 من أنواع السلاح والعصود وأمر بضرب السهام في جميع عمله فكان يضرب له منها في كل يوم نحو
 عشرة فئاظير حسنية فجمع له من ذلك ما لا يحصى كثرة في خلال هذا وقدت عليه قبيلة كومية
 كاسر ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين عبد المؤمن من مراکش قاصدا
 الاندلس يرسم للجهاد وكان نحو وجه يوم الخميس خامس ربيع الأول من السنة المذكورة فوصل الى
 رباط سلا فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وافرريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم الى الجهاد
 فأجاب به خلق كثير واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتقة من قبائل العرب والبربر وزانة تزيد
 من ثلاثمائة ألف فارس من جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الارض
 وانتشرت المحلات والعصاكر في أرض صلام من غزوة الى عين خيس الى خلق العمورة فلما
 استوفيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار اليه القائل

اذ اتم امر يدانقصه * ترقبذوالاذا قبلتم

فاستأد بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه وتغادى به اليه تخاف أن يشعأ الجمام فأمر بعزل ولده محمد بن
 ولاية العهد واستقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من الجزع عن القيام بأمر الخلافة وكان ذلك يوم
 الجمعة الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك الى جميع طاعته وتغادى به مرضه
 واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك وحمل الى
 تيممل فدفن بها الى جنب قبر الامام المهدي رحمه الله فسبحان من لا يبذل ملكه ولا ينقض عهده ونقل
 ابن خلكان في كيفية عزله الى العهد وجه آخر قال ناقلا من خط العماد بن جبريل ان عبد المؤمن كان
 في حياته قد عهد الى أكبر اولاده وهو محمد وبايعه الناس بعد تحليف الخندلة وكتب يبيعه الى البلاد
 فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر لانه كان على امور لا يصح معها الملكة من ادمان شرب الخمر
 واختلال الرأى وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انهم هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب
 أمره واختلف الناس عليه فخلع وكنيت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما وذلك في شعبان من سنة ثمان
 وخمسين وخمسمائة وكان الذي سمي في خلعه أخويه أبان بن يعقوب يوسف وأبا حفص عمر ابني عبد المؤمن
 ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجباء اولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر
 منهما أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيه أبي يعقوب يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة
 والله تعالى أعلم

في بقية أخبار عبد المؤمن وسيرته

وقال ابن خلكان كان عبد المؤمن عند وفاته شيخا نقي البياض قال ونفقت من تاريخ فيه سيرته
 وحليته فقال مؤلفه رأيت شيخا معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شق الكفين
 طويل القعدة واضع رياض الاسنان بنحذ الايمن خال وكان رحمه الله قصيرا فتيها عالما بالاصول

والجلد والحديث مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ذا حزم وسياسة واقدام في الحرب ومهمات الامور سرى الهمة ميمون النقية لم يقصد قط بلدا الا فتحه ولا جيشا الا هزمه محبا لاهل العلم والادب مكرما لو اذنتهم منقعا البضاعتهم ذكر العمداد الاصماني في كتاب التريدينة ان الفقيه ابا عبد الله محمد بن ابي العباس استغاثني لما ائتمده

ما هز عطفه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمره بالف دينار وقد تقدم ما دار بينه وبين وزيره ابن عطية من الشعر الذي تجاذباه في أمر الجارية التي أطلت من الشباك وذلك دليل على سراوة طبعه وخفة روحه ورحمة الله

في الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون لما هلك عبد المؤمن أخذ السيد أبو حفص بن عبد المؤمن البيعة على الناس لآخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باتفاق من الموحدين كافة ورضي من الشيخ أبي حفص المنتاق خاصة واستقل في رتبة وزارته وهو ذكر القاضي أبو الطاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم كان أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن يبيع بيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بستين لانه لما بيع بعد وفاة والده توقف عن بيعته ناس من أشياخ الموحدين وامتنع من بيعته أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالبهم ببيعة وتسمى بالامير ولم ينسب بأمير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس (وذكر ابن مطر روح في تاريخه) انه لما مات عبد المؤمن كان ولده يوسف باشبيلية فأخفى أصحابه موته وأرسلوا الى يوسف فوصل من اشبيلية الى سلا في أقرب وقت فبيع هو ولم يتخف عن بيعته الا ناس قليلون فلم يلبث اليهم وكان أول شيء فعله بعد البيعة ان سرح الجيوش المجتمعة للجهاد الى بلادهم وقبائلهم وكتب الى البلاد بتسريح السجون وتفريق الصدفات في جميع عهله وتسمى بالامير ثم اوجع الى مراکش فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع أهل طاعته من الموحدين بطلمهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع بلاد إفريقية والمغرب والاندلس ما خلا قرطبة وبجاية فان ولائهم لها أخواه توقف عن ذلك وانتشر خبر أمير المؤمنين يوسف في أقطار البلاد ودان له من بالعدوتين من العباد وفرق الاموال في القبائل والأجناد وهو في سنة تسع وخمسين وخمسمائة قدم عليه أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة نائبين مبايعين وقدم معهم أشياخ بلديهم ما وقفوا وها فوصلهم أمير المؤمنين يوسف بالاموال وانطلق وأحسن اليهم وفي هذه السنة ثار مرزوغ الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة باسمه وكتب فيها مرزوغ الغريب نصره الله عن قريب وكانت ثورته ببلاد غمارة قبائعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقا كثيرا وسب بايعت اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين فقتل وجل رأسه الى مراکش وهو في سنة ستين وخمسمائة كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش القرغ مع ابن مردينش وكانت القرغ ثلاثة عشر ألفا هزم ابن مردينش وقتل من معه من القرغ باجمعهم وكتب السيد أبو سعيد بالفتح الى أخيه أمير المؤمنين يوسف وهو في إحدى وستين وخمسمائة عقد أمير المؤمنين يوسف على بجاية لآخيه السيد أبي ذكريا وعلى اشبيلية الشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ثم أдал منه بأخيه السيد أبي ابراهيم وأقر الشيخ ابا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة لآخيه السيد أبي اسحق وأقر السيد ابا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدين في وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها انخط الامام المهدي في بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى آخر دولتهم والله أعلم

﴿ثورة سبع بن منقباد بجبال غمارة﴾

﴿وفي سنة إحدى وستين وخمسمائة﴾ ثار سبع بن منقباد وسماه ابن أبي زرع يوسف بن منقباد بجبل تيزران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها وجانبهم فيها أجيرانهم من صناجة فبعث إليهم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدين إلى نظر الشيخ أبي حفص الهنتاتي ثم تعاطمت فتنة غمارة وصناجة فخرج إليهم أمير المؤمنين بنفسه وأوقع بهم واستأصلهم وقتل سبع بن منقباد وجل رأسه إلى مراکش وانحسرت دأؤهم وعقد يوسف لأخيه السيد أبي علي الحسن على سبته وسائر بلادهم ﴿وفي سنة ثلاث وستين﴾ اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبد المؤمن واللقب بأمر المؤمنين وذلك في جادى الآخر منها وناطب العرب أفريقية يستدعيهم إلى القزو ويحرضهم وكتب إليهم في ذلك بقصيدة ورسالة مشهورة بين الناس فكان من أحقها لهم ووفودهم عليه ما هو معروف ﴿وفي سنة أربع وستين بعد هاج﴾ وقد عليه أهل الأمصار من أفريقية والمغرب والاندلس القضاء والفقهاء والخطباء والشعراء والأشياخ والأعيان برسم التنشئة والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود إلى مراکش فدخلوا عليه وهتؤه بالخلافة ووصل الجميع كل على قدره وأوصاهم بما اقتضاه الحال وكتب لهم الظهار بمطالبتهم وإصلاح شؤونهم وانصرفوا شاكرين ﴿وفي هذه السنة﴾ أيضاً بعث أمير المؤمنين الشيخ أبي حفص الهنتاتي في جيوش الموحدين إلى الاندلس لاستنقاذ بلبوس من حصار العدو واحتقل أمير المؤمنين في ذلك فلما انتهوا إلى أشبيلية بلغه أن الموحدين وأهل بلبوس هزموا العدو وأسروا قائده جيشه فسار الشيخ أبو حفص إلى قرطبة ﴿وفي سنة خمس وستين بعد هاج﴾ وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد بأحفص إلى الاندلس يرسم الجهاد فقبر البحر من قصر الجحاز إلى طريق في عشرين ألفاً من الموحدين والمتطوعة فتدخروا بلاد العدو وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد بأسعبد إلى بلبوس ففقد الصلح مع الطاغية ابن اذقونس وهو يومئذ أعظم مملوك قرطبة الجزيرة وانصرف ونهضوا جميعاً إلى مرسية ومعهم إبراهيم بن هشك كان من قواد ابن مردنش ففرع عنه إلى الموحدين لمخبروا ابن مردنش الناصر بمرسية وأعمالها واستولوا على أكثر بلادها واتصل الخبر بالخليفة بمرأكش وقد خف إلى الجهاد ﴿وفي سنة ست وستين﴾ أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنطرة تانسيفت وكان النروع في بنائها يوم الأحد ثالث صفر من السنة المذكورة

﴿الجواز الأول لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الاندلس بقصد الجهاد﴾

لما اتصل بأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنش وظهور المسلمين على عدوهم بها وكان بعض مملوك الفرنج هم المزالوا يستغيثون على المسلمين بالفتارات على أطراف بلادهم تأقت نفسه إلى العبور إلى بلاد الاندلس بقصد إصلاح حالها وجهاد العدو بما وقد توافقت لديه وهو بمرأكش جوع العرب من أفريقية بحسبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلسان وكان يوم قدومهم عليه يوماً مشهوداً فاعترضهم وسائر عساكرهم ونهض إلى الاندلس في مائة ألف من العرب والموحدين واستخلف على مراکش أخاه السيد أبي عمران فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسمائة ثم ارتحل بعدها إلى أشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هناك فأنصرفا من بعض غزواته ولما نزل أمير المؤمنين يوسف بأشبيلية خافه محمد بن مردنش وجل على قلبه فرض ومات وقيل إن أمه سمته لأنه كان قد أساء إلى خواصه وكبراهة ولتة فقصدته فتهتدها وخافت بطشه فسمته ولما مات محمد بن مردنش جاء أولاده وأخوته إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو بأشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لا يهيم فأحسن إليهم أمير المؤمنين ونزوح أختهم وأصبحوا عنده في أعز منزلة وصنع في وليمتها مهر جانا عظيماً بقصر الوصف

عنه ولم اصفت لامير المؤمنين يوسف الاندلس خرج من اشبيلية غازيا بلاد العبد وقتل على مدينة له
تسمى وبذة فاقام محاصر الهاشوري الى ان اشتهد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة
وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لفظ
عظيم واصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا بامرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملا ما كان عندهم
من الهاريج فارزقوا وتوقوا وعلى المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين
فليعتبر الوافق على هذه القضية وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ينسبون الى الله تعالى ما لا يليق به من
التمسب وافواع الكفر ومع ذلك لا انقطع رجاءهم ورجعوا اليه الى بالاضطرار الصادق رجوعهم سبحانه
وهو ارحم الراحمين فلا ينبغي بعد هذا المؤمن الموحد اذ حصل في شدة ان يأس من رحمة الله فانه لا يأس
من روح الله الا القوم الكابرون والسرفى الا اضطرار فانه عند ارباب البصائر هو اسم الله الاعظم الذي
اذا عي به اجاب واذا سئل به اعطى اللهم اجعلنا يا مولانا عندك من الرحومين واجعل كل من يرجئنا
عندك من الرحومين فانك اهل ذلك والقادر عليه ثم بلغ امير المؤمنين خروج العدو الى ارض المسلمين
مع القوم من الاحدب فخرج اليهم واقامهم بناحية قلعة رباح واتخذ فيهم ورجع الى اشبيلية وفي هذه
السنة اعي سنة سبع وستين وخمسة مائة شرع امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتم
وصدته بالجمعة في ذي الحجة منها وفي هذه السنة ايضا قد امير المؤمنين الجسر على وادي اشبيلية
بالقوارب وبني قصبته الداخلة وبني الزلايق السور وبني سور باب جوهر وبني الرصيفان المندرجة
بضفتي الوادي وجلب الماء من قلعة جابر حتى ادخله اشبيلية وانفق في ذلك اموالا لا تحصى ثم انتقض
ابن اذقونس واعار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد ابا حفص اليه ففراه بعقد داره واقطع
قنصرة بالسيف وهزم جموعه في كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية واجعا الى مراکش سنة احدى
وسبعين وخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لآخيه ابي الحسن وعلى اشبيلية لآخيه
أبي علي واصاب مراکش طاعون فهلك من السادة اوعمران وابوسعيد وابوزكريا وقدم الشيخ
ابو حفص الهنتاني من قرطبة فهلك في طريقه ودفن بمدينة سلا وهو جد الملوكة الحفصيين اصحاب تونس
وافريقية واسعدى الخليفة اخويه السيدين ابا علي وابا الحسن فعقد لابي علي على سجلماسة ورجع
ابو الحسن الى قرطبة وعقد لابي اخيه السيد ابي حفص لآخيه ابي حفص لآخيه ابي حفص لآخيه ابي حفص لآخيه ابي حفص
مالقة وفي سنة ثلاث وسبعين سطا بن زينة بن جامع وزرائه وغريم الى الماردة وفي سنة خمس
وسبعين وخمسة مائة عقد اقامتهم بن محمد بن مرديش على اسطوله واغراه مدينة اشبيلية فتم ورجع
ونبها كانت وفاة الوزير السيد ابي حفص بن عبد المؤمن بعدما ابلى في الجهاد وبالغ في نكابة العدو
وقدم ابنه من الاندلس فأخبر الخليفة بما انتقاض الطاغية واعتمر على الجهاد وأخذ في استدعاء العرب
من افريقية والله تعالى أعلم

في غزو امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة والسبب في ذلك

كانت قفصة من بلاد افريقية قد استتبها بنو الرند او اخرو دولة منها جهة من بني زيري بن مناد كان جد
عبد الله بن محمد بن الرند املا لهم ما قاتلوا بها بنوه من بعده فاستبدوا بها آخر الدولة ولما غزا عبد المؤمن
بلاد افريقية استنزلهم في جلة من استنزل من الثوار بها ولما مات عبد المؤمن وبيع ابنه يوسف بلغه
سنة أربع وسبعين وخمسة مائة ان بعض بني الرند قد عاد الى قفصة وثار بها فاضطربت لاجل ذلك
أحوالها فقبض اليها في سنة خمس وسبعين بعد هاتين الى افريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق
عليها بالقتال والحصار حتى دخلها وظهر بان الرند القاتم بها قتله وذلك في سنة ست وسبعين وخمسة مائة
ثم عاد الى مراکش فدخلها في سنة سبع وسبعين بعد هاتين في القرطاس ونحوه لابن خلدون في اخبار

بنى عبد المؤمن وذكروا عند السكالك على بنى الزندوجها آخر فقال كان عبد المؤمن قدولى على قصة همران ابن موسى الصنهاجي فأساءه إلى العسيرة فبعثوا عن علي بن العزيز بن العستر الزندي من بجاية وكان بها في مضيقية يحترق بالحياطة فقدم عليهم مواروا وبعمران بن موسى عامل الموحدون فقتلوه وقد مامكاه علي بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته وأغراه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين وخمسمائة أثناء السيد أبازكر بالحاصره وضيق عليه وأخذته وانقصه إلى مراكش بأهله وماله وأدفعه عليه على الاشغال بمدينة سلا إلى ان هلك ثم اوقعت دولة بني الزندو بالبقاء لله وحده اه كلامه فالتة أعلم أى ذلك كان في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين يوسف من مراكش لبناء حصن از كندر فبناه على المدين الذي ظهر هناك

في الجواز الثاني لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس برسم الجهاد في
في وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله

لما قدم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من فتح قصة سنة سبع وسبعين وخمسمائة قدم عليه ولاية الأندلس ورؤسائها بنو بني بالباب فأكروهم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه الخبر بان اذفونش بن ساجبة نازل قرطبة وشن الغارات على جهته مائة ووردة وغرناطة ثم نزل استجبه وتقلب على حصن شقيلة وأسكن به القصارى وانصرف فاستغفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ونزل الحصن نحو من أربعين يوما ثم بلغه خروج اذفونش من طليطلة فبعده فأنكسرا رجعا وخرج محمد بن يوسف بن واودين من اشبيلية في جوع الموحدون نازل طليطلة فبرز إليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على معاودة الجهاد ودولى على الأندلس أمناء وقدمهم للاحتماء فقتل ابنه السيد أبي زيد على غرناطة ولابنه السيد أبي عبد الله على مرسية ونقض سنة تسع وسبعين وخمسمائة في جوع القرطاس في كان خروجهم من مراكش في التاريخ المذکور على باب دكالة قال برسم غزو افريقية فلما وصل إلى سلا أتاه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جامع من افريقية فاعلمهم بدوها وسكونها فصرف عزمه إلى الأندلس فمض من سلا في يوم الخميس الموافق لثلاثين من ذي القعدة من السنة المذكورة فقتل بظاهرها وبات هناك ثم مض يوم الجمعة الموالي له فوصل إلى مكاسة يوم الأربعاء السادس من ذي الحجة فبعده إلى الأضحية خارجها ثم ارتحل إلى فاس فدخلها وأقام بها بقية الشهر ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة في اليوم الرابع من فاس وسار حتى انتهى إلى عسيرة فأقام بها بقية شهر المحرم وأمر الناس بالجواز إلى الأندلس فحازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم مغراوة وصنهاجة واوردية وأصناف البربر ثم عبرت جيوش الموحدون والغاز والرماء فلما اكتمل الناس الجواز عبروا في آخرهم في الحاشية والبيد وكان جوازهم يوم الخميس خامس صفر من السنة المذكورة فقتل بجبل الفخ ثم ارتحل منه إلى الجزيرة الخضراء ثم سار إلى اشبيلية فلما أشرف عليها يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر خرج إليه ولده السيد أبو اسحق ومعه فقهاء اشبيلية وأشيأها فبعت اليهم بأمرهم بالوقوف بالغرمانية حتى يصل اليهم فلما صلى الظهر وركب اجتازهم فلما دنا منهم زلوا عن دوابهم فوقف لهم حتى سلوا عن آخرهم وركبوا ثم مض إلى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس فأنتهى إليها في السابع من ربيع الأول فقتل عليها وأداره الجيوش وشدد عليها في الحصار والقتال وبذل الجهد إلى ليلة الثاني والعشرين من ربيع المذکور فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين إلى غريبها فأنكسر المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا فلما جرت الليل وصلى العشاء الأخيرة بعث إلى ولده السيد أبي اسحق صاحب اشبيلية فأمره بالرحيل من غدت تلك الليلة لغزو اشبونة وشن الغارات على أنصاعها وأن يسير إليها في جيوش الأندلس خاصة وأن يكون رعيته له ثم أوفاء الفهم ووطن أنه أمره بالرحيل إلى الأندلس

الشيطان في محلة المسلمين ان أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة وتحت الناس بذلك وتأهبوا له ورحلت طائفة منهم بالليل ولما كان قرب الفجر ألقع السيد أبو اسحق وألقع من كان مواليا له وتتابع الناس بالرحيل وتسايقوا الاختيار المنازل وأمير المؤمنين مقيم في مكانه لا علم له بذلك فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله من أهل المحلات أحدا الا يسير من خاصته وخشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لتزوله والاقواد الاندلس فانهم الذين كانوا يسرون أمام ساقته وخاف محنته من أجل من يتخلف عنهم الضعفاء فلما طلعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون على المحلة من سور البلدور وأما أمير المؤمنين منفردا في عبيده وخشمه وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحرر البلدور خرج جميع من فيه غرقة منكورة وهم ينادون اري اري أي اقصوا السلطان فضرروا في محلة العبيد الى ان وصلوا الى اخبية أمير المؤمنين فزقوها واقتحموها فبرز اليهم وقتلهم بسيفه حتى قتل ستة منهم ثم طعنوه طعنة نافذة وقتل عليه ثلاث من جواريه كن قدأ كبن عليه ولما طعن وقرب بالارض وتصايح العبيد ونادوا بالفرسان والاجناد فترجع المسلمون وقتلوا النصارى حتى أراحوهم عن الاخبية واشتد القتال بينهم ونواقتوا ساعة ثم انهم اخرجوهم المسلمون بالسيف حتى ادخلوهم المدينة وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف واستشهد من المسلمين جماعة وركب أمير المؤمنين يوسف وقد أنفذته الطعنة وارتحل الناس ولا يدرون أين ثم استندوا بالطبول فصدوا وجهه اشيلية ثم سار أمير المؤمنين يريد العبور الى المغرب فاستند اليه ومات بالطريق رحمه الله قاله ابن مطروح وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمس مائة قرب الجزيرة الخضراء فحمل الى نيفل فدفن بها الى جنب قبر أبيه وقيل انه لم يمض حتى وصل الى مراکش وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج ويصرف الامور بين يديه من يوم طعن الى ان مات قالوا لكم ولده موته حتى وصل الى مدينة سلا فافشاء وكان قبل موته بشهر كثيرا ما ينشد قول الشاعر ويرده

طوى الجديان ما قد كنت أنشره • وأنكرتني ذوات الاعين فجعل

ورثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها أولها

جل الأسى فأسل دم الاجفان • ماء الشون لغير هذا الشان

بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته

قال ابن خلكان كان يوسف بن عبد المؤمن أبيض تعلوه حجرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين الى الطول ماهو في صوته جهوره رقيق حواشي الطبع حلو اللفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم ليامها في الجاهلية والاسلام صرف عنايته الى ذلك واتى فضلاء اشيلية أيام ولا يتبعها وكان فقيها حافضا متقنا لان آباءه هذبوه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والعرف فتشأ في ظهور الخليل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلمين أفاضل العلماء وكان ميسله الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم ويقال انه كان يحفظ صحيح البخاري وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة صالحة من الفقه ثم طمع الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئا كثيرا وكان ممن حبه من العلماء هذا الشان الوزير أبو بكر محمد بن طفيل كان متحققا بجميع أجزاء الحكمة قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره ولابن طفيل هذه تصنيف كثيرة وكان يوسف بن عبد المؤمن حريصا على الجمع بين علمي الشريعة والحكمة ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المعروف بالحفيد وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الملوكة بعيدا عن الجاهلية جاعا مناعا ضابطا للخارج مملوكة عارفا بسياسة رعيته وكان مضميا

جواد في محل الصغار والحدود قد استغنى الناس في أيامه ولكن من ضبطه وسلبه تهربا يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يدركه كاد يحضر وله في غيبته ثواب وخطاه وحكام قد قوض الامور اليهم لماعلم من صلاحهم واهلهم ثم ان ذلك **هو** قال ابن خلكان **هو** والدنا نير البوسفية المغربية منسوبة اليه **هو** وما يستطرف من أخبار رده الله ان الاديب ابا العباس أحمد بن عبد السلام الكرواني وكروان قبيلة من البربر نماز لهم بضواحي فاس كان نهاية في حفظ الاشعار القديمة والحديثة وتقدم في هذا الشأن وله فيه تأليف وكان مع ذلك صاحب فواد رجالس بها عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب فمن نوادره أنه حضر يوما الى باب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن المذكور وحضر اليه أيضا الطبيب سعيد الغماري فقال أمير المؤمنين لبعض خدمه انظر من بالباب من الاحباب فخرج الخادم ثم عاد اليه فقال يا سيدي به أحد الكرواني وسعد الغماري فقال أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من عجائب الدنيا اشعر من كروان وطبيب من غماره فبلغ ذلك الكرواني فقال وضرب لنا من لا ونرى خلقه أعجب من هذا والله خليفة من كومية فيقال ان أمير المؤمنين يوسف لما بلغ ذلك قال أعاقبه بالحلم عنه فقيه تكذيب له ومن شعر الكرواني في جملة قصص مودة محمد بن أمير المؤمنين يوسف المذكور وهو يدين

ان الامام هو الطبيب وقد شفا **هو** على البرايات ظاهرا وديخلا
جل البسيطة وهي تحمل شخصه **هو** كالروح وجد حاملا محمولا

هو الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي **هو**

هو قال ابن خلدون **هو** لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على حصن شنترن في التاريخ المتقدم بوبع ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ورجع بالناس الى اشيئيلة فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن أبي حفص المحتاتي واستقر الناس للغر مع أخيه السيد يحيى فاستولى على بعض الحصون وأثنى في بلاد الكفار ثم أجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد أبو زكريا ابن السيد أبي حفص قدام من تلسان مع مشيخة بني زغبة من عرب هلال ومضى الى مراکش فقهر التناكر وبسط العدل ونشر الاحكام اه وفيه نوع مخالفة لما قدمناه **هو** قال ابن أبي زرع **هو** لما تلت البيعة وطاعته الاثمة كان أول شيء فعله ان أخرج مائة ألف دينار ذهبا من بيت المال ففرقه في الضعفاء من ميونات المغرب وكتب الى جميع بلاد بتسريح السجون ورد للظالم التي ظلمها العمه في أيام أبيه وأكرم الفقهاء واهل الصلوة واهل الفضل وأجرى على أكثرهم الانفاق من بيت المال وفرق في الموحدين وسائر الاجناد أموالا لجة وكان أول شيء حدث في دولته شأن بني غانية المسوفيين أصحاب خيرة ميورقة وأعمالها فلتأت بشئ من ذلك

هو خرج علي بن منصور المسوفي المعروف بابن غانية علي يعقوب المنصور **هو**

قد تقدم لنا في أخبار الدولة المتوينة ان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين التوفي كان قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة وبايسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية وهي أهم قوارثم بنوه من بعده الى أيام يوسف بن عبد المؤمن فبعث اليه محمد بن اسحق ابن محمد المسوفي المذكور بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن وبعث اليه قائده علي بن الروبرت ليستبرأ أمره ويبعد له البيعة عليه ويؤكد الأمر في ذلك وكان محمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمون في الرياسة فلما انتهى اليهم ابن الروبرت وعلوم الامر الذي قدم لاجله أنكروا على أخيهام ذلك لانه لم يكن أعلمهم بكتابته يوسف بن عبد المؤمن فخاضوا نجا سادونه وتقبضوا عليه وعلى ابن الروبرت وقتلوا ما كانه أخاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب

المنصور فركب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها وعليها ومثذ السيد
 أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجا في بعض مداخله فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة
 إحدى وخمسين وخمسمائة وهو حكي ابن أبي زرع في استيلاء ابن غانية على بجاية وجها آخر قال دخل
 الميورقي وهو علي بن اسحق المذكور مدينة بجاية يوم الجمعة السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة
 والناس في صلاة الجمعة وكانت أبواب المدن قبل ذلك لآفة في وقت صلاة الجمعة فارتقب ابن غانية الناس
 حتى أحرموا صلاة الجمعة ثم اقتحم عليهم المدينة وهدم إلى الجامع الأعظم وأدار به الخيل والرجل في يابعه
 خلى سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه قال وأقامها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده قال ومن ذلك
 اليوم اتخذ الناس غلق أبواب المدن يوم الجمعة وقت الصلاة والله أعلم ثم استولى علي بن اسحق على الجزائر
 ثم على مازونة ثم على مدينة ثم على القلعة ثم نزل قسنطينة فامتعت عليه واتصل الخبر بالمنصور فشرح
 السيد أبا زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وعقده على حرب ابن غانية وعقد لمحمد بن إبراهيم بن جامع على
 الأساطيل وإلى نظره أبو محمد بن عطوش وأجد المقل فوصل السيد أبو زيد إلى إفريقية وشرد ابن غانية
 عنها إلى الصحرى في أخبار طويلة ثم أود ابن غانية الجلاب على بلاد إفريقية وظاهره على ذلك قراقوش
 الغزى من موالى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي صاحب مصر وكان قد تغلب على
 طرابلس وما والاها وباغ المنصور ابن غانية قد استولى على قصبة قنص بنفسه من حضرة مراکش
 ثالث شوال سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ووصل إلى فاس فأراحها ثم سار إلى رباط نازا ثم سار على
 التعبئة إلى تونس وجمع ابن غانية من اليه من المقيمين والعرب وجاء معه قراقوش الغزى صاحب طرابلس
 فشرح اليهم المنصور مقدمة من جيشه انظر السيد أبي يوسف يعقوب ابن السيد أبي حفص عمر
 ابن عبد المؤمن فبقية ابن غانية في جموعه فانتصر عليهم وانهمز الموحدون وقتل جماعة من وجوههم
 وأسرى علي بن الروبرتي في آخرين وامتلأت أيدي العرب من أناتهم وأسلافهم ووصل سرعان الناس إلى
 المنصور وهو بتونس فقبض اليهم في الحال ونزل القبر وانتم أغذا السيد إلى الحامة فالتقى الجمعان
 وأنشبو الحرب فكانت الهزيمة على ابن غانية وأخزاه وأقلت من المعركة بذمائه نفسه ومعه خيله قراقوش
 وأتى القتل على أكثرهم ثم صبح المنصور مدينة قابس وكانت في يد قراقوش فاقبضها وقتل من كان بها
 من حرم ابن غانية وذويه في البحر إلى تونس وثنى العنان إلى توزر فاقبضها وقتل من وجد بها ثم إلى قصبة
 فزاز لها أياما حتى زلوا على حكمه فقتل من كان بها من المشركين وهدم سورها واستبقى أهلها وجعل
 أحلاكم بأيديهم على حكم المساقاة ولما فرغ من أمر قصبة فنهض إلى عرب إفريقية فقتلهم واستباح
 حلهم وأموالهم وشردهم في كل وجه ثم بعد ذلك جاؤ ثابطين خاصعين فنقل أهل القنينة والخلاف منهم
 إلى المغرب الأقصى ورجع إلى مراکش فدخلها في رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة

بالخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى أرض إفريقية ثم منها إلى المغرب الأقصى والسبب في ذلك

اعلم أن أرض إفريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن في الأيام السالفة لافي الجاهلية ولا في صدر الإسلام
 وإنما كان المغرب وطن الأمازيغ خاصة لا يشاركهم فيه غيرهم ولما جاءت الملة الإسلامية وأظهرها الله
 على الدين كله زحفت جيوش المسلمين من العرب إلى أرض المغرب في جملة ما زحفت إليه من أقطار
 الأرض لكن العرب الداخول إلى المغرب في ذلك العصر إنما كانوا يداخون إليه غزاة مجاهدين على
 ظهور خيولهم فيقبضون الوطرن فتح الأقطار والأمصا ثم ينقلب جمهورهم إلى وطنهم ومقرهم
 من جزيرة العرب وان بقي القليل منهم به إنما كانوا يستوطنون منه الأمازيغ دون البادية ويسكنون
 القصور دون الخيام فلم تكن العرب تسكن المغرب ثم شذبت قبائلهم وخيامهم ولا استوطنوه بأحيائهم
 وحلهم كما هو شأنهم اليوم لأن الملك الذي حصل لهم والغلب الذي مكثهم الله منه كان يمنعهم من سكن

البادية ويعدل بهم الى الحاضرة ولا بد فكانت الخيمة بارض المغرب معدومة رأساً وقليلة جداً البعض البربر عن كان يتخذها منهم وهم قليل وانما كان يسكن الجمهور منهم بالنداشرو وكهوف الجبال واستقر الحال على ذلك الى أواسط المائة الخامسة فدخلت العرب أرض افرقية واستوطنوها بحملهم وخيامهم ثم لما كانت أواخر المائة السادسة في دولة يعقوب المنصور رجع الله فنقل الكثير منهم الى المغرب الأقصى فاستوطنوه بحملهم وخيامهم كذلك وصارت أرض المغرب منقسمة بين أمة العرب أهل اللسان العربي وأمة البربر أهل اللسان البربري بعد ان كانت بلاده خاصة بالبربر لا يشاركونهم فيها غيرهم كما قلنا وهو اعلم ان أمة العرب تنقسم أولاً الى قسمين عدنان وقحطان ثم ينقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين فاما عدنان وهم الاسماعيلية ذرية اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فينقسمون الى ربيعة ومضر واما قحطان وهم اليمنية ذرية قحطان بن عابر بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح عليه السلام فينقسمون الى جبر وكهلان هذا هو المعروف المشهور من نسب الفريقين وقد ذكر النسبون لكل منهم ما شئوا بآخر الكلام تغيرها ما لا تقرأها أو لقوة الخلاف فيها ولقلنا حديثاً واندر اجها فمن ذكرناه ثم تشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعشائر وبطون وأنحاذ وفصائل لا حصر لها لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول من جملة قبائل مضر بنوسليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ومن قبائلها أيضاً بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور المذكور في النسب السابق وقد نسبت الخنساء جشم هذا الى جذه فقالت تم جودريد بن الصمة معاذ الله ينكحني جبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

ومن قبائلها أيضاً بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر المذكور أيضاً ومن جملة قبائل كهلان القبطانيين بنو الحرب بن كعب بن عمرو بن علة بن جادين مذبح بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان وكهلان هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (واعلم) ان هؤلاء القبائل الاربعة التي ذكرناها هي التي ذكر المؤرخون انها انتقلت الى افرقية والمغرب وقد يضاف اليهم غيرهم من قبائل العرب لكنهم ليسوا بشهورين كالاربعة المذكورة وهو ما لا يخبر دخولهم الى المغرب والسبب فيه فقد ذكر المؤرخون ان بنى سليم بن منصور وبني هلال بن عامر لم يزلوا يهاجرون العرب برهة من الدهر الى ان مضى الصدر من دولة بنى العباس وكانوا احياء ناجعة بارض الحجاز وتجدد بنو سليم على ابي المدينة المنورة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ثم تميز بنو سليم والكثير من هلال بن عامر الى البحرين وحمان وصار واجند القرامطة ثم غلب القرامطة على بلاد الشام وظاهرهم على ذلك بنو سليم وبنو هلال ثم انتقلت دولة العبيديين من افرقية الى مصر وغلبوا القرامطة على الشام وانتزعوه منهم وردوهم على أعقابهم الى البحرين ونقلوا أشباعهم من بنى سليم وبني هلال فانزلوهم بصعيد مصر في العدة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هنالك وكان لهم أضرار بالبلاد ولما انتقلت الدولة العبيدية من افرقية الى مصر كما قلنا استنابوا على افرقية بنى زيري بن مناد الصنهاجيين فلكوها وكانوا يخطبون بملوك العبيديين على مذابحهم ويضربون السكة باسمائهم ويؤدون اليهم أتاوة معلومة وطاعة معروفة ولما انساق ملك افرقية الى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي كان له رغبة في مذهب أهل السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة وكان الخليفة من العبيديين بمصر يومئذ المستنصر بالله معذب الظاهرين الحساكم بن المعز بن المعز بن الله والمعز هذا هو الذي انتقل الى مصر وبني مدينة القاهرة وكان المعز بن باديس الصنهاجي لا تزال المراسلات والهدايا تتخلف بينه وبين المستنصر العبيدي صاحب مصر كما كانت أسلافهما ثم ان المعز بن باديس ركب ذات يوم لبعض مذهبهم وذلك في أول ولايته فكباه فرسه فنادى مستغيثاً بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فسمعت العامة

وكان جمهورهم سنية فناروا بالافضة وقتلواهم أبرح قنسل وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان
 وقطعوا من الاذان حتى على خير العمل وكانت هذه الواقعة في أيام الظاهر العبيدي والد المستنصر
 فكانت المعز بن باديس في ذلك فاعتذر اليه بالعامية فاغضى عنه واستمر ابن باديس على اقامة الدعوة
 لهم والمهاداة معهم وهو في أثناء ذلك يكتب وزيرهم القائم بامور دولتهم أبا القاسم علي بن أحمد
 الجبري وأبي يسمي له ويعرض بني عبيدوشيعتهم ويغض منهم ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين
 وأربع مائة وولي الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن علي اليازوري أصله من قرى فلسطين وكان أبوه فلاحا
 بها فلما ولي الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء كان يقول في كتابه
 اليهم عبيدكم وصار يقول في كتاب اليازوري صنيعتكم فخذ ذلك عليه وصارت القوارص تسري من
 بعضهم الى بعض الى ان أظم الجوع بين المعز بن باديس وبين المستنصر العبيدي ووزيره اليازوري فقطع
 ابن باديس الخطبة بهم على منابر سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة وأحرق بنود المستنصر ومجى اسمه من
 السكك والطرز ودعا للقائم العباسي خليفة بعده ادوجاه خطابه وكتاب عهده فقرأه بجامع القيروان
 ونشرت الايات السود وهدمت دور الاسماعيلية وبلغ الخبر بذلك كله الى المستنصر بالقاهرة فقامت
 قيامته ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن علي اليازوري في أمر ابن باديس فأشار عليه بان يسرح له العرب
 من بني هلال وبني جشم الذين بالصعيد وان يتقدم اليهم بالاصطناع ويستميل مشائخهم بالعطاء وتولية
 أعمال افرريقية وتقليدهم أمر هابلا من صنهاجة الذين هم اليمن والشعبة ويدافعوا عنهم فان صدقت
 الخيلة في ظفرهم بان باديس وقومه صنهاجة كانوا أولياء للدولة وعمال تلك القاصية وارتفع عدوانهم
 من ساحة الخلافة وان كانت الاخرى فلها ما بعدها وأمر العرب على كل حال أهون على الدولة من أمر
 صنهاجة الملوك فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء الاحياء وأرضخ لامرئهم في العطاء وصل عامتهم
 بغير دينار لكل واحد منهم وأباح لهم اجازة النبل وقال لهم قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد
 الباقي فلا تنفكروا عنه بعد ما كتب اليازوري الى المعز أما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا خفولا وأرسلنا
 عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا فنهرت العرب اذذاك وعبروا النبل الى برقة فقتلوا
 بها واستباحوها واقتضوا أمصارها وأهجمتهم البلاد فكتبوا لاقوانهم الذين بقوا شرقي النبل يرغبونهم
 في البلاد فأجازوا اليهم بعد ان أعطوا المستنصر لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه
 وتفرغوا الى البلاد فحصل لبني سليم شرقها ولبن هلال غربها ثم انتشروا في اقطار افرريقية مثل الجراد
 لا يعرفون بشي الا أنواعه (وبالجمل) فلم تمر الامدة بسيرة حتى استولوا على ضواحي افرريقية ونازلوا
 أمصارها واقتضوا أهلها الا ماوة وحصر ابن باديس في مصره وصاهرهم ببنايتهم تأليفهم ومع
 ذلك فلم يجد شيئا والحديث في ذلك طويل وليس تتبعه من غرضنا قال ابن خلدون هم وهؤلاء الهلاليين
 في الحكاية عن دخولهم الى افرريقية طرق يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة
 ويسمونه شكر بن أبي الفتوح وانه أصهر الى الحسن بن سرحان في أخته جارية فأنكسها اياها وولدت منه
 ولدوا اسمه محمد وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وقتة فاجعوا الى الرحلة عن أرض نجد الى
 افرريقية وتبعوا عليه في استرجاع أختهم جارية المذكورة فطالبت به زيارة أباها فأزارها اياهم وخرج بها
 الى حلقهم وأقام معها امة الزيادة فارتحلوا به وهاكموا رحلتهم عنه ومثروا عليه بانهم يباكرون به
 الصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى
 حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه ورجع الى مكانه من مكة وبين جوارحه من جهاد انه دخيل وانها من
 بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها الى ان ماتت من حبه ويتأقانون من أخبارها في ذلك ما يعنى على خبر
 قيس وليلى ويرون كثيرا من أشعارها بحكمة المباني مثقفة الاطراف وفيها المطبوع والمتنوع

لم يبق فيه من البلاغة شيء وانما افقد منها الاعراب فقط ولا مدخل له في البلاغة وفي هذه الاشياء عارضي
كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه حجة الى واية فلذلك لا يوثق به ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد
بآياتهم ووقائعهم مع زناته وحروبهم وضبط الاسماء جالانهم وكثير من احوالهم لكانت ثبوتها
وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها وغيره وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه الشريف
خلفا عن سلف وجبلا عن جيسل ويكاد القادح فيها والمستريب في أمرها أن يرى عندهم الجنون
لتواتر هادئهم وهذا الشريف الذي يشيرون اليه هو من الهواشم وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن
جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر ابن موسى الثاني ابن عبد الله أبي الكرام ابن موسى
الجنون ابن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن المصيط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وأبو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدي وبايع له بنو الجراح أمر أبيه بالشام
وبعثوا عنه فوصل الى أحياتهم وبايع له كافة العرب ثم غلبتهم عساكر الحاكم العبيدي ورجع الى مكة
وهلك سنة ثلاثين وأربعمائة فولى بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى بعده ابنه محمد
الذي يزعم هؤلاء الهلاليون انه من جازية هذه وهو قال ابن خزمي ان شكر بن أبي الفتوح لم يولد قط
وانما صار أمر مكة من بعده الى عبد كان له وهو قال ابن خلدون بعد خبري من أثق به من الهلاليين لهذا
المهدي انه وقف على بلاد الشريف شكر بن أبي الفتوح وانها بقعة من أرض نجد عابلي الفرات وابنه
بهم الهدى العهد والله أعلم (واعلم) ان جازية بنت سرحان هذه كانت من بني دريد بن أبيض بن أبي ربيعة بن نمير
ابن هلال بن عامر بن صعصعة فهي هلالية انجيبة دريدية ومن مزاياهم انهم الماصرت الى افريقية
وفارقت الشريف بن هاشم المذكور خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب من رجال دريد فقامت عنده
مدة ثم فاضته ولحق بأحبها الحسن بن سرحان فغلبها منه فقامت عشيرة ماضي بن مقرب معه وقتلوا
الحسن بن سرحان وعشيرته وثار الفتنة بينهم وقتل فيها الحسن بن سرحان واستمرت العداوة بينهم الى
أيام الموحدين فلهذا سبب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد الى افريقية وأما سبب انتقالهم من
افريقية الى المغرب الأقصى فقد ذكرنا ان بني سليم بن منصور وبني هلال بن عامر اقترحوا على بلاد
افريقية فكان لبني سليم شرقا ولبني هلال غربا ثم تغلبوا على ضواحيها وأما مصارها وضوايقها ما لو كها
بها وانضم الى بني هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية بن بكر فعات أيدم على الجميع واستمر أمرهم على
ذلك الى ان كانت دولة بنو جشم المنتصرون الموحدية ورحم الله وثار بن غانية ببلاد افريقية كما تقدم فظاهرته
العرب من جشم وهلال على الموحدين وأوقعوا دمة المنصور قهض اليهم من تونس وأوقع بالخير
أولا ثم بالعرب ثانيا وقل جمعهم واتبع آثارهم الى ان سردهم الى صحاري برقة وانتزع تلك البلاد من
أيديهم ثم راجعوا بصائرهم فاقوه طائعتين خاضعتين جميعا قدمنا الخبر عن ذلك مستوفي وكان الذين
قاتلوه أولا ثم راجعوا طاعتهم ثانيا هم قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا ثم
أصحاب غرب افريقية وأما بنو سليم بن منصور فلم يقاتلهم منهم أحد فلذلك بقي بنو سليم بأرض افريقية
ونقل المنصور رحمه الله بني هلال وبني جشم الى المغرب الأقصى حين أتوه طائعتين وكان ذلك سنة أربع
وثمانين وخمسمائة فانزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد المغرب فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر
الكبير الى أزغار البسيط الا فيج هناك الى ساحل البحر الأخضر فاستقروا بها وطالبهم المقام وأنزل
قبائل جشم ببلاد تامسة البسيط الا فيج ما بين سلا وماركش وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدا
عن التنايب المضنية الى القفار لاحاطة جبل درنيم اقل بيموا بعد ما فخر اولاً أبعدا ورحلة (واعلم) ان هذين
البسيطين يسميان اليوم في عرف عامة أهل المغرب بالغرب والحوز فالغرب عبارة عن بلاد المغرب وأزغار
وما في حكمها والحوز عبارة عن بلاد تامسة وما اتصل بها الى مراكش فكان لرياح ببلاد المغرب وكان

لجشم بلاد الحوز (ثم اعل) أيضا ان قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
ابن صعصعة وهم بطون كثيرة وجلهم قديمي بارض افريقية والذين انتقلوا منهم الى المغرب الاقصى كان
رئيسهم في ذلك العصر مسعود بن سلطان بن زمام اللوذادي من بني ذواد بن مراد بن رياح فاقام معهم
مدة ثم جمع جماعة من قومه وفر الى افريقية وذلك في حدود التسعين وخمسمائة وأبدأ وأعاد هناك في
الاجلاب مع النوار الى ان هلك في بعض تلك المدة وأقام السابقون بعد قرار كبيرهم مسعود المذكور
ببلاد الهبط وازغار الى ان انقرضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون الموحدي
وقته سنة ثلاثين وستمائة ولما تغلب بنومر بن علي ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء
البعث مع عساكرهم فقاموا بحماية ضواحيهم وانضم اليهم بنو عسكر بن محمد المرينيون حين خالفوا
اخوانهم بنى حمامة بن محمد سلف الملوكة منهم فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محمدا
ابن أبي بكر بن حمامة أو الملوكة المرينيين وقتل معه ابنه ادريس فلو وجدت رياح السيليل لبني مرين على
أنفسهم في طلب الثار فانتفخوا فاهم بعد ان ملكوا المغرب واستلموهم قتلوا سيدي مرة بعد أخرى وكان
آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت المريني سنة سبع وسبعمائة تبسمهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس
المصاب وأسفخه الى المتوسط في المرج السنبصر بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة
وذهبت رياح أدرج الى رياح هذا خبرهم على الجملة (وأما بنو جشم أصحاب تامسنا) فان المنصور
لما نقلهم اليه انتقل معهم قبائل أخر كانوا قد قاتلوه معهم ولم يكونوا من نسبهم ولكنهم كانوا من درجين
فيهم فكان يطلق على الجميع جشم وهؤلاء القبائل هم المقدم والعاصم من بني هلال بن عامر ثم من
الأنجب منهم وقرى من بني هلال أيضا وانخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر هؤلاء القبائل
ليسوا من جشم كما ترى ولكنهم لما انضموا اليهم وانتقلوا الى المغرب باتت عليهم أطلق على الجميع جشم
فاما المقدم والعاصم فهما ابنا مشرف بن أنجب بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة وأما قرى
فهم بنو قرى بن عبد مناف بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة وأما قرى
وقرى هلاليون وأما انخلط فهم بطون من بني عقيل بالتصغير ثم قال أبو الحسن علي بن عبد العزيز
الجزجاني في انخلط بنوعوف بنو معاوية ابني المتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة المذكور في الانساب المتقدمة قديمان لا هذا ان هذه القبائل الاربع أعني العاصم ومقدم
وقرى وانخلط ليسوا من بني جشم بن معاوية بن بكر من حيث النسب وان الثلاث الاول من بني هلال بن
عامر وان الاربعة وهي انخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر وفي
معاوية بن بكر يجمع الجميع كذا كراه أولاه والله تعالى أعلم ولنتكلم الآن على أخبار جشم على الجملة
فنعول لما نزل بنو جشم ببسبب تامسنا فاموا به برهة من الدهر ثم عين جهورهم الى العاصم ومقدم
وبني جابر وسفيان وانخلط (فاما مقدم والعاصم) فكانوا مع اخوانهم ببسبب تامسنا المذكور وكان
للموحدين عليهم عسكرة وجباية وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ثم عهد المأمون بن المنصور منهم حسن
ابن زيد وكان له أثر في الفتنة التي ثارت بين المأمون وبين يحيى بن الناصر بن المنصور ولما هلك يحيى
المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أمر الرشيد بن المأمون بقتل حسن بن زيد المذكور مع قائد فأنفذ
ابني عامر من شيوخ بني جابر كل منهما اسمه قائد فقتلوا جميعا ثم صارت الرئاسة لابي عياد وبنيه وكان
رئيسهم لعهد بني مرين عياد بن أبي عياد وكان له تلون على الدولة في الفترة ثارة والاستقامة أخرى فتر الى
تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة وفر الى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ولم يزل هذا دأبه
وكانت له ولاية مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني من قبل ذلك ومقاماته في الجهاد معه مذ كورة
وبقيت رياسته في بنيه الى ان انقرض أمرهم وتلاشوا والله خير الوارثين (وأما بنو جابر بن جشم) فكانت

لهم شوكة أيضا ولكن لهم أثر في الفتنة الناشئة بين المأمون بن المنصور ويحيى بن الناصر بن المنصور فكانوا
شبهة ليحيى ولما ولي الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائدو قاندا بني عامر وهما يومئذ شيخا بني جابر فقتلا
وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم كما تقدم وكافوا جميعا معتقلين عند الرشيد وولي أمر بني جابر بعدهما
يعقوب بن محمد بن قيطون ثم قبض عليه قائد الموحد بن أبو الحسن بن يعقوب بن قيطون وكان ذلك بأمر أبي حفص
المرتضى الموحدى وولي رياسة بني جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تعين بنو جابر هؤلاء من
أحياء حشم إلى فتح الجبل بتادلا وما إليها يجاورون هنالك صناكة من البربر الساكنين بقتته وهضابه
فيسهلون إلى البسيط تارة وبأون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى إذا دهمتهم مخافة من
السلطان (قال ابن خلدون) والرياسة فيهم لهذه العصور يعني أواخر المائة الثامنة في ورد بقية من بطونهم
قال أدركت شيخا عليهم لهذا السلطان أبي عثمان حسين بن علي الورداني ثم هلك وأقيم مقامه ابنه الناصر
ابن حسين ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوحه عن السلطان أبي سالم المريني سنة ستين وسبع مائة
ونقص اليهم عساكر السلطان فامكنوا منه ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند فراره من
مراكش سنة ثمان وستين وناله السلطان عبد العزيز المريني وأطاح به وبهم فطوى ببرارة صناكة
ثم أمكنوا منه على مال جل اليهم ولحق بهم أثناء هذه الفتن الأمير عبد الرحمن بن أبي يغلس المريني على
عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب وطلبه الوزير عمر فاخر جوه عنهم وطال بذلك مراس
الناصر هذه الفتنة فنكرته الدولة وتقبضت عليه وأودعته السجن فمكث فيه سنين ثم تجافت عنه الدولة
من بعد ذلك وأطلقته ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبد بالمغرب على ولد
السلطان عبد العزيز وأودعه السجن وقبضوا على رياسة عن بيته إلى غيرهم والله تعالى مقلب الأمور وقد
يزعم كثير من الناس أن ورد بقية من بني جابر ليسوا من حشم وأنهم بطن من بطون سدراتة إحدى
شعوب لواتة من البربر ويستدلون على ذلك بجوطهم وجوارهم البربر والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك
وهو ما سفيان يفهمهم الذين كانت لهم الرياسة والشوكة عند دخول العرب إلى المغرب كانت رياستهم
يؤمثن في أولاد جرهمون على سائر بطون حشم واستمروا على ذلك سائر أيام الموحدين ولما ضعف أمر بني
عبد المؤمن استكثروا بهم في حروبهم فكانت لهم عزة ودالة على الدولة بسبب الكثرة وقرب العهد باليد أوة
ونحوها وضعوا في الفتن مع أعقاب المسالوك من بني عبد المؤمن المتنازعين على الملك وظاهروا إليه بن
منهم على البعض وساعت أنارهم بالمغرب وكان شيخهم المشهور على عهد يحيى بن الناصر الموحدى
جرهمون بن عيسى السفياني وكانت بينهم وبين الخلط عداوة فصار الخلط شبهة للمأمون وبنيه وصارت
سفيان بسبب ذلك شبهة ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة عرا كاش ثم قتل الرشيد بن المأمون مسعود
ابن حميدان شيخ الخلط كاند كره بعد فصاروا إلى يحيى بن الناصر وصارت سفيان إلى الرشيد ثم ظهر بنو
مصرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين وترغ جرهمون سنة ثمان وثلاثين وسئمت عن الرشيد ولحق
محمد بن عبد الحق المريني حياء بما وقع له مع الرشيد وذلك أنه نادى به ذات ليلة حتى سكر فقام يرقص طربا
ثم حل عليه وهو مسكران وعربدوا أساء الأدب ثم أفاق فقدم وفر إلى محمد بن عبد الحق وهلك سنة تسع
وثلاثين بعدها وعلا كعب ابنه كاثون بن جرهمون عند السعيد بن المأمون ثم خالف عليه عند نهوضه إلى
بني مرين سنة ثلاث وأربعين وسئمت ورجع إلى أزمو فملكها وقت ذلك في عهد السعيد فرجع عن
حركته وقصد كاثون بن جرهمون ففرأما منه ثم حضر معه بعد ذلك حركته إلى تلمسان وقتل بمحضر
ناصر دكت قبل مقتل السعيد بيوم واحد قتله الخلط في فتنة وقعت بينهم في حملة السعيد وهي التي جرت
عليها تلك الواقعة وقام بأمر سفيان من بعده أخوه يعقوب بن جرهمون وقتل ابن أخيه محمد بن كاثون
وحضر مع عمر المرتضى الموحدى حركة أمان إيماءوا في سنة تسع وأربعين وسئمت فرحل يعقوب عن

السلطان واختل عسكره بسبب ذلك فرجع واتبه بنو مرين فكانت الهزيمة ثم عفاه المرتضى عنها ثم قتله مسعود وعلى ابن أخيه كانوا بنار أخيهما محمد سنة تسع وخمسين وستمائة ولحقا يعقوب بن عبد الحق المريني وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن ففجر عن القيام بأمره فقدم معه عبد الله بن جرمون ففجز أيضا فقدم مسعود بن جرمون فأقام شيخا على سفيان واستمرت حالهم مع الموحد بن مرين على هذا النوص من اخلاص الطاعة والنصرة نارة والتمريض فيهما أخرى وقال ابن خلدون رحمه الله وأصلت الرئاسة على سفيان في بني جرمون هؤلاء إلى عهدنا قال وأدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون بن عيسى وكانت سفيان هؤلاء أجداء أولاد باطراف تامسنا مما يلي آسفي وغلبتهم الخلط على بساطها الفسحة وبقى من أحيائهم الحارث والكلالة يتبعون أرض السوم وقفاره ويطلبون ضواحي بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم تلك شدة وبأس ورياستهم في أولاد مطاع من الحارث وطال عيبتهم في ضواحي مراکش وفسادهم فلما استبد سلطان مراکش الأمير عبد الرحمن بن أبي بقلوس المريني سنة ست وسبعين وسبع مائة كان ذلك كراستخلصهم ورفع منزلتهم ثم استقدمهم في بعض أيامه للعرض بخلهم ورجلهم على العادة وشيخهم ومثمن منصور بن بيش من أولاد مطاع فتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخرين مصبونه فذهبوا مثلالا لآخرين وخفضت شوكتهم والله قادر على ما يشاء وهو أمانا الخلط فقد كانوا يسيط تامسنا أولى عدد وقوة وكان شيخهم هلال بن جيدان بن مقدم ولما ولي العادل بن المنصور الموحدى خالفوا عليه وهزموا عساكره وبعث هلال يبعثه إلى المأمون بن المنصور سنة خمس وعشرين وستمائة وتبعه الموحدون على ذلك ثم جاء المأمون قطاهروا على أمره ونحيزت أعداؤهم إلى يحيى بن الناصر منازعه ولم يزل هلال بن جيدان مع المأمون إلى أن هلك في رحمة الله وبإيعاده لابنه الرشيد وجاءه إلى مراکش وهزم سفيان واستباحهم ثم هلك هلال بن جيدان فولى مكانه أخوه مسعود بن جيدان ثم خالف على الرشيد فاحتال الرشيد عليه حتى وقده عليهم مراکش فقتله في جماعة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وستمائة وولى أمر الخلط بعده يحيى بن هلال وقرت بقومه إلى يحيى بن الناصر وحاصروا مراکش ثم استولوا عليها وعافوا فيها وخرج الرشيد إلى مجمل مائة ثم عاد إليهم سنة ثلاث وثلاثين بعد ما غلبهم عليها ثم راجعوا طاعة الرشيد وطردوا يحيى بن الناصر إلى بني معقل عرب العصراء فتقبض الرشيد على وشاح وعلى ابني هلال وصحبهم بأزمور سنة خمس وثلاثين وستمائة ثم أطلقهم ثم بعد ذلك غدر بمشيختهم بعد الاستدعاء والتأنيس وقتلهم أجمعين ثم بعد ذلك حضر وامن السعيد بن المأمون حركته إلى بني عبد الواد أصحاب تلمسان وجروا عليه الواقعة حتى قتل فيها بسبب قتلهم مع سفيان ومثمن فبزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم إلى أن تقبض على أشياخهم سنة ثنتين وخمسين وستمائة فقتلهم ولحق عواج بن هلال بن جيدان ببني مرين وقدم المرتضى عليهم على بن أبي علي من بيت الرئاسة فيهم ثم رجع عواج إلى الموحد بن سنة أربع وخمسين وستمائة فأغزاه على بن أبي علي فقتل في غزائه تلك ثم كانت واقعة أم الرجلين ببني مرين على المرتضى سنة ستين وستمائة ففرغ على بن أبي علي إلى بني مرين ثم صار الخلط كلهم إلى بني مرين وكانت الرئاسة فيهم أول دولة بني مرين لابي عطية مهلهل بن يحيى الخلطى واصهر اليه السلطان يعقوب بن عبد الحق فاتكحه مهلهل ابنته عاتقة التي كان منها ابنه السلطان أبو سعيد بن يعقوب ولم يزل مهلهل كبير عليهم إلى أن هلك سنة خمس وتسعين وستمائة ثم قام بأمر الخلط ابنه عطية وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه السلطان أبي الحسن وبهته السلطان أبو الحسن سفير اعته إلى سلطان مصر الملك المنصور محمد بن قلاوون ولما هلك عطية قام بأمر الخلط ابنه عيسى بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن ابراهيم بن عطية وهو الذي بلغ المبالغ من العز والترفع والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك فولى أمر الخلط بعده أخوه أحمد بن

ابراهيم ثم اخوه سليمان بن ابراهيم ثم اخوه مبارك بن ابراهيم على مثل حالهم أيام السلطان أبي عنان
المريني ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعده هلك السلطان أبي سالم المريني واستولى على المغرب
أخوه السلطان عبد العزيز وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مراکش فكان مبارك بن ابراهيم بن عطية
هذا معه ولم تقبض على أبي الفضل تقبض على مبارك المذكور وأودع السجن الى ان غلب السلطان
عبد العزيز على عامر بن محمد الخنثاني وقتله فقتل معه مبارك بن ابراهيم هذا لما كان يعرف به من محبة
ومداخلة في الفتن كما يذكر في أخبار بني مرين وولي ابنه محمد بن مبارك على قبيل الخطوط وقال ابن
خلدون في الان الخطوط اليوم كثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ ما تين من السنين
بنك البسيط الافيج زيادة على العز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على أمره اه
ولما انقرضت الدولة المرينية من المغرب وجاءت دولة الشرفاء السعديين وقام منهم أبو عبد الله محمد الشيخ
المعروف بالهدى انحاشت الخطوط اليه وأظهروا الخدمة والتبعية وغلب محمد الشيخ المذكور على فاس
وأخرج أبا حسون الوطاسي عنها فذهب أبو حسون المذكور الى دولة الترك بالجزائر واستقر بهم
على السعديين فلبوا دعوتهم وقدم معهم عسكري حار الى فاس فخرجوا محمد الشيخ السعدي عن بلاد
سروبية عظيمة جرت الخطوط هؤلاء عليه في المزية فلما استقل بالامر محمد الشيخ المذكور خلع الخطوط من
الجندية ووظف عليهم الخراج وحملهم من ديوان الخدمة ونقل أعيانهم الى مراکش واتخذهم
رهائن عنده ولم يزل الامر على ذلك الى دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي
فراى جلاد الخطوط وقتلهم يوم وادى الخزان وبلاء هم البلاء الحسن فاختر النصف منهم ورد الى
الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه فعثوا في تلك البلادوا كثروا
فيها الفساد ومثوا أيدهم الى أولاد مطاع فنبههم وضائقه واني حسن فكثرت الشكاية بهم الى
المنصور السعدي فضرب عليهم مفر ماسعين ألفا فلم يزيدوا الا شدة فضرب عليهم بعثا الى تكرارين
من أرض الصحراء فامتنعوا من ذلك فبعث اليهم القائد موسى بن أبي جادة العمرى فانتزع منهم الخيل
وأبقاهم رجالا ثم حكم فيهم السيف فزفهم كل عز قومون ثم خدش شوكهم ولائنا للعاصم فقاتلهم ثم ختموا
أعمالهم بصلتهم الشناعات التي ملأت الافواه وأسالت من الجفون الامواه وهي قتلهم ولي الله تعالى
المجاهد في سبيله أبا عبد الله سيدي محمد العباسي المالكي رحمه الله فازلنا نسمع ان قبيلة الخطوط انما سلبوا
العز منذ قتلهم لولي المذكور وكان ذلك في الحرم سنة احدى وخمسين وألف والله تعالى أعلم

في الخبر عن بني مقل عرب الصحراء من أرض المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم ووطنهم في

في قال ابن خلدون في هذا القبيل لهذا العهد من أفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى
بجبال ورن لبني عامر من زغبة الهلاليين في مواطنهم بقبيلة تلسان وينتهون الى البحر المحيط من جهة
الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عبد الله وذوى منصور وذوى حسان وذوى عبد الله منهم هم المجاورون
لبني عامر ومواطنهم بين تلسان وتاوريرت في التسل وما واجهها من القبلة ومواطن ذوى منصور
من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى مصطاسق على درعة وما يحاذيها من التل مثل
نزار وغساسنة ومكاسة وفاس ولاد تادلا والمعدن ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط ويتزل
شيوخهم بلاد دنول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما يليه وينتجعون كلهم في الرمال
الى مواطن الثمين من كدالة ومسوفة ولبتونة وكان دخولهم الى الغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال
انهم لم يبلغوا المائتين واعتزتهم بنو سليم فاجزؤهم وتجزؤوا الى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا بآخر
مواطنهم بمالي ملوية ورمال تاغلاالت وجاوروا زاتة في القفار فعثوا وكروا واثروا في صحارى المغرب
الاقصى فعمروا ماله وقبلاوا في فافيه وكانوا هناك أحلافا زاتة سائر أيامهم وبقي منهم بقرية جمع

قليل اندرجوا في جلة بني كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا زوا علمهم في الاستخدام للسلطان واستلاف
 العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن اقام بنو معقل هؤلاء في القفار وتفردوا
 في البسداء فمواغوا الا كفاءه وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالغمر مثل قصور السوس غربا
 ثم قوت ثم بودة ثم مانتطيت ثم وازكلان ثم ناسبيت ثم تكرر بن شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد
 يشغل على قصور عديدة ذات تخيل وانهاروا اكثر سكانها من زناتة وبنينهم قن وحروب على رياستها فخازت
 عرب معقل هذه الاوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون
 فيها ملكا وكانوا في تلك المدة السالفة يعطون المصدقات للولاء زناتة يأخذونهم بالدماء والطوائل
 ويمنعونها جل الرحيل وكان لهم الخيل في تعيينها ولم يكن هؤلاء العرب يحمون من اطراف المغرب وتاوله
 حتى ولا يعرضون لسابلة مجلماسة ولا غيرهما من بلاد الصحراء باذية ولا مكروها كان بالغرب من
 اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية ايام الموحدين وزناتة من بعدهم وكان لهم بازاء ذلك اقطاع
 من الدول يعتدون الى اخذهم اليد السفلى وعددهم قليل كقلنا وانما كثروا حين اجتمع اليهم من القبائل
 من غير نسهم فان فيهم من فرارة بن ذبيان بن بغيض بن ديث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر
 وفيهم من اتصح بن زيث بن غطفان احياء كبيرة يظعنون مع بني معقل بجهات مجلماسة وادى ماوية
 ولهم عدد ذو كرو وفيهم الصباح من الاخضر ويقولون انهم من ولد اخضر بن عامر وعامر هذا هو
 والله اعلم من ولد رباح الهلاليين وفيهم الهابية من عياض احدى بطون الاثنج الهلاليين وفيهم العمور
 من الاثنج ايضا وفيهم بطون اخر من بني هلال وبني سليم وغيرهم واما انسابهم عند الجمهور فغنية
 ومجهولة والنسبون من عوب هلال يعتدونهم من بطونهم وهو غير صحيح وهم اعني بني معقل يزعمون
 ان نسهم في اهل البيت الى جعفر بن ابي طالب وليس ذلك ايضا صحيح لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا
 اهل بادية وتبعه هكذا ذكر ابن خلدون لكنهم انما تكلموا على جهة احدى بطون قضاة وذكر انهم
 نزول ابلاد الصعيد وملوها قال وزل معهم في تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن ابي طالب
 حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة وانحسروا منهم فاعرفهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجماعرة ويحترفون
 في غالب احوالهم بالتجارة اه كلامه فعلى هذا لا يبعد ان تكون طائفة من هؤلاء الجماعرة قد انتقلوا
 من ارض الصعيد ودخلوا مع بني هلال الى بلاد المغرب واوطنوا صحراء وهم بنو معقل المذكورون
 والناس مصدقون في انسابهم والله تعالى اعلم بحقائق الامور ثم قال ابن خلدون وهو الصحيح والله اعلم من
 امرهم انهم من عرب اليمن فان في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهم مامعقل ذكره ابن السكيت وغيره
 فاحدها من قضاة بن مالك بن جبر وهو معقل بن كعب بن عليم بن جناب وينتهي نسبه الى قضاة
 والاخر من بني الحرث بن كعب بن زبيعة بن كعب بن الحرث بن كعب وينتهي نسبه الى كهلان قال
 والانساب ان يكونوا من هذا البطن الاخر وقعدته الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افريقية
 لمخاورتهم في الوطن قال ومن املاء انسابهم ان معقلا جدهم له من الولد مسجبر ومحمد فولد مسجبر عبيد الله
 ونعلب بن عبيد الله ذوى عبيد الله البطن الكبير منهم ومن نعلب النعالب الذين كانوا بسيط متبعة من
 نواحي الجزائر وولد محمد مختار ومنصور اوجلا ولا وسالمو عثمان فولد مختار بن محمد حسان وشبابة بن
 حسان ذوى حسان البطن المذكور اهل السوس الاقصى ومن شبابة النسيان جيرانهم هناك
 ومن جلال وسالم وعثمان الرقطات بادية في ذوى حسان ينتصبون معهم وولد منصور بن محمد حسينا
 واما الحسين وعاشيقان وعمران ومنبا وعاشيقان ايضا وعاما الاحلاف ويقال لعمران العمارنة ولبنبا
 المتبات ثم يقال لجميع البطون الاربعة ولد منصور بن محمد ذوى منصور وهم احدى بطونهم الثلاث

المذكورة والله تعالى أعلم بغيره فهذه أصول عرب المغرب الأقصى وكيفية دخولهم اليه واستيلائهم إياه وبعض فصولهم فقد ذكرناها ملخصة من تاريخ امام الفن أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون ومن جمهرة الانساب لابن خرم وزدنا ما يحتاج منها الى البيان بيانا والله تعالى الموفق وهو المرجع الى ما كتبنا بسبيله من اخبار أمير المؤمنين يعقوب المنصور ورحه الله فانه لما رجع من افريقية الى مراکش سنة أربع وعشرين وخمسمائة رفع اليه ان اخاه السيد أبا حفص صاحب مرسية الملقب بالسيد وعنه السيد أبا الريس صاحب تادلا عندما بلغه ما خبر الوقعة التي كانت على مقدمة المنصور بافريقية حدثا أنفسمها بالتوثب على الخلافة فلما قدم عليه للثبته أمر باعتقالهما خلال ما استملى أمرهما ثم قتلها وعقد للسيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجاية وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة شرع المنصور في ادخال ساقيه الماء الى مراکش ثم ناقت نفسه الى الجهاد فكان منه ما ذكره

في الجواز الاول يعقوب المنصور ورحه الله الى الاندلس بقصد الجهاد في

في قال ابن أبي ذر في في سنة خمس وعشرين وخمسمائة تحرك أمير المؤمنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غرناطة وهي أولى غزواته فغبر من قصر المجاز الى الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من السنة المذكورة ثم مضى من الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة اشبونة وأضعفها فقطع الخمار وحرق الزروع وقتل وسبب وأضر النيران في القرى وأبلغ في النكابة وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألفا من السبي فدخل فاس في آخر رجب من السنة المذكورة

في مر اسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر يعقوب في

في المنصور ورحمهما الله والتمسه منه الاساطيل للجهاد في

كانت الفرغ قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة قبل هذا التاريخ وملكوا مهابيت المقدس شرقة الله فلما استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعتزم على جهادهم وصار يفتح حصون واحدا بعد واحد حتى أتى على جميعها وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وهدم الكنيسة التي بناها حيه وانقضت أم النصرانية من كل جهة وتنازلت اساطيلهم الكفورية بالمدد من كل ناحية لتلك النفور القريبة من بيت المقدس واعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تقاومهم اساطيل الاسكندرية لضعفها يومئذ عن ما انتهت به قوت صلاح الدين صريحه الى المنصور سنة خمس وعشرين وخمسمائة يطلب اعانتته بالاساطيل لمنازلة عمكا وصور وطرابلس الشام وأوفد عليهم بأبا الحارث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك شير من حصون الشام وكان صلاح الدين قد ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث صلاح الدين عبد الرحمن هذا الى يعقوب المنصور طالبا مدد الاساطيل لتحويل في البحرين أساطيل الفرغ فخرج بين امداد النصرانية بالشام ولمنازلة الثغور التي ذكرنا وبعث معه الى المنصور مائة تستمل على مئتين كرمين منسوبين ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عريسة باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة مثقلة فوصل الى المغرب فصادف المنصور بالاندلس فانتظره بقمص الى ان رجع فلقبه وأدى الرسالة وقدم الهدية وكان الكتاب الذي بعث به صلاح الدين من انشاء الاديب عبد الرحيم البيهقي المعروف بالقاضي الفاضل وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده الحمد لله الذي استعمل على الملة الخبيثة من استعمار الارض وأعنى من أهلها من سألها القرض وأجر من أجرى على يده النافلة والقرض وزين سماء الملة بدارى الذلوى التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل ولما وقف

عليه المنصور رأى تجايفهم فيه عن خطابه بأمير المؤمنين لم يعبه ذلك وأسرها في نفسه وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة وورده إلى مرسله ولم يجبه إلى حاجته ويقال أنه جهز له به ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع التصاري من سوا حمل الشام والله تعالى أعلم ﴿قال ابن خلدون﴾ وفي هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب بمشيد بالأساطيل الجهادية وعدم غناية الدول بصر والشام لذلك العهد بها وكان ابن منقذ المذكوّر قد مدح المنصور بقصيدة يقول فيها

سأشكر بحر إذا عاب قطعته * إلى بحر جود ما لا نراه ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى * إلى من سمى بالذكور منه الاوائل
اليسك أمير المؤمنين ولم تزل * إلى يادك المأمول ترجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بأن ندالك العسر بالخير كافل
وحزرت بقصدك العلى فبلغتها * وأدنى عطائك العلى والفاضل
فلا زلت للعالماء والجود دانيما * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعتقهم أربعون مئة فاعطاه بكل بيت ألفا وقاله أغا أعطيناك لفضلك ولييتك يعنى لا لاجل صلاح الدين

﴿عود المنصور إلى إفريقية والسبب في ذلك﴾

لما قدم المنصور من الأندلس إلى فاس وفرغ من شأن ابن منقذ قوارت لديه الأخبار بأن ابن غانية قد ظهر بإفريقية فنهض اليها من فاس في ثمان شعبان من تلك السنة فدخل تونس في أول ذي القعدة منها قال في بلاد إفريقية ساكنة وقد فرغ ابن غانية عنها إلى الصراة حين سمع بقدمه وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة استولى الفرغ على مدينة شلب وباجة وباورة من غرب الأندلس وذلك لما علموا أن المنصور قد أبعد عنهم واشتغل بأمر إفريقية فاعتصم الفرصة فيها واتصل الخبر بالمنصور فغاضه ذلك وأعظمه وكسب إلى قواد الأندلس بوجههم وبأمرهم يفرقون بلاد الفرغ ويهلبهم أنه قادم عليهم في أثر كتابه فاجتمع قواد الأندلس إلى محمد بن يوسف وإلى قرطبة فخرج بهم في جيش كثيف من الموحدين والعرب وأهل الأندلس حتى نزل على شلب فاستدعى عليها الحصار وتابع عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة وباورة ورجع إلى قرطبة فدخلها بخمسة عشر ألفا من السبي وثلاثة آلاف أسير قدمهم بين يديه في القطائن خمسون علفاني كل طينة وذلك في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة وفي هذا الشهر رجع المنصور من إفريقية فأتته إلى تلمسان فأقام بها إلى آخر السنة المذكورة وفي فاتح محرم من سنة ثمان وثمانين وهي سنة آكروا وخرج المنصور من تلمسان إلى فاس وهو مريض فكان يركب في آكروا فدخل فاسا وأقام بها مريضاً سبعة أشهر حتى أبلى من علته ثم نهض إلى مراکش فأقام بها إلى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ثم نهض منها إلى الأندلس بقصد الجهاد وكان ما نذكره إن شاء الله

﴿الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الأندلس﴾

﴿قال ابن خلدون﴾ كان يعقوب المنصور رجه الله قد خافه الفتن صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه إلى خمس سنين فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها إلا القليل خرجت طائفة من الفرغ في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فجهوا وسبوا وعاثوا عينا فظيعا فأتته الخبر إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور وهو عبرا كثر فجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل في ذلك وعبر البحر إلى الأندلس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة واتصل بالفرغ عبوره إليهم فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه ﴿قال ابن خلدون﴾ وقد رأيت بدمشق جزأ بخط الشيخ الحافظ تاج الدين عبد الله بن جويرة السرخسي وكان قد سافر إلى مراکش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة

فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره ههنا قال لما انتقضت الهدنة بين أمير المؤمنين يعقوب
 المنصور وبين الأذفونش الفرنجى صاحب غرب جزيرة الأندلس وقاعدة مملكته يومئذ طيلة ذلك
 في أواسط سنة تسعين وخمسة مائة عزم يعقوب المنصور وهو يومئذ نجرا كش على التوجه إلى جزيرة
 الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاية الأطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج إلى مدينة سلا ليكون
 اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق أنه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن
 تدبير تلك الجيوش ووجد يعقوب المنصور إلى مر اكش وهو مرضى فطمع المجاورون له من العرب
 وغيرهم في البلاد وعاتوا فيه وأغاروا على النواحي والأطراف وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد
 المسلمين بالأندلس واقتضى الحال تفرقة الجيوش التي جمعها يعقوب المنصور شرقا وغربا واشتغلوا
 بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الأذفونش في البلاد وبعث رسولا إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور يتهذد
 ويتوعد ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له من
 ضغفاء المسلمين يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والأرض وصلى الله على السيد المسيح
 روح الله وكنهه الرسول الفصيح (أما بعد) فإنه لا يخفى على ذى ذهن ناقد ولا ذى عقل لازب أنك
 أمير الله الخليفة كما فى أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل
 والتواكل وإمال أمر الرعية وإخلادهم إلى الراحة وأنا أسومهم بحكم القهر وخلا الديار وأسعى
 الذرارى وأمثل بالرجال ولا عذر لك فى الخلف عن نصرهم إذا أمكنك يد القدرة وأنتم تزعمون أن الله
 فرض عليكم قتال عشرة منابواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل
 عشرة منكم واحد منا لا يستطيعون دفاعا ولا تمككون امتناعا وقد حكى لى عنك أنك أخذت فى
 الاحتفال وأشرقت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجا لا تؤخر أخرى فلا أدري
 أكان الجبن قد أبطأك أم التكذيب عاود بك ثم قيل لى أنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلا لعللة
 لا يسوغ لك التغمم معها وهأنذا أقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر لك وعشك على أن فى اليهود
 والموائيق والاستكبار من الرهان وترسل إلى جلة من عبيدك بالمرأكب والشوائف والطرائد السطحات
 وأجوز بجملى إليك فأفانك فى أغزى الأماكن لديك فإن كنت لك فتنة كبيرة جلبت إليك وهدية
 عظيمة مثلت بين يديك وإن كنت لى كنت يدى العليا عليك واستحققت إمارة المسلمين والحكم على
 البرن والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة لأرب غيره ولا خير إلاخيه فلما وصل كتابه
 إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور مرضه وكتب على ظهر قطعة منه وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن
 التوقيع كما يأتى فى بقية أخباره أرجع اليه فقلنا أنهم يجزؤا لقبل لهم بها ولخرجتهم منها أكلة وعسم
 صاغرون ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع فهو أول من تكلم به فأرسله منلا وأنشد ممتلا

ولا كتب الاشرقية والفتى • ولا رسل الانجيس العرمم

ثم أمر بالاستتفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السراقات بظاهر البلد من يرمه وجع
 العساكر وسار إلى البحر المعروف بزقاق سنة يريد الأندلس وهو قال ابن الأذرع خرج أمير المؤمنين
 يعقوب المنصور من حضرة مر اكش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى سنة احدى وتسعين
 وخمسة مائة إلى السبى ويطوى المناهل ولا يولى على فارس ولا راجل والجيوش تتابع فى أثره من
 سائر الاقطار فلما انتهى إلى قصر الحجاز أخذ فى إجازة الجيوش الواردة عليه لا يغرب عن طائفة الاوقد
 لحقت بها أخرى فاجازا لقبلت العرب ثم زانته ثم المصامدة ثم غماره ثم المتطوعة من قبائل المغرب
 ثم الاغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم أجاز أمير المؤمنين فى أثرهم فى موكب عظيم من أشيخان
 الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاء واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة

الموفى عشرين من رجب من السنة المذكورة فأقامها يوماً واحداً ثم نهض إلى العدو قبل أن تخمد قراخ
المجاهدين وتضعف نياتهم فسار حتى بقي بينه وبين حصن الأرك الذي كان العدو نازلاً بآرائه نحو مئتين
فقتل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة فجمع الناس ذلك اليوم وقاؤهم ووعظهم ثم
اختص أهل الأندلس بعزيمه المشورة وقال لهم إن جميع من استشرتموا كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب
لكم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لفرسكم بهم وتعرضهم بكم فأحالوه في الرأي على القائد
أبي عبد الله بن صناديد فعول المنصور وجه الله في ذلك على رأيه وهو قال ابن الخطيب في رقم الحلال أن
أمير المؤمنين المنصور وجه الله عرض جيشه وأخذ في تقرب القرب إلى الله تعالى بين يدي جهاده
فسرح الصجون وأمر الأرازيق وعين الصدقات ورحل قتل الأرك وقد خيمت بأحواله ومحلات العدو
بضيق عنها التسع وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فقتل من المسلمين وقال أيها الناس اغفروا لي
فما عسى أن يكون صدر مني فبكي الناس وقالوا منكم يطلب الرضى والغفران وخطب الخطباء بين يديه
مخرضين ومذكرين فشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح
والبروز إلى اللقاء فكانت التسمية تحت الغلس وهو حكى ابن أبي ذر عن أن المنصور بات تلك الليلة عاكفاً
بمساء على الركوع والسجود وأنه أغنى اغفائه فرأى ملكاً نزل من السماء في صورة بشري يسد راية
خضر أو بشره بالفتح وأنه سده في ذلك أياماً بقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على
وجوه الجند فازداد الناس طمأنينة وبصيرة فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبة
الجرأة المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش وعقد له
رايته وقدمه بين يديه فخرفت على رأسه الأيات وقرعت بين يديه الطبول وسار في قبيل هنتاتة وبين
يديه القائد ابن صناديد في جيش الأندلس ثم عقد المنصور لجرموني بن رياح على قبائل العرب ولتدليل
ابن عبد الرحمن المقرئ على قبائل مغراوة ولحيو ابن أبي بكر بن حمامة المري بن جد الملوكة المرينيين على
قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف العبد الوادى على قبائل بني عبد الواد وللعباس بن عطية التوجيني
على قبائل بني توجين ولتجني بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد بن مغفاد على قبائل
غمارة وعقد للفقهاء الصالح أبي خزر بخلف بن خزراوى على المتطوعة وهو قال ابن خلدون أن الذي
كان على المتطوعة يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والكل إلى نظر الشيخ أبي يحيى بن
أبي حفص وبقى المنصور وجه الله في جيش الموحدين والعبيد وأمر الشيخ أبي يحيى بالرحيل والتقدم
أمامه إلى جهة العدو وكان المنصور قد ضفر مع ابن صناديد من الرأي أن يبقى هو متأخراً في الموحدين
والعبيد والحشم على مسافة يخفى بها عن أعين العدو ويقدم الشيخ أبي يحيى ببعض الأيات والطبول في
هيئة السلطان فيلقى العدو فإن كانت للمسلمين فهو المطلوب وإن كانت عليهم فكان المنصور ردأ لهم
ثم يستأنف القتال مع العدو وقد انقل حده ولأن شوكته فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن
صناديد أمامه في فرسان الأندلس وجاتهما فكان الشيخ أبو يحيى إذا ألقع بجيشه عن موضع صباحاً خلفه
المنصور فيه بجيشه مساء حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جوع الفرنج وهى يومئذ إلى جنب حصن
الأرك ويقال الأركو بزيادة الواو في آخره قد ضربت أخبثت على ربه عالية ذات مهاو وأحجار كبار
قدمت السهل والوعر ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في البسيط فحطه يوم الأربعاء التاسع من شعبان
سنة إحدى وتسعين وخمسائة وعند ابن خلدون أن ذلك كان يوم الخميس قال واقتفى المنصور في ذلك
طريقة أبيه وجده فأنهم أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعهظم حركاتهم في صفر فبعث الشيخ أبو يحيى
عساكره تعية الحرب وعقد الأيات لأمراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها فجعل
عسكر الأندلس في الخيمة وجعل زناته والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة وجعل المتطوعة

والاغترار والمادة في المقدمة وبقي هوفي القلب في قبيل هنتاته ولما أخذ الناس من اكرهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح عتي في صفوف المسلمين ويصعبهم على الثبات والصبر وينها الناس على ذلك اذ انفصلت من جيش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدحج في الحديد وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده كان الفئس لعنه الله قد انتهبهم وصلت افسنته عليهم صلاة النصر ورشوهم بقاء المعمودية وتحالفوا عند الصلابة ان لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادى الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين ابتوا في صافكم واخلصوا لله تعالى نياتكم واذكروا الله عز وجل في قلوبكم وبرز عاصم الزعيم من أمراء العرب فحش الناس على الصبر وثبتهم وجعلت كتيبة العدو حتى اندفعت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت ثم تقهرت قميلا ثم عاودت الحملة فكانت كالاولى ثم نهيات الحملة الثالثة قد دعت حتى غالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها الى الشيخ أبي يحيى يظنونه المنصور فاستشهد رحمه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاته والمتطوعة وغيرهم وسمى بنو الشيخ أبي يحيى بنى الشهيد وعرفوا به من يومئذوا نظم الجوار بالعبار واختلطت الجبال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه وأقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتيبة التي دعت الى الشيخ أبي يحيى وزحفن زاناة والمصاعدة وغماره الى الروة التي فيها الفئس وجوعه وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل فمؤغل المسلمون في تلك الاوار اليهم وخالطوهم بها واشتد القتال واستمر القتل في الكتيبة التي دعت أولا وانقضت عليهم العرب والمتطوعة وهنتاته فظنوا انهم لم يبقوا وانكسرت شوكة الفئس بهم لا كهم اذ كان اعتمادهم ومعولهم عليهم وأسرع خيل من العرب الى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بان لله تعالى قد فعل شوكة العدو وأشرف على الانهزام فنهضها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا القتال العدو وخضعت البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة فلم يبرح الفئس العين الا الرايات قد أقبلت تخفق من كل جهة وزحف الطبول والابواق وأصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الارض فقال ما هذا فاقبل هذا المنصور قد أقبل في جيشه وما قاتلك سائر اليوم الا طلائعه ومقدماهاته فقتل الله العرب في قلبه وخشعت نفوس جوعه وزلزلتهم الارض زلزلا فلولوا الادبار لا يلبون على شيء وأسعدهم ومنذ من وجد في فرسه بقية نصيبه واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وأحاط بعضهم ببعض الارك فظنوا ان الفئس قد تحصن به وكان عدو الله قد دخل على باب وخرج على آخر من الناحية الاخرى واقسم المسلمون الحصن عنوة واضرموا النيران في أبوابه واحتموا على جميع ما كان فيه وفي محلة العدو من الاموال والذخائر وأنواع السلاح التي تفوت الحصر وهو قال ابن خلدون في كان ملوك الفرنج الذين قاتلوا المنصور يومئذ ثلاثة ان اذقونش وابن الرند والديبوج قال واعنهم فلهم بعض الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزاهم المنصور على حكمه حتى قودى بهم عددهم من المسلمين وهو في القرواطس في ان عددا سارى الارك كانوا اربعة وعشرين ألفا فلقن عليهم المنصور وأطلقهم قال ففر ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين وعدت للمنصور سبعة من سقطات الملوك وهو قال ابن الاثير في كانت الدائرة يوم الارك أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج وانهزموا فمض هزيمة وكان عددهم قتل من الفرنج ازيد من مائة ألف وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا في الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ومن تحليل ستة وأربعون ألفا وقيل ثمانون ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الخيول اربعة مائة ألف وهو قال في فتح الطيب في جامعها الكفار لجل انقلاصهم لانهم لا يلب لهم قال وأما الجواهر والاموال فلا تحصى ويبيع الاسير بدرهم والسف بصف درهم والفرن بخمسة دراهم والجان بدرهم وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع كذا في فتح الطيب وهو في كامل ابن الاثير في ان يعقوب المنصور رحمه الله

نادى في عسكره من غم شيا فهو له سوى السلاح وأحصى ما حل اليه منه فكان زيادة على سبعين ألف
ليس واستشهد من المسلمين نحو عشرين ألفا ثم تقدم المنصور بجيشه الى بلاد الفرنج وأخذ يخرب
المدن والقرى ويغلب الحصون والمعقل ويقتل ويسبي ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ثم تى عنانه
راجعا وقد امتدلات أيدي المسلمين من الغنائم ولم يعارضه من الفرنج معارض حتى وصل الى اشبيلية
فاستقر بها وأما الفتن فانه لما انتهزم وصل الى طليطلة في أسوأ حال خلق رؤسائه وحبيته ونكس عليه
وركب جارا وأقسم أن لا يركب فرسا ولا يفل ولا ينام على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية
فجمع جوعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراكش وغيره يستنصر الناس
من غير اكرامه فأتاه من المتطوعة والمترفة جمع عظيم ثم نهض الى الفتن فالتقوا في ربيع الاول سنة
اثنى وتسعين وخمسة مائة فانهزم الفرنج هزيمة هائلة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح
والدواب وغيره ثم تقدم المنصور الى مدينة طليطلة فحاصرها وقتلها قاتلا شديدا وقطع اشجارها وشنق
القارات على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رياح ووادى الخجارة ومجريط وجبل
سليمان والليخ وكثير من أحواز طليطلة ثم ارتحل عن طليطلة الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف
فقتل القاتلة وسب النساء والذرية وغنم أموالها وهدم أسوارها وأضرم النيران في جوانبها وتركها قاعا
صففا وثقى عنانه الى اشبيلية فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة فرغ اليه في القاضي
أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد مقالات نسب فيها الى المرض في دينه ومعتقده وكان أحد فلاسفة
الاسلام ورجا أئني بعضها بخط يده فحبس ثم أطلق وأشجع الى مراكش وبها كانت وفاته رحمه الله
ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا لبلاد ابن اذفونس فدار حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب
برشلونة قد أمد ابن اذفونس بعساكره وانهم جميعا يحصن مجريط فنهض اليهم وأطل عليهم انفضت
جوع ابن اذفونس من قبل القتال ثم اتكفأ المنصور راجعا الى اشبيلية ثم اجتمع ملوك الفرنج وأرسلوا
يطلبون الصلح فأجابهم اليه وصالحهم على مدة خمس سنين بعد ان كان عازما على الامتناع مر يد الملامزة
الجهاد الى ان يفرغ منهم فأتاه خبر على بن امصق المسمى المعروف بابن غانية وانه دخل افريقية وأراد
الاستيلاء عليها فبث ذلك في عزمه وصالحهم على المدة التي ذكرنا وعقد على اشبيلية للسيد أبي اذيد بن
الخليفة وعلى مدينة بطليوس للسيد أبي الربيع ابن السيد أبي حفص وعلى المغرب للسيد أبي عبد الله ابن
السيد أبي حفص ثم عبر البحر الى المغرب فوصل الى مراكش في شعبان سنة أربع وتسعين وخمسة مائة
ووفى فتح الطيب ان يعقوب المنصور لما حاصر طليطلة وضيق عليها ولم يبق الا فتحها خرجت اليه
والدة الاذفونس وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألته ابقاء البلد عليهن فرفق لهن ومن عليهن به ووهب
لهن من الاموال والجواهر ما جل ووردهن مكرامات وعفا بعد القدرة والله تعالى أعلم (طليطلة) قال
الشيخ يحيى الدين بن عربي الحاتمي رحمه الله في كتاب الفتوحات المكية ما نصه ولقد كنت عدينة فاس سنة
احدى وتسعين وخمسة مائة وعساكر الموحدين قد عبرت الى الاندلس لقتال العدو حين استعمل امره
على الاسلام فلقبت رجلا من رجال الله ولازكي على الله أحدا وكان من أخص أودائي فسألني ما تقول
في هذا الجيش هل يفتح وينصر في هذه السنة أم لا قلت له ما عندك في ذلك فقال ان الله تعالى قد
ذكره في كتابه ووعده نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك
في كتابه الذي أنزله عليه وهو قوله اننا فتناك قصاصمينا فوضع البشرى فتحاميننا من غير تكرار أو ألف
فانه لا طلاق الوقوف في غمام الآية فانظر أعدادها بحساب الجمل فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة
احدى وتسعين وخمسة مائة ثم جرت الى الاندلس وقد نصر الله جيش المسلمين وفتح الله به قلعة رياح
والاوكو وكركر او ما انضاف الى هذه القلاع من الولايات هذا عايتته من الفتح عن هذه صفته فأخذت

للفراعين ولثلاثمائة وأربع مائة ولألف واحد وأربعين وأربع مائة وأربع مائة
والنون خمسين وأما الألف فقد أخذ عدد هاتين المجموع إحدى وتسعين وخمسة مائة وهي سنو الهجرة إلى
هذه السنة فهذه من الفتح الإلهي لهذا الشخص انتهى

في ذكر ما شاهده المنصور رحمه الله من الآثار بالغرب والاندلس

كان يعقوب المنصور رحمه الله لأعزم على المسير إلى الاندلس بقصد الجهاد أوصى إلى توابه ووكلائه
ببناء قصبة مراکش والاعتناء بتشييد قصورها فن آثره الباقية بها إلى الآن بما المعروف باب
آ كوا ولا مريد على ضمامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الأعظم المنسوب إليه إلى اليوم وتشيد
مناره المائل به ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل فيقال ابن سعيد
طول صومعة الكتبيين بمراكش مائة ذراع وعشر أذرع ولما اجتاز المنصور في سفره هذا بأرض سلا
أمر أيضا ببناء مدينة رباط الفتح فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة وأكمل سورها وركبت أبوابها
وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا ومدرسته الجوفية منه فيقال صاحب الروض المعطار كان
يعمل في بنائه ونقل بحجارته ورتابه سبعة أشهر من أسارى الفريخ في قيودها وأمر ببناء جامع حسان
ومناره الأعظم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة قالوا لم يتم بناؤه ولم يفرغ المنصور من
وقعة الأورك واحتل بمدينة اشيلية أخذ في إتمام بناء جامعها الأعظم وتشيد مناره المشاكل للنارين
المتقدمين فهو الثالثة الأتاني بالنسبة لمها بل قيل أنه ليس في بلاد الإسلام منار أعظم منه وهل هذا المنار
تفاجع من ألمح ما يكون فيقال في القرطاس بلغت من العظم إلى ما يعرف قدره إلا أن الوسطى منها
لم تدخل على باب المنار حتى قلمت الرخامة من أسفلها وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون رباعا من
الحديد وكان الذي صنعها ورصفها في أعلى المنار المذكور المعلم أبو الليث الصقلي وموتت تلك التفافع
بمائة ألف دينار ذهبيا ولما كمل جامع اشيلية وصلى فيه أمر ببناء حصن البرج على وادي اشيلية وقد
تقدم لنا في أخبار عبد المؤمن أنه هدم أسوار مدينة فاس وإن حافده المنصور هذا شرع في بنائها ثم أتتها
ابنة الناصر من بعده ولما رجع المنصور من الاندلس إلى مراکش وجد كل ما أمر به من البناء قد تم
على أكمل حال وأحسنه مثل القصبة والقصور والجامع والصوامع وأنفق على ذلك كله من أخماس
الغنائم وكان قد تفرغ على الوكلاء الصناع الذين تولوا إنشاء ذلك لانه سعى إليه بانهم احتسبوا الأموال
وصنعوا الجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم فلما دخله المنصور وتوقف به أعجبه فسأل عن عدد
أبوابه فقيل أنها سبعة أبواب والثامن هو الذي يدخل منه أمير المؤمنين فقال المنصور عند ذلك لا بأس
بالغالي إذا قيل حسن واتخذ المنصور رحمه الله في جامع هذا المعلا به مقصورة بحجبة كانت مدبرة
بجبل هندسية بحيث تنصب إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه منها وتتحقق إذا انفصلوا عنها فيحكي
الشرif القرطبي شارح الحازمية عن الكاتب البارعي أبي الحسن عبد الملك بن عباس أحد كتّاب
المنصور قال كانت لابن بكر يحيى بن مجير الشاعر المشهور وفادة على المنصور في كل سنة فصادف في
أحدى وفاداته فراغ من أحداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراکش
وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها الخرج وجهو تخفض لدخوله وكان جتمع من بياب المنصور
بومئذ من الشعراء والأدباء قد نظموا أشعارا أشدوه أياها في ذلك فلم يردوا على شكره وتغنى به الخبر
فيما جئتم من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قدم أبو بكر بن مجير فأنشد
قصيده التي أولها أعلتنى ألقى عصا التسيار * في بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى الميزكر المقصورة فقال يصفها

طورتا تكون بن حونه محيطة * فكانها سور من الاسوار

وتكون حينئذ منهم مخبوة * فكأنها ستر من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى * قصرت لهم على مقدار
فاذا أحسست بالامام زورها * في قومها قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتمون الحالات للادقار
فطرب المنصور لسماعها وارناح لاختراعها * قال أبو العباس المقرئ في نغم الطيب * وقد بطلت
حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حيا شاهدته سنة عشر وألف والله وارث الارض ومن
عليها ومن شعرا بن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة مدحه بها قوله

له حلبة الخيل العناق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرانس أغنتها الجول عن الحللى * فلم تبغ خلفا ولا التمسث وقفا
لمن يقيق كالطرس تحسب أنه * وان جوده في ملامته التضا
وأبلى أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصف
ووردت غنى جلده شفق البها * فاذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر جرح الراح صرفا أدبته * وأصغر لم يسمع بها جلده صرفا
وأشهب فضى الاديم مدنز * عليه خطوط غير مفهومة حرقا
كما حفظت الزاهى بهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ما حضا
تهب على الاعداء منها عواصف * ستسقف أرض المشرقين بها نصفها
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * أظليما ترى تحت الهجاجة أم طرفا
وقد كان في السيداء بألف سرية * فربته مهرا وهى تحسبه خسفا
تناوله لفظ الجسود لانه * اذا ما أردت الجرى أعطاكه ضففا
ومما مدح به المنصور رجه الله قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفسح فأجاب به اليه

أهل بان يسعى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالكرامات مقلدا * وموشعا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره * ونعطرت منه الرياح تارجا

ودخل عليه الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الككفى الاسود الشاعر فأنشده
أزال حجاب عني وعني * تراه من المهابة في حجاب * وقريني تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقتراني
وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنوعم تكرور وليس استهما لانساب لاب اولام وانما كانم
اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس بها وكذلك تكرور اسم للارض التى هم بها فسموها والله أعلم

بقية أخبار المنصور وسيرته

قال ابن أبي زرع * كان المنصور رجه الله ذار أى مخزوم دين وسياسة قال وهو أول من كتب العلامة
بيده من ملوك الموحدين الحمد لله وحده فخرى علمهم على ذلك وقد تقدم لنا ان ذلك كان في دولة أبيه
فإنه أعلم وهو واسطة عقد ملوك الموحدين الذى ضخم الدولة وسرفها وكانت أيامه أيام دعة وأمن
ورخاء ورفاهية وجمعة صنع الله عز وجل في أيامه الأمن بالشرق والمغرب والانديلس فكانت الطعينة
تخرج من بلاد دول قنتهى الى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء ضبط الثغور
وحصن البلاد وبني المساجد والمدارس في بلاد افريقية والمغرب والانديلس وبني المارستانات للرضى
والجنانين وأجرى عليهم الاتفاق في جميع أعماله وأجرى المراتب على الفقهاء وطلبة العلم كل على قدر
مرتبه وبني الصوامع والقناطر وحفر الابار والماء في البرية واتخذ عليها المنازل من السوس

الاصبى الى سويقة ابن مصلح كوك فكانت أيامه زينة للدهر وشرفا للاسلام وأهله **وقال ابن**
خلكان كان يعقوب المنصور رحمه الله صافي السمرة جدا الى الطول ما هو جليل الوجه أنوه
 أعين شديد الكحل ضخم الاعضاء جهورى الصوت جزل الالفاظ من أسعدق الناس لهجة
 وأحسنهم حديثا وأكثرهم اصابة بالظن مجرب بالامور ولوى وزارة أبيه فصحت عن الاحوال بمخاشافيا
 وطالع مقاصد العمال والولة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزيئات الامور فلما مات أبوه اجتمع
 رأى أشياخ الموحدين على تقديمه مقام بالامر أحسن قيام ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل
 وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع وقطرفى أمور الدين والورع وأقام الحدود حتى فى أهله
 وعشيرته الاقربين كما أفادها فى سائر الناس أجعين فاستقامت الاحوال فى أيامه وعظمت الفتوحات
 وكان قد أمر لأول دولته بقراءة البسملة فى أول الفاتحة فى الصلوات وأرسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام
 التى فى ملكه فاجاب قوم وامتنع آخرون وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يأمر
 بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغى من غير محاباة ويصلى بالناس الصلوات الخس ويلبس الصوف
 ويقتل الرأفة والضعيف بأحظهم بالحق **وقال ابن خلكان** سمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها هنا
 وهى ان الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص كان قد تزوج أخت يعقوب المنصور فقامت عنده
 ثم جرت بينهما منافرة فأتت الى بيت أخيها يعقوب المنصور ففسر الشيخ عبد الواحد فى طلبها فامتعت
 عليه فسكى الشيخ عبد الواحد ذلك الى قاضى الجماعة براكش وهو أبوعبد الله محمد بن على بن مروان
 فاجتمع القاضى المذكور بأمير المؤمنين يعقوب المنصور وقال له ان الشيخ أبى محمد عبد الواحد يطلب
 أهله فسكت عنه المنصور ومضى أيام ثم ان الشيخ أبى محمد اجتمع بالقاضى المذكور فى قصر المنصور
 براكش وقال له أنت قاضى المسلمين وقد طلبت أهلى فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له بأمر
 المؤمنين الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية فسكت المنصور ثم بعد ذلك عذلة لى الشيخ
 عبد الواحد القاضى بالقصر المذكور وقال له يا قاضى المسلمين قد فلتك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب
 أهلى وقد منعونى منهم فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه
 لأهله فاما ان تسير اليه أهله واما ان تعزلى عن القضاء فسكت المنصور وقيل انه قال له يا أباعبد الله
 ما هذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وأمره سر بان تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه فى ذلك
 اليوم ولم يتغير على القاضى ولا قال له شيئا يكرهه ويتبع فى ذلك حكم الشرع المطهر وانقادا لمره وهذه
 حسنة تعذله وللقاضى أيضا فاته بالغ فى إقامة منار الشرع والعدل وكان المنصور يستد فى الزام الرعية
 بأقامة الصلوات الخس وقتل فى بعض الاحيان على شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكروهم الرعايا
 وأمر برفض فروع الفقه واسواق كيب المذاهب وان الفقهاء لا يقتون الا من الكتاب والسنة النبوية
 ولا يقتدون أحد من الاغمة المجتهدين بل تكون أحكامهم بما يؤدى اليه اجتهادهم من استنباطهم
 القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس **وقال ابن خلكان** ولقد أدر كتابا جامعة من مشايخ
 المغرب وصلوا الينا وهم على ذلك الطريق مثل أبى الخطاب بن دحية وأخيه أبى عمرو محيى الدين بن عربى
 نزبل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوات وأمر بالنداء فى الاسواق بالمبادرة اليها فى غفل
 عنها واشتغل بميشته عزره تغزى رابليغا وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى انه لم يبق
 بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو فى طاعته وداخل فى ولايته الى غير ذلك
 من جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مهغيا الى المدح مثيبا عليه وله ألف
 أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى كتابه الذى سماه صفوة الادب وديوان العرب فى مختار الشعر
 وهو مجموع ملجأ أحسن فى اختياره كل الاحسان وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع واجادته

وقد تقدم لنا ما وقع به على كتاب النفس (وحيكى ابن الخطيب في رقم الحلال) ان المنصور طلب يومامن قاضيه ان يمتدأه رجلين لغرضين من تعليم ولدوضبط أمر فعره برجلين قال في أحدهما هو يحرفي علمه وقال في الآخر وهو بر في دينه ولم يخرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصر ابن يديه وأكذب الادعوى فوقع المنصور على رقعة القاضي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر قال ابن الخطيب وهذا من التوقيع العريق في الاجادة والصنعة وكان مجلس المنصور رحمه الله مجلس الفضلاء والادباء وأرباب المعارف والفنون (حيكى) أبو الفضل التيفاسي قال جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب يعقوب المنصور وكانت بين الفقيه أبى الوليد بن رشد المعروف بالحفيد والرئيس الوزير أبى بكر بن زهر بنضم الزاى وكان الأول قرطبياً والثاني أشبيلية قال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم بأشبيلية فار يدبغ كتبه جلت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فار يدبغ آلاته جلت الى أشبيلية وهذا الوزير ابن زهر هو أحد أعيان وزراء الدولة الموحدية ووزر للمنصور ولا يبه من قبله (وقال ابن خلكان) كان ابن زهر من أهل بيت كلهم علماء وساء حكماء ووزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامره وكان يشكر روروده على الحضرة بمراكش فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ومما قاله بمراكش يشوق الى ولده صغيره بك بأشبيلية

ولى واحدا مثل فرخ القطا * صغير تحلفت قلى لديه

نأت عنه دارى فإوحى * لذلك الشخص وذلك الوجه

تشوقى وتشوقته * فيبكي على وأبكى عليه

لقد تعب الشوق ما بيننا * غنسه الى ومنى اليه

(وقال العلامة الاديب أبو العباس المقرئ في نفع الطبيب) أخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير النساني الاندلسى الاصل القاسى المولود والنشأة حكيم حضرة السلطان أبى العباس المنصور بالله السعدى ان ابن زهر لما قال هذه الايات وسعها يعقوب المنصور رحمه الله أرسل المهندسين الى أشبيلية يعنى من غير علم من ابن زهر وأمرهم أن يحيطوا علمائبيت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم به فى أقرب مدة وفرشوا بمثل فرشته وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وخمسه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك للموضع فرأه أشبه شئ ببؤته وحارته فاحتار لذلك وطق انه نائم وان ذلك أحلام فدخل له ادخل البيت الذى يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذى يشوق اليه يابى فى البيت فحصل له من السرور ما لا يريد عليه ولا يعبر عنه وهكذا هكذا والافلالا * ومن أطباء المنصور الوزير الطبيب الشهير أبى بكر بن طفيل من أهل وادى آش كان حاذقا بصناعة الطب والجراحات ومن أطبائه أيضا الحفيد بن رشد المتقدم الذكر ومن كتابة الكاتب البارع أبو الحسن عبد الملك بن عيان القرطبي النشأة الياورى الاصل والفقيه البارع أبو الفضل بن طاهر من أهل بجاية ومن الفقهاء الذين كانوا يحج السونة ويسامرونه الفقيه الحافظ أبى بكر بن الجند والفقيه القاضي أبو عبد الله بن الصقر وغيرهم رحم الله الجميع

وفاته يعقوب المنصور رحمه الله

(وقال ابن أبى زرع) لما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش أخذ البيعة لولده أبى عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله فبايعه كافة الموحدين وسائر أهل الامصار والافطار فلما تمت البيعة للناصر المذكور وجلس فى محل الخلافة وجرى الاحكام والاورام باسمه وعلى يديه فى حياة أبيه دخل المنصور قصره فلزمه (وقال ابن خلكان) لما وصل المنصور الى مراكش يعنى بعد قدومه من الاندلس أمر بالتحاذ الاحواض والزوايا وآلات السفر للوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له

باسدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فثنا من له خمس سنين وغير ذلك فقتم علينا بالمهولة هذا العام وتكون
الحركة في أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة فأجابهم إلى سؤالهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها
من المنزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على
هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناه على البحر المحيط
الذي هناك وهو على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتزوره فيها ثم رجع إلى مراکش
وقال ابن خلكان في بعد هذه الاختلاف الروايات في أمره أن الناس من يقول أنه ترك ما كان فيه وتجرد
وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات غاملا ومنهم من يقول أنه لما
رجع إلى مراکش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الأولى وقيل في ربيع الآخر في سابع عشرة وقيل
في غرة صفر ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته وقيل توفي بمدينة سلا وقال ابن خلكان في
ثم حكى لي جمع كثير بدمشق أن بالقرب من المجدل البليدة التي من أحمال البقاع العزيزي قرية يقال لها
جسارة وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على
ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بين وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب قال
وكان أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليرحم عليه من عباده فيقال القري في نفع الطبيب في هذه مقالة
عاقبة لا ينبتا علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا أنه ترك الملك وحكوا
ما شاع إلى الآن وذاع ما ليس له أصل ثم نقل عن الشريف القرناطي مثل ذلك فأنظره وقال مؤلفه
عفا الله عنه في وعندي أن أنكار ما حكاه ابن خلكان ليس بجيد وهب أن أهل المغرب قالوا ذلك تولعوا بها
بال أهل المشرق يتولعون به ويتخذون له الشهد ثم يتفق كبيرهم وصغيرهم على أنه قبر يعقوب ملك المغرب
من غير أصل ولا مستند هذا بعيد في العادة بل لا بد أن يكون لذلك أصل والله أعلم بحقيقته في نعم كما ترجمه
عامة المغرب في جهة أبي يعقوب التي يقرب مدينة فاس إنما منسوبه إلى يعقوب المنصور هذا وإنه رصدها
عزيرتين يوقدان عليها إلى الأبد وأن حارة ملأها بسبب ذلك الايقاد وأن الشفاء الذي يحصل للمستحمين
بها إنما هو بركة يعقوب المنصور وجعلوا له زوجة أو بنتا اسمها شافية اشتقاقا من لفظ الشفاء الحاصل
بتلك العين كله باطل وإنما حارة العين لخاصية أودعها الله في أصلها ومنعها وكذا الشفاء الحاصل بها
إنما هو بخاصية في ذلك الماء ولعلها ما فيه من الكبريتية فأنزى أصحاب الجرب يلطخون بالكبريت
المعالج فيشفون وكمن عين على وجه الأرض في المشرق والمغرب وبلاد المسلمين والإكفار على هذه الحالة
كما أخبر بذلك غير واحد في وقال الجوهرى في الصحاح في الحجة العين الحارة يستشفى بها الأعلاء والمرضى
في الحديث في العالم كالحجة اه ومثله في القاموس بل ذكر فيه أن مدينة تغلس وهي قصبة
كرجستان عليها سور أن قال وجيامتها متباعدة ماء حار يغيرانه وقد ذكر ابن أبي زرع في القرطاس في
أبي يعقوب هذه وذكر معها جنتين آخرين فقال بالقرب أيضا من مدينة فاس على مسيرة أربعة أميال
منهاجة عظيمة تعرف بحمة خولان ماؤها في أشد ما يكون من السخونة وبالقراب أيضا منهاجة وشنة
وجه أبي يعقوب وهي من الحامات المشهورة بالمغرب اه كلامه فقد ذكر أبا يعقوب بلفظ الكنية فهو
غير يعقوب المنصور قطعا ولعله أبو يعقوب الأشقر لا في ذكره في أحداث المائة السابعة
في ولترجع إلى الكلام على وفاة المنصور عند علماء المغرب فنقول فيقال ابن الخطيب في رقم الحبل في
توفي يعقوب المنصور رحمه الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة
ودفن بمجلس سكاة من مراکش وكذب العامة بموته ولو عا وبمسكابه فادعوا أنه ساح في الأرض اه
في وقال ابن أبي زرع في لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الأعلى ثلاث
وددت أني لم أفعلها (الأولى) ادخال العرب من إفريقية إلى المغرب مع أني أعلم أنهم أهل فساد (والثانية)

بشروط الفتح أن تحت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر (والثالثة) إطلاق أسارى الأرك ولا يلهم ان يطلبوا بشأهم **توفي** ما ذكره الله في رباط الفتح من أنه لا يعمر قد تختلف ظنه فيه فهو اليوم من أمر أمصار المغرب وأحضرها حوسه الله وحرس سائر أمصار المسلمين من أقات النقصان وطوارق الحدثن **تولد** كركيما كان في هذه المدة من الأحداث فنقول **توفي** سنة أربعين وخمسمائة **توفي** هدم على ابن عيسى بن ميمون وكان من رؤساء البصر في دولة اللثونيين صنم قادم وقادس هذه هي الجزيرة المسماة في لسان العامة اليوم بقالض ولكن بها صنم عظيم على صورة رجل ويده مفتاح يقال ان حكام اليونان اتخذوه طلسماً هناك كان من خاصيته ان يمنع هبوب الريح فيما جاوره من البحر المحيط فكانت السفن لا تجري هناك على ما قيل فلما تار ابن ميمون المذكور بالجزيرة المذكورة ظن ان تحت الصنم ما لا يقدمه فلم يجد شيئاً **توفي** السنة المذكورة **توفي** أبو علي منصور بن ابراهيم المسطاسي دفن آرمور وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل ومن أشياخ أبي شبيب السارية **توفي** سنة أربع وأربعين وخمسمائة **توفي** الامام المهام الحافظ البارع أبو الفضل عياض بن موسى البصبي **توفي** قال ابن خلكان **توفي** يوم الجمعة سابع جادى الآخرة وقيل في شهر رمضان من السنة المذكورة دفن بباب آلان داخل المدينة وذلك في دولة عبد المؤمن بن علي **توفي** سنة تسع وخمسين وخمسمائة **توفي** الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن حزمهم بن تميم بن نسيب بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو من أهل مدينة فاس ومها **توفي** أخريات شعبان من السنة المذكورة وكان فقيها زاهدا صوفيا قال أبو الحسن المذكور اعتكف على قراءة الاحياء سنة فحدثت المسائل التي تتعد عليه وعزمت على احراق الكتاب فتمت فرأيت كائلا يقول جردوه واضربوه حد الفرية فضربت ثمانين سوطا فلما استيقظت جعلت أقرب نظري ووجدت الالم الشديد من ذلك فقتت الى الله ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة وقد تقدم لنا ما اتفق له مع السلطان في جنازة أبي الحكم بن ريجان **توفي** سنة احدى وستين وخمسمائة **توفي** الشيخ القدوة أبو شبيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بسارية من أهل مدينة آرمور ومها **توفي** يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان رضي الله عنه شديد المراقبة والورع والخوف من الله تعالى وكان اذا وقف في صلاته يطيل القيام فلذلك لقب بالسارية ونقلت عنه في الورع والخوف حكايات انظر التتوف **توفي** قال مؤلفه عفا الله عنه كنت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومائتين وألف ومدحته بقصيدة سلك فيها مسلك الاحياء من النسيب وغيره وأنشدتها عند ضريحه فرأيت لها بركة والحمد لله فأحييت أن أذكرها هنا وهي هذه

لله يارب أربع ما هيجت من نصن * على القواد ومن ضنى على البدن
وقفت فيك ركبا طالما وقفت * على القصور على الاطلال والدمن
أيام فيك حسان ما أشبهها * بالشمس حسنا ولا في اللين بالقصن
وفيك أسد من الملوك عادت * بقل النصار وصون البيض والحصن
يحمون منك عراما كنت أعهد لها * مأوى السور وفعات موقف الحزن
عانت يد الدهر فيهم منذ أزمنة * كأن بأسهم المحذور لم يكن
قوم عرفت ندامهم قبل معرفتي * نفسي وفاجأتني في المهد بالسنن
ومذ ترعرعت لم أعلق بغيرهم * حتى كافي رضعت الحب في اللبن
قضيت حق الشباب في منازلهم * أيام عيش لنا أحلى من الوسن
من ظن بالدهر خيرا فهو مضدع * فوده همدنة تبنى على دخن
لا أنتهى منها الا انشرفت به * ولا أحبل مكانا ليس بالحصن

ولا أصحاب من هذا الوري بشرا * إلا حصلت على رزق من الاحن
 حتى توهمت اني جنيت لمسلم * حرب البسوس وانسى أبو القسطن
 وما لذي الفضل من ذنب يلام به * سوى فضيلته في دهره الزمن
 فعذا قلب عن شكوى أضيق بها * ذراعاً شكواك إلى ضرب من الوهن
 ولست أحسب هذا الدهر مرعوباً * ولو تعلقت منه بين ذى وزن
 حلالاً لقد علفت يدي بمن علفت * أيدي العفافة في الشام واليمن
 بأعظم الناس مستزلاً ومستزلة * وأسمع الناس كغالبى الهندى الحسن
 وأشجع الناس قدراً فى الورى وعلا * وأحكم الناس للفروض والسنن
 ذاك الورى الذى كل الانام غدا * يتلو مناقبه فى السر والعلن
 أبو شعيب الذى من بحره انشعبت * جداول اليمن فى الاحياء والمدن
 بدرعاً فى سماء المجد مكتملاً * به علاً ذكر آرمور فى الوطن
 أرض اذا الضرع المحسروم يحدها * أنفى بها بذل الاهلين والسكن
 أود من أجل ناوياً حجارها * وأجعل التريبى مسكاً بلائى
 وكيف لا تطيح قلبى منازل من * به أكون من الاحداث فى حن
 بجلى الغياهب مبدول المواهب مقفلاً * المذاهب بالجند والقرن
 بحر الحقيقة والقوت الذى لهبت * به القبائل فى المقام والظمن
 ما زال يرقى الذرا من كل سالحة * حتى اكسى شهرة النيران فى القن
 يا خير من أمته العافى ولاذبه * أهل الجسرا ثم والاوزار والمحن
 انى خدمتك فى شعر عنت به * وليس لولا حلاك الزهر بالحسن
 أشكو اليك مقاماً أنت مبرته * ولست أرجو سواك منه ينعشنى
 وشدة أزرى فاني كنت معتقدا * اذا بلغتك قنت الدهر بالرسن
 وانظر بفضلك من وافتك معنيا * فان نظرت فكل انفسير شملنى
 وأعظم السؤل منك النفس فصلها * وطهر القلب بالامراض والدرن
 وامنحه نوراً وتوفيقاً ومعرفة * أرى بها عملى والبر فى قرن
 فجذب عارمت من جدواك بأملى * فبصر جودك عذب ليس بالاجن
 سقى ضميرى بك غيث ما زال به * بستان أنسك وهو مورق الغنن
 يجيء أفضل خلق الله كلهم * محمد ذى المزايا العسر والمدن
 عليه أزكى صلاة الله ماتليت * صحف وما نصح القريض ذولسمن
 والآل والعصب والازواج فاطبة * ومن قضا نهمهم فى كل مازمن

(هو أعلم) ان التعلق بأولياء القرضى الله عنهم يجب أن يكون مع استحضار ان الله تعالى هو المطلوب على
 الحقيقة والفاعل للأشياء كلها لا معبود غيره ولا مرجو سواء وانما التسلب بأهل الله لاجل التبرك بهم
 والاستشفاع بهم الى الله تعالى لانهم أبواب الله والذالون عليه فنفخنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم
 آمين (وفى سنة تسع وستين وخمسة) توفى الشيخ الفقيه العالم أبو اسحق إبراهيم بن يوسف المعروف
 بابن فرقول صاحب كتاب مطالع الانوار الذى وضعه على مثال كتاب مشارق الانوار للقاضى عياض
 كان من الافاضل ومحج جماعة من علماء الاندلس وتوفى بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس
 شوال من السنة المذكورة وكان قد صلى الجمعة فى الجامع ذلك اليوم فلما حضرته الوفاة تلى سورة

الاخلاص وجعل بكر رها بركة ثم شهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوقع ميتا رحمه الله
 وهو في سنة سبعين بعدها توفي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الانصاري المعروف
 بالتميطي ومدينة قرية باحواز الجبزية انضمر اعوهو الموق المشهور ولازم مدينة فاس خاله أبا الحاج
 التيطي وبين يديه تعلم عقد الشروط وله كتاب كبير في الوثائق سماه النهاية والتمام في معرفة الوثائق
 والاحكام ثم انتقل الى سبتة فاستوطنها ولازم مجالس علماء بالناظرة والتفقه ومهر في كتابة الشروط
 واشتغل بها حتى لم يكن في وقته أقدر منه عليها وكان له في السجلات اليد الطولى وطبع عليها حتى كاد
 طبعه لا يواتيه في سواها بل كان طبعه في ذلك أكثر من فقهه ثم تولى القضاء بخرش وأصابه خسر
 لازمه فمضوا الستين ثم توفي مستهل شعبان من السنة المذكورة وهو في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
 توفي وحيد عصره وأعجب بزهده الولي العارف الشيخ أبو يعزى بلثور بن ميمون قال قوم انتم من
 هزميرة ابرجان وقيل من بني صبيح من هسكورة مات وقد نيف على المائة بقصو الثلاثين سنة ودفن بجبل
 ابرجان في أوائل شوال من السنة المذكورة كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول رأيت أخبار
 الصالحين من زمن أويس القرني الى زمانها هذا أخبار رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى قال وتظلمت
 في كتب التصوف لما رأيت مثل الاحياء للقراني وكان لباس الشيخ أبي يعزى برنسا أسود مرقوعا الى
 أسفل من ركبتيه وجبة من تليس مطرف وشاشية من عزف وكان يتعش من نبات الارض ولا يشارك
 الناس في معاشهم وكان طويلا رفيعا أسود اللون وكان اذا جنه الليل دخل غيضة كثيرة السباع تبعه
 فيها فاذا قرب الغمراء علم أصحابه وأحواله رضي الله عنه وكراماته كثيرة وهو في سنة ثلاث وسبعين
 بعدها توفي الشيخ العارف أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي دفين قصر كتامة نشأ بشلب من
 بلاد الاندلس وقرأ بقرطبة واستقر آخر بقصر كتامة وبه توفي في السنة المذكورة وقيل ان وفاته كانت
 سنة ثمان وستين قبل هذا التاريخ والله أعلم وكان رضي الله عنه متمكنا في علوم القوم وكان الاولياء
 يحضرون مجلسه وهو من تلامذة أبي العباس بن العريف المتقدم المذكور وهو في سنة ثمانين وخمسمائة
 توفي الشيخ أبو عبد الله التاودي المعلم من أهل مدينة فاس ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى وكان يعلم المبيان
 فياخذ الاجرم من اولاد الاغنياء فرده على اولاد الفقراء ومات بفاس في السنة المذكورة وهذه النسبة
 الى بني تاودي وهي قبيلة بقرب فاس وهو في سنة احدى وثمانين بعدها توفي الامام المشهور أبو زيد
 عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن أحمد السبيلي الخنعمي صاحب كتاب الروض الاتف وغيره
 من التأليف الحسان ومالك الايات المشهورة في الدعاء وهي

يا من يرى مافي الضمير ويسمع • أنت المعد لكل ما يتوقع
 يا من يرجي للشدة اندكها • يا من اليه المشتكى والمفرع
 يا من خزائن رزقه في قول كن • آمن فان الضمير عندك أجمع
 مالي سوى فقري اليك وسيلة • فبالاقتدار اليك فقري أدفع
 مالي سوى فقري لبابك حيلة • فلتن وردت فأى باب أفرع
 ومن الذي أدعوه وأهتف باسمه • ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
 حاشي لجدك أن تقنط عاصيا • الفضل أجزل والمواهب أوسع

كان ببلدة سهيل وهي قرية بالقرب من مائة يتسوق بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى غي خبره
 الى السلطان بمراكش فطلبه اليها وأحسن اليه وأقبل بوجهه غاية الأقبال عليه فأقام بها نحو ثلاث
 سنين ثم توفي بها يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ودفن وقت الظهر
 خارج باب الرب أحد أبواب مراكش وكان رحمه الله ضريرا فضعف الله تعالى به وهو في سنة تسعين

جميعهم وأفاض علينا من مددهم آمين ولنرجع الى أخبار الدولة الموحدية فنقول

في الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله

بوع لابي عبد الله محمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب المنصور ثم جدته له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهو اليوم الذي توفي فيه أبوه فأقام بمراكش بقية ربيع الأول وجميع الثاني ثم نهض في فاتح جادى الأولى الى فاس فأقام بها بقية السنة المذكورة ثم غزا جبل غماره من أجل علودان الغمارى الناز بها ففتحها ثم رجع الى فاس فأقام بها سورها الذي كان فيه عبد المؤمن وبني قصبتها ورب أمورها وأقامها الى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فعاد الى مراكش وأقام بها الى أن كان ما ذكره

في غزواته بالبلاد إفريقية وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك

لما هلك المنصور رحمه الله قوى أمر يحيى بن اسحق المسوقى المعروف بابن غانية بإفريقية واستولى على أعمال قراقوش الغزى صاحب طرابلس وعلى المهدية وتغلب على بلاد الجريد ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين وخمسمائة واقتحمها غزوة لاربعة أشهر من حصارها في خدام المائة السادسة وقص على السيد أبي زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق وبسط عليهم العذاب حتى هلك في الاحتضان كثير من بيوتاتهم ثم دخل في دعوته أهل القيروان وغيرها من البلاد وانتظمت له أعمال إفريقية وفرق المال وخطب الخليفة العباسي واتصل بالناصر وهو بمراكش هذا كله فامتعض لذلك وشاور الموحدين في أمر إفريقية فأشاروا عليه بمسالة ابن غانية وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها فعمل على رأيه ونهض اليها سنة ست مائة وبعث الاسطول في البحر لنظر يحيى بن أبي زكريا المرزبجى واتصل ذلك بابن غانية فبعث ذخائره وجرمه الى المهدية مع علي بن الغاني من قرابته وولاه عليها ولما قرب الناصر من إفريقية خرج ابن غانية من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهائن على الظاهرة والدفاع وسار الى حامة مطمطة ثم الى جبل بنى دمر فحصد به ووصل الناصر الى تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ثم عاد الى المهدية فمسكروا عليها واتخذوا لالة لحصارها وسرح الشيخ أبي محمد عبد الواحد لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وست مائة فلقبهم ببجبل ناجورة من فواحي قابس وأوقع به وقتل أخاه جبارة بن اسحق واستنقذ السيد أبا زيد من مقتله وأما الناصر فإنه استمر محاصرا للمهدية يوم أبو مشد على بن الغاني وكان يدي بالحاج وكان شهما محر باقامت على الناصر وأبدى من مكائد الحرب وخدعه ما يقصر عنه الوصف وأتبع الموحدين ببالغ في نكايتهم فكانوا يسمونه الحاج الكافر ثم نزل على الأمان وأحسن اليه الناصر إحسانا تاما وسماه بالحاج الكافي بالهاء بدل الراء لما رأى من مراعاته لصاحبه وحسن عهده معه واستشهد الحاج الكافي هذا في وقعة العقاب الثانية وكان فتح المهدية في السابع والعشرين من جادى الأولى سنة ثنتين وست مائة وتولى الناصر عليها محمد بن يعقوب المرغني ولرحل عنها في عشرين من جادى الثانية فدخل تونس غرة رجب وأقام بها بقية السنة وأكثر التي بعدها ولما كان ثامن رمضان من سنة ثلاث وست مائة أشاع الناصر الحركة الى المغرب واستخلف على إفريقية نفعته ووزيره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص المنتساق جد الملوك الحفصيين بعده مرابحة وامتاع فيقال ابن خلدون في امتع الشيخ أبو محمد الى أن بعث اليه الناصر في ذلك بانيه يوسف فأكبر مجيئه وأذن ويقال أن الناصر قال له يا أبا محمد أنت تعلم ما تجسمناه من اللساق والصوائر في استنقاذ هذه القطر ولا آمن عليه من عدو متوئب ولا يقوم بحمايته إلا أنا وأنت فامض الى حفظه

ممالك المغربيسة وأقيم أنا وأقم أنت وأرجع أنا فقتله الحياه حيثما أذعن للأقامة واشترط شروطه المعروفة، هي أن يقيم ثلاث سنين ثم ينترب الأحوال ثم يعود إلى وطنه وأن يحكمه الناصر فيمن يحبسه معه من الجنود ورضاء من أهل الكفاية وأن لا يتعقب أمره في ولاية ولا عزل فقبل الناصر شروطه ولما عزم الناصر على النهوض إلى المغرب خرج إليه أهل تونس رافعي أصواتهم بين يديه لشفا قاه من عود ابن غانية إليهم فاستدعى وجوههم وكلهم بنفسه وقال أنا قد اخترت لكم من يقوم مقامنا فيكم وأثرناكم به على شدة حاجتنا إليه وهو فلان فتباثر الناس بولايته وشيع الناصر إلى باجو رجوع واليا على جميع بلاد إفريقية واستقل بأمرها ونهباها فن هنا ورثت الملوك الحفصيون سلطنة تونس وإفريقية وقبيل الناصر إلى المغرب فدخل مراکش في ربيع سنة أربع وستمئة ولما استقر بالحضرة وفدت عليه الوفود وهناك الشعراء بالغن فكان من ذلك ما أنشده ابن مريح السكحل وهو قوله

ولما تولى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الا وهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الأملى عنده
فلانسمه الاتوى حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاحسن الكتاب منه ذلك وقع أحسن موقع وأشار بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت ان يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وقد تقدم ذلك والله أعلم

فتح جزيرة ميورقة

كانت جزيرة ميورقة لبني غانية للسوفيين من عهد علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى وكان يعقوب المنصور قد بعث إليها أسطوله مرارا فامتنعت عليه ولما ولي ابنه الناصر وغزا إفريقية وجه إليها من ثغر الجزائر أسطولا مع عمه السيد أبي العلاء الشيخ أبي سعيد بن أبي حفص فقاتلوا ثم اقتسموها عنوة وقتلوا أصحابها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف السيد إلى مراکش بعد أن ولي عليها عبد الله ابن طاع الله الكوي ووفد أهلها على الناصر فأكرم وقادتهم وولى القضاء عليهم الفقيه الجليل المحدث أبو محمد عبد الله بن سليمان الانصاري المعروف بابن حوط الله ذكره ابن الخطيب في الاطاحة فقال كان مشهورا بالعدل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الأمراء والمخاض الجمهور به مقتضى ذلك ذابلاغة وفصاحة إلى أبعاد مضمار ولي قضاء اشيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلاوم ميورقة قطا هرا بالعدل وعرف بما بطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبيا لأهل البدع والاهواء ابرع الخط حسن التقيد إلى غير ذلك ثم ولي الناصر على ميورقة عمه السيد أبو زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة الصر وبعد السيد أبي زيد وليها السيد أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ثم أبو يحيى بن علي بن أبي عمر الله التيفلحي ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمئة وكان الحادث بها عظيما

ثورة ابن الفرس وما كان من أمره

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمرح وحضر مجلس يعقوب المنصور في بعض الأيام وتكلم بما خشي عاقبته في عقده فخرج من المجلس واختفى مدة ثم بعد مهلك المنصور ظهر في بلاد جزولة واتصل الامامة وادعى انه القبطاني المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوه الساعة حتى يخرج رجل من قبطان يسوق الناس بعصا لا هاء ولا تا هاء لا تأملت جور الحديث وكان مما نسب إليه من الشعر قوله

قولا لابناء عبد المؤمن بن علي * تاهبوا الوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قطان وعالمها • ومنتهى القول والدلائل
والناس طوع وعصاه وهو سائقهم • بالامر والنهي بمر العلم والعمل
وبادروا أمره • فاقه ناصر • والله خادع أهل الزينج والميل

فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه وقتل وسبق رأسه إلى مرا كش فنصب بها وسكنت الفتنة وقد ناز
أيضا في سنة ست مائة رجل من آل البيت من العبيدين واسمه محمد بن عبد الله بن العاصد وهذا العاصد
هو آخر خلفاء الشيعة بمصر فثار حاقده محمد بن عبد الله المذكور بجبال وورقة من أحوال فاس فطفر به
وقتل وعلق رأسه بباب النبربعة أحد أبواب فاس وأحرق جسده في وسط الباب المذكور وكان ذلك
في اليوم الذي كمل فيه بناء سور فاس وبناء الباب المذكور وركبت مصارعه فمضى الباب المحروق
بعد أن كان يسمى باب النبربعة ثم في سنة عشر ومائة ثار وهذا الحرق بجبال غارة وأدعى أنه
الفاطمي ونابعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية فبعث إليه الناصر جيشا فطفر به وقتل وفي سنة
احدى وست مائة بنى عامل الراف من قبل الناصر واسمه بعيش سور بادي وبلدية وعلمية حاطة
وتحصن بها من فجأة العدو وفي سنة أربع ومائة أمر الناصر بفتح مدينة وجدة واصلها ففتح
في ذلك في فاتح رجب من السنة المذكورة وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دلو الوضوء والسقاية بازاء جامع
الاندلس بفاص فبنيت وجلب إليها الماسن العيين التي خارج باب الحديد وأمر ببناء الباب الكبير
المدرج الذي يحصن الجامع المذكور واتفق في ذلك كاه من بيت المال وفيها أيضا أمر ببناء مصلى
القرويين وأمر أن يوصل إلى مصلى الاندلس فأقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين
ثم عادوا يصلون بالاندلس والقرويين معا كما كانوا أولا بعد أن شهد أنهم قديعة وفي سؤال من السنة
المذكورة نهض الناصر من فاس إلى مرا كش فأقام بها إلى أن كثر ما ذكره

السبب في تسمية باب
الحروق

بغزوة العقاب التي حصن الله فيها المسلمين

ثم انصلت الاخبار بالناصر وهو عرا كش أن الغنص لعنه الله قد استطال على تغور المسلمين بالاندلس
وأنه يغير على قراها وينهب الأموال ويسبي النساء والذرية فأهمه ذلك وألقاه وكتب إلى الشيخ أبي محمد
عبد الواد أحد بني حنظل صاحب الفريقية يستشير في الغزو فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد
وسكن الناصر مجاهداً بيه مستبداً بأمره ففرق الأموال على القواد والجناد وكتب إلى جميع بلاد
الفريقية والمغرب وبلاد القبيلة يستغفر المسلمين لغزو الكفار فأجابهم خلق كثير وأزم كل قبيلة من قبائل
العرب بمجموعة من الخيل والرجل تخرج للجهاد فقدمت عليه الجيوش من سائر الأقطار وتصارع الناس
إليه خفاً وقهاً من البوادي والأمصار فلما اكملت لديه الحشود وتوافيت بمحضرة الجنود خرج
من مرا كش في تسع عشر شعبان سنة سبع ومائة فأنهى إلى قصر الحجاز فأقام به وشرع في إجازة
الجيوش من أوائل شوال إلى أوائل ذي القعدة من السنة المذكورة ثم عبر في آخرهم واحتل بطريق يوم
الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة المذكور وقتلناه هنالك قواد الاندلس وفيها وهاور وماؤها
وأقام بطريق فلما نهم من إلى أشبيلية في أم لا تهي وجيوش لا تستقصى قدماء السهل والوعر
فحكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب أنه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب
والاندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر رجح الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده وأيقن بالنظر
فقسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناته وسنجاه والمصامدة وغلمة وصائر أصناف قبائل
المغرب فرقة وجعل المتطوعة فرقة وجعل جنود الاندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة أن تنزل
ناحية واهترت جميع بلاد المغرب لجوازهم وتمكن رعيه من قلوبهم فأخذوا في تحصين بلادهم وأخلاء
ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم وكتب إليه أكثر أمرهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو

ووقد عليه منهم ملك يبنلونة مستعلا خاضعاً طال الصلح فيقال انه قد تم بين يديه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به وقد كان هذا الكتاب وقع اليه ورائته من بعض سلفه فاحتفل الناصر لقدمه وصفه الجيوش من باب مدينة قرمونة الى باب اشيلية أربعين ميلاً ثم عقد له الصلح ما دامت دولة الموحدين وصرفه الى بلاده مكرماً مصعفاً بجميع مطالبه ^ووعند ابن خلدون في ان الذي وقده على الناصر في هذه الغزوة هو البيبوح أحد الملوك الثلاثة الذين شهدوا وقعة الارك قال وهو الذي مكر بالناصر يوم المسقاب قدم عليه وأظهر له التسريح وبذل له أموالاً ثم غدر به وجعل عليه الخزينة والله أعلم ثم خرج الناصر من اشيلية غازياً بلاد قشتالة في أوائل صفر سنة ثمان وستمائة فصار حتى نزل حصن سلطيرة وهو حصن منيع وضع على قمة جبل وقد تعلق بكافى الصحاب ليس له مسلك الا من طريق واحد في مضائق وأوعار فقتل عليه الناصر وأدار به الجيوش ونصب عليه أربعين مخبئاً فهاهنا رايضه ولم يقدر منه على شيء قالوا وكان وزيره أبو سعيد بن جامع قد تمكن من الناصر فأقصى شيوخ الموحدين وأعيانهم وذوى الحسنة والراى منهم عن بساطه وانفرد هو به فكان يشير على الناصر في غزوه هذه بأراء كانت سبب الضعف والوهن وجلبت النكرة على المسلمين من ذلك ان الناصر لما أعياه أمر الحصن عزم على النهوض عنه الى غيره فأشار عليه ابن جامع بان لا يتجاوز حتى يفتح فيقال انه أقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر فنبذ فيها زوائد الناس وقلت علو طاهم ونفذت نفقاتهم وكلفت عزائمهم وفسدت نياتهم وانقطعت الامداد عن الحملة فقلت بها الاسعار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد وأصاب المسلمين كل ضرر ويقال انه من طول مقام الناصر على ذلك الحصن عشن خطاف في جانب خبائه وباض وأفرخ وطارت فراخه وهو مقيم على حاله واتصل بالقتل لعنه الله ما آل اليه أمر المسلمين من الضجر وقلة المادة ونشوش البواطن واختلاف الراى فاعتصم الفرصة وبعت الحاشرين في مدائنه ودعا كل من قدور على حمل السلاح من رعيته فاجتمع له من ذلك ما لا يحصر له ثم خالف الناصر الى قلعة رباح فنزل لها وبها يومئذ أبو الحجاج يوسف بن قادس من قواد الاندلس وزعمائها كان قد ترتب في ذلك الحصن في جماعة من الخيل لجانبه وضبطه فحاصره الفتنس وبالغ في التضيق عليه فكان ابن قادس يكتب لامير المؤمنين الناصر يعظه بجماله ويستعده على عدوه وهو على حصن سلطيرة فكان الوزير ابن جامع اذا وصلت اليه كتب ابن قادس انخفاها عن الناصر لئلا يرجع عن الحصن قبل فتحه فلما طال الحصار على ابن قادس وفي ما عنده من الاقوات والذخائر والاحوش من امداد الناصر اياه ونحش على من في الحصن من النساء والذرية صالح الفتنس على تسليم الحصن له وخروج المسلمين آمنين على أنفسهم ففعل واستولى الفتنس على قلعة رباح وسار ابن قادس الى الناصر ليجمع به ويعلمه بالامر على وجهه وسار معه صهره بعد ان عزم ابن قادس عليه أن يرجع فأبى وقال ان قتلت قتلت معك ولما وصل الى الوزير ابن جامع أمر بحبس صهره وحبس صهره معه ثم دخل على الناصر فقال له ان ابن قادس قد دفع الحصن الى العدو ثم قدم عليك وأراد الدخول عليك وكان الناصر قد تغير باطنه على أهل الاندلس واتهمهم بكتيمان أمر العدو عنه حين كان بجرا كثر فلما قدم ابن قادس في هذه المرة وقال له ابن جامع ما قال أمر بقتله فقتل هو وصهره فقصع بالراح رحمه الله فخذت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر وأحسن ابن جامع بذلك فأمر باحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال اعتبروا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبئالا واستنظر بعد هذا في أمر كل فاجر ولما علم الناصر بحال الفتنس وما هو عليه من القوة وكثرة الجوع واستيلائه على قلعة رباح التي هي أمنع نفور المسلمين شق ذلك عليه وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ثم شدد في قتال سلطيرة وبذل الاموال الجارية حتى قصها صلحا وذلك في أوخر ذى الحجة من سنة ثمان وستمائة ثم زحف الفتنس الى

الناصر ونهض الناصر اليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان فضرب المصافق وضرب الناصر قبة الجراء المعذبة للقتال على رأسه بربة وقد أمامها على درقته وفرسه قائم بإزاءه دارت العبيد بالقبعة من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقت الساعات والبنود الطويل أمام البصير مع الوزير ابن جامع وأقبلت جوع الفرغ على مصافحها كأنها الجراد المنتشر فتقدمت اليهم المتطوعة وجاوا عليهم أجمعون وكانوا مائة وستين ألفا فغاصوا في صفوفهم وانطبقت عليهم جوع الفرغ فاقتتلوا قتلة لا شديدا فاستشهد المتطوعة عن آخرهم هذاوعساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم لم يتحرك اليهم منهم أحد ولمافرغ الفرغ من المتطوعة جاوا باجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكزة فلما انتشب القتال بين الفريقين خرت قواد الاندلس وجبونها لما كانوا قد حقه دمه على ابن جامع في قتل ابن قادس أولا وتهديدهم وطرده لهم ثانيا فجزوا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله وتبعهم قبائل البربر والموحدون والعرب وركبتهم الفرغ بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا الى الدائرة التي دارت عليه من العبيد والحشم فالقوها كالبنيان المرصوص لم يقدر وامنوا على شيء ودفع الفرغ بتبليهم المدرعة على رماح العبيد وهى مشرعة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درقته أمام خبائه يقول صدق الرحمن وكذب الشيطان حتى كادت الفرغ تصل اليه وحتى قتل حوله من عبيد الدائرة نحو عشرة آلاف ثم أقبل اليه بعض فرسان العرب على فرس له أنثى فقال له الى متى قومك يا أمير المؤمنين وقد نفذ حكم الله وتم أمره وفي السلون فمضت ذلك قام الناصر الى جواده سابق كان أمامه فأراد أن يركبه فترجل العربي عن فرسه وقال له اركب هذه الحرة فانها لا ترضى بعار قلل الله بضيحك عليها فان في سلامة لك الخبير كله فركبها الناصر وركب العربي جواده وتقدم أمامه في كبكة عظيمة من العبيد يحيط بهم والفرغ في أعقابهم يقتلهم ونادى منادى النفس يومئذ الا لأسر الا القتل ومن أتى بأسير قتل هو وأسيره فحكمت سيوف الفرغ في المسلمين الى الليل وكانت هذه الرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة تسع وستمائة فذهبت قوة المسلمين بالغرب والاندلس من يومئذ ولم تنصر لهم بعدها راية مع الفرغ الى ان تدارك الله رمى الاندلس بالسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المغربي وجه الله كما ستقص خبر ذلك مستوفى عند الوصول اليه ان شاء الله **وقال ابن الخطيب** لما لحق الناصر بأشبيلية جل السيف على طاعة كبيرة ممن توجهت اليهم الظنة **وقال ابن خلدون** ثم رجعت الفرغ الى الاندلس بعد الكاتبة للاغارة على بلاد المسلمين فلقبهم السيد أبو زكريا بن أبي حفص بن عبد المؤمن قريمان اشبيلية فهزمهم واتعش المسلمون بهم واتصلت الحال على ذلك

﴿وفاة الناصر رحمه الله﴾

وقال ابن أبي زرع لما قدم الناصر الى مراکش منصرفا من وقعة العقاب أخذ البيعة لولده يوسف الملقب بالمتنصر فبايعه كافة الموحدين وخطب له على جميع منابر المغرب والاندلس في العشر الاواخر من ذي الحجة سنة تسع وستمائة ولما تمت له البيعة دخل الناصر قصره واحتجب فيه عن الناس وانغمس في لذاته مصططعا ومغميا الى شعبان من سنة عشر وستمائة فمات مسموما بدمه ووزرائه عليه في ذلك قال وكانت وفاته يوم الأربعاء الحادي عشر من شعبان المذكور **وقال ابن خلدون** تقول الغاربة ان الناصر رحمه الله كان قد أوصى الى عبيده المشتغلين بحراسة بيستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد ان يختبر قدر أمره عندهم فتكر وجعل يمشى في البيستان ليلا فعند ما راوه جعلوا يرمونه بالراحهم فجعل يقول أنا الخليفة أنا الخليفة فما تصفوه حتى فرغوا منه والله أعلم بحصة ذلك **وقالت** الصحيف في وفاة الناصر ما ذكره الوزير ابن الخطيب في رقم الحل قال ثم صرف الناصر وجهه الى غزو الاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ولما احذر باط الغنم من سلازل به

الموت فتوفي ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فأنحل العزم وتفرقت الجموع والبقاء لله وحده

في الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله ابن الناصر بن المنصور وجه الله

ما هلك محمد الناصر لدين الله بوع ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وهو ابن ست عشرة سنة وألقب بالمنتصر بالله وغلب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع ومشيخة الموحدون فقاموا بأمره واستبدوا عليه وتأنخت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص من أفريقية لصفر من المنتصر ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيعة حينئذ واشتغل المنتصر عن تدبير الأمور والجهاد بما يقتضيه الشباب وعقد للسادات على عمالات ملكه فعدل السيد أبي إبراهيم اصمق بن يوسف بن عبد المومن وبلقب بالنظار على فاس وأعمالها وهو أخو المنصور والد عمر المرتضى الآتي ذكره وعقد لعنه السيد أبي اصمق بن المنصور على أشيلية وما أضيف إليها ولعمه أبي عبد الله محمد بن المنصور على بالنسية وشاطبة وأعمالها ولعمه أبي محمد عبد الله بن المنصور على مرسية ودانيق وأعمالها وبعث معه الشيخ أبا زيد بن برجان وكان من أشياخ الموحدين ودهاتهم وفي دولة المنتصر هذا ففشل أمر الموحدين وذهب تدرجهم وأشرفت دولتهم على الهرموس - تنولى الفئس على المعامل التي أخذها المسلمون وهزم حامية الأندلس في كل جهة واعتسدت السادة الأطراف والتأنت الأمور بالأندلس والمغرب أجمع أما الأندلس فبتكالب العدو عليها وقتلها جاتها وأما المغرب فبغلاء كثير من قراء وأمهارة من وقعة العقاب ثم ظهرت بنو مرين بجهة فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة وكانوا موطنين بعصاه فيبيع وماوالاها فاقصموا المغرب في هذه السنين لخلاؤه من الحامية واكتسوا بساطته بالقرارات وانحازت رعاياه إلى المعامل والحصون وكثرت الشكايات بهم إلى المنتصر وهو مقيم بمراكش فكتب إلى السيد أبي إبراهيم صاحب فاس يأمره بغزوهم فخرج إليهم وهم يبالد لا ريف فاقصوا بوقعة شعاء كانت بأكورة فقتلهم وعاد السيد فلولوا إلى فاس وأصحابه عراة بين يديه يجمعون عليهم من ورق النبات المعروف بالمشعلة فسميت السنة سنة المشعلة وكانوا قد أسروا السيد أبا إبراهيم ثم عرفوه فاطلقوه ثم صمدت بنو مرين بعدهم إلى تازا فغلبوا حاميةها وعظمت شوكتهم بالمغرب على ما ذكره بعده إن شاء الله (وفي سنة أربع عشرة وستمائة) هزم المسلمون بقصر أبي دانس من الأندلس وهي من المزارم الجكار التي تقرب من هزيمة العقاب لأن العدو كان قد نزل قصر أبي دانس وحاصره فخرج إليه جيش أشيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الأندلس لاستغاثة قصر أبي دانس وكان ذلك بأمر المنتصر فساروا بنو مرين العدو فلم تقع عندهم على عينه الا وقد خامر قلوب المسلمين الرعب وولوا الأديار لما كان قد سرخ في نفوسهم من بأسه يوم العقاب فتكالب العدو بعده على المسلمين وغرس بهم وهان عليه أمرهم وخشعت نفوسهم له ولما فروا منه في هذه الخرجة ركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ورجع الفئس إلى قصر أبي دانس فحاصره حتى اقتحمه عنوة وقتل جميع من به من المسلمين في يومئذ سنة ثمان عشرة وستمائة في توفي صاحب أفريقية الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص فبايع الموحدون بأفريقية ابنه أبا زيد عبد الرحمن فقام بالأمروا لطفاً للنائرة وأفاض العطايا ومهد النواحي ورتب الأمور حتى ورد كتاب المنتصر من مراكش لثلاثة أشهر من ولايته بتأخيره وتولية السيد أبي العلا الألكبر مكانه وهو أدريس بن يوسف بن عبد المومن فقدم أفريقية في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة ووالى المزارم على ابن غانية النائر بأفريقية حتى شرده إلى العصراء وأبو العلا هذا هو الذي بنى البرجين اللذين على باب المهدية وحدهما وهو الذي بنى برج الذهب بأشيلية أيام ولايته عليه في دولة أبيه وأقام أبو العلا بأفريقية إلى أن توفي بتونس منها في شعبان سنة عشر وستمائة واستولى على أفريقية بعده ابنه أبو زيد بن إدريس وسادت سيرته في الناس وأقام على ذلك إلى دولة العادل عبد الله بن المنصور صاحب

مرا كس فخره وولى مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى
ابن عبد الواحد بن أبي حفص وتداول ملك إفريقية بنوه من بعده واستبدوا بها واقطعوا بها عن نظري
عبد المؤمن أصحاب مرا كس فلم تعد اليه سمع بعد وأما يوسف المنتصر فاته استقر مقبلا على كس على لذاته
الى ان توفي وكان من خبر وفاته انه كان مولعا باخذ الحيوان واستنتاجه فكان يؤتى اليه باصناف البقر
من الاندلس فيرسلها في بستانه الكبير من حضرة مرا كس ويجعل بعضها على بعض للتناسل فخرج
ذات يوم للتطوق على تلك البقر والنظر اليها فتوسط قطيعا منها وقد ركب قنسيا فانكرته بقره شرود
كانت في ذلك القطيع فطعنته في صدره طعنة أتت عليه من حينه وذلك في عشي يوم السبت الثاني عشر
من ذي الحجة سنة عشرين وسبعمائة ولم يخلف الاحلام جارية له **وقال ابن خلكان** لم يكن في بني
عبد المؤمن أحسن وجهاً من المنتصر ولا أبلغ في الخطابة الا انه كان مشغولاً برأيه فإبرح عن حضرته
فصفت الدولة في أيامه والله تعالى أعلم

في الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد الخلع بن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله

لما هلك المنتصر في التاريخ المتقدم اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا السيد أبي محمد عبد الواحد
ابن يوسف وهو أخو المنصور **وقال ابن الأثير** في ذكره على كره منه بقية المنصور من قسبة مرا كس
وهو يومئذ في سن الشيخوخة وكان عالماً فاضلاً متورعاً فاستقام له الامر نحو شهرين وخطب له
في جميع أهمل الموحدون ما عدا امرسية فان ابن أخيه السيد أبي محمد عبد الله بن المنصور والمقبى بالعدل
كان والياً عليها وكان وزيرها الشيخ أبازيد بن رجان المعروف بالأصفر وكان من دهاة الموحدون وكان
المنصور رحمه الله اذا أراد به تعيينه من شره ويقول ما ذا يجري على يدك من الفتى الأصفر وكان
من خبره انه لما بويع الخلع أمر باطلاق ابن رجان لانه كان محبوباً على ما عدا ابن خلدون فاطلق
ثم صده ابن جامع عن ذلك وأخذ أخاه أبا اسحق في الأسطول ليخربه الى ميورقة فلاذ ابن رجان حينئذ
بعبد الله بن المنصور صاحب امرسية ونزل منه منزلة الوزير وأغراه بالتوسل على الامر وشهد له انه سمع
من المنصور رحمه الله العهدة بخلافه من بعد الناصر وقال له فيما قال أنك أحق بالخلافة من عبد الواحد
أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ولك الرأي وحسن السياسة والحزم ولودعوت الموحدون
الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان وكان الناس على كره من ابن جامع وولادة الاندلس يومئذ كلهم بنو
المنصور فاضى اليه عبد الله هذا وكان متردداً في بيعته فمعه فبرز الى مجلس حكمه واستدعى من امرسية
وأعماله من الموحدون والفقهاء والأشياخ فدعاهم الى بيعته فبايعوه ونسبوا بالعدل وكان اخوته أبو
العلاء الأصغر صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا وكان
أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقدره الخلع
بسمه أبي الربيع بن أبي حفص فانتقض وبايع للعدل وزحف مع أبي العلاء صاحب قرطبة وهو أخو
العدل الى أشبيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور الخلع فدخل في دعوتهم وامتنع السيد أبو زيد
ابن أبي عبد الله أخو البياسي عن بيعته للعدل ونسب بطاعة الخلع ونزع العدل من امرسية الى أشبيلية
فدخلها مع أبي زيد بن رجان وبلغ الخبر الى مرا كس فاختلف الموحدون على الخلع وبادروا بعزل
ابن جامع وتفرسبه الى هسكورة لكرههم له وجرت خطوط أفضت الى خلع عبد الواحد وقتله **وقوفي**
القرطاس ان عبد الله العادل كتب الى أشياخ الموحدون الذين بمحضرة مرا كس يدعوهم الى بيعته
وخلع عبد الواحد وعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجليلة فمقتسروا
الى ذلك ودخلوا على عبد الواحد ثم قدوه بالقتل الا ان يخلع نفسه وبايع للعدل فاجابهم الى ذلك
فخرجوا عنه ووكلا بالقصر من يحفظه وكان ذلك يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان سنة احدى

وعشرين وسقانة فلما كان يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصير وأحضروا القاضي والفقهاء
والاشياخ فاستهد على نفسه بالخلع وبابيع العادل ثم دخلوا عليه بعد مضي ثلاث عشرة ليلة من خلعه
لخفقوه حتى ماتوا تهبوا قصيره واستولوا على أمواله وحرجه فكان عبد الواحد هذا أول من خلع وقتل
من بني عبد المؤمن وصلوا أشياخ الموحدين خلفائهم كالإمام أبي العباس فكان فعلهم ذلك سبب الذهاب
ملكهم وانقراض دولتهم والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وكانت وفاة عبد الواحد
المخلوع خامس رمضان المعظم سنة إحدى وعشرين وسقانة

في الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل بن المنصور رحمه الله

وبيع له البيعة الأولى بمرسية من بلاد الأندلس منتصف صفر سنة إحدى وعشرين وسقانة وتلقب
بالعادل في أحكام الله ثم خلص له الأمر وباعه كافة الموحدين وخطب له بضرورة مرا كش أو آخر شعبان
من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد أبو زيد بن أبي عبد الله أخو الياسي كما ذكرنا أنفلو كان
والي على طنسية وشاطبة ودائنة ولم أرأى السيد أبو محمد الياسي أخاه السيد أبو زيد توقف عن بيعته
العادل وضبط بلاده نار هو ببيعة وما انتصاف اليها من قرطبة وجيان وقيباطة وحصون النغر الأوسط
وتلقب بالطاهر واتحاد الياسي لقيامه من بيعة فوصلت بيعة الموحدين من مرا كش إلى العادل
ومعها كتاب أبي بكر يحيى بن الشهيد شيخ هنتانة بقصة المخلوع وما كان من أمره فصادف وصولها
هيجان هذه الفتنة فشغل العادل بها عن مرا كش وبعث أخاه السيد أبو العلاء الأصغر وهو أدرس
ابن المنصور في جيش كثيف إلى الياسي لمحاصره ببيعة ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والالتحاق
وبابيع للعادل حتى إذا أفرج عنه أبو العلاء عاد إلى النكت وبعث إلى الفتن يستنصره على العادل وضمن
له أن ينزل له عن ببيعة وقيباطة فكان أول من سبغ إعطاء الحصون والبلاد للفرنج فوجه إليه الفتن
بجيش من عشرين ألفا ولما وافق لديه جوع الفرنج غرض من قرطبة يريد أشبيلية حتى إذا دامها نخرج
إليه السيد أبو العلاء الأصغر وهو الذي دعى بعد المأمون فالتقوا وأقتلوا أشبيلية فانهزم السيد
أبو العلاء واستولى الياسي والفرنج على مملكته بما فيها من أناث وسلاح ودواب وغير ذلك ولم أرأى
العادل ما وقع بأخيه وحده حتى أن يتفاقم داء الياسي ويمتد عذاب قتله إلى مرا كش فتركه أخاه
أبو العلاء قبالة وعبر البحر إلى العدو ولما احتل بقصر المجاز دخل عليه عبيد الله بن عبد الواحد بن أبي
حفس المدعو بعبو افتال له العادل كيف حاله فأنشده

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان إلى منها نائبا

فاستحسن ذلك منه وولاه أفرقية وهذا البيت لابي الطيب المتني وانما تمثل به عبو الموافقة اسم
منصور فيه لاسم والد العادل فحسن التمثيل به وانتهى العادل في سيره إلى سلا فاقام بها وبعث عن شيوخ
جسم عرب تامسنا وكان لابن برجان غناية واختصاص بهلال بن جيدان أمير الخلط فتناقل جومون
ابن عيسى أمير سفيان عن الوصول إلى العادل ثم بادر العادل إلى مرا كش وقاسى في طريقه اليها من
العرب شدا ثم دخلها واستوزر أبو زيد بن عبد الواحد بن أبي حفص وتغير لابن برجان نفسه سدا بطنه
وسعى في إفساد الدولة وغلب أبو زيد بن أبي العادل في شيوخ هنتانة يوسف بن علي شيخ نيفل على أمر العادل
ثم خالفت عليه عرب الخلط وهسكورة وعاتوا في نواحي مرا كش وغربوا بلاد دكالة فخرج اليهم
ابن برجان فلم يبق شيئا فأنفذ اليهم العادل عسكر من الموحدين لتظفر إبراهيم بن اسمعيل ابن الشيخ
أبي حفص فانهزم وقتل واضطربت الأحوال على العادل ونزع ابن الشهيد يوسف بن علي إلى قبائلهما
للمسد ومداومة هسكورة والعرب فاتفقا أيضا على خلع العادل واضطربت الأمور ولم ينتهي إلى أبي
العلاء صاحب الأندلس خبر أخيه العادل بمرا كش وما هو فيه من الاضطراب دعاه نفسه بأشبيلية

فبيع بها وأجابها أكثر أهل الأندلس وتلقب بالأمون وبيع له السيد أبو زيد صاحب بلنسية وهو أخو
البياسي وكان ذلك في أوائل شتال سنة أربع وعشرين وستمائة ولما كتب بيعته كتب إلى الموحد بن الدين
عمر أكنش يدعوهم إلى بيعته ويعلمهم باجتماع أهل الأندلس والموحدين الذين بها عليه وعدهم في ذلك
ومناهم فكان منهم بعض توقف ثم أجمع رأيهم على مبايعته وخلع أخيه العادل فدخلوا عليه قهراً
وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ودسوا رأسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له لا تخافك
أو تشهد على نفسك بالخلع فقال اصنعوا ما بدا لكم والله لا أموت إلا أمير المؤمنين فوضعوا أعمامته في عنقه
وخنقوه ورأسه في الخصة حتى فظ وكان خيراً فاضل لارجه الله وكانت وفاته في الحادي والعشرين
من شتال سنة أربع وعشرين وستمائة وكتبوا ببيعته إلى أبي العلاء المأمون وبعثوا إليه مع البريد
ثم بداهم في بيعه المأمون بعد انفصال البريد عنهم فنكثوه وهاو يبيعوا يحيى بن الناصر بن المنصور
واضطربت الأحوال بالمغرب والأندلس وطما عياب الفتن بها وكان ما ذكره

في الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ورضاه يحيى بن الناصر له

كان المأمون وهو أبو العلاء أدريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتفاض الموحد بن العرب بالحضرة
على أخيه وتلاشي أمره دعا لنفسه بأشبيلية وبايعه أهل الأندلس والموحدين بالحضرة كما قلنا
ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة ندم الموحدون على ذلك لما يعلمون من شهامته وصرامته وتخلقه
بأخلاق الخلق بن يوسف وتوقفوا أن يأخذهم يدهم معه عبد الواحد الخلويع ثم أخيه عبد الله العادل فاتفق
رأيهم على مبايعة يحيى بن الناصر بن المنصور وهو شاب غر كبا قبل عذاره وانما وقع اختيارهم عليه ليكون
أطوع لهم فإن سنة يومئذ كانت ست عشرة سنة فبايعوه بجماع المنصور من قصة مراكنش بعد صلاة
المصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شتال سنة أربع وعشرين وستمائة وامتنع عرب الخلط
وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا قد بايعنا المأمون فلا نكث بيعته وتأخر قدم المأمون إلى مراكنش
وبقي بالأندلس لأسباب يأتي شرحها وأقام يحيى بمراكش واستتب أمره بها بعض الشيء وجهز جيشاً
من الموحد بن الجند إلى قتال الخلط وهسكورة وهم يومئذ طاعة المأمون فانهزم جيش يحيى وقتل
منه خلق كثير وعاد مغالوا إلى مراكنش ثم أطلع يحيى على مداخلة أبي زيد بن رجان للعرب وهسكورة
في الغارة على مراكنش وأطلع على ذلك أيضاً أبو زكريا يحيى بن الشهيد قاتل أبي زيد بن رجان وابنه عبد
الله ونصب رؤسهم على باب الكحل وطوق أجسادهم بأسواق المدينة ثم اضطربت الأحوال على يحيى
وانتقضت البلاد وغلت الأسعار وعم الخراب والفساد بالبلاد المغرب واستحوذ بنو مرين على ضواحيه
وضايق الموحد بن في كثير من أمصاره واقتضوا جبايته ونبت الثوار في الأقطار على ما ذكره

في ثورة محمد بن أبي الطواحين السكالي بجبال غماره

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة ثار بجبال غماره محمد بن أبي الطواحين السكالي المتبني وكان أبوه
من قصر كتامة مقبضاً عن الناس وكان يتفصل صناعة الكيمياء فكان يلقب بأبي الطواحين لكثرته
الطروفي التي كان يستعملها في ذلك برهه وتلق ذلك عنه ابنه محمد هذا ثم ارتحل إلى سنة وزل على بني
سعيد باحو لرها وادعى صناعة الكيمياء فقبه الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعاً من
الشعوذة فكثر تابعوه ثم أطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهداً وزحفوا إليه عساكر سنة ففتر عنهم ثم قتله
بعض البرابرة غيلة بوادي لاو بين بلاد بني سعيد وبلاد بني زيات وابن أبي الطواحين هذا هو الذي
تسبب في قتل الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه على ما ذكره بعد أن شاء الله

في أخبار الثوار بالأندلس وما آل إليه أمر الموحد بن بها

لما ضاع أمر الموحد بن بالمغرب وكثرت الفتن في أقطاره ونواحيه وانتزى السادة منهم بنواحي الاندلس كل في عمله واستطهر كل واحد منهم على أمره بالمناغية وتزاوله عن كثير من الحصون فسدت من أجل ذلك ضماير أهل الاندلس عليهم موصدة للثورة على الموحد بن محمد بن يوسف بن هود من أعقاب بني هود الجذامين ملوك الطوائف بسرقطة وكان يؤتمر لماور بما استخذه الموحدون لذلك مرات فخرج في نفر من الاجناد خمسة وخمسين وسقانة وجهز اليه والى مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن عسكريا فبرزهم وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد وفي ذلك يقول ابن الخطيب في وقم الحل عند ذكره لبني هود هؤلاء وكان من أعقاب الامير * محمد بن يوسف الاخضر

وكان بالاسلا شديد البأس * وبايع المستنصر العباسي

ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وهو أخو الياسي المتقدم ذكره من شاطبة وكان واليا بها كما مر فبرزه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاب بالمأمون وهو يومئذ باشيلية فخرج في العساكر ولقبه ابن هود فانهم زموه المأمون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت عليه فاقطع عنه ورجع الى اشبيلية ثم انتفض على السيد أبي زيد بنفسه زيان بن أبي الجلات مدافع بن أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيس وخرج عنه الى أبدة وذلك سنة ست وعشرين وسقانة وكان بنو مردنيس هؤلاء أهل عصابة وأولى بأس وقوة فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث اليه لاطفئه في الرجوع فآبى فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية واما بالله وبايع أهل شاطبة لابن هود ثم تابعت بلاد الاندلس على بيعته ودخل في طاعته أهل قرطبة واشبيلية بعد رحيل المأمون عنهم الى مراکش ولم يبق للموحد بن بال اندلس سلطان ثم في سنة ثمان وعشرين وسقانة تار محمد ابن يوسف بن نصر المصرفي بان الاحمر بمصر من ارجونة من أعمال قرطبة ودعا لابن كبريا الحفصي صاحب افريقية ثم دخل في طاعته أهل قرطبة وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذا حبيل الملك بها وكانت خطوب باستمولى الطاغية فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك وأورثه بنيه من بعده والله غالب على أمره

وقد قدم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الاندلس الى مراکش وما اتفق له في ذلك

قد تقدم لنا ان الموحد بن مراکش خنقوا العادل وبايعوا أخاه المأمون وبعد انفصال البريد بالبيعة ندموا وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر فوصلت بيعة الموحد بن الى المأمون وهو يومئذ باشيلية فسر بها وأمر باقراشها على منابر الاندلس ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراکش دار ملكهم فسار حتى اذ وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبير ان الموحد بن قد تكتوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيى فوجم لذلك وأطرق مليا ثم أنشد مقتلا يقول حسان رضي الله عنه

لتسمن وشيكافي ديارهم * الله أكبر يا نارات عثمانا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحد بن ويسأله أن يبعثه جيشا من الفرنج يجوز هم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحد بن فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون محاذي بلاده يختارها هو وأن يبنى مراکش اذا دخل الجيش النصراني الذين معه كنيسة يظهرهم بها دينهم ويضربون فيها فاقبضهم لمواضعهم وان من أسلم منهم لا يقبل منه اسلامه ويرد الى اخواته فيحكرون فيه باحكامهم الى غير ذلك فاستنصره المأمون في جميع ما طلب منه وكان يحيى بن الناصر صاحب مراکش لما رأى اختلال أحوالها كما قلنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون خرج فار بنفسه الى تينال وكان ذلك في جادى الاخرة سنة ست وعشرين وسقانة ولما فرغ يحيى من الحضرة قدم أشياء

الموحدين الذين جعلوا ياضبطها المأمون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى الى الجبل ويرغبون اليه في القدوم عليهم وكتب اليه أيضا هلال بن جيدان أمير الخلط واشترى يحيى مقعدهما بالجبل أربعة أشهر ثم بدله فعاد الى مراکش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون به واسفر بها نحو سبعة أيام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به وأقام منتظرا القدوم للمأمون ودفاعه عن مراکش ثم بعث صاحب قسنطينة الى المأمون جيشا من اثني عشر ألفا برسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروا المتقدمة وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة من السنة المذكورة وهو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها فأراح سبتة أياما ثم نهض الى مراکش حتى اذا دن منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين وذلك عشي يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الداخلة فانهزم يحيى وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المأمون حضرة مراکش وبايعه الموحدون وصعد المنبر بجامع المتصور وكان علامة أديبا يلبغ غلب الناس ولحن المهدي على المنبر وقال لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالقوي المذموم الآلامهدي الاعيسى وانا قد نبذنا امره النفس ولما انتهى الى آخر خطبته قال معشر الموحدين لا تظنوا اني أنا الدريس الذي تدوس دولتك على يده كلارائه سيأتي بعدى ان شاء الله ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد يدعو اسم المهدي من السكة والخطبة وتغيير سننه التي ابتدعها للموحدين وجرى عليها سلفهم ونفى عليه التذلل والصلاة بالغة البربرية وزيادته في أذان الصبح أصبح ولله الحمد غير ذلك من السفن التي اختص بها المهدي وأمر بتدوير الدراهم التي ضربها المهدي مربعة وقال كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو يدعوه ولا سبيل الى ابتعاده وأبدى في ذلك وأعاد ثم دخل قصره فاختبئ عن الناس ثلاثا ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه فقال لهم يا معشر الموحدين انكم قد اظهرتم علينا العناد واكثرتم في الارض الفساد ونقضتم العهود وبذلتم في حربنا الجهود وقتلتم الأخوان والاعمام ولم ترقبوا فيهم الا ولا ذمام ثم أخرج كتاب يعينهم الذي بعثوا به اليه واحتج عليهم بكتبتهم الذي نكثوا بعده فقامت الحجة عليهم فنهضوا وسطا في أيديهم والتفت الى قاضيه المكسدي وكان بلاؤه قد قدم معه من اشيلية فقال له ماترى أيم القاضي في أمر هؤلاء الناكثين فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول ومن نكث فاعيا نكث على نفسه الآية فقال المأمون صدق الله العظيم فانا نكث فيهم بحكم الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ثم أمر بجميع أشياخ الموحدين وأشرافهم فمحبوا الى مصارعهم وقتلوا من عند أخواتهم ولم يبق على كبرهم ولا صغيرهم حتى انه أتى بابن أخته صغيره فقال ان سنه كان ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن فلما قدم للقتل قال له يا أمير المؤمنين اعف عني اثلاث قال ما هن قال صغرتني وقرب رجعي وخطئي لكتاب الله العزيز فيقال ان المأمون نظر الى القاضي كالمستشير وقتل له كيف ترى قوة جاش هذا الذلام واقدمه على الكلام في هذا المقام فقال القاضي يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضاولوا عبادك ولا يلدوا الا فظرا كفرا فأمر به فقتل رحمه الله ثم أمر بالروس فعلق بدائر سور المدينة (ذكر ابن أبي زرع) انها كانت تبنى على أربعة آلاف رأس وكان الزمان زمان قيفا ففتنتهم المدينة وتآذى الناس برحمتها فرجع اليه ذلك فقال ان ههنا مجانبين وان تلك الروس حروزلهم لا يصلح حاكم الا بها وانها العطرة عند المحبين وثقة عند البغضين ثم انشد

أهل الحراية والفساد من الورى * يعزوني في التشبيه للذكار
فساده فيه السلاح لغيره * بالقطع والتعليق في الانحجار
فروسهم ذكرى اذا ما أبصرت * فوق الجذوع وفي ذرى الاسوار

وكذا القصاص حياة أرباب النبي * والعدل مالوف بكل جوار

لوعسم حليم الله سائر خلقه * ما كان أكثرهم من أهل النار

وهذه الفتكة التي ارتكبها المأمون من الموحدين أنست فتكة الحارث بن ظالم والبراض الكفاي
والخفاف بن حكيم وهي التي استأصلت جهورهم وأمانت نخوتهم وأذن المأمون للنصارى القادمين معه
في بناء الكنيسة وسط مراکش على شرطهم المتقدم فصر بها نواقيسهم وكانت الكنيسة في الموضع
المعروف بالصينة وقبض على قاضي الجماعة عمراکش وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الحق فبيده ودفعه
إلى هلال بن جيدان الخطلي فحبسه حتى اقتدى منه ستة آلاف دينار وأقام للمأمون عمراکش
خمساً أشهر ثم غرض إلى الجبل لقتال يحيى بن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة
سبع وعشرين وستمائة فالتقى معه على الموضع المعروف بالكاعة فانهزم يحيى وقتل من عسكره ومن أهل
الجبل خلق كثير يسبق من رؤسهم إلى مراکش أربعة آلاف رأس وفي هذه السنة استبد الأمير
أبو زكريا ابن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص المقتاني بأفريقية وخلق طاعة الموحدين وفي سنة ثمان
وعشرين بعد هاهنا نفذت حشيت المأمون إلى سائر البلاد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها
خرجت بلاد الأندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها بن هود الناصر بها وقتلهم العامة في كل وجه
وفي سنة تسع وعشرين بعد هاهنا خرج على المأمون أخوه السيد أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة
سبته وتسمى بالمزويد فالتقى الخبر بالمأمون فخرج إليه وبلغه في طريقه أن قبائل بني قازار ومكلاثة
قد حاصروا مكامة وعاتوا في نواحيها فسار إليهم وحسم مادة فسادهم وعاد إلى سبته فحاصروا أخاه
السيد أبو موسى مدة فلم يقدر منه على شيء وكانت سبته من أحصن مدن المغرب ولما طالبت غيبة المأمون
عن الحضرة انقم يحيى بن الناصر الفرصة فقتل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن
عيسى ومعهم أبو سعيد بن وأودين شيخ هنتاته وعاتوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها وقتلوا
كثيراً من يهودها وسبوا أموالهم ودخل يحيى القصر فحمل منه جميع ما وجد به إلى الجبل واتصل الخبر
بالمأمون وهو على حصار سبته فارتحل عنها مسرعاً إلى مراکش وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة
ولما أبعد عن سبته عبر أبو موسى صاحبها إلى الأندلس فبايع ابن هود وأعطاه سبته فغزو ابن هود عنها
بأمرية فكان السيد أبو موسى بها إلى أن مات وانتهى الخبر إلى المأمون وهو في طريقه بأن ابن هود
قدم لك سبته فتوالت عليه الفجائع فحرض أسفاومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبته وكانت
وفاته في آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمائة وكانت أياماً شقاء وعناء ومنازعة افتقرت دولة
الموحدين فيها فرقتين فرقة معه وفرقة مع يحيى بن الناصر وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانها
وذهب نخوتها على يده قالوا ولولا أن الأمور قد استحالت إلى ما ذكر لك لكان المأمون موافقاً لآبائه
المنصور في كثير من الخلال ومتبعاً سنته في جل الأحوال وكان المأمون فصيح اللسان فقيها حافظاً
للحديث ضابطاً للرواية عارفاً بالقراءات حسن الصوت والتلاوة مقدماً في علم اللغة والعربية
والادب وأيام الناس كاتباً بليغاً حسن التوقيع لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري
والموطأ وسنن أبي داود وكان مع ذلك شهها حازماً على عظام الأمور وفي الخلاف والبلاد
تضطرم ناراً والمالك قد توزعها الثوار فكان المأمون إذا فكر في حال الثوار وما آل إليه حال الدولة
معهم ومادهاه من كثرتهم ينشد ممتلاً

تسكارت الطباء على خدش * فابدرى خدش ما يصيد

بشير إلى حاله معهم وأنه لم يدري ما يلاقى من ذلك والله تعالى أعلم

والخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله

لما هلك المأمون بوج ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد **وقال ابن أبي ذرع** بوج له بالخلافة وادي العبيد ثاني يوم من وفاة أبيه وهو يوم الاحد فاق محرم سنة ثلاثين وسثمائة وسنه يومئذ أربع عشرة سنة وكان الذين أخذوا البيعة كانوا بن جرمون السفيناني وشعيب بن اوقاريط الحسكوري وفرنسيميل قائد جيش الفرنج فانه لما مات المأمون كتمت حاربه موته واسمها حجاب وكانت فرنجية الاصل ومن دهاة النساء وعقلائهن وهي أم الرشيد فاستدعت هؤلاء النفر الثلاثة وكانوا عهدة جيش المأمون يركب كل واحد منهم في أزيد من عشرة آلاف من قومه وأعوانه ولان أهل الحل والعقد من الموحدين قد أتت عليهم فتنة المأمون كما مر بهاوا اليها فاعلمتهم بموت الخليفة وغيبت اليهم في بيعة ابنها الرشيد والقيام معه وبذلك لهم على ذلك أموال الجسة ووعدهم مع ذلك انهم اذا اقتضوا الحضرة وكان يحيى قد استولى عليها كما قلنا تجعلها لهم فينا يبعوه وأخذوا البيعة له على من سواهم فبايع الناس طوعا وكرها خوفا من سيفهم ولما تم أمره جعل أباه في تابوت وقدمه أمامه وسار إلى مراکش وسمع يحيى وأهل مراکش بما شرطه حبيب للقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فينا فخرجوا لقتال الرشيد بأجمعهم واستخلف يحيى على مراکش أبامعدين واتودين والتقى الجمعان فاقبلوا فانهزم يحيى وقتل أكثر من معه وصحب الرشيد مراکش فخص من أهله فأقتلهم وصالح قائد الفرنج وأصحابه على فينا بخمسة آلاف دينار ودخل الرشيد مراکش واستقر بها وكان قد وصل في صحبة عمه السيد أبو محمد سعد بن المنصور فحل من تلك الدولة بكان وكان إليه التدبير والحل والعقد وبعد استقرار الرشيد بمراكش قدم عليه عمر ابن اوقاريط الحسكوري صحبة أولاد المأمون الذين كانوا باشيالية ونفاهم ابن هودعنا وكان ابن اوقاريط هذا مضربا عن المأمون أيام حياته فتقدم بحضرة هؤلاء الأولاد وقدم على الرشيد فتقبله واتصل بالسيد أبي محمد وحسنت منزلته لديه ثم لما هلك السيد أبو محمد لحق ابن اوقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجه الخلاف وأخذ يدعو يحيى بن الناصر واستغفر له قبائل الموحدين ونهض اليهم الرشيد سنة إحدى وتلاثين وسثمائة واستخلف على الحضرة صهره أبا العلاء ادريس وصعد اليهم الجبل فأوقع يحيى وجوعه بكانهم من هزيمة واستولى على معسكرهم ولحق يحيى به لاد صطامة وانكفأ الرشيد راجعا إلى حضرة واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى فأتهمهم ولحقوا بحضرة وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا القديمي وجاء الباؤون على أثره بعد ان شرطوا عليه إعادة ما كان أزاله المأمون من رسوم المهدي وسنه فأعيدت وأطمانوا لإعادة رسوم الدعوة للمهدي واستقامت الأحوال في هذه الأيام إلى ان كان ما ذكره

وقد فتنة الخلط مع الرشيد واستدلاؤهم على حضرة مراکش

كان مسعود بن جيد ان كبير الخلط قد أغراه عمر بن اوقاريط بالخلاف لصحة بينهما وكان مدبا يأسه وكثرة جوعه يقال ان الخلط كانوا يومئذ يهازون اثني عشر فارس سوى الرجل والاتباع والحشود ففرض مسعود في الطاعة وتناقل عن الوفاة إلى الحضرة ولما علم بعد الموحدين واجتماع كلهم على الرشيد غاظه ذلك وأخذ في السعي للفرقة والشتات بينهم فاعمل الرشيد الحيلة في استعدائه وصرف عما كره إلى بعض الجهات حتى خلا مسعود الجلو وذهب عنه الريب واستقدم الرشيد فأسرع اللحاق بالحضرة وقدم معه معاوية عم عمر بن اوقاريط فتقبض على معاوية وقتل لحينه واستدعى الرشيد ابن جيدان إلى المجلس الخلفي للحدث فتقبض عليه وعلى خمسة وعشرين من أصحابه من كبار الخلط وقتلوا ساعثه بعد جولة وبيعة وقضى الرشيد حاجة في نفسه منهم ولما بلغ خبر مقتلهم إلى قومهم قدموا عليهم يحيى بن هلال بن جيدان وأجلبوا على سائر النواحي وأعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء ودخلهم في ذلك عمر بن اوقاريط وزحفوا لهما مراکش وخرجت العساكر لقتالهم

ومعهم عبد الصمد بن يولان فدفع ابن اوقاريط بجموعه في تلك العساكر فانهم زموا واحيط بجند
النصارى فقتلوا وتغلقوا اليهم بالحضرة وعدمت القوات واعترم الرشيد على الخروج الى جبال الموحد بن
خروج اليها وسار منها الى سبيلها سنة فلما كسها واشتد الحصار على مراکش واقصده هاجم يحيى بن الناصر
وانصاره من الخلط وهكورة فقبضوها وساء اثرهم فيها واضطربت احوال الخلافة بها وتقلب على
السلطان السيد ابوابراهيم بن ابي حفص الملقب بابي حافة وهذه الفتن كانت سنة اثنين وثلاثين وسمات

هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم اياها

وفي هذه السنة أعنى سنة اثنين وثلاثين وسمات نازل الفرنج الجنويون سبتة باجناد لا تحصى
ونصبوا عليها المنجنيقات والالآت العدة للعمار واستمر واعي ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث وثلاثين
بعدها فارتعدوا وامنوا على شيء ولما اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج في الافراج عنهم
بأربعمائة ألف دينار فقبضوا واوقعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم

عود الرشيد الى مراکش وفرار يحيى عنها الى بني معقل ومقتله بهم

وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاث وثلاثين وسمات خرج الرشيد من سبيلها بقصد مراکش
وخطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فاجابوه وعبروا وادى أم الربيع وبرز اليه يحيى في جموعه
والتي الفرغان فانهم زمت جوع يحيى واستمر القتل فذهبهم ودخل الرشيد الى الحضرة طافرا وأشار ان
اوقاريط على الخلط بالاستمرار اخبر ابن هود صاحب الاندلس والاخذ بدعوته فتكثروا بيه يحيى وبعثوا
وفدهم الى ابن هود بحجة ابن اوقاريط فاستقر هنالك ولم يرجع اليهم فوالفهم الخلط انها حيلة من ابن
اوقاريط وانه تخلص من الورطة وخرج الرشيد من مراکش وفر الخلط امامه وسار الى فاس فاقام
بها اياما وفرق في قهائم وصلاتها اموالا واربعا مغلة وسرح وزيره السيد ابانحة الى غمارة وفازاز
لبجاية اموالهما وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بعهده ملق بعرب معقل فاجاروه ووعدوه النصر
واستطاعوا عليه في المطالب فأتى بعضهم بالمتع فاعتاله في جهة تازاوسمق رأسه الى الرشيد بغض فبعثه
الى مراکش وأوعز الى نائبه بها علي بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم حسن بن
زيد شيخ العاصم وقائد وقائد ابناء عامر شيخا بني جابر فقتلهم وانكفأ الرشيد واجعا الى حضرته سنة أربع
وثلاثين وسمات وكان ابن اوقاريط لما فصل الى ابن هود صاحب الاندلس أقام عنده الى هذه السنة
فركب البحر في اسطول من اساطيل ابن هود وقصد مدينة سلا وهاجم الرشيد او العلاصم الرشيد
فنازلها وكاد يغلب عليها ثم رجع عنها بلا طائل وفي سنة خمس وثلاثين بعدها هاجم بايع أهل اشيلية
الرشيد ونقضوا طاعة ابن هود وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الجندو وصل وفدهم الى الحضرة ومروا في
طريقهم بسبتة فاقنطى أهلها بهم في بيعة الرشيد وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد ابا علي بن
خلاص منهم وانصرف وفد اشيلية وسبتة راضين واستقدم الرشيد رؤساء الخلط وكانوا راجعوا طامنة
بعد مقتل يحيى فقدموا عليه ونقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حلالهم واحياهم ثم أمرهم بقتل
مضيفهم وقتل معهم ابن اوقاريط وكان أهل اشيلية قد بعثوا به اليه قطع دارهم وفي سنة ست
وثلاثين وسمات وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاجر الناصر بالاندلس على ابن هود
وكان قد بايع أولا ابا بكر المظفي صاحب افريقية ثم بدله فرد البيعة الى الرشيد وفي هذه السنة
كان استيلاء العدو ودمر الله على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار ملكتها وذلك يوم الاحد الثالث
والعشرين من شوال من السنة المذكورة وفي سنة سبع وثلاثين بعدها هاجم انتشر بنو مرين ببلاد المغرب
واشتدت شوكتهم به وزحف اليهم الرشيد فزوه ثم زحف ثانية وثالثة فزوه واقام في محاربتهم

استيلاء العدو على قرطبة

سنتين ورجع عنهم الى الحضرة فاستدعواهم بالمغرب والحواء الى مكاسة حتى أعطوا الاثاوة لبني
جامعة منهم واتصل عليهم في نواحيها في سنة تسع وثلاثين وسقانة في قتل الرشيد كاتبه ابن الموماني
لداخلته مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف ووقف الرشيد على كسبه بخطه غلط الرسول
به اذ فقه ايدار الخلافة فوقعت الى الرشيد فقتله

وفاة الرشيد ورحمة الله

مات الرشيد ورحمة الله غريفا في بعض صهاريج بستانه بمحضرة مراکش وذلك يوم الخميس تاسع جمادى
الاثيرة سنة أربعين وسقانة ويقال انه اخرج من الماسحيا لحظ لوقته ومات وذكر أبو عبد الله
اكنسوم ان غرق الرشيد كان في البركة الكبرى التي بدار الحناء من اجدال اليوم قال وكان يقال لها
البحر الاصغر لان ملوك بني عبد المؤمن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار
بقد النزهة والفرجة والله تعالى أعلم

الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد على بن المأمون بن المنصور ورحمة الله

لما هلك الرشيد بويع أخوه لايه أبو الحسن على المدعو السعيد بتعيين أبي محمد بن واودين وتلقب
بالمعتضد بالله واستوزر السيد أبا اسحق ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى بن عطوش
وتقبض على جلدته من مشيخة الموحدين واستعفى أمر المخدم واصطنع لنفسه رؤساء العرب من جنم
واستظهر بجموعهم على أمره وكان شيخ سفيان كاثون بن جرمون كبير مجلسه وكان ضرر بني مرين
قد تغافم بالمغرب وداؤهم قد أفضل فخرج السعيد سنة اثنتين وأربعين وسقانة لتهدد بلاد المغرب
فانتهى الى مجمل ماسة وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه قتله واستولى عليها
ثم رجع حتى نزل المقرمة من أرض فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقفل الى مراکش فكانت هدنة
على دخن فلم يلبث الا يسيرا حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاث وأربعين بعدها واستغلف السيد أبا زيد
ابن السيد أبي ابراهيم أخا الوزير المذكور أنفا على مراکش واستعمل أناسا السيد أبا حفص وهو
المرتضى على سلا وسار نحو بني مرين فجمع له أميرهم أبو بكر بن عبد الحق جو عزانة وصدده نحوهم حتى
اذا ترا الجمان ونهب القوم للقاء مخالف كاثون بن جرمون الى آزمور فاستولى عليها وغلب الموحدين
عليها فراجع السعيد أدراجه في اتباعه فترك كاثون عنها فاعترضه السعيد فوقع به واستلم كثير من قومه
سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كاثون بني مرين ورجع السعيد الى الحضرة
ثم تقدم الامير أبو بكر بن عبد الحق المريني الى مكاسة فضايقها وخطب طاعة أهلها فثارت العامة
عكاسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وحذروا شيخها وكبرائها من سطوتهم فغزوا الدعوة الى الامير
أبي زكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيمهم
بمراكش فبايعه أهل مكاسة بمواطاة الامير أبي بكر بن عبد الحق فانه كان يدعو اليه في أول أمره وكذا
أخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بما مره عند ما تم له ملك المغرب
حسبا فاقصه بعد ان شاء الله وفي هذه السنة بعث أهل اشيلية وأهل سبتة بطاعتهم للامير أبي زكريا
الحفصي أيضا وبعث أبو علي بن خلاص صاحب سبتة اليه بهدية مع ابنه في اسطول أنشأه لذلك ففرق
عند اقلاعه من المرسى وقبل هذه المدة نيسير كان الامير أبو زكريا الحفصي قد تغلب على تلمسان وبايعه
صاحبها فمراسن بن زيان العبد الوادي وهو جد ملوك بني زيان أصحاب تلمسان والمغرب الاوسط فعظم
قدر أبي زكريا بسبب هذه البيعات التي انتالت عليه من سائر الجهات وحدثته نفسه بالتوبن على كرسى
الخلافة بمراكش وغص بنوعه للمؤمن بكانه وعظم عليهم استبداده ثم طعمه في كرسيمهم وقراره عزهم

مع انه ما كان الاجدولاً من بحرهم وفرعاً من دوحهم والامر كله لله

في نهوض السعيد من مراسكش الى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرة بنو نصران
في ابن زيان وما آل اليه الامر من مقتل رحمه الله

لما بلغ السعيد وهو عمر اكش استبداد الامير أبي زكريان أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص المنتسقي
بافريقية ومبايعة امرائه الجهات له عمل نظره في الحركة الى هؤلاء الثوار والنهوض لتدوين هذه
الاقطار وكان السعيد شهماً حازماً يقابله المهمة فتطرق في اعطاف دولته وفاوض الملامن الموحدون
في تنقيف أطرافها وتقويم أودها وحركتهم وأثار حفاتهم وأراهم كيف اقتطع عنهم الامر
شياً شياً فان أبي حفص اقتطع افريقية ويغمراس بن زيان اقتطع المغرب الاوسط ثم أقام فيه الدعوة
الحفصية وابن هود اقتطع الاندلس وأقام فيها دعوة بني العباس وابن الاحمر بالجانب الآخر منها مقيم
للدعوة الحفصية أيضاً وهو لا ينو من قد تغلبوا على ضواحي المغرب ثم هموا الى تلك أمصاره
وان سكتنا على هذا فيوشك أن يحتل الامر وتنقرض الدولة قذاصروا وتدعوا الى النهوض اليهم فغشده
السعيد الجنود وجوز العساكر وأزاح عنهم واستنفر عرب المغرب وما يليه واحتشد كافة المصامدة
ونض من مراسكش آخر سنة خمس وأربعين وسثمائة يريد مكاسة وبني مرين أولاً ثم تلسان
ويغمراس ثانياً ثم افريقية وابن أبي حفص ثالثاً ولما نزل وادي جهت أخذ في عرض عساكره وتغييرها
نخرج الامير أبو بكر بن عبد الحق من مكاسة ليلاً وحده يتجسس الاخبار فاشرف على جوع السعيد
فرأى ما لا قبل له به فعاد الى قومه وأفرج السعيد عن البلاد وتلاحقت به بنو مرين من أما كهنا التي كان
الامير أبو بكر أنزلهم بها واجتمعوا عليه بجمع تلو وطامن بلاد الريف وتقدم السعيد الى مكاسة فخرج
اليه أهلها يطلبون منه العفو وقد موأين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور بن حروز وتلقوه
بالصبيان من المكاتب على رؤسهم الألواح وبين أيديهم المصاحف وخرج النساء حاسرات يطلبن العفو
فغاضهم ثم ارتحل الى تازا في اتباع بني مرين وانتقل أبو بكر بن عبد الحق الى بني رتلن ثم راجع نظره
في مسألة الموحدين والدخول في أمرهم فبعث يبيعه الى السعيد وهو يومئذ تازا مع جماعة من وجوه
بني مرين قبلها السعيد وغاضهم هم سلف فسأله وقد هم ان يستكفي بالامير أبي بكر في أمر تلسان
وصاحبها يغمراس بن زيان وقد كتب اليه الامير أبو بكر أيضاً بذلك يقول يا أمير المؤمنين ارجع الى
حضرتك وقوفى بالجيش وأنا كفيلك أمر يغمراس وأفتح لك تلسان فاستشار السعيد وزاده فقالوا
لا تفعل فان الزناقي أخو الزناقي لا يخله ولا يسلمه فكتب اليه السعيد بان يبعث اليه جماعة من قومه
بمسكون معه فامده الامير أبو بكر بخمسمائة من قبائل بني مرين وعقد عليهم لابن عمه أبي عباد
ابن أبي يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السعيد ونض من تازا يريد تلسان وهو عند ابن أبي زرع كان
السعيد لما فرغ من أمر مكاسة عسكر بظاهراً فاس وهناك أتته بيعة بني مرين قال ثم ارتحل السعيد
عن فاس في الرابع عشر من محرم سنة ست وأربعين وسثمائة وخمس القمرك ليلة خسوفاً كلياً وأصبح
السعيد غادياً يريد تلسان فلما ركب فرسه انكسر لواءه المنصوري فتطير وزل ولم يرتحل الا في اليوم
السادس عشر من الشهر المذكور ولما سمع يغمراس باقبال السعيد اليه خرج من تلسان في عشرته وقومه
من سائر بني عبد الواد وتعموا باهليهم وأولادهم الى قلعة تاهرت دكت قبله وجدة فاعتصموا بها وقد
على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراس مؤيداً للطاعة وساعياً في مذهب الخدعة ومتولياً من حاجات
الخليفة تلسان ما يدعوه اليه ويصرفه في سبيله ومعتدرا عن تخلف يغمراس عن الوصول الى حضرة
السعيد فبلغ السعيد في شأنه ولم يعثره وأبى الامانة طاعته بنفسه وساعده في ذلك كاثون بن جرمون
السفياقي صاحب الشورى يجلسه ومن حضر من الملا وردوا الفقيه عبدون الى يغمراس ليستقدمه

فتناقل يغمرا من عن القدم خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل في عساكره حتى اناخ بها في ساحة القلعة وأخذ يخطبهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركب يغمرا في وقت القيولة على حين غفلة من الناس ليتطوف بالقلعة ويتقربى مكائفا بصره فارس من بني عبد الواد يعرف يوسف الشيطان كان أسفل الجبل بقصد الحراسة واتفق ان يغمرا من بني زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قريين منه فصرفوا السعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان وطعنه يوسف الشيطان فكبته عن فرسه وعمد يعقوب ابن جابر الى وزيره يحيى بن عطوش فقتله ثم استلموا الوقت ثم حوالى اليه ناصحان من العلوج وعسيران من الخصيان وقائد جند النصراني وهو أخو القمط ووليد ايا فاعان ولدا السعيد ويقال انما كان ذلك يوم عبي السعيد العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم أمام الناس فاقطع به بعض الشعاب المتوعدة في طريقه فتوائس عليه هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه وذلك منسج صفر سنة ست وأربعين وستمائة وانتهى الخبر الى المحلة فارتجت وماجت وأخذ أهلها في الفرار وبادر يغمرا من انى السعيد فقتل اليه وهو صريع على الارض فبها وفداه وأقسم له على البراءة من دمه والسعيد رحمه الله واجمعه صرعه بجود بنفسه الى ان فاظ وانتب المعسكر بجملته واستولى بنو عبد الواد على ما كان به من الاخوية الحسنة والفازات الرفيعة واختص يغمرا من فسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التي كانت فيه منها مصنف عثمان بن عفان رضي الله عنه زعمون انه أحد المصاحف التي انتصفت للعهد خلافة وانه كان في خزائن قرطبة عند ولده عبد الرحمن الداخل ثم صار في ذخائر ثوننة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم صار الى خزائن الموحدين من يبلتونة قال ابن خلدون وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان وذلك عند غلب السلطان أبي الحسن المريني على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة كما ذكره اه وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصنف العفاني وفيه مخالفة لبعض ما هنا وسيأتي لنا في دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ما يخالف ذلك كله والله أعلم بحقيقة الامر ومن الذخائر التي صارت ليغمرا من فسطاط السعيد العدة المنتظم من خزائن الباقوت الفاخر والدر النفيس المشتغل على من متعددة من حصانته وكان يسمى بالشعبان ثم صار الى بني مرين أيضا ان تلف في البحر عند غرق الاسطول بالسلطان أبي الحسن برسى بجاية مرجعه من تونس حسب ما ذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لانفسهم ويعتدونه من ذخائرهم ولما سكنت الفتنة وكرد عاصف تلك الهيعة نظري يغمرا من شأن موارد الخليفة فجعله ورفع على أعواده فدفعه بالعباد بقبيرة الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ثم نظر في شأن حرمه وأخته نازوت الشهيرة الذكربعد ان جاءها واعتذر اليها ما وقع وأصبحت جسيمة من ضيعة بني عبد الواد الى ما منهن فالحقوهن بدعوة من تخوم طاعتهم فكان ليغمرا من بذلك حديث جميل في الابقاء على الحرم وربي حقوق الملك وأما أهل محلة السعيد فانهم بعد نهوضهم تداعوا واجتمعوا الى عبد الله بن السعيد وقفلوا قاصدين مراكش واتصل الخبر بالامير أبي بكر بن عبد الحق وهو يومئذ ببني يتراسن وقد مت عليه الحسنة التي كان وجهها مع السعيد فتصق الخبر وانتهز الفرصة في الموحدين فاعترض عسكرهم بجيحات نازا فقتل عبد الله بن السعيد واستلمهم واستولى على ما بقى من أثارهم ثم حذ السير الى مكاسة قد دخلها وملكها ولحق فل الموحدين براكش فبايعوا عمر المرتضى كما ذكره ان شاء الله

في الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله

لما توفي أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى واليا من قبله بقصبة رباط الفتح من سلا كما قدمنا فاجتمع للموحدين بجامع المنصور من قصبة مراكش وبعثوا له البيعة وبعثوا اليه ونهض هو متوجها الى مراكش فلقبه وفداهم أثناء طريقه بتامسنا واجتمع عليه أشياخ العرب فبايعوه أيضا واستقام أمره

وتلقب بالمرتضى وعهد لعقوب بن كاثون على بني جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان
 كان قومه قد موه عليهم ودخل الحضرة واستوزر ابا محمد بن يونس من قرابته وقبض على حاشية
 السعيد ثم وصل اخوه السيد ابو اسحق الذي كان وزير السعيد من قبل ناجيهم وقعة تاهرت دكت
 آخذاً على طريق مصلحهم فاستوزره ايضا واسند اليه امره واستولى ابو بكر بن عبد الحق امير بني
 مرين بعد مهلك السعيد على رباط تازا ومكاسة ثم استولى سنة سبع وأربعين وسثمائة على فاس
 وأعمالها فاقطع عن المرتضى بلاد المغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من صلا الى السوس والاول دولة
 المرتضى كان استيلاء العدو على اشبيلية احدى قواعد الاندلس فان طاعة قشتالة وهو الاصبنيول خذله
 الله حاصرها سنة خمس وأربعين وسثمائة وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعده ما ملكها
 صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخسة أشهر وانتقل كرسى المملكة الاسلامية بالاندلس الى غرناطة
 وذلك في دولة بني الاجر وفي سنة تسع وأربعين وسثمائة ملك الامير ابو بكر المريني صلا ورباط الفخ
 ووفد على المرتضى عمرا كش موسى بن زيان الونكاسي واخوه علي بن زيان من قبيل بني مرين واخوه
 بقتال بني عبد الحق فاسعفهم ولما انتهى الى امان اعلو بن اشاع يعقوب بن جرمون السفياني قضية
 الفخ لينها وأصبح راحلا وقد استولى الجزع على قلوب الجيش فانقضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال
 ووصل المرتضى الى الحضرة وأغضى لعقوب عما صدر منه وفي سنة خمس وخمسين وسثمائة استرجع
 المرتضى صلا ورباط الفخ من يد بني مرين وفي سنة احدى وخمسين بعدهما فر من حاشية المرتضى
 علي بن يدر من بني باداس ولحق ببلاد السوس وتحصن بعض جبالها ثم حاصر تارودانت قاعدة بلاد
 السوس فاستولى عليها واستخدم الشبابات وذوى حسان من عرب معقل وأطاعته قبائل جزولة
 واستفصل أمره واستولى على بسائط السوس فوجه اليه المرتضى عده جيوش فهزم البعض وقتل البعض
 ثم جاء أودوس من بعد المرتضى فقبض اليه وحاصره بعض حصونه قرب تارودانت ولما اشتد عليه
 الحصار رغب في الاقالة ومعاودة الطاعة فقبل ذلك منه أودوس وأقلع عن حصاره وعاد الى الحضرة
 ولما استولى بنو مرين على مرا كش سنة ثمان وستين وسثمائة استبد على بني يدر هذا عليهم وقتل قطر
 السوس واستولى على تارودانت وسائر قراة ومعاقله وارفع حده للعرب وسامهم الهضبة فزحفوا اليه
 وقتلوه في السنة المذكورة ثم قوارث قطر السوس من بعده جماعة من عشيرته واستمر ملكهم عليه الى
 زمان السلطان أبي الحسن المريني فقبلهم عليه وانقرض أمرهم ثم رجع الى أخبار عمر المرتضى
 وفي سنة اثنتين وخمسين وسثمائة خرج أبو الحسن بن يعقوب المرتضى في جيش من الموحدين الى
 تامسنا ليكشف أحوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون السفياني وعهد اليه المرتضى بالقبض على
 يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بني جابر فقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بها الى الحضرة معتقلين
 وفي سنة ثلاث وخمسين بعدهما خرج المرتضى من مرا كش لاسترجاع فاس وأعمالها من يد بني
 مرين المتقلبين عليها واحتفل في الاحتشاد وبالغ في الاستعداد فكان جيشه ثمانين ألف فارس من
 الموحدين والعرب والاغترار وأهل الاندلس والفرغ فسلح حتى نزل جبل بني ميسلوقلة فاس وكانت
 هيمة بني مرين وناموسهم قد عسكر من قلوب جيش المرتضى فكلوا من دقروا من أحوال فاس
 لا ينامون الا غارا فانطلق ذات ليلة فر من بعض الجنديين وجري بين الاخيسة وجري الناس خلفه
 ليأخذوه قطن أهل الحملة ان بني مرين قد أغاروا عليهم فركبوا اخيو لهم ومابعضهم في بعض وانقلبوا
 منهزمين لا يابون على شيء واتصل الخبر بابي بكر بن عبد الحق وهو بفاس فخرج للوقت واحتوى على
 جميع ما في محلة الموحدين من الاخيسة والانات والسلاح والمال ومر المرتضى على وجهه فدخل
 مرا كش في جمع قليل من الاشياخ والفرغ وأقامها وأعرض عن بني مرين وتسلوا عنهم سائر أيامه

وازدادت شوكة الموحدين ضعفاً واستبدأ أبو القاسم العزفي يستقو لسنتب أمره ما توارث الرياسة بها
عشرين من بعده زماناً إلى أن غلبهم عليها بنو مرين (وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة) استولى أبو بكر
ابن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن اصبك وبأخذ أخيه جديدهم له يعرف بجمعة
القطراني وشرط على الأمير أبي بكر أن يكون هو والي عليها فأمضى له شرطه وأُزيل معه ما جاعة من
رجال بني مرين حتى إذا هلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجهم محمد القطراني واستبدأ أمر سجلماسة
وراجع دعوة المرتضى واعتذر إليه واشترط عليه الاستبداد فأمضى له شرطه إلا في أحكام الشريعة
وبعث أبا عمر بن حجاج قاضياً من الحضرة وبعض السادة للنظر في القضية فأئذ من النصارى بعسكر
الحماية فاحمل القاضي ابن حجاج الحيلة في قتل القطراني وتولى الفتك به قائد النصارى واستبد السيد بأمر
سجلماسة بدعوة المرتضى واستفحل أمر بني مرين أثناء ذلك وأُزيل الأمير يعقوب بن عبد الحق بسائط
نامسنا فصرح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد الله بن واودين فأجفأوا إلى وادي
أم الربيع واتبعهم الموحدون وألحوا عليهم فغط عليهم بنو مرين واقتلوا بسطن الوادي فانهزمت
عساكر الموحدين وغدر بهم بنو جابر وكان في مسيل الوادي كدى يحسر عن الماء فقتلوا كأنهم الرجال
فسميت الواقعة من أجل ذلك أيام الرجلين وذلك في سنة ستين وسبعمائة وبقي المرتضى بالجلمة على بن
يبر النائر بالسوس إلى سنة اثنتين وستين وسبعمائة فأقبل الأمير يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين
حتى زل على مراکش واتصلت الحرب بينه وبين الموحدين بظاهرها وأياها هلك فيها عبد الله بن يعقوب
ابن عبد الحق فبعث المرتضى إلى أبيه يعقوب بالتحريكة ولاطفه وضرب أتاؤه ببعثها إليه في كل سنة
فرضي يعقوب وأرتحل عنها وقيل إن مقتل عبد الله بن يعقوب كان سنة ستين قبل وقعة أم الرجلين
والله تعالى أعلم

في انتفاض أبي دؤس على المرتضى واستيلائه على مراکش ومقتل المرتضى عقب ذلك

ما ارتحل بنو مرين عن مراکش بعد مهلك عبد الله بن يعقوب فرمى من الحضرة قائد حرب المرتضى وابن
عمه وهو السيد أبو العلا أدريس الملقب بأبي دؤس ابن السيد أبي عبد الله محمد ابن السيد أبي حفص عمر
ابن عبد المؤمن السعابة تحكمت فيه عند المرتضى وأنه يطأ الأمر لنفسه فأحسن أبو دؤس بالنشر ولحق
بمعقوب بن عبد الحق فأدركه عند مقدمه إلى فاس فأقلام منازلة مراکش فأقبل عليه الأمير يعقوب
وبالغ في إكراهه فطلب منه أبو دؤس الإغانة على حرب المرتضى وكان بطالاً محمراً باو ضمن له ففزع مراکش
واشترط له المقاسمة فيما يطلب عليه من السلطان وما يستغنيه من الذخيرة والمال فأتمه الأمير يعقوب
بخمسة آلاف من بني مرين وبالكفاية من المال والمستجد من آلة الحرب من طول وبشود وغزو
ذلك وكتب له مع ذلك إلى عرب جشم وأميرهم يومئذ على بن أبي علي الخططي أن يكونوا معه يد واحدة
فسار أبو دؤس حتى وصل إلى سلا فكتب منها إلى العرب وأشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة
المرتضى يدعوهم إلى بيعته ويعددهم ويخبرهم بقتلته وفود العرب والمساكرة وصناجة آ زمر وبعض
الطريق فباعوه وسار وأمه حتى نزل بلاد هسكورة ثم كتب إلى خاصته من وزراء المرتضى أن يعلموه
بحال البلد والدولة فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخش شيئاً فأنافد فرقا الجند في أطراف البلاد
وهذا وقت تنهاز الفرصة فزحف أبو دؤس إلى مراکش حتى إذا انتهى إلى النخعات وجد بها الوزير أبا يزيد
ابن يكت في جيش من حمايته فافتخروا الحرب فانهزم ابن يكت وقتل عامة أصحابه وسار أبو دؤس يوم
مراكش ومعه عرب سفيان وبني جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كاتون السفياني فلادوا من مراکش
أغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رجمه بمصرع الباب ودخلت سنة
خمس وستين وسبعمائة والمرتضى عرا كس غافل عن شأن أبي أدريس والأسوار خالية من الحماية

والحراس فقصده أودبوس باب اغمات وتسور البلدة من هنالك ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وصعد إلى القسبة فاقضمها من باب الطبول واستولى عليها **و** وقال ابن أبي زرع **و** أن دخول أبي دوس مرا كش كان من باب الصالحة وذلك في يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وثمانئة والصالحة التي أضيف إليها هذا الباب هي بستان كبير من جملة بساتين أجدال دار الخلافة بمراكش ولا زال هذا البستان مشهوراً بهذا الاسم إلى الآن وهو من إنشاء عبد المؤمن بن علي رحمه الله وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذاري الأندلسي في كتاب البيان المغرب عن أخبار المغرب أن بستان السمرة الذي بناه جنان الصالحة أنشأه عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين قال وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهة تشتهي وجلب إليه الماء من اغمات واستنطع له عيوناً كثيرة **و** قال ابن البيع **و** وما خرجت أنا من مرا كش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ ميسع زيتونه وفواكه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفاكهة بمراكش **و** قلت **و** لشهرة هذا البستان وموقعه من الناس له بصيت به صبيانهم ومصبغوا به يقولون بإجرادة مألحة أين بت سارحة في جنان الصالحة في اصباح غير هذه تجبري على السنة الصبيان والله أعلم **و** مرجع إلى خبر أبي دوس **و**

و قال ابن أبي زرع **و** لما اقضم أودبوس مرا كش سارحتي وقف بسباب البنود من القسبة فقلت الأبواب دونه وقام عبيد الخزن عليها يقاتلونه ولما رأى المرتضى أن أبادبوس قد اختلف معه كساء دار الملك خرج من القصر نجياً بنفسه من باب الفاتحة ومعه الوزير أبو زيد بن يعاوا الكومي وأبو موسى ابن عزوز الملتاني فلحق بهنئاً ثم انتقل منها إلى كدمية ثم إلى شفشافة ثم لحق آخرها زمور ونزل على صهره من بني عطوش كان والياً عليها من قبله وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو فاشتبه المرتضى بعمال جسيم وزوجه ابنته وولاه زمور فلما وقعت عليه الكائنات بمراكش ذهب إليه مستخيراً ومطمئناً إليه فكان من جزائه أن قبض عليه وقيده وكتب إلى أبي دوس يعلمه فكتب أودبوس إليه يستكشفه في شأن الذخيرة فأنكر المرتضى أن يكون قد خشي شيئاً وحاف على ذلك ومث إليه بالرحم حتى عاد أودبوس يعطف عليه ثم أغراه حاصته بوجه إليه من قتله في الطريق وأتى إليه برأسه وصار ابن عطوش بقلعه هذه أظلم من الخيفقان وكان مقتل المرتضى في العشرين الآخر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثمانئة وكان رحمه الله ينتمي إلى التصوف والزهد والورع وتسمى بثالث العمرين وكان مولداً بالسماع لا يكاد يخلو منه لبلال ولا نهاراً وكان في أيامه رخاء مفرط لم يراهل مرا كش مثله **و** قال ابن الخطيب **و** كان المرتضى قاضاً خيراً عفيفاً ممدداً سيف مائلاً إلى الهدنة رحمه الله تعالى

و الخبر عن دولة أبي العلاء أدريس الواثق بالله المعروف بابي دوس **و**

لما اقضم أودبوس حضرة الخليفة على المرتضى وفر المرتضى عنها ملكها أودبوس واستتب أمرهما وبأيده كافة الموحدين وأهل العقود والخل من الوزراء والفقهاء والأشياخ وكان ذلك بجماع المنصور يوم الأحد الثالث والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وثمانئة واستقل أودبوس بملكه بمراكش وأهملها وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله وبذل العطاء ونظر في الولايات ورفع المكوس عن الرعية ولما اتصل بالأمير يعقوب بن عبد الحق ما كان من أبي دوس واستدله على الملكة كتب إليه بهنئته بالفتح ويطلب منه أن يكتفه من الشرط الذي شرط له فلما وصل إليه الكتاب أدركته الخوة وغلب عليه الكبر وقال للرسول قل ليعقوب بن عبد الحق يغتم سلامته ويبعث إلى يبيعتته حتى أقره على ما يهده

والاغزوته بجند ولا قبل له بها فعاد الرسول الى الامير يعقوب وأبانه الخبير ودفع اليه كتاب أبي دؤوس
فاذا هو مخاطبه مخاطبة الخلفاء لعلمهم والروساء لخدمهم فحقق الامير يعقوب سكتته وغدروته فنهض
اليه في جوع بني مرين وعساكر المغرب فلما أشرف على مراکش خام أبو دؤوس عن القاع وتحصن
بداره ولبا الى أسواره فتقدم الامير يعقوب حتى نزل على مراکش وحاصرها أياما وعاش في فواحشها
وانتصف ماحولها ولما رأى أبو دؤوس ما نزل به منه كتب الى قريبه يعمر اسن بن زيان صاحب تلمسان
يطلب منه ان يشغل عنه الامير يعقوب بما وراءه من أعمال فاس والمغرب وأسنى له الهدية في ذلك
وأكد العهد في الموالاة والمناصرة فاجابه يعمر اسن الى ذلك ونهض من حينه فشن الغارات على ثغور
المغرب وأضرهم نار الفتنة بما واصل ذلك بالامير يعقوب وهو محاصر لمراكش فرجع عوده على يده
وسار الى يعمر اسن فناجزه الحرب وانتصف منه على ما ينبغي وحسم مادة فسادته ثم كررا جعا الى
مراكش في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبر وادي أم الربيع شن الغارات على النواحي وبث
السرابة في الجهات وطال عيشه في البلاد وأدأ في ذلك وأعاد حتى ضاقت صدور بني عبد المؤمن بمراكش
وتكثر عيشهم فخرهم أولياؤهم من عرب جشم وأغروهم باستهاض أبي دؤوس للافعة عدوه
ووعدهم النصر من أنفسهم فحرك أبو دؤوس لذلك وأسرأبت نفسه الى القتال فشد وأبلغ وبرز من
الحضرة في جيوش ضخمة وجوع وافرة ولما علم الامير يعقوب بخروجه ودتوه منه أظهر من نفسه
الجزع لقاؤه وكررا جعا الى جهة بلاده يستجيره بذلك ليعمدن الحضرة ومددها وتعاى أبو دؤوس
في اتباعه حتى انتهى الى وادي وغفوا فسكر عليه الامير يعقوب والتهم القتال وقامت الحرب على ساق
فلطمخ الاساعة حتى انهزم الموحدون وأطلق أبو دؤوس عنانه للفرار يريد مراكش فأدركته خيل بني
مرين وتناولته ومأجهم ونحو صريرعاليدين والقم واحتز رأسه وجى به الى الامير يعقوب فجدد سكر
لله تعالى ثم بعث به الى فاس وتقدم هو الى مراكش فاستولى عليه في أوائل محرم سنة ثمان وستين
وستمائة وفر الموحدون الذين كانوا بجرا كش الى جبل تينخلل فبايعوا إسحق بن أبي ابراهيم أخا المرتضى فبقى
ذبالة هنالك الى سنة أربع وسبعين وستمائة فقبض عليه وجى به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق هو
وابن عمه السيد أبو سبعين أبي الربيع ووزيره القبايلي وأولاده فقطعوا جميعا وانقضت دولة بني
عبد المؤمن من الأرض وذهبت محاسن مراكش يومئذ يذهب دولتهم والبقاء لله وحده لارب غيره
ولامعبد سواه يؤخذ كرم كما كان في هذه المدة من الاحداث توفي في سنة احدى وستمائة الشيخ
أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي دفن مراكش وذلك يوم الاثنين الثالث
من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ودفن خارج باب تاغروت وكان شيخه أبو عبد الله الفخاوم
أصحاب القاضي أبي الفضل عياض وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه جميل الصورة أبيض اللون
حسن الثياب فصيح اللسان قادر على الكلام لا يناظره أحد الا أخيه حتى كان مواقع الحج من
الكتاب والسنة موضوعة على طرف لسانه وكان مع ذلك حلما صورا عطا وفاقا يحسن الى من يؤذيه ويحلم
عمن يسفه عليه برأبالية ما والمسكين وحماهم يحلس حيث أمكنه الجلوس من الاسواق والطرق
ويحض الناس على الصدقة وبأى عجا في فضلهم الا ياتوا لانا فقتل عليه من كل جانب
في فرقه على المساكين ونصرف وكان له مع الله تعالى في التوكل عليه عقدا كيد ومقام جيد قد ظهر اثره
على روضته المباركة بعد وفاته (حدث) أبو القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزرجي قال بعثني أبو الوليد
ابن رشد من قرطبة وقال لي اذ رأيت أبا العباس السبتي بمراكش فانظر مذهبه وأعلمني به قال جلست مع
السبتي كثيرا الى ان حصلت مذهبه فاعلمته بذلك فقال لي أبو الوليد هذا رجل مذهبه ان الوجود
ينفعل بالوجود وقال الوزير ابن الخطيب رحمه الله عن مقصود في حياته

مستغاثه في الازمات وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعاده ومبني أمره على انفسعال العالم عن الجود
 وكونه حكمة في تأثر الوجود له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفى ظهر هذا الأمر على تربيته
 وانصب على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباينة قبره
 بالصدقة الى بعضه من أما كهس على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصي قهاهم أجنحة نباتهم
 فهو يولي به عبادهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة وهو في سنة عشر
 وستمائة كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس وهو في سنة ست عشرة وستمائة توفى الشيخ الفقيه
 الصالح أبو اسحق ابراهيم بن محمد السلي البليقي ينتهي نسبه الى العباس بن مرداس السلي صاحب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو اسحق رجلا لله من كبار العلماء العاملين والرهاد المحققين مثابرا
 على الاجتهاد والانقطاع الى الله تعالى وطهرت عليه ببلده المري من عدوة الاندلس كرامات واجمع
 عليه خلق كثير وشاع ذكره هناك فوشوا به الى الخليفة صاحب مراکش وهو يوسف المنتصر
 الموحدى فكتب الى عامله على المري بأمره بتوجيه الشيخ أبي اسحق مكرما غير مرقوع ولما عزم العامل
 على توجيهه قام العامة والاتباع دون الشيخ وأرادوا أن يحولوا بينه وبين العامل فقال لهم الشيخ طاعة
 السلطان واجبة ولما انتهى الى مراکش ودخل على المنتصر هابه وأجله وندم على ما كان منه اليه ثم بالغ
 في أكرامه وبعد ذلك مرض الشيخ أبو اسحق وتوفى في السنة المذكورة واحتفل الناس بجنائزه وحضرها
 الامراء والكبراء وكسر العامة نعشه واقسموا أعواده تبركاه وقبره مشهور وعمره كثر بسوق الدقيق
 منها وبقرض يريعه مسجد جامع ينسب اليه والعامة تقول جامع سيدي اسحق يدون لفظ الكنية
 وليس كذلك وهو في سنة سبع عشرة وستمائة كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب وفيها ألف
 الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى النادلي المراكشي الدار عرف بابن ازيات كتابه المسمى بالتشوف الى
 رجال التصوف وذكر فيه انه لم يتعرض لذكر أحد من أولياء زمانه الاحياء غير انه ذكر ان من جملة
 أولياء زمانه الذين كانوا في قبة الحياة الشيخ الصالح المصوفي أبي محمد صالح بن يضر بن عفيان الدكالي ثم
 المجازي زيل رباط آسفي قال وهو الاثنى لا يقتصر من الاجتهاد والمحاطة على المواصله والايراد ومن
 كلامه الفقير لاس له نهاية الا الموت قال وحديثي عنه تلازمته بجهاب من الكرامات والكلال على
 النحو طر وهو على سبعين المشايخ الأول رضى الله عنه وهو في سنة اثنين وعشرين وستمائة توفى الشيخ
 أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وقيل فيما بعد ذلك الى سنة خمس وعشرين وتوفى رضى الله
 عنه شهيدا بجبل العلم من جبال عماره وقبره هناك مشهور ومن أعظم مزارات المغرب وكان سبب
 شهادته ان محمد بن أبي الطواجين الكفاي كان قد نأى بذلك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة
 حسماسلف وتبعه على ضلاله طغام غمارة البر رفكان عمدة الله يغص بمكان الشيخ رضى الله عنه
 لما أتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم فسؤل له
 الشيطان انه لا يتم أمر مخزفته في تلك الناحية الا بقتل الشيخ فدنس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا
 الشيخ حتى نزل من خسائره في مصر من الانصار الى عين هناك قرب الجبل المذكور فوضأ منها وولى
 راجعا الى محل عبادته وارتاب بخره فعدو واعليه وقتلوه ومن الشائع انه ألقى عليهم ضباب كثيف
 أضلهم عن الطريق ودفعوا الى شواهي ترد وامناني مهاوى صبيقة غرقت فيها أشلائهم ولم يرجع منهم
 مخبر والشيخ عبد السلام هذا هو ان مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمه بن عيسى بن سلام بن تشديد اللام
 ابن مزوار بن بخت الميم وبالوا له - مله أخيرا ابن جبدرة واسمه على بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله
 ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وهو في هذه السنة أيضا في أسأسد
 الصدوق الكافر على المسلمين بالاندلس ونوالت له عليهم الهزائم عواضع متعددة واستولى على كثير

الحصون واستسلم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والأسواق في سنة أربع وعشرين
 وستمائة في اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس حتى بيع القفير من القمح بخمسة عشر دينارا وعم الجحرا
 بلاد المغرب في سنة ست وعشرين وستمائة في مكان السبيل العظيم بفاس هدم من
 سورها لغيره نحو مسافتين وهدم من جامع الاندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا
 كثيرة وفما دق متعددة من عدوة الاندلس في سنة ثلاثين وستمائة في كان
 الغلاء ببلاد المغرب وكثر بهم الجوع والوباء حتى بلغ القفير من القمح ثمانين
 دينارا ونزلت الامصار من أهلها في سنة خمس وثلاثين
 وستمائة في عاود الغلاء والوباء أرض المغرب فأكل الناس
 بعضهم بعضا وكان يدفن في الحمير الواحد المائة من
 الناس في سنة ست وأربعين وستمائة في
 وقع الحريق بأسواق فاس فأحترقت
 حارة باب السلسلة بأسرها إلى
 حمام الرحبة وبالله
 تعالى العصمة
 والتوفيق
 تم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله ابتداء دولة بني مرين